

٦) تصوصن وزحمت جمرانفت و نارخفته عن جزيرة العرب

غزوات الجراكسة والأتراك في جنوب الجزيرة

(النسبي)

البرق اليماني في الفتح العثماني

تأليف

قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي المكي
(٩١٧ - ٩٩٠ هـ)

منشورات دارالبيعتامة للبحث والترجمة والنشر - الرياض - المملكة العربية السعودية

البرق الياني

مؤرخة الجزيرة العربية

٦ نصوص ودراسات جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب

البرق اليماني في الفتح العثماني

(تاريخ اليمن في القرن العاشر الهجري، مع توسع في أخبار
غزوات "الجمالكسة" و"العثمانيين" لذلك القطر)

تأليف

قُطْبُ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ النَّزَوِيِّ الْمَكِّيِّ
(٩١٧ - ١٠٩٠ هـ)

★

أُشْرَفَ عَلَى طَبْعِهِ
حَمْدُ الْجَابِرِ

★

مكتشورات داراليسامة للبحث والترجمة والنشر - الرياض . المملكة العربية السعودية

الطبعة الاولى
١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م

مقدمة الناشر

ايضاح عن الكتاب

حياة المؤلف

هذا الكتاب

طريقة النشر

بيان معاني بعض الكلمات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ابضاع عن هذا الكتاب

في سنة ٩٢٣ هـ زالت دولة المماليك التي كانت تحكم مصر والشام، وتسيطر على غرب الجزيرة العربية (الحرمين) سيطرة اسمية ، واستولت على تلك البلاد الدولة العثمانية .

وقد حاولت الدولة الجديدة بسط نفوذها في أنحاء الجزيرة العربية ، فاستطاعت ذلك بالنسبة الى أطراف الجزيرة ، ولكنها وجدت مقاومة عنيفة حالت بينها وبين التوغل داخلها ، وخاصة في جنوبها في (اليمن) وفي وسطها .

ولم تتمكن من التوغل في شرق الجزيرة إلا بعد استيلائها على العراق ، في مطلع النصف الثاني من القرن العاشر ، وبعد إخضاع البصرة للحكم العثماني في سنة ٩٥٣ هـ .

إن قيام الدولة العثمانية بإرسال الحملات تلو الحملات لإخضاع الجزيرة لحكمها يعتبر أول غزو خارجي منظم ، وبصرف النظر عن غاياته وأهدافه إلا أنه أولى المحاولات للسيطرة الخارجية على تلك البلاد ، والقضاء على استقلالها .

وهذا الكتاب يسجل جانباً كبيراً من الغزوات التي قامت بها تلك الدولة لبسط نفوذها في الجزيرة ، بل يصور أروع جانب من جوانب البطولة التي صمدت أمام تيار الجيوش العظيمة الغازية ، فصدتها عن التغلغل داخل البلاد، بعد أن أبادت آلاف القتلى ، بل عشرات الآلاف من أبطال رجالها .

ومؤلف هذا الكتاب - مفتي مكة وأحد قضاتها ومؤرخها - يعتبر المؤرخ الأول لتلك الحوادث ، بحكم معاصرته لها ، وتصديقه لتدوينها .

وهو - بحكم عمله وبحكم سيطرة الدولة العثمانية على الحرمين الشريفين - يعتبر صنيعاً للدولة ، بل يصح أن يوصف بأنه مؤرخها (الرسمي) من علماء العرب ، ومن هنا تبرز ناحية من نواحي الضعف في هذا الكتاب .

هذه الناحية التي قد تطنى على عاطفة المؤلف طغياناً كبيراً يبرز أثره في استعمال كثير من الكلمات النابية في حق من يصفهم بأنه أعداء (ملك البرين والبحرين ، وخادم الحرمين الشريفين) ويصفهم بأوصاف هي ألصق بأعدائهم من الغزاة ، كالخروج عن الدين ، والاحاد ، وطاعة الشيطان .

إلا أن أثر تلك العاطفة يختفي عندما يسجل الوقائع والحوادث تسجيلاً يعجز أسلوب المؤلف ، وتضعف عاطفته عن اخفاء ما يتضمنه من الحقائق .

إنه لا يرى غضاضته في أن يقول (١) : (ولقد سمعت المرحوم أحمد جلي المقتول (دفتر دار مصر) يفاوض المرحوم داود باشا في حدود سنة ٩٥٣ فقال : ما رأينا مسبكاً مثل اليمن لمسكراً ، كلما جهزنا اليه عسكرياً ذاب ذوبان الملح ، ولا يعود منه إلا الفرد النادر ، ولقد راجعنا الدفاتر في ديوان مصر من زمن ابراهيم باشا إلى الآن ، فرأينا قد جهّز من مصر إلى اليمن في هذه المدة ثمانون ألفاً من المسكر ، لم يبق منهم في اليمن سبعة آلاف نفر . انتهى كلامه . قلت : وقد تجهز بعد ذلك إلى هذا الزمان أضعاف ما ذكر محمد بك - رحمه الله تعالى - وهم جراً إلى آخر الزمان ، وهذا سر إلهي لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى !! والذي يلوح للخاطر أن سبب نقصان بركتهم ما يرتكبونه من ظلم العباد) الخ .

ولا أن يسجل ما يرتكبه بعض القواد ورجال الدولة من أنواع الظلم ،

أو يفعلونه من المعاصي مما لا يتفق مع تعاليم الاسلام ، وأن يتبع ذلك بالاستغفار لهم ، أو الاعتذار عن أفعالهم ، بأعذار واهية .

ولئن كان الأصل لهذا الكتاب مؤلفاً باللغة التركية عن تلك الغزوات ، ألفه أحد الرجال الذين خاضوا أغمارها وكان يتولى وظيفة (رئيس الكتاب) لأكبر قائد من قواد تلك الغزوات ، وكتاب بهذه الصفة يقصد به إرضاء جانب واحد ، كثيراً ما تعوزه النزاهة والصراحة ، وقل أن يسلم من الانحياز ، وهذا أقل ما يوصف به كتاب من هذا القبيل إلا أن الكتاب هذا - مع ما فيه - يعتبر ذا أهمية تاريخية متعددة الجوانب فهو يصور جانباً كبيراً من صمود بلادنا وبطولة ابنائها أمام جحافل الغزو الخارجي .

وهو يعتبر حلقة في سلسلة تاريخ بلادنا، يبقى ذلك التاريخ مبتوراً بفقدانها.

وهو يحوي وثائق تاريخية هامة تفيد المعنيين بدراسة هذه الناحية وهو يضم - في طياته - لمحات تاريخية واجتماعية عن بلادنا ، فيصف الاستقبالات والاحتفالات الرسمية لرجال الدولة الجديدة الحاكمة عندها يصلون الى جدة ، ومكة .

ويسجل بعض مواقف اولئك الرجال الشاذة من أوضاع بلادنا .

ويشير الى بعض الوفادات التي يقوم بها بعض مشاهير البلاد ، إما للمطالبة بأن يتولى القضاء في مكة عالم من أهلها من العرب ، أو لاقرار أمير مكة في منصبه ، أو غير ذلك من الوفادات التي تحدث عادة الى قاعدة الدولة .

ومولفه عالم من علمائنا أسدى يداً بيضاء لبلادنا بتسجيل تاريخها في مؤلفه هذا أو في مؤلفات أخرى كتاريخه لمكة وغيره ، ومن حق هذا العالم علينا، ومن الوفاء له إبراز كل أثر من آثاره المفيدة . واسلوب الكتاب يخرج عن مالوف كتاب هذا العصر ، فهو مسجوع ، والسجع في العهد الذي ألف فيه ذلك الكتاب يلجأ اليه المؤلف ليظهر مقدرته وتمكنه من اللغة ، يضاف الى

هذا أن لجرس الكلمات المسجوعة في آذان من كتب لهم الكتاب وهم عجم لا يعرفون من اللغة العربية إلا اليسير - لجرس السجع في آذانهم من الأثر أعظم مما لبليغ المعاني في الكلام الفصيح ، ومن حسن حظ القارىء أن سجع الكتاب ليس من الممل العسر الفهم ، الذي يحوج الرجوع الى القاموس كثيراً .

ولقد ألفت هذا الكتاب في الوقت الذي بدأت اللغة التركية أول ما بدأت تتسرب إلى اللغة العربية ، وجاء أهلها بأشياء جديدة ليس لها مسميات معروفة عند العرب ، كالرتب والالقباب ، وبعض أنواع الأسلحة والأطعمة والألبسة ، ومؤلف الكتاب وان كان يجيد العربية ، ويحسن اللغتين التركية والفارسية ، ولكنه لم يكلف نفسه عناء تعريب كثير من الكلمات التركية التي استعملها ، والتي بقيت مستعملة الى أول القرن الذي نعيش فيه ، ثم ماتت .

والكتاب - من هذه الناحية - يفيد المعنيين بالدراسات اللغوية ، ويفيد المهتمين بمعرفة تطور الأسلوب العربي في الكتابة في ذلك العهد .

ولئن أخذنا على المؤلف - فيما أخذنا - مبالغاته في مدح من مدحهم استرضاء ، وتولفاً ، وفي ذم من ذمهم انجرافاً وراء العاطفة ، ومبالغة في الاسترضاء والتزلف ، فإننا ندرك - مع ذلك - ان القارىء لا يغرب عن ذهنه وجوب اطراح تلك المبالغات من مدح أو ذم ، ولن يعيى فهمه ادراك الغاية منها ، وأن أولئك الذين وصمهم المؤلف - والله يغفر له - بما هم منه ابرياء ، لا يقلون فضلاً عن اسبغ عليهم من صفات المدح والثناء ما يرتفع عن اقدارهم . وما لنا نذهب بعيداً ، وجل ما نقرأ اليوم في صحفنا وكتب تاريخنا يجري على سنن ما جرى عليه مؤرخنا ؟ !

فإننا لم نوقّ النقص حتى نطالب بالكمال الأولينا

لن نطالب بالكمال، ولكن بالاعتدال. وما أحسن القصد في كل الأمور.

حياة المؤلف

تمهيد :

(حياة القطب ارتباط وثيق بتاريخ الدولة الاسلامية في « كجرات »
الاقليم الذي تقع فيه بلدة «نهرواله» التي ينسب القطبي اليها. وفيها عاش اهل
مئات السنين ، ولهذا نورد نبذة عن تلك البلدة ، وعن سلاطينها) .

الدولة الاسلامية الكجراتية :

في غرب الهند ، بقرب شواطئ البحر العربي وجدت دولة اسلامية ،
قامت من مبتدأ القرن الخامس الهجري ، حتى سنة ٩٧٨ هـ حيث ازالها المغول .

قامت هذه الدول في إقليم « كجرات » بأرض الدكن ما بين ٢٥ / ٢٣
و ٢٢ / ٤ درجة من العرض الشمالي ، وما بين ١ / ٢٠ و ٧٤ درجة من الطول
الشرقي .

وكانت تشتمل على أربع مديريات ، وتقدر مساحتها بـ ٢٩٠٧١ ميلا
مربعا ويقارب سكانها ، في الآونة الاخيرة - خمسة ملايين .

في هذا الاقليم توجد مدينة (نهرواله) وتقع في غربه ، مما يلي إقليم السند
قرب جزيرة « ناكجة » بقرب شط العرب .

تقع (نهرواله) في ولاية (بروده) - تنطق الراء هنا قريبة من الطاء ،
وتكتب طاء صغيرة فوقها - في الدرجة ٢٣/٥١ من العرض الشمالي و ٧٢|١٠
من الطول الشرقي ، وعدد سكانها في الوقت الحاضر يقاربون ٣٠ ألفاً - وتسمى

الآن « بتن » بالباء والتاء الهنديتين المثلثتين^(١) .

قامت الدولة الاسلامية في (كجرات) في سنة ٨١٠ هـ (١٤٠٧ م)
وامتدت الى سنة ٩٦٥ هـ (١٥٧٢) حيث استولى المغول على (كجرات)
وقضوا على تلك الدولة الاسلامية .

وفي الدولة الكجراتية وجد ملوك اهتموا بنشر الدين الاسلامي في تلك
الأقطار وبتشييد المساجد والمدارس ، وبالاهتمام بالحرمين الشريفين .

وكان من أشهرهم السلطان أحمد شاه ، الذي تولى الحكم فيما بين سنتي
٨١٣ و ٨٤٥ هـ .

ومن آثار هذا السلطان في مكة المدرسة التي أنشأها وعرفت بالمدرسة
الكنبائية ، نسبة الى قاعدة ولاية من ولايات كجرات ، تعرف بهذا الاسم
(كنباية) او (كهنباية) وبالانجليزية (كيمي) وهي أكبر بنادر الهند ،
وفيها مسجد عظيم بني في عهد السلطان محمد شاه (٨٤٥ هـ ٨٥٥) وتقع في
عرض ٢٢ / ٨ درجة وطول ٧٢ / ٤٠ درجة شرقاً ، على الضفة الشرقية من
نهر (ماهي) بمقربة من مصبه في خليج (كيمي) وتبعد ٥٢ ميلاً عن أحمد
آباد^(٢) .

ووصف القطبي^(٣) هذا السلطان بأنه من أصحاب الخير الكثير ، شديد
الحبة للعلماء ، كثير البرّ والصدقات .

ومن ملوك تلك الدولة السلطان محمود شاه ، الذي تولى الحكم فيما بين
سنتي ٨٦٣ و ٩١٦ هـ وله آثار اصلاحية في بلاده ، وقد بنى هناك مدينة

(١) كتاب «نزعة الخواطر - معجم الامكنة» للسيد عبدالحفي الكنوي (١٢٨٥ - ١٣٤١ هـ)
(ص ٣٩ - ٤٥) .

(٢) نزعة الخواطر - معجم الامكنة (٤٤)

(٣) : الأعلام (٢٣٧) هامش (خلاصة الكلام) .

(محمد آباد) وتوفي هذا السلطان في شهر رمضان سنة ٩١٦ هـ عن عمر يقارب الـ ٦٧ عاماً .

وخلفه ابنه السلطان مظفر شاه ، وكان عادلاً فاضلاً ، محباً لأهل العلم ، وكان حسن الخط ، كتب بيده جملة مصاحف ، وأرسل مصحفاً منها إلى المدينة المشرفة ، وخرجت روحه وهو ساجد ، في سنة ٩٣٢ هـ (١) .

ومن مآثر السلطان مظفر انشاؤه مدرسة في مكة ، وبنى رباطاً ، وقرر لمدرسي المدرسة وطلابها ، وللقائمين على الرباط نفقة يبعثها كل عام مع صدقة لأهل الحرمين الشريفين ، ثم قطعت النفقة بعد أن صار نظار الرباط والمدرسة يعبثون بها ولا يصرفونها في وجهها .

وكانت المدرسة يجوار الحرم ، وقد أزيلت عام ٩٧٢ هـ حيث بنى موضعها المدرسة السليمانية في عهد الدولة العثمانية واستبدل بمكانها غيره .

وينسب بعض المؤرخين المدرسة والرباط إلى والد هذا السلطان ،

ومن سلاطين هذه الدولة السلطان بهادرشاه ، وتولى الحكم من سنة ٩٣٢ إلى سنة ٩٤٣ هـ - وقد جرت بينه وبين المغول كثير من الحروب التي انهكت قوى الدولة الكجراتية ؛ وانتهت بقتله - رحمه الله .

في سنة ٩٤٢ قام السلطان المغولي همايون بغزو كجرات فهزم السلطان بهادر ، فخشى على حريمه ونفائس خزائنه ، فبعث بها مع وزيره آصف خان الكجراتي ولكن السلطان بهادر قتل في سنة ٩٤٣ هـ من قبل البرتغال .

ويصف صاحب « النور السافر » هذا الوزير قائلاً (٢) : كان رجلاً صالحاً جواداً شريف النفس ، عالي الهمة .. ولما خشي السلطان على حريمه ونفائس

(١) : النور السافر (١٩١ / ١٩٢) .

(٢) : النور السافر (٢٤٢ / ٢٤٧) .

خزائنه أمر الوزير بالذهاب إلى مكة . ومكث في مكة أكثر من عشر سنين ، مشتغلاً بالعبادات وأنواع الطاعات ، لا يعرف انه ترك الجماعة مع الإمام في المسجد الحرام فرضاً واحداً من غير مَرَضٍ ونحوه ، وكان محباً لأهل العلم ، محسناً إليهم ، مؤلفاً لأهل الفضل مشفقاً عليهم ، حتى نفق العلم في زمنه نفاقاً عظيماً ، واجتهد أهله اجتهاداً بالغاً ، وثاب الطلبة وعكفوا عكوفاً باهراً عليه ، وبحثوا عن الدقائق لينفقوها في حضرته ، وبجفظ الاشكالات ليتقربوا بها إلى خاطره ، كل ذلك لإسباغته على المنتسبين إلى العلم من صنوف الاحسان وواسع الامتنان ، وهوامع الانعام والاكرام ما لم يسمع بمثله عن أهل زمنه ، ومن قبله بمدة مديدة ، حتى قال بعض العلماء : قد أذكرنا ذلك ما يحكى عن الخلفاء والبرامكة ، وأبان لنا حقيقة ما في التواريخ عنهم . حتى قيل : انه أنفق بمكة في سنة ، مائة وخمسين صندوقاً ذهباً ، حتى ألبس أهل مكة نساءهم وخدمهم حلي الذهب الذي لم يعهدوا مثله ، وتوسعوا في الملابس والمعاش بما لم يعرفوه قبل ذلك) (١ . ه .

وفي سنة ٩٥٥ عاد من مكة إلى كجرات وأقام بها حتى قتل مع مخدمه السلطان محمود في ١٣ ربيع الأول سنة ٩٦١ (١) وكانت ولادته سنة ٩٠٧ هـ . ولما بلغ أهل مكة خبر وفاته حزنوا حزناً شديداً عليه ، وراثه شاعرهم الشيخ عبد العزيز الزمزمي بقصيدة في ٨٦ بيتاً مطلعها : (٢)

أي القلوب لهذا الحوادث الجلل

أطواده الشم لم تنسف ولم تزل !؟

صلة هذه الدولة بالبلاد العربية :

يقع غرب الهند الذي يقع فيه إقليم كجرات ، وإقليم السند متاخماً لبلاد

(١) : يؤرخ صاحب درر الفوائد (٣٩٩) قتله في سنة ٩٥٧ :

(٢) : أوردها كاملة صاحب (النور السافر ص ٢٤٦) .

العرب ، لا يفصل بينها سوى البحر العربي ، وخليج عمان ، ولهذا كثرت هجرات العرب الى شواطئ البحر العربي المتصلة بالهند في إقليم كجرات ، وخاصة بعد انتشار الاسلام في ربوع تلك الجهات ، فانقلت جاليات كثيرة استوطنت تلك النواحي .

آل القطبي في « كجرات » : -

وفي زمن مجهول يقارب القرن السابع الهجري - انتقل الى تلك الجهة عالم من أهل عدن ، اشتهر في هذه البلدة بالاصلاح والتقوى ، يدعى محمد بن إسماعيل بن ابراهيم بن عمر بن محمد ، فاستوطن « نهروالة » .

ومن الشيخ محمد بن اسماعيل المدني تعاقب عدد من الذرية ، كان منهم الشيخ علاء الدين أبو العباس أحمد بن شمس الدين محمد بن قاضي خان ، بهاء الدين محمد بن يعقوب بن حسن بن علي بن محمد المدني .

ولد هذا العالم في « نهروالة » في الهند سنة ٨٧١ هـ وتلقى العلم عن والده ، وجدّه ، وغيرهما من العلماء ، أبرزهم العالم محمود بن ادريس . وبلغ في العلم مرتبة حملت سلطان تلك البلاد محمود شاه على أن يوليه منصب الافتاء ، بدار ملكه « كجرات » .

في سنة ٨٩٩ هـ في عهد السلطان محمود شاه ، قدم الشيخ أحمد من (نهروالة) الى مكة ، حاجاً : ثم جاور فيها .

وكانت لهذا العالم صلة بعلماء عصره في مكة وفي غيرها من البلدان ، وقد اجتمع بالمؤرخ السخاوي ، وأخذ عنه ، وترجمه السخاوي في (الضوء) ترجمة مطولة ، وذكر انه أخذ عنه بمكة ، وحضر عليه دروساً وانه عاد في أثناء سنة تسعمائة^(٣) الى (نهروالة) ثم سافر مرة أخرى إلى مكة واستقر فيها مدرساً في مدرسة أحمد شاه الكجراتي ، وكف بصره في آخر عمره ، ثم توفي بمكة سنة ٩٤٩ هـ^(٤) .

(١) : النور السافر ، ص ٢٠٩١ . (٢) : تاريخ الاسلام في الهند ، ص ١٥٢ وما يعادها .

(٣) : الضوء اللامع . (٤) : نزهة الخواطر « ٢٦/٤ » .

وفي الهند وُلِدَ عالماً الشيخ محمد بن الشيخ أحمد فعُرِفَ - كوالده - بالنهروالي - نسبة إلى تلك البلدة التي ينتسب إليها أبوه وآله ، وقد ولد سنة ٩١٧ - كما كتب بخطه ^(١) - في مدينة « لاهور » - على ما ذكر صاحب النزهة . ^(٢) .

ولا نعرف متى انتقل إلى الحجاز ، ولكننا نعلم مما ذكره المؤرخون - كالسخاوي وغيره - أن أسرته بقيت هناك ، وهاجر بعض أفرادها في فترات متقطعة .

ومن آخر من هاجر منهم الشيخ عبد الكريم بن محب الدين - الذي ولد (أحمد آباد) سنة ٩٦١ - قدم مكة مع والده الشيخ محب الدين الذي تولى قضاء (جبلة) في اليمن ، بعد ولادة ابنه بزم قصير هو ١٣ سنة ، اذ كان قاضياً في سنة ٩٧٤ ^(٣) - كما سيأتي بيانه .

ولقد عرفنا أن للملك « كجرات » صلوات قوية في الحجاز ، فقد أسسوا فيه مدرسة ورباطاً - تولى الاشراف عليها أبو القطبي ثم القطبي المؤرخ ثم ابن أخيه عبد الكريم .

ومرّ بنا أنه في عهد السلطان بهادرشاه في سنة ٩٤٢ - اكتسح المملكة الكجراتية غزاة المغول ، ففرّ بحريم السلطان وبخزائنه وزيره آصف خان الكجراتي .

ونجد نصّاً للقطبي نفسه يدل على صلته بهذا الوزير ، وانه سافر معه إلى بلاد اصطنبول ، ولعل سفر ذلك الوزير كان للاستنجاد بالدولة العثمانية التي استولت على الحرمين الشريفين وغيرهما من بلاد العرب قبل قدوم هذا الوزير

(١) : الكواكب السائرة « ٤٤/٣ » .

(٢) : نزهة الخواطر « ٢٨٥/٤ » .

(٣) البرق الباني .

بعشرين سنة ، بل بلغت جيوشها سواحل تلك الدولة وأطرافها ، لطرد « البرتغاليين » الذين استولوا على بعض أجزاء تلك المملكة ، وعاثوا فيها فساداً وقتلوا سلطانها السلطان بهادرشاه غدرأ^(١) . في بندر « الديو » في سنة ٩٤٣ هـ - ولكن العثمانيين لم يستطيعوا طرد البرتغاليين ، كما لم يستطع ذلك السلطان الغوري عندما استنجدوا به^(٢) .

يقول القطبي^(٣) : (ورأيت اسكندرية زادت في الخراب ، عما كنت عهدتها قبل ذلك ، فاني مررت بها متوجهاً إلى الروم في سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة ، مع عمدة الملك ، وزير السلطان بهادر صاحب كجرات - رحمها الله - ثم ذكر احد رفقائه وقال : وكنا نرفل في حلل الشباب ، ونقطف من الشيبية ثمر عيشها المستطاب ، سقى الله ذلك العهد ، وتجاوز عما وقع فيه من الخطأ والعمد) .

تكالبت على الدولة الكجراتية القوى الخارجية ، فالمغوليون من داخل البلاد ، والبرتغاليون من خارجها من السواحل ، وانتشرت فيها الفوضى والفتن الداخلية .

ففي سنة ٩٦١ قتل سلطانها السلطان محمود شاه بن لطيف شاه ، قتله احد خدمه بمواطأة بعض الوزراء والحرس^(٤) ثم زالت الدولة بعد بضع عشرة سنة من ذلك التاريخ .

ولا شك أن ضعف هذه الدولة ، وتوالي الفتن في بلادها هي من الأسباب التي دفعت القطبي وأقاربه للهجرة من تلك البلاد .

(١) الاعلام « ٢٠٣ » ، النور السافر « ٢١٠ » .

(٢) انظر التفصيل في البرق الياني .

(٣) الفوائد السنوية في الرحلة المدنية والرومية « مخطوط » والاعلام « ١٧٦ » .

(٤) شذرات الذهب « حوادث سنة ٩٦١ » . النور السافر « ٢٥٢ » .

ولعل ذلك كان قبل سنة ٩٣٥ - لأننا نجد نصاً للقاضي نفسه يدل على انه كان قبل بلوغه في مكة هو ووالده وأهله .

قال في الكلام على عمارة عين مكة (١) : (ارتفع سعر الماء جداً في يوم عرفة ، وكنت يومئذ مرافقاً في خدمة والدي رحمه الله تعالى - وفرغ الماء الذي كنا حملناه من مكة إلى عرفات ، وعطش أهلنا ، فتطلبت قليلاً من الماء للشرب ، فاشتريت قربة صغيرة جداً يحملها الانسان بأصبعه ، بدينار ذهب) .

بل صرح القاضي بمشاهدته لحادثة وقعت في شهر رمضان سنة ٩٣٢ - في الحرم الملكي عندما دخل « اللوند » الجند الذين قدموا من مصر لغزو اليمن - دخلوا الحرم ، واستهانوا بجرمته ، فطلب الشيخ محمد بن عراق - وهو احد كبار علماء ذلك العصر - طلب رئيس الجند (٢) الأمير خير الدين وبعض المقدمين والرؤوس من اللوند ، وكنت واقفاً على رأس الشيخ رحمه الله ، فرأيت قد احمرت وجنتاه ، وقامت كل شعرة في بدنه ، وانتفخت أوداجه ، فنهز هذه الطائفة وجرح فيهم ، وأغلظ القول عليهم ، ورأيت الأمير خير الدين وهو يقبل أقدام الشيخ ويعتذر اليه ، ورأيت الكل أكبوا على أقدام الشيخ يقبلونها ويعتذرون اليه من جهلهم ، فأمرهم بكف الأذى عن الناس ، واشهار المفسدين منهم ، وان يخرجوا من بيوت الناس) .

ويصف مشاهدة من مشاهداته في شهر ذي الحجة من تلك السنة (٩٣٢) فيقول : وصل سليمان الرئيس إلى مكة ودخل من الحجون ، وجميع عسكره اللوند قدماه صفوفاً بعد صفوف ، مشاة كلهم حاملين بنادقها على اكتافهم ، ورأيت أول عسكره في المعلاة وآخريهم في الحجون ، ورأيت سلمان وخير الدين راكبين حصانين وما في العسكر راكب غيرهما ، - ثم أكمل وصف الموكب .

(١) الاعلام « ٢٢٩ » هامش خلاصة الكلام .

(٢) البرق الجاني .

ثقافة القطبي :

كان والده من علماء الأحناف ، وتولى منصب الافتاء في الدولة الاملاية الكجراتية في عهد السلطان محمود شاه (٨٦٣ - ٨٩١٦) .

وعن والده تلقى العلم في صغره .

ولا شك انه تعلم اللغة الفارسية قبل انتقاله من « نهر والة » وقد أتقن هذه اللغة اتقاناً مكنه من نظم الشعر بها ، ومن ترجمته بعض الكتب اليها .

وفي أول عهده بعد هجرته إلى مكة كانت الدولة التركية العثمانية قد استولت على تلك البلاد ، وأرسلت اليها من يتولى شؤونها كامراء الحج ، وقواد الجيوش ، وكان القطبي على صلة قوية بهم ، ومن ثم تعلم اللغة التركية حتى برع فيها ، وصار ينظم الشعر ، ويؤلف ويترجم عنها ، وبها .

ورحل إلى بلاد الدولة التركية مرتين - سيأتي الحديث عنها - مكنتاه من التمكن من تلك اللغة ، ونقوية الصلة برجال الدولة من أهلها . ولعله ازداد من ذلك أثناء اقامته في مصر لطلب العلم ، فقد كانت تلك البلاد تدار من قبل الأتراك لأنها كانت تابعة لهم .

أما ثقافته العربية ، فقد درس الفقه الحنفي على والده ، ثم انتقل إلى مكة في سنّ تمكنه من التمكن من طلب العلم فهو لم يبلغ الخامسة عشرة ، فأدرك بعض مشاهير علماءها مثل محبّ الدين محمد بن عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي المكي من مؤرخي مكة ، والشيخ محبّ الدين أحمد بن محمد النويري العقيلي خطيب المسجد الحرام^(١) ، وغيرهما من علماء مكة .

وأخذ عن مؤرخ اليمن المحدث الشيخ عبد الرحمن الدبيع^(٢) صاحب التأليف المشهورة .

(١) : الاعلام (٦ و ٧) .

(٢) : نزهة الخواطر (٤ / ٢٨٥) وما بعدها .

ثم في سنة ٩٤٣- وعمر القطبي إذ ذاك حوالي الـ ٢٦ رحل إلى مصر لطلب العلم - وكانت مصر حسبما يصفها في ذلك العهد في رحلته الثانية : (مشحونة بالعلماء العظام ، مملوءة بالفضلاء الفخام ، ميمونة بيمن بركات المشايخ الكرام ، كأنها عروس ، تتهادى بين أقمار وشموس) .

وقد تلقى العلم هناك عن كبار العلماء ، ومنهم الشيخ عبد الحق السنباطي ، والشيخ محمد التونسي ، والشيخ ناصر الدين اللقاني ^(١) وغيرهم ، ومن مشائخه شهاب الدين أحمد بن موسى بن عبد الغفار المغربي ثم المصري ، نزيل الحرمين كان والده من أرباب الأقاليم في ديوان السلطان الغوري ، ^(٢) وللشيخ أحمد مؤلف عن « القهوة » اختصره الجزيري الحنبلي .

ثم ارتحل إلى مصر رحلة ثانية .

فقد ذكر الشيخ عبد القادر الجزيري الحنبلي انه كان في سنة ٩٥٥ بمصر ، وانه كتب اليه كتاباً في سابع ذي الحجة من تلك السنة ^(٣) .

وقد مرّ ببلاد الشام أثناء رحلته إلى البلاد التركية ، في عام سنة ٩٦٤ هـ فاجتمع بكثير من علماءها - ممن ذكروهم في الرحلة وفصل الحديث عن اجتماعهم بهم ، من أشهرهم شيخ الاسلام الغزالي ، أخذ عنه بمكة ، ثم اجتمع به في الشام ، والشيخ علاء الدين بن عماد الدين ، والقاضي كمال الدين الحزراوي وغيرهم .

وفي اصطنبول اجتمع بمشاهير علماء الاتراك - رحلته الثانية سنة ٩٦٤ هـ وأخذ عن بعضهم .

هذه الاتجاهات المختلفة من نواحي الثقافة ، عربية وفارسية ، وتركية : مكنت القطبي من أن يضرب بسهم وافر ، وأن يأخذ بنصيب كبير من

(١) : الكواكب السائرة (٤٥ / ٣) .

(٢) : الاعلام (١٦٢ هامش الخلاصة)

(٣) : مختصر كتابه اسمه (عمده الصفوة في حل القهوة - مخطوط) .

(٣) : درر الفوائد المنظمة (٣٩٧) .

ضروب المعرفة وأنواعها في عصره ، حتى أصبح علماً يشار إليه فيها جميعاً .
فقد بلغ في الثقافة الدينية الاسلامية درجة أهله لتولي منصب الافتاء في
مكة المكرمة ، وأن يتولى أعلى المناصب الدينية فيها ، وهو القضاء ، وأن
يؤلف في تاريخها كتاباً يعتبر مرجعاً هاماً ، لا يستغني عنه أي باحث في تاريخ
تلك البلاد .

كما ألف مؤلفات دينية أخرى ، تدل على سعة اطلاع ، وعمق معرفة .
ومكنته ثقافته التركية بأن يحظى بمنزلة رفيعة لدى رجال الدولة في ذلك
العهد ، وأن ينقل بعض المؤلفات التركية إلى اللغة العربية كالكتاب الذي
ألف عن غزو الأتراك لليمن ، قدمه له سنان باشا فاتح اليمن ، فنقله إلى
العربية ، وأضاف إليه إضافات أكملته .

وفي اللغة الفارسية نقل رسالة لوزير التركي لطفي باشا في شرح الفقه
الأكبر في سنة ٩٤٩ - نقلها من التركية إلى العربية ، ثم طلب منه ذلك الوزير
ترجمتها الى الفارسية فترجمها (١) ، فأحسن إليه الوزير - كما قال -
وله نظم بهذه اللغة ، أورد شيئاً منه في تذكركه .

ان آثاره - التي سنفرد لها حديثاً خاصاً - تدل على سعة ثقافته ، وتنوعها
وعمقها . وتدل - في الوقت نفسه - على انه استطاع أن يوجه تلك الثقافة
وجهة تهيباً له الفرص ليستفيد منها في حياته : ولتصله بأهل عصره من
رجال الدولة ، ومشاهير العصر .

رحلاته الى خارج الجزيرة :

الى مصر :

قام برحلات متعددة الى مصر ، فقد مرّ بها - سنة ٩٤٤ - مع الوزير
عمدة الملك ، وزير ملك كجرات .

(١) : الأعلام (٢٠٢) .

ثم عاد إليها واستقر فيها لطلب في السنة نفسها ، ولا نستطيع تحديد الزمن الذي مكثه فيها .

ثم كان في آخر سنة ٩٥٤ هـ فيها - كما تقدم النقل عن صاحبه الجزيري الحنبلي ، ثم في شهر رمضان من سنة ٩٦٥ مراً بها بعد رجوعه من القسطنطينية وعاد الى موطنه مع حجاج مصر بطريق الساحل ، فوصل مكة المكرمة في ثالث ذي الحجة من السنة نفسها .

الى الشام :

سافر الى بلاد الشام ، متوجهاً الى القسطنطينية - في سنة ٩٦٥ هـ . فغادر المدينة يوم الثلاثاء ١٦ المحرم ، فوصل بلاد الشام (دمشق) ١٥ صفر وأقام في تلك المدينة الى يوم الاربعاء ثاني عشر شهر ربيع الآخر ، واجتمع بعلماء هذه المدينة ، ومشاهيرها ، وأسهب في الحديث عن اجتماع به .

ودخل مدينة « حمص » في اليوم السادس عشر من الشهر المذكور ، وبقي فيها يومين اجتمع فيها بعلمائها وأعيانها .

وفي مدينة « حماة » أقام ثلاثة أيام ، لاقى علماءها وأدباءها ، وغادرها إلى حلب ، فاجتمع بعلمائها وادبائها ، ولقي فيها اكراماً ، وضيافة ، وحسن استقبال ، ثم غادرها في يوم الأحد ثاني جمادى الأولى ، إلى البلاد التركية .

وهو في كل مدينة من تلك المدن التي يمر بها يُعنى عناية كبيرة بالاتصال بالعلماء والشعراء ، وبالتباحث معهم ، وبمساجلة من يساجله الشعر منهم .

ومع أن الغزى في (الكواكب السائرة) أشار إلى أن والده عالم الشام في ذلك العهد ، قد أضافه وأكرمه ، حينما مر في تلك الرحلة ، ونزل في حارة القرماني تحت قلعة دمشق^(١) وان شيخ الاسلام المرعشي اضافه

(١) الكواكب « ٤٥/٣ » .

وأكرمه لما اجتمع به في مدينة حلب، إلا أن انطباعاته عن بلاد الشام - على وجه الاجمال - تدل على أن نظرتة إلى أهلها نظرة تخالف الواقع .

انه يقول : (١) (ورأيت أهل الشام يغلب عليهم الجفاء ، والجلافة ، والانقباض عن الغرباء ، فلم آلف أحدا منهم) .

وقال - يصف عالماً من علماء الشام هو الشيخ شمس الدين محمد بن هلال الحمصي : (له شعر لا بأس به ، من أواسط الشعر ، فامتدحني بقصيدة ... فأرسلت اليه بكسوة ، ومعها هذه الأبيات ، قصدت بها التعرض بأعيان الشام :

لا 'فض' 'فوك' ، أديب أهل زمانه
نظماً ، وفاضل عصره وأوانه
أبرزت من بحر القريض جواهرأ
وقطفت زهرَ النظم من افنانه
لا عيبَ فيه ، سوى مديح فائق
أبصرت 'قدري' قاصراً عن شأنه
وعجبت إذ خالفت أهل الشام في
'حب' الغريب ، وحررت في إمكانه
وأظن بالتحقيق أنك ما هنا
مثلي ، غريب 'الدار' عن أوطانه

و لا يكتفي - في وصفه وتسجيله - بما يتعلق بالعلم والشعر ، بل كثيراً ما أشار إلى ما للبلدة التي يمر بها من مظاهر ، وما فيها من آثار ، وما لها من مميزات ، فيقول (٢) - مثلاً - في وصف مدينة « حمص » :

(وهي بلدة كبيرة جداً ، إلا أن غالبها خراب ، ولها حصار عظيم ، وحصن بها ، ويجري بها النهر العاصي ، وكانت من محاسن بلاد الشام ،

(١) الرحلة .

(٢) الرحلة .

إلا انها دثرت الآن ، والموجود الآن في دفتر العوارض أربعة آلاف وأربعمائة بيت ، وذلك خارج عن الف بيت - تقريباً - ليسوا في الدفتر ، لأنهم لا يعطون شيئاً من العوارض .
وفي نسائهم جمالٌ وحسن ليس في غيرهن من أهل ذلك القطر .

الى البلاد التركية :

في عام ٩٦٥ هـ سافر إلى اصطنبول ، رسولاً من سلطان مكة الشريف حسن بن أبي نمي ، إلى السلطان سليمان القانوني ، ليطلب منه عزل والي المدينة المنورة المدعو (دلوييري) وكان قاسياً في معاملة أشرف الحجاز ، غير خاضع لشريف مكة ، فكتب هذا إلى السلطان يطلب عزله ، وبعث بكتابه وبهدايا إلى السلطان وغيره من رجال الدولة ، مع الشيخ القطبي ، وبعث معه بعض رجال حاشيته ، ولكن سفارة الشيخ لم تنجح وقد فصل القطبي انباء رحلته هذه في كتاب دعاه (الفوائد السنوية في الرحلة المدنية والرومية) مما يجده القارىء مفصلاً في ذلك الكتاب .

وقد غادر الشيخ المدينة في خامس شهر المحرم ٩٦٥ هـ ، متوجهاً الى تلك البلاد ماراً ببلاد الشام .

وغادر مدينة حلب في مستهل شهر جمادى الاولى الى البلاد التركية ، فمر بمدينة « اذنة » في تاسع الشهر المذكور .

ووصل بلدة (آق شهر) في ٢٣ منه وغادرها في اليوم الخامس والعشرين . ولم يفته أن يتحدث عن بخل قاضي هذه المدينة ، مع سبق معرفته له في سنة ٩٥٤ حينما حج .

وفي أول جمادى الآخرة مرّ بقريّة تدعى (قره أيوك) أي الجبل الأسود - عدل إليها لكي يقابل احد أبناء السلطان سيان ، ويدعوه : السلطان بايزيد ، وقد نفاه أبوه الى هذه القرية .

ثم وصف مقابلته للأمير بايزيد ويفصل أنواع الهدية التي قدمها له ، ويذكر من حديثه معه انه قال له : (ان قدر الله تعالى الملك لنا اخرجت جميع أوقاف المسلمين بالتام والكمال ، وزدت مقدار ذلك من عندي خارجاً عن ذلك ، وان اردت حلفت لك على هذا العهد ، فقلت له : يا مولانا السلطان : اليمين والحلف لامثالنا ، واما مثل مقامكم الشريف فنفس كلامكم هو عهد ويمين من غير حلف ، فقال : ومع ذلك فوالله اني نويت ذلك ، ونويت ان أغمر الناس بالفضل والعطاء وأسأل الله تعالى التوفيق لذلك ، فقلت له : يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة : ولكن الأهم من الكرم : العدل ، فان البلاد خربت من الظلم ، وذكرت له بعض المظالم الواقعة في ديار العرب ، كمصر ، والشام ، وحلب ، مما شاهدته ، وتفصيله يطول جداً فاضى إلي وهو متألم ووعد بازالة هذا جميعه) ثم أفاض في الحديث عنه ، ولكن الأمر لم يتم لهذا الأمير ، بل قتله والده السلطان ، شر قتلة في سنة ٩٧٠^(١) .

كان الشيخ القطبي يسجل وصف مشاهدته في دفتر ، يوماً بيوم ، وبعد سفره من (قره أيوك) الى اصطنبول في يوم الخميس ثاني جمادى الآخرة ، وقع الدفتر منه ، ثم وجد فسجل فيه : (وقعت الجنة^(٢) المعلقة في السرج ، وفيها الدواة والقلم ، وهذا الدفتر . ولا ندري كيف وقعت ، وتأملت لذلك ، لأن الدفتر كان فيه ذكر المراحل والمنازل ، وما لاقيته ، وما صرفته ، فارسلت مکتوباً الى السلطان بايزيد ، مع احد الاسباهية^(٣) الذين أرسلهم معنا ، وامرت برجوعه الى السلطان بايزيد ، والفحص عن الجنة ، فعاد ، فلما وصل اليه المکتوب جمع كبار أهل القرى التي هناك وامرهم بالفحص عن الجنة كما هي من كل بد ، فتوجهوا يسألون عنها ، فوجدوها عند امرأة

(١) : أنظر تفصيل ذلك في « الأعلام ١٩٧ و ١٩٨ هامش الخلاصة » .

(٢) : الجنة . وروضع تحت الجيم ثلاث نقط ، هي ما يسمى « الشنطة » أي « الحقيبة » .

(٣) : الاسباهية - تحت الباء ثلاث نقط - الفرسان « أهل الخيل »

فأتوا بها اليه فأحسن اليها ، ورآى الدفتر وبعض مسودات ، فطالع فيها
واعادها الي الجنة ووضع الكل في كيس ، ومهر عليه وسله الي الاسباهي ،
فعاد اليها وادر كنها في اصطنبول .

وصل الي مدينة اصطنبول في اليوم الحادي عشر من شهر جمادى الآخرة
وبقي فيها الي اليوم السابع عشر من شهر شعبان - ٥٥ يوماً ، قابل السلطان
فمن دونه من الوزراء وكبار رجال الدولة ، واجتمع بكبار العلماء ، وبشيخ
الاسلام أبي السعود العمادي ، ومدحه بقصيدة مطلعها :

قَبُولًا ، وَإِلَّا خَابَ سَعْيُ الْخَوَاطِرِ
وَعُذْرًا ، وَإِلَّا ضَاقَ بَابُ الْمَعَاذِرِ

في ثلاثين بيتاً أعجب بها المدوح ، وترنم بأبياتها يرددها وقال : ان من
الكلام لدُرّاً ، وان هذا منه .

وقابل غيره من العلماء على اختلاف مشاربهم . وزاره كثير منهم ، ومدح
بعضهم وقدم للسلطان وللوزراء وللكبار رجال الدولة هدايا أحضرها معه من
الحجاز من أمشة هندية ، وفوط ، وقطع حرير مزركش بالذهب ، وغير
ذلك بما أورد بيانه مُفَصَّلًا .

وكان قد أحضر معه كتاباً من شريف مكة يطلب فيه عزل والي المدينة
التركي وهي المهمة التي أرسله الشريف إلى السلطان من أجلها ، ولكنه لم
ينجح في رسالته . ولعل من أسباب ذلك : -

١ - وجد في اصطنبول بعض المدنيين مع القاضي جلال بن خضر ، وقد
كتبوا محضراً على لسان أهل المدينة يطعنون فيه على قاضي المدينة عبد الرحمن
أفندي ، وكان ذلك المحضر مُزَوَّراً ، فطلبوا منه أن يوصله للوزير الأعظم
ولكن أحد أصدقائه أشار عليه بالألا يفعل ، وعلل اشارته تعاملاً معقولاً ،

فلم يدفع المحضر المزور للوزير ؛ فأثار سخط القاضي ابن خضر ومن معه من المدنيين الناقمين على القاضي .

٢ - حدث خلاف بينه وبين حاشية الشريف فصاروا يزاحمونه عند الوزراء ، مما حمل أولئك على الاستخفاف بقدر الشيخ وبالمهمة التي جاء من أجلها .

وقد وصف القطبي ما لاقاه من عنات وأذى من بعض الحجازيين ، من ايقاعهم بينه وبين حاشية الشريف ومن قيامهم بنشر الشائعات الكاذبة عنه قال : (وصاروا منذ اقامتنا باصطنبول يشيعون عني موالة قاضي المدينة وموالة علي باشا ويكتبون بذلك إلى الشام ، وإلى مصر . وإلى مكة . ويوغرون الصدور علي ، والحال اني لم اجتمع إلى الآن بالوزير الأعظم لتوعكي) .

٣ - ان القاضي جلال اجتمع بالوزير الأعظم - قبل أن يجتمع به القطبي فسأله : « من هذا الذي أرسله السيد الشريف ؟ . فقال : ان الشريف انما أرسل عبيده وهجانه ، فصحبهم شخص من أتباع القاضي حسين ، ليس للسيد الشريف به معرفة ، ولا صحبة ، ولا سابق خدمة ، وأمره السيد الشريف أن يكون معهم لكونه يعرف بالتركي . وتقرر ذلك عند الوزير » .

ويقول : وقد ظهر للوزير ان هذا الكلام - كلام جلال بن خضر - كذب لما رأى مكاتبات الشريف وليس فيها اسمهم مطلقاً ، وما ذُكر فيها أحدٌ غيري .

٤ - يضاف إلى ما تقدم ان القطبي - فيما ظهر من تصرفه - طيب القلب بدرجة تقرب من الغفلة ، وإلا فكيف يقابل الأمير « بازيد » ويهدي اليه وينتقد عنده سياسة والده ووالده السلطان الأعظم قد غضب عليه وأخرجه من اصطنبول !؟

لقد كتب عن مدينة اصطنبول وصفاً لمشاهداته ، ولمن اجتمع بهم من رجال الدولة في زمن كانت تلك المدينة أعظم مدينة اسلامية واحفلها بمظاهر الملك ، فكان ما كتبه ذا أهمية تاريخية ، تبرز قيمتها بمقارنتها بما كتبه من زاروا تلك المدينة بعد زمنه ، بل بقلة من كتب عنها في ذلك العهد من العرب .

جوانب من حياته الخاصة :

بلغ الشيخ القطبي - بين أهل عصره - مرتبة عالية ، حملت كثيرين من معاصريه على حسده وعلى السعي للنيل منه ، فقد (اصبح عظيم الجاه عند الأتراك ، لا يحج أحد من كبرائه إلا وهو الذي يطوف به ، ولا يرتضون غيره ، وكانوا يعطونه العطاء الواسع) (١) .

وكانت مهنة تطويف كبار رجال الدولة يتولاها علماء من أهل مكة ، من ذوي البيوتات والقدم ، كآل ظهيرة الذين كان أحدهم هو الذي تولى تطويف السلطان (قايتباي) (٢) .

وأسند إليه الولاية الأتراك كثيراً من المناصب في التدريس والافتاء وغيرها ، وقرروا له مرتباً شهرياً مقارباً لما قرروه لشيخ الحرم الذي كانت مرتبته لديهم تلي مرتبة شريف مكة .

يضاف إلى ما تقدم ان المكين ينظرون إليه رجلاً طارئاً ، وافداً إلى بلادهم ، فكيف يحظى من الولاية والأمراء بضروب من التقدير تميزه عنهم ؟

احتراق بيته وكتبه :

قال القطبي في (تذكروته) يصف حادثة وقعت له :
(مما وقع من افتقاد الله تعالى لي ، اني توجهت ليلة الثلاثاء : تاسع عشر

(١) : البدر الطالع (٥٧/٢) .
(٢) : الاعلام « ١٥٨ هامش الخلافة » .

ربيع الأول سنة تسع وخمسين وتسعمائة الى بركة ماجد^(١) ، مع بعض الأصحاب للتنزه ، فوق الحريق في داري بمكة ، ولا أدري كيف وقع ، غير انه ابتداء من القاعة التي بها أسباني وكتبي ، وكانت زهاء ألف وخمسمائة مجلد من نفائس الكتب التي ملكتها ، وورثت بعضها عن أبي رحمه الله - فذهبت كلها ، وذهب جميع ما في البيت من جليل وحقير ، ولم يسلم لي غير الثياب التي على بدني ، ولم يمكن العيال والأولاد - وقد كانوا في السطوح - أن ينزلوا من الدرج ، بل تسلقوا إلى سطح الجيران ، وتوجهوا الى الباسطية ، وسلم جميع أولادنا وعيالنا وخدامنا ، والله الحمد والمنة ، فعزمت على السفر الى المدينة تسلياً بزيارة ذلك النبي الكريم^(٢) ، وقد جبر الله تعالى وعوضني خيراً مما أخذ من الكتب والأسباب وغير ذلك ... ووجدت هذه الأبيات على حائط المسجد الذي في الجموم^(٣) فاستبشرت:

ولا تقنطُ ، إذا أعسرتَ يوماً
فقد أيسرتَ ، في دهرٍ طويل
ولا تظننْ بربِّكَ ظنَّ سوءٍ
فإنَّ اللهَ أولى بالجميل

- ثم سرد أبياتاً أخرى من الشعر .

سبب احتراق بيته :

وقع خلاف بين علماء مكة حول إصلاح سقف الكعبة ، إذ طرأ فيه خلل ، ففريق منهم يرى إصلاحه ومنهم القطبي ، وآخرون لا يرون ذلك .

(١) : لا تزال معروفة بهذا الاسم ، وكانت من متزهات أهل مكة وصواب اسمها « ماجل » باللام .

(٢) : السفر الى المدينة لمجرد زيارة القبر الشريف أمر غير مشروع ، أما المشروع فقصد زيارة المسجد النبوي لقول الرسول (ص) : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد » .

(٣) : الجموم : من قرى وادي فاطمة معروفة الآن .

وقد تم اجتماع في الحرم الشريف في اليوم الخامس عشر من شهر ربيع الأول بين الفريقين للتداول في الأمر ، فانهى بتأييد رأي الفريق الأول ، بفتاوى من شيخ الاسلام وغيره من علماء العصر ، وفي ليلة التاسع عشر من ذلك الشهر - أي بعد ثلاثة أيام - وقع الحريق في بيت الشيخ القطبي .

ويكاد صاحبه ومعاصره الشيخ عبد القادر الجزيري الحنبلي ، مؤلف كتاب (درر الفوائد المنظمة) يكاد ان يربط بين الحادثتين ، فيقول : (وقع حريق في بيت الشيخ قطب الدين الحنفي ، واحترقت كتبه ، فزعموا أن ذلك بسبب الفتيا يهدم ما يحتاج اليه من عمارة السقف بالبيت الشريف ، وتقولوا عليه ما لم يكن) (١) .

ولعل من المفيد أن نورد ما ذكره الجزيري عن حادثة اصلاح سقف الكعبة كاملاً .

قال : -

(ومن ذلك ترميم السقف الشريف في سنة احدى وثلاثين وتسعمائة ، بحكم ورد من مصر من تلقاء كافل الديار المصرية يومئذ ، وهو المرحوم ابراهيم باشا ، وقرىء المرسوم في الحطيم فكان في عبارته : « ليعمر تعميراً محكماً ، ليكون أول من بناه ابراهيم عليه السلام ، وآخر من بناه ابراهيم » . فعدت هذه كبيرة ممن أنشأ ذلك المرسوم ، ويظهر لي انه القاضي محب الدين الظاهري وكان المباشر للترميم المذكور والي جلبي أمين جدة المعمورة ، والمرحوم قاضي القضاة بمكة محب الدين ابن ظهيرة الشافعي ، وقاضي القضاة تاج الدين المالكي رحمهما الله تعالى ، وجمعوا طوقاً من الحديد على موضع الكسر من خشب السقف ، وحشوا الموضع المنخسف بالمشاق ، والجبس ، فلم يلبث ان زاد الكسر والخسف ، وظهر ظهوراً تاماً ، وكان ذلك سبباً لتعميره في سنة

تسع وخمسين ، فانه قد عرض بنو شيبه وقاضي مكة بالتاسهم إلى الأبواب العالية سنة ثمان وخمسين وتسعمائة : (ان بعض أسهم سقف البيت قد انكسر ، وانخسف - بسبب ذلك - سطح البيت ، وصار الماء المجتمع من المطر ينزل إلى جوف البيت الشريف ، ويتلف الكسوة التي بداخله ، وقد بذلنا النصح وأردنا ان يُخص السلطان بهذه المزية العظمى ، ويعمر بيت الله تعالى ، ويخلد ذكر ذلك على صفحات الأيام ، ويكون له منقبة عظمى) . فلما وصلت العروض إلى السلطان نصره الله تعالى استفتى مفتي الزمان في ذلك الأوان . مولانا أبو السعود جلبي ، فافتاه بجواز ترميم الضروري من غير أن يتعلل به إلى ترميم ما ليس بضروري ، وأرسل السلطان صورة الفتوى مع حكم شريف إلى وزيره علي باشا كافل المملكة المصرية إذ ذاك ، ليرسل في هذه المصلحة من يعتمد عليه ، فأرسل الباشا هذه المصلحة أحمد جلبي الذي كان مقاطعياً قبل ذلك بمصر ، من طائفة يدعون في اللغة التركية (اسباهي آغلان) ، وجعله ناظراً على حرم مكة المشرفة ، وأرسل معه معماراً ومصروفاً وما يتعلق بذلك من الأدوات والأسباب ، فوصل أحمد جلبي في موسم سنة ثمان وخمسين وتسعمائة .

بعد ذلك أراد الشروع فيما أراد ، فخالفه الشيبيون وقالوا : لا تمكن من ذلك . طمعا منهم في شيء يحصل لهم من قبله ، فلما كان يوم الجمعة خامس عشر ربيع الأول عقد احمد جلبي مجلساً بحضور قاضي مكة ، وطلب جماعة من أهل مكة والمجاورين ، منهم الشيخ العلامة المحقق شاب الدين أحمد ابن حجر والشيخ الامام عمدة المحققين قدوة الملة والدين ، علامة اهل الأدب المتبحرين قطب الدين ابن ملا علاء الدين النهروالي مفتي الحجيج ، والقاضي شمس الدين محمد بن عبد الحق النويري المالكي ، وشمس الملة والدين المدرس الحنفي ، والسيد الشريف حسين المالكي ، والقاضي شرف الدين يحيى ابن فائز بن ظهيرة ، وحضر من المجاورين الشيخ الامام العلامة الرحالة شمس الدنيا والدين ، مفتي المسلمين ، اوحد العصر محمد ابن شيخنا العلامة الحافظ الرجال بقية السلف .

جمال العلماء أبي الحسن البكري الصديقي الاشعري الشافعي ، والشيخ العلامة عمدة أهل الأدب نور الدين علي العسيلي الشافعي ، فقال أحمد جلبي : ما قولكم في تعمير الموضع المنخسف في سطح البيت ، وقد حصل منه الضرر على الكسوة ، ويخشى منه الزيادة ؟ فقال الجميع : يجوز اصلاحه ، بل يتعين ، فقال فاتح البيت الشيخ أبو السعود الشيبلي : ليس في سطح البيت الشريف موضع منخسف يحصل منه الضرر ، وان يكن فمثل هذا يسد بالقطن ، ويكتفي بذلك . فقال احمد جلبي : معي بيعة تشهد بما اقول . واحضر جماعة من البنائين والمعمار ، وشهدوا أنهم عاينوا الكسر في سهمين من اسهم السقف الشريف ، ورأوا السهم الثالث انحنى عن موازاة بقية الأسهم احد عشر قيراطاً بالعمل ، وانه ان لم يتدارك بالعمل يخشى من سقوط السقف الشريف . وحكم القاضي بموجب شهادتهم ، وأمر بالشروع في العمل .

فلما بلغ خبر هذا المجلس بعض الاعاجم تحرك فيه عرق عصبية للشيبين وقال : لا يجوز ان يعمر مطلقاً الا من بعد ان يسقط من تلقاء نفسه ، وعمل مجلس آخر حضر فيه جماعة غير الأولين ، وكلهم بالغ في الانكار على القائل يجوز الترميم ، وصرحوا بان الكعبة قائمة بيد القدرة ، وانها لا تنهدم فلا يجوز ان تمس مطلقاً ، واوردوا لذلك اشياء وتفرقوا . فلما رأى ذلك أحمد جلبي اخرج لهم خط المفتي ، فخاف الجميع ، وفرقوا بما قالوا ، وذكروا ان هذا هو مرادنا بعينه ، ومرحباً بالوفاق .

فطلب خطوطهم بذلك ، فكتبوا خوفاً من اظهار مخالفة المفتي ، وطولع بذلك السيد الشريف أحمد أمير مكة المشرفة ، فحضر بنفسه ، وشرع في التعمير ، ولم يبلغوا مرادهم ، فاتفق ان في أثناء ذلك وقع حريق في بيت الشيخ قطب الدين الحنفي ، واحترقت كتبه ، فزعموا ان ذلك بسبب الفتيا يهدم ما يحتاج اليه من عمارة السقف بالبت الشريف ، وتقولوا عليه ما لم يكن قاله ، وقد الف في هذه الواقعة الشيخ العلامة شهاب الدين احمد بن حجر الشافعي تأليفاً بديعاً في بابه) .

وقد سجل الشيخ القطبي هذه الحادثة في (تذكروته) ، وبلغ من اهتمامه بتسجيلها انه سجل فتوى الشيخ ابن حجر ، بخط ابن حجر نفسه ، قائلاً : (وهذا خطه متع الله بحياته) (١) .

عنايته بجمع الكتب :

ان مكتبة تضم ألفاً وخمسمائة مجلد في ذلك العهد من نفائس الكتب تعتبر عظيمة ، والقطبي ذكر ان كتبه التي احترقت كانت زهاء الف وخمسمائة مجلد من النفائس ، مما ملكها أو ورثها عن أبيه ومما ساعد القطبي على جمع الكتب ، انه كان ذا ثروة .

يصفه الشوكاني في (البدر الطالع) قائلاً : (وكانوا - يقصد الأتراك - يعطونه العطاء الواسع ، وكان يشتري بما يحصله منهم نفائس الكتب ، ويبيدها لمن يحتاجها ، واجتمع عنده منها لم يجتمع عند غيره) (٢) انتهى .

يضاف إلى هذا ان القطبي بحكم مركزه الاجتماعي ، وكونه تولى وظائف كبيرة في مكة ، كان ذا صلة قوية بالمكتبات الموجودة في الحرمين الشريفين .

ومن تلك المكتبات : مكتبتان أنشأهما السلطان قايتباي ، سنة ٨٨٢ هـ .

وفي عهد القطبي كانت المكتبتان موجودتين وقد تحدث القطبي نفسه عنها فقال عن مكتبة مكة التي أنشأها قايتباي : (وقد استولت عليها أيدي المستعيرين ، وضيعوا منها جانباً كبيراً ، وبقي منها ثلاثمائة مجلد ، وهي تحت تكلم مؤلف هذا الكتاب ، صننتها وكتبت بعض ما فات منها ، وجلدت منها ما يحتاج إلى التجليد ، واستخلصت بعض ما وجدته ، وأعدته إلى الوقف صانه الله) (٣) .

(١) تذكروته القطبي - بخطه - « الورقة ١٦ و ٢٨ » .

(٢) البدر الطالع (٥٧/٢)

(٣) : الأعلام للقطبي .

ويقول عن مكتبة المدينة في حديثه عن رحلته إليها في سنة ٩٧٦ هـ :
(وكان نزولي في خزانة كتب الأشرف قايتباي رحمه الله بمفردى ، ونزل
الأولاد والخدم عند الصهر العزيز البرهاني إبراهيم بن أحمد المالكي)^(١) .

وعندما تحدث عن انتزاع مدينة جبلة في اليمن من أيدي الأتراك سنة
٩٧٥ هـ قال : (ولما دخلوا جبلة نهبوا بيوت المسكر وكان من المنهوبين فيها
قاضي جبلة الأخ الشقيق ، الصديق الشقيق ، القاضي محب الدين بن علاء الدين
رحمه الله تعالى ، وعوضه غرف الجنان عن محن الزمان ، أصيب بطارفه
وتليده ، وكتبه وأثاث بيته وعبيده ، وما كان لي من الكتب النفيسة عنده ،
وكان من لطف الله به ، أنه نجا بنفسه والله الحمد عريانا حافياً ، هارباً من قرية
الى قرية ، ومن جبل إلى جبل ، إلى أن وصل الى زبيد بهذه الحال ، وسلمه الله
بنفسه - وله الحمد - من تلك الأحوال)^(٢) .

لقد جرى على كتبه نكبتان ، إحداهما احتراقها في سنة ٩٥٩ هـ . الثانية
نهب ما كان مع أخيه محب الدين منها في سنة ٩٧٥ هـ .

وقد ذكر في الرحلة ، وهو يتحدث عن قصيدة له مطلعها :

الدين لي والكأس والقرقف
وللفقيه الكتب والمصحف

قال : (ذهبت القصيدة مع مسوداتي ورسائلي وكتبي في الحريق الواقع
سنة ٩٥٩ هـ) .

وأشار إلى ان الله قد عوضه عن كتبه خيراً ، لما تقدم بيانه . ولهذا نجد
بعض مخطوطات التي كان يملكها مفرقاً بالمكتبات بما يحمل اسمه أو عليه تعليق

(١) : رحلة القطبي المخطوطة صفحة ١٨ .

(٢) : البرق الياني للقطبي مخطوط .

له ، هذا بالإضافة إلى مؤلفاته التي بقيت بعد الحريق ، مما قد تكون نسخت قبل وقوعه ، أو انه ألّفها بعده ، مما سنتكلم عليه فيما بعد .

وقد عاش النهروالي عيشة رفاهية ، وغنى .

فقد نال هو وأبوه من عطف ملوك كجرات الإسلاميين كثيراً ، وتولى المدرسة والرباط اللذين أنشأهما أحد أوّلئك الملوك في مكة .

نم نال عند الأتراك جاهاً عظيماً فكانوا على ما يروى الشوكاني ويعطونه العطاء الواسع (١) .

وكان ذا صلة قوية بأمرآء مكة يتولى كتابة الإنشاء لهم .

وقد أرسلوه في سفارة إلى القسطنطينية ، فقابل السلطان هناك واجتمع برؤساء الدولة ، كما تقدم تفصيل ذلك في الحديث عن هذه الرحلة .

وكان ذا خدم وحشم ، له مماليك ، وهو قد حظي بطرف من الغنى ، وكان موسماً على نفسه وعلى إخوانه . يروي الشوكاني انه (كان كثيراً للتنزهات في البساتين ، وكثيراً ما يخرج الى الطائف ، ويستصحب معه جماعة من العلماء والأدباء ، ويقوم بكفاية الجميع) .

أما سلاطين الأتراك وولاتهم وأمرآؤهم فقد غمروه بالعطاء وقرروا له راتباً سنوياً ، يماثل راتب شيخ الحرم المكي ، الذي كانت رتبته لديهم تلي رتبة شريف مكة . ولما أنشئت المدارس السليمانية بمكة ، وكلوا الإشراف على مدرسة الأحناف للشيخ قطب الدين .

وهذه المدارس تُدرّس مالا كثيراً على القائمين عليها ، وخاصة وقت إنشائها .

(١) : البدر الطالع (٥٧/٢) .

وكان كلما قدم مكة والى من ولايتهم ، او قائد من قوادهم يتولى الشيخ القطبي تطويفه ، ومرافقته فيحظى منه بالتقدير الكبير .

ولهذا فلا عجب إذا رأينا القطبي يعتبر الدولة التركية (هي التي أنعش الله بها أهل الحجاز من الفاقة والفقر) على ما يقول .

نجده يكرر هذا في كثير من كتبه ، وينقل ذلك عنه مورخو الحجاز .
يصف القطبي^١ السلطان سليمان القانوني^٢ فيقول :

(وقد أهلني لأن قبّلت يده ، وألبسني تشريفة التشرية ، وشملني بإحسانه الوافر الوريث ، مما أنا الى الآن أتقلب في جزيل إنعامه ، وأعيش الى الآن في فائض تفضلانه وإكرامه ، وأترحم على ذاته كلما ذكرت إحسانه (١)) .

ويذكر انه مُخصّص له مرتب يومي عندما عهد إليه بالتدريس في مدرسة الأحناف السلطانية بلغ ستين عثمانياً في اليوم ، وهذا مبلغ يعتبر في ذلك العهد ضخماً .

وعندما تحدث عن السلطان مراد قال: (واستمر يشملني بانعامه ، فوق ما بيدي من المدرسة الشريفة السلطانية السلطانية ، مدرسة جده المرحوم ... وأنعم على أولادي بالتدريس ، وأولاهم بكل إكرام وإحسان لطيف (٢)) .

ويصف ما تجرّبه الدولة التركية على أهل الحرمين الشريفين بأنه : (مادة حياتهم وبه معاشهم) (٣) لهذا فلا عجب إذا رأينا السيد محمد الحسيني يقول في « الجواهر الثمينة » ما هذا نصه : (قال مفتي الحرمين ، قطب الدين الحنفي : أن أهل الحرمين الشريفين ما شبعوا من دولة من الدول ، مثل ما شبعوا في دولة آل عثمان) (٤) .

(١) : الأعلام ص : ١٩٧ هامش خلاصة الكلام .

(٢) : الأعلام ص ٢٧٢ .

(٣) : المصدر السابق ص : ٢٢٤ .

(٤) : الجواهر الثمينة ورقة ٩٠ مخطوطة بإيريد رقم ٢٦٥ .

أوردنا هذه الاشارات لكي ندرك مبلغ أثر ما قام به الأتراك من تقدير للقطبي في نفسه ، مما نشاهده في جميع مؤلفاته واضحاً جلياً ..

ان القطبي ، وهو ربيب تلك الدولة ، وصنوعة من صنائعها ، ظهرت جُلُّ مؤلفاته طافية بالمبالغات في الثناء على سلاطين الاتراك وعلى رجال دولتهم ، بل أصبح القطبي المؤرخ العربي الوحيد لتلك الدولة في عهده ، وهذا مما ينبغي أن نلاحظه عندما نقرأ كتاباته ، وخاصة كتابه « البرق الياباني » الذي نجده تحامل فيه تحاملاً شديداً على العرب ، وخاصة اليمنيين ونسب إليهم أشياء بدافع الهوى ، وما كانت صحيحة .

ويؤخذ على القطبي أشياء - غير تعصبه للدولة التي عاش في كنفها - يؤخذ عليه أنه كثيراً ما يهضم أعداءها حقهم ، ويصفهم بصفات هم أبعد ما يكونون عنها ، فهو عندما يصف العرب الذين لم يخضعوا لتلك الدولة يقول : (عربان جهلاء ، ليسوا عقلاء بل غفلاء ، ينخدعون بالكلام الباطل ، ويصدقون بالموهات والأباطل ، ركبوا من عقولهم متن عمياء ، وخبطوا خبط عشواء)^(١) ومثل هذا يرد كثيراً في كلامه .

ومع أن الشيخ القطبي حنفي المذهب ، إلا أنه كثيراً ما يخالف مذهبه . والمخالفة إذا كانت جارية على أساس من الدليل فهي محمودة ، غير أنه - والله يغفر له - قد يفتي بعض الرؤساء بفتاوى يؤخذ عليه فيها ، من ذلك ما ذكره من أن أحد أمراء الأتراك المدعو رضوان باشا وصل مكة في وقت الحج من سنة ٩٨٢ فخرج إلى عرفات حاجاً ، لابساً ثياب الأحرام ، فاتصل ابنه بالشيخ وطلب منه ان يفتي والده بلبس الثياب ، وأن يفدي ، قال القطبي نفسه : (سألني أحمد بك أن أمنع والده من التجرد ، خوفاً عليه من التوعك ، فمنعته ، وحذرتة من التجرد ، خصوصاً وهو على جناح سفر ، لاسياً

(١) البرق الياباني (٤٦٤) .

وفي الشرع الشريف مندوحة عن ذلك بالفداء ، فلم يوافق على اللبس ، واستمر متجرداً ، قصداً للتكشف ، فما وصل إلى عرفة إلا محمواً ، فلمته على ذلك ، والبسته المخيط ووقف بعرفة (١) .

والشيخ رحمه الله ليس من العلماء المتعصبين لمذاهبهم ، بل هو رحب الصدر يتقبل الدليل .

سئل عن الصلاة على الميت في المسجد الحرام بمكة وبمسجد النبي ﷺ في المدينة ، هل يجوز أم لا ؟ لأن الصحيح من مذهب الحنفية - كما يقول - كراهية الصلاة على الميت فيها فأجاب قائلاً : (فترجح عندي أن أفقي بالجواز من غير كراهية) إلى أن قال : (فاعلم ذلك واحفظه ، فإنه نفيس ، ولا تجمد مع الجامدين ، على ان الكراهة كراهة تنزيه ، نص عليه شرف الأمة العقيلي ، كما نقله عنه الامام الزاهدي رحمها الله تعالى) الاعلام ص : ١٤١ .

وله أشياء أخرى من هذا القبيل لا يتسع المقام لذكرها .

والشيخ القطبي لا يتورع عن اسباغ الثناء على نفسه ، وخاصة عندما يتحدث عن شيء من نظمه أو نثره .

فيقول بعد ايراده قصيدة مدحها قاضي دمشق محمد بن أبي السعود العمادي ، في أثناء مروره بتلك المدينة في رحلته الى القسطنطينية سنة ٩٦٥ هـ وعمره اذ ذاك ٤٨ سنة ، ومطلع القصيدة :

ما أومض البرق - لمئاعاً - على إضم
إلا تذكرت احبابي بندي سَلَم

(١) لا المصدر نفسه (١٩٩) .

تقع في ٣٣ بيتاً - يقول : (وهذه قصيدة - كما ترى - في أعلى درجات الانسجام واللفظ والسلاسة ، ولكنها ما وقعت موقعاً معجباً منه ، لقصور ذوقه في فن الأدب ، وعدم ممارسته كلمات بلغاء العرب ، فلم يترتب على هذه القصيدة نتيجة غير بقائها في صفحات الدفاتر ، على مر الاعصار) (١) .

ويصف قصيدة رائية استهل بها كتابه (البرق الياني) قائلاً : (وقد افتتحته بقصيدة طنانة ، سارت بذكرها الركبان ، تتسابق الفاظها الى الآذان والاذهان ، يعد كل بيت منها بديوان ، وتسحب كل كلمة منها أذيال البلاغة على سحبان) (٢) .

مؤلفاته :

للقطبي مؤلفات في الدين والأدب والتاريخ وصل إلينا بعضها ، وبعضها فقد في حياته بعد الحريق الذي شب في داره ، وسبقت الإشارة إليه .

وسنورد أسماء ما نعرف منها :

١ - الاعلام باعلام بيت الله الحرام .

في تاريخ مكة المعظمة ألف كما يظهر من خاتمته في عهد السلطان مراد ابن سليم « ٩٨٢ - ١٠٠٣ هـ » .

ويظهر ان المؤلف بدأه قبل ذلك العهد ، وانه كان يضيف إليه من المعلومات ما يستجد له .

(١) رحلة القطبي (ص ٢٠٠) نسخي الخطية .

(٢) « البرق الياني » .

والكتاب وإن أُلّف في تاريخ مكة ، إلا أن القسم الأخير منه ، يشتمل على تاريخ مفصل لسلاطين آل عثمان من قيام دولتهم إلى عهد السلطان مراد .

والمؤلف ، كما تقدم ، صنيعة من صنائع آل عثمان، فأراد أن يشمل كتابه هذا على ما يتقرب به اليهم من ثناء ووصف لبعض أحوالهم، وتراجم لمشاهير وزرائهم ، وذكر فتوحاتهم الاسلامية في مختلف أنحاء العالم .

والقسم المتعلق بتاريخ مكة يشتمل على خلاصة بتاريخ المشاعر المقدسة وسماه مصطفى الجنابي في تاريخه « الاعلام باعلام بلد الله الحرام » . والشيخ القطبي كثيراً ما يغير أسماء مؤلفاته كما سيأتي بيان ذلك فيما بعد .

٢ - : « البرق الباني » وهو هذا ، وسيأتي تفصيل الحديث عنه .

٣ - تاريخ مرتب على السنين :

ومن مؤلفات القطبي تاريخ مرتب على السنين، ذكره الشيخ عبد الله ميرداد في كتابه « نور الزهر » وذكر انه من مصادره فقال - وهو يسرد تلك المصادر : (تاريخ العلامة قطب الدين المكي الحنفي المرتب على السن) (١) .

والشيخ عبد الله ميرداد من أهل هذا القرن قتل سنة ١٣٤٣ هـ في الطائف .

وقد أشار الشيخ عبد الوهاب الدهلوي في مقال نشره عن الكتب المولفة عن الحرمين والطائف وجدة إلى هذا الكتاب ، وقال انه غير الأعلام المطبوع وانه كان موجوداً بمكة عند الشيخ عبد الله ميرداد أبو الخير .

(١) « نظم الدرر باختصار نور الزهر » . ص ٢ نسخة الشيخ محمد نصيف .

٤ - تذكرة النهروالي :

ذكر هذا الكتاب من مؤلفاته السيد محمد بن عبدالله الحسيني المعروف بكبريت قائلاً : (وله تذكرة جامعة)^(١) .

والتذكرة كما هو معروف عند المتقدمين كتاب يدون فيه العالم أو الأديب ما يحتاج إلى تسجيله للاستفادة والرجوع اليه .

وتذكرة القطبي هذه موجودة بخط يده ، والظاهر انها مما جمعه بعد احتراق كتبه ، إذ أولها : (بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً ، وأنت إذا شئت جعلت الحزن سهلاً ، مما وقع من افتقاد الله تعالى لي اني توجهت ليلة الثلاثاء تاسع عشر ربيع الأول سنة ٨٩٥٩ إلى بركة ماجد ، مع بعض الأصحاب للتنزه ، فوقع الحريق في داري بمكة ، ولا أدري كيف وقع ! . غير انه ابتداء من القاعة التي بها أسباني وكتبي ، وكانت زهاء الف وخمسمائة مجلد من نفائس الكتب ، التي ملكتها وورثت بعضها عن أبي رحمه الله ، فذهبت كلها) إلى آخر ما قال وقد تقدم ذكره .

وهذه التذكرة تحوي بيان رحلاته المتعددة إلى المدينة ، ورحلته إلى اسطنبول والتي دعاها « الفوائد السنية في الرحلة المدنية » وسيأتي الحديث عنها .

وتتضمن هذه التذكرة عدا تسجيل أخبار رحلته إلى اسطنبول ورحلاته إلى المدينة فوائد تاريخية عن حوادث وقعت في عهده ، وقصائد شعرية عربية وفارسية له ، وقصائد اخرى لغيره وها هو بيان جل محتوياتها .

- ١ - رحلته الأولى للمدينة للتسلية بالزيارة بعد حريق بيته - الورقة ١ .
- ٢ - أدراك العربان في عهده - الورقة ٢١ .

(١) رحلة الشتاء والصيف ص ١٥٢ .

- ٣ - قصة الخلاف في عمارة سقف الكعبة سنة ٩٥٨ هـ - الورقة ٢٥ .
- ٤ - حادثة بيمنى بين أمير الحج المصري وشريف مكة - الورقة ٣٢ .
- ٥ - أخبار تاريخية عن الكعبة وغيرها - الورقة ٣٣ .
- ٦ - الرحلة الثانية للمدينة ٩٦٤ هـ - الورقة ٤٤ .
- ٧ - الرحلة الثالثة للمدينة ٩٦٥ هـ - الورقة ٥٦ . (ولم يدون عن هذه الرحلة شيئاً) .
- ٨ - الرحلة الرابعة للمدينة مع ابراهيم المعمار ناظر عين عرفات سنة ٩٧١ هـ - الورقة ٥٧ .
- ٩ - الرحلة الخامسة للمدينة مع السيد حسين المكي المالكي شيخ الحرم المكي سنة ٩٥٧ - الورقة ٦٢ .
- ١٠ - أخبار عن سنان باشا فاتح اليمن - الورقة ٦٧ .
- ١١ - الرحلة السابعة للمدينة مع شيخ الاسلام حسين المكي المالكي . وهو المتقدم ذكره سنة ٩٨٠ - الورقة ٧١ .
- ١٢ - أشعار من أدب الدنيا والدين - الورقة ٧٧ إلى ٨١ .
- ١٣ - مختارات من شعر الطغرائي - الورقة من ٨٢ الى ٨٦ .
- ١٤ - ما انتخبه من ديوان أبي فراس - الورقة من ٨٧ الى ٩٠ .
- ١٥ - أشعار متنوعة لابن الوردي وغيره - الورقة ٩٣ الى ١٠٧ .
- ١٦ - فوائد عن صناعة الحبر وعن التصحيف وعن كنايات عوام المصريين وفيها ما يستحيا من ذكره - الورقة ١٠٧ الى ١١١ .
- ١٧ - نقول من تذكرة أبي حيان واسمها بصائر القدماء وسرائر الحكماء ونوادير الملحاء وخواطر العلماء والأدباء - الورقة ١١١ إلى ١١٣ ومن ١٤٥ إلى ١٦٠ .
- ١٨ - أشعار متنوعة للقطبي نفسه وغيره - الورقة ١١٤ الى ١١٩ .
- ١٩ - نقول من طبقات السبكي - الورقة ١٢٠ الى ١٢٩ .
- ٢٠ - حكم متنوعة وأمثال قرآنية - الورقة من ١٣٥ الى ١٣٧ .

٢١ - من الأمثال المولدة منتخبة من كتاب «التمثيل والمحاضرة» للثعالبي
ثم مختارات من كتاب «الجنة المحبوب، المنتخب من ثمار القلوب»
الورقة ٦١ الى ٦٩ .

٢٢ - نقول من «الجامع الصغير وزوائده» للسيوطي - الورقة ١٧٢
الى ١٨٨ .

٢٣ - نظم للقطبي نفسه في تقرير كتاب - الورقة ١٩١ .

٢٤ - منتخب من ديوان ابن الوردى - الورقة ٢٠٧ .

٢٥ - اشعار فارسية في الاقلام والمداد - الورقة ١٩١ .

ويظهر أن القطبي استعمل بتدوين هذه المعلومات دفترأ كبيراً كان يسجل
فيه تلك المعلومات بدون ترتيب .

وقد يكون سجل بعضها قبل احتراق مكتبته كما يفهم من تسجيله لحوادث
وقعت قبل ذلك أشار إلى بعضها .

ثم استعمل هذا الدفتر لتدوين رحلته إلى اسطنبول ، وقد فقد منه أثناء
الرحلة فتأثر بذلك ، إلا أن الأمير بايزيد - ويسميه السلطان - وهو ابن
السلطان سليمان القانوني ، بعث من يبحث عنه حتى وجده وأعادته اليه كما
سبقت الاشارة إلى ذلك .

٥ - التمثيل والمحاضرة بالابيات المفردة النادرة :

هذا كتاب في الأدب ، ألفه القطب النهروالي ، وأهداه إلى سلطان المغرب
الأقصى في عهده ، الغالب بامر الله الشريف عبد الله أوله : (أحسن حمد لله
وأكملة وأتمه في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) .

وجمع فيه من الأبيات المفردة مما يتمثل به في المحاضر ، ويستشهد به في
المحافل كل مجالس ومحاضر ، وانتقاه من دواوين العرب ومن حدى حدوهم

من ظرفاء الأدب ، ورتبه على حروف المعجم معتبراً في الترتيب أوائل الأبيات ويسمى هذا الكتاب « تمثال الأمثال النادرة » يوجد منه نسخة مخطوطة سنة ١٠٦٣ هـ . وبهامشها تقييدات يسيرة في دار الكتب المصرية .

٦ - الجامع لكتب السنة الستة في الحديث :

ذكر هذا الكتاب من مؤلفات القطب المكي ذكر هذا الشريف أبو محمد مصطفى بن سنان بن أحمد الحسيني الهاشمي ، الشهير بجنابي في كتابه المعروف بتاريخ الجنابي . كما ذكره صاحب « هداية العارفين » .

ولعل هذا من كتبه التي احترقت إذ لم أجد له ذكراً في فهارس المكتبات التي لدي .

٧ - زيادات على « دستور الاعلام » :

الأصل لابن عزم ، وزاد عليه القطبي زيادات يسيرة ، منه نسخة في مكتبة الحرم المكي وأخرى في اصطنبول .

٨ - طبقات الحنفية :

الف القطب في تاريخ علماء مذهبه كتاب طبقات الحنفية ، ولكنه احترق مع كتبه التي احترقت على ما ذكر الغزالي في « الكواكب السائرة » (١) ، وذكر الجنابي أن هذا الكتاب يقع في أربعة مجلدات .

ولا يستبعد انه نسخ قبل احتراقه فبقي من نسخه ما اطلع عليه الجنابي .

٩ - الفتوحات العثمانية للأقطار اليمانية :

الف القطب عن الغزوات التي قامت بها الدولة العثمانية لفتح اليمن هذا الكتاب ، وسماه بهذا الاسم وأهداه إلى السلطان سليم خان ثم بعد ذلك غير اسمه إلى (البرق اليماني) كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

وأسلوب كتاب الفتوحات أقرب إلى الاسترسال في الكلام على السجية

فيقل فيه السجع المتكلف الذي يكثر في كتاب «البرق الياني» ويوجد في كتاب البرق زيادات ذات فائدة، ومن هذا الكتاب نسخة جيدة مخطوطة سنة ١٨١٦ هـ أي في حياة المؤلف توجد في المكتبة العامة في مدينة فيننا .

١٠- الفوائد السنية في الرحلة المدنية والرومية :

هذا الكتاب يعتبر من أهم مؤلفات القطب المكي ذلك لأنه يحوي معلومات متنوعة، ويطرق جوانب مختلفة من نواحي المعرفة ، فهو يصف مدناً وأماكن ويتحدث عن مشاهداته فيها ، ويذكر علماء وأدباء مشيراً إلى بعض آثارهم ممن اجتمع بهم .

ألفه أثناء رحلته إلى البلاد الرومية كما يسميها ويقصد بلاد السلطنة العثمانية في ذلك العهد، اصطنبول ونواحيها ، وقد رحل إليها في سنة ١١٦٥ هـ، وسجل في أوائل هذا الكتاب زيارته المختلفة للمدينة المذكورة من سنة ٩٥٩ هـ بعدها إلى وقت رحلته إلى البلاد التركية .

ويقع هذا الكتاب في ١٢٥ صفحة مستطيلة ، بحيث يقع في الصفحة ٣٥ سطرًا بالخط الفارسي الدقيق ، خط المؤلف نفسه .

ويقع وصف الزيارات للمدينة منه في ٢١ صفحة .

ولقد دوّن رحلاته تلك في الدفتر الكبير الذي كان يدون فيه (تذكرته) والذي فقد منه أثناء الرحلة قبل أن يصل إلى اصطنبول، ثم وجد وأرسل إليه من قبل احد ابناء السلطان سليمان ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك .

وأول الكتاب بعد البسملة : (اللهم لا سهل الا ما جعلته سهلاً ، ابتداءً السفر المبارك الى المدينة الشريفة ليلة الاثنين بعد العشاء تاسع شهر ربيع الآخر سنة ٩٥٩ هـ واصبحنا في وادي مر، واقمنا به يوم الاثنين وليلة الثلاثاء، وسبب الاقامة تأخر بعض القافلة الى الغد ، ووقع لنا في طريق الوادي ان الجمالين لما

ناموا في الطريق جاء بعض السراق الى حمل الزاملة، وشق الخيش، وأخذ بعض الدقيق والرز وافاويه الطعام ونحو ذلك من بعض الجزئيات، وهذا علامة القبول ان شاء الله ، وكان الرحيل المبارك أول وقت الظهر يوم الثلاثاء عاشر ربيع الآخر ، وكانت القافلة المباركة نحو ٦٠ جملاً وكان الجمال من زبيد المستزاد ، فتبّع الحرامية وقص أثرهم ووقع عليهم واسترد جميع ما أخذوه من الحوائج وجاء بها بعد أن وقع بينه وبينهم مقارعة بالسيوف وجرح واحداً من الحرامية وكانوا من زبيد وكفى الله تعالى شرهم) .

ثم استرسل يصف زيارته للمدينة ، ذاكراً المنازل وبعض ما يجري فيها وآخر ما سجل زيارته في سنة ٩٨٠ هـ .

أما أول رحلته الى البلاد التركية فهذا نصه بعد البسملة :

(هذه نبذة من أحوال سفري إلى الباب العالي السلطاني ، رسولا من قبل سيدنا ومولانا المقام الشريف العالي ، السيد الشريف الحسين النسيب حامي الحرمين الشريفين ، سلطان البلدين المنيفين ، مولانا السيد حسن ابن أبي نمي خلد الله تعالى ملكهما ، الى السلطان الأعظم الافخم ، مولى ملوك العرب والمعجم ، سلطان سلاطين الزمان ، افتخار ملوك آل عثمان السلطان سليمان خان نصره الله تعالى وأيد سلطنة القاهرة .

كان البروز المبارك من مكة المشرفة ، ليلة الخميس بعد مضي ثلث الليل خامس محرم الحرام افتتاح سنة ٩٦٥ هـ وكان امير الحاج الشامي الذي كنا معه الأمير يونس سنجق حمص .

وقد وصلت الى الوادي ، وكان معي الخاصة أحمالي وخدامي سبعة جمال وبغلتان ، والكراء لكل جمل الى الشام ١٩ ديناراً ذهباً جديداً وكان معي أخي مولانا محب الدين حبيب الله - وجوهر وسرور وياقوت وكيوان ، واسماعيل الكردي وجوهر الشريف ، وفرحان الشريف ، وأحمد الشويبي .

ولما اقبلت على الخيم بابي عروة صباحاً رأيت الحجاج قد رحلوا فادركت القافلة وقت الضحى، عند المضيق في فم الشعب، فقيل لي: ان جمالنا لم ترحل. فرجعت الى الوادي وتعبت كثيراً خوفاً من السراق، ومعي أخي وقد انقطع الخدام عنا، فرجعت الى الوادي وحملنا وسرنا طول النهار وادر كنا القافلة، وهو نازل بعيد المغرب فبمجرد وصولنا رحلوا فرحلنا معهم الى أن نزلنا على بركة تخلص (

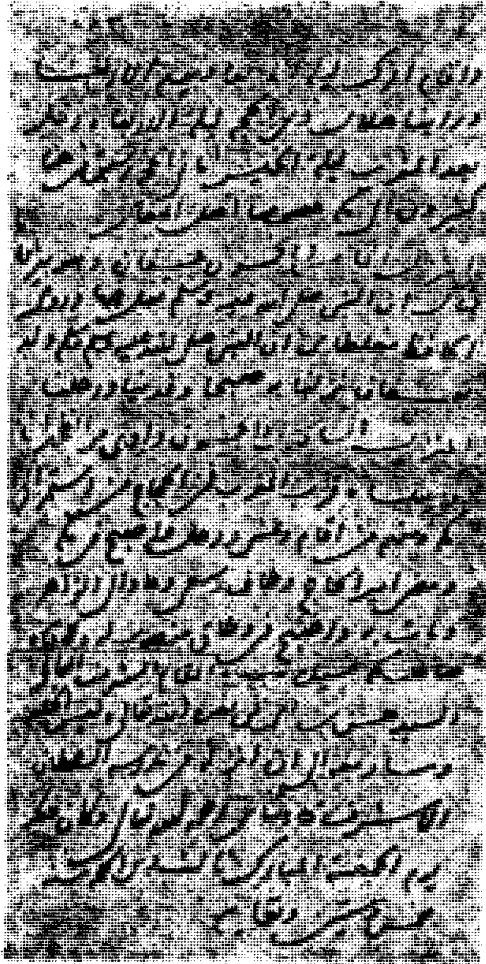
ثم استرسل في وصف رحلته ماراً ببلاد الشام واصفا ما يشاهده بأسلوب غير متكلف، مسجلاً كلما يتعلق برحلته حتى وصل الى استنبول، وذكر مقابله للسلطان ولوزرائه وأعيان دولته وما قدم لهم من الهدايا ومن اجتمع به من العلماء في تلك البلاد، وكان في كل ذلك دقيقاً، وكان الغرض من رحلته هذه السعي لاجراء بيبري والي^(١) المدينة من قبل السلطنة العثمانية لخلاف حصل بينه وبين شريف مكة، ولكنه أخفق في مهمته كما أوضح ذلك بقوله: (وفي يوم السبت ١٨ شهر رجب توجهت إلى ديوان السلطان واستنجزت الجواب في أمر بيبري واخراجه وعسكره من المدينة الشريفة فأمرت بالجلوس إلى أن يدخل الوزراء ويعرض الأمر على حضرة الخنكار (يقصد السلطان) فجلست إلى أن فرغ الديوان ودخل نضاة العسكر والوزراء وبرزوا وركبوا إلى بيوتهم، فركبت مع الوزير الأعظم إلى بيته، وذكر لي أن

(١) قد عزل دلوبيري عن المدينة بعد هذه السنة، فقد ذكر القطبي في (البرق الياني) - ص ١٧٩ نسخة سنان باشا - أن محمود باشا قدم من اليمن فوصل الى جدة في ١٩ شعبان سنة ٩٧٢ - وكان الأمير قاسم هو (سنجق) جدة، وقاسم هذا كان من المماليك السلطانية، خرج مع الوزير علي باشا وكان سراجاً له، واول ما ولي أغاة المدينة الشريفة، بعد عزل دكوة بيبري، ثم الى سنجق جدة، ثم الى إمرة جدة - هذا كلام القطبي، ويفهم منه ان عزل دلو بيبري كان قبل سنة ٩٧٢ .

ومن ماثر بيبري هذا ما ذكره السيد كبريت المدني في « الجواهر الثمينة » حيث قال : (ومن محاسن المدينة : البركة المباحة، وهي بركة الأمير بيبري، وهي في قبلي جادة العقيق، وعندها حديقة، وكان عليها بناء حسن، لعبت به الأرياح) ٨١ .

الخنكار تأبى من إخراج البيري والعسكر ، وأمر بالتفتيش عليه ، فاذا ظهرت منه جنحة رفع عن المدينة. فضاقت الدنيا علي بهذا الجواب وقلت له: كيف التفتيش على ظالم غاثم يفعل بيده ما يريد ولا يردده عقل ولا دين؟! فقال: ان قاضي الشرع عبد الرحمن أفندي يفتش عليه. فقلت: هو ظهيره ومعينه وهو الذي جلبه إلى المدينة الشريفة فقال: هكذا أمر الخنكار وقد عجزت عن رده عما أمر به. فلما يئست منه عزمت الى علي باشا فأجابني بذلك ثم توجهت الى بقية الوزراء فلم يفد الكلام معهم فبت بليل أليل الى أن أصبحت وكان السيد الشريف نصره الله تعالى كتب معي عرضاً وختمه وقال: إذا امتنعوا عن إخراج بيري مع عسكره ، أعظم هذا العرض ودع القيامة تقوم. ومضمون العرض: ان الآراء الشريفة ان استقرت على إبقاء بيري وعسكره في المدينة فنحن نرفع يدينا عن المدينة وتكون المدينة حينئذ في ركب بيري وعسكره ولانطالب نحن بشيء من الذي يُتوقع من اختلال أمورهما ، والأمر راجع الى الآراء الشريفة . فصممت على إعطاء هذا العرض وكنت استصدق جماعة منهم مصطفى بن جلال ومنهم رئيس الحكماء البدر القيسوني فأشارا علي بعدم إعطاء هذا العرض والصبر والمطابولة . وكان مولانا السيد الشريف أكد علي في اعطاء ذلك العرض في آخر الأمر، وصار البدر القيسوني ومصطفى يمنعاني من ذلك ويقولان : يتفاهم الأمر باعطاء هذا العرض والسلطان رجل عنده نوع من العناد وعدم الرجوع، وربما يقال: إن الاشراف يعجزوننا بهذا الكلام. ويتولد من ذلك ما لا خير فيه ، وبت أفكر فيما أفعله ولم يمكني مخالفة أمر السيد الشريف .

فلما أصبحت مضيت إلى ديوان السلطان وقلت للوزير الأعظم : هذا عرض أمرني السيد الشريف أن اسلمه اليكم في الديوان آخر الأمر وقد اضطررت إلى دفعه اليكم. فأخذته الوزير الأعظم وفتحته في الديوان وقرأة وعلم مضمونه ثم التفت إلي وقال : نعرض هذا على حضرة الخنكار؟ قلت : نعم . قال : لا يناسب عرض هذا لأن حضرة الخنكار سيف طويل ولا يعجز



الصفحة الأخيرة من الرحلة بخطه

عن حفظ المدينة مع بعدها عن مقر
سعادته وفي هذا استشعار بعجزه عن
ذلك فإذا فهم هذا المعنى ربما صمم
على رفع يد الأشراف ويصعب علينا
ما يترتب على ذلك وتكون أنت
السبب في ذلك ، قلت : أنا مأمور
بدفع هذا العرض في آخر الأمر وليس
بيدي مخالفة أمر من أرسلني به ،
وطال الكلام بيني وبينه إلى أن كان
آخر كلامي له : إن السيد الشريف
هو نائب السلطنة الشريفة في المدينة
الشريفة وهو يقول : البلاد لحضرة
الخنكار ، فأما ان يبقيني فيها كما
كنت ويرفع عني بيدي وعسكره ،
وأما أن يرفع يدي ويبقي بيدي
في البلاد ، فان حاكمين لا

يتفقان في بلدة واحدة ، وان سيفين لا يسمها جفير واحد ، والأمر راجع
إلى السلطنة الشريفة ، وهذا آخر كلامي لا أقول لكم خلافه ، فقام من الديوان
ودخل مع قضاة العسكر إلى السلطان وعرض عليه ذلك الأمر جميعه وبرز
إلى بيته كعادته ، وركبت معه إلى بيته فطلبني وقال : اني عرضت جميع
ما ذكرت ، وأمرت الحضرة السلطانية بإبقاء بيدي وبقاء السيد الشريف كما
كان ولم يوافق على رفع أحدهما وأمر بالتفتيش على بيدي وهذا آخر الأمر
الشريف السلطاني ، ولا يمكن تغييره ولا تبديله ، فرجعت الى منزلي منكسر
لخاطر ، ثم ركبت إلى علي باشا وبقية الوزراء وراجعتهم في ذلك ، فكل واحد

ذكر أنه لا يمكن الكلام في ذلك وقد انبت الأمر على هذا الوجه ولا يفيد المراجعة فيه ، فبقيت مغموماً مهموماً) .

ثم وصف ما قاساه من جراء عدم نجاح سفارته هذه وعاد منها عن طريق مصر في شهر شعبان من السنة المذكورة بطريق البحر ماراً ببعض جزائره كجزيرة رودس وغيرها . وكان يسجل وصف كل مكان يمر به ، ولم يفته أن يشير إلى ضائقة مالية نزلت به سببت له بيع مجموعة من كتبه .

ومن مصر عاد مع الحجاج بطريق الساحل ، الذي يمر على شاطئ البحر الأحمر إلى ينبع فبدر فرابغ فالحجفة إلى مكة حيث وصلها في ثالث ذي الحجة سنة ٩٦٥ هـ .

١١ - كنز الأسماء ، في فنّ المعنى :

هذا من كتب الأدب وموضوعه استعمال الكلمات التي يعاين بها من قبيل الألفاظ ، ومن هذا الكتاب نسخ في الاسكوريال وبرلين وفي العراق في مكتبة جامعة الحكمة في بغداد من كتب يعقوب سر كيس .

١٢ - معيار المریدین :

وللقطي كتاب يسمى معيار المریدین منه نسخة في مكتبة الفاتح في استنبول المجموعة ٥٢٩٣ مخطوطة سنة ١١٧٨ هـ مقدمتها بعد البسملة والمهدلة : (أما بعد فهذا ذكر الفرق التي غلظت في الإباحة والحلول والاتحاد والتجسيم وبيان عوارهم والرد عليهم) وهذا الكتاب يقع في ٤٥ صفحة في الصفحة ١٥ سطر بخط النسخ الحسن

١٣ - مناسك الحج :

وألّف القطي كتاباً في مناسك الحج ، ذكره في رحلته ، قائلاً عند

وصفه لاجتماعه بقاضي (آق شهر) : وقد جمع كتاباً في المناسك أخذ أكثره من كتابي الذي جمعته في مناسك الحج ، لما قدم للحج سنة ٩٥٤ هـ .
وله مؤلفات أخرى بالعربية والفارسية ، فقد ذكر في كتاب «الأعلام» (١) أنه نقل « شرح الفقه الأكبر » الذي ألفه الوزير لطفي باشا من التركية إلى العربية ثم إلى الفارسية .

شعره :

يعتبر القطبي من شعراء العصر الذي عاش فيه ، وصفه الغزوي (٢) بأن شعره في غاية الرقة ، وأورد قطعاً مختارة منه ، كما أورد صاحب « النور السافر » شيئاً من ذلك - وأجود شعره ، ما كان منه في الغزل ، وله أبيات مختارة في الحكم . أما مديحه فمن النوع التقليدي الممجوج المحشو بالمبالغات .
وبالاجمال ، فإن كثيراً من آثاره ضاع في حياته بسبب احتراق كتبه في مكة ، أو نهب قسم منها مع أخيه محب الدين حينما كان قاضياً في بلدة (جبلة) في اليمن سنة ٩٧٥ هـ ، واضطرته الفاقة اثناء رحلته إلى استنبول لبيع قسم من كتبه كان ضنيناً بها .

وفاته :

توفي القطبي على ما ذكر المؤرخ المكي عبد الملك العصامي ، وغيره من مؤرخي مكة في يوم السبت السادس والعشرين من شهر ربيع الثاني سنة ٥٩٩٠ هـ وقت أذان الفجر الثاني ، ويضيف العصامي إلى هذا قوله : (١) (فأرّخ بعض الفضلاء ذلك بقوله : قد مات قطب الدين ، أجل علماء مكة . قال : قد حسبته فوجدته يزيد على سنة الوفاة واحداً، ومثل ذا يفتقر عند المؤرخين على خلف ، الراجح منه عدم الاغتفار مطلقاً) . وعلى هذا سار صاحب

(١) ص ٢٠٢ هامش الخلاصة .

(٢) الكواكب السائرة ج ٣ ص ٤٧ .

شذرات الذهب ، وفي الكواكب السائرة ، انه توفي سنة ٩٩١ هـ وذكر غيره ما يخالف هذين القولين ، إلا أن الصحيح هو ما ذكره المؤرخ العصامي المكي فهو أعلم به من غيره .

من مشاهير آل القطبي :

١ - تقدم أن والده كان من العلماء : وانه تولى بعض المناصب الدينية قبل انتقاله من الهند ، ثم لما انتقل إلى مكة تولى مناصب فيها كالنظر على بعض المدارس والربط ، ودرس في المسجد الحرام .

٢ - وأخوه الشيخ محب الدين حبيب الله كان عالماً ، وتولى قضاء ناحية من نواحي اليمن بعد استيلاء الدولة العثمانية على تلك البلاد ، تولى القضاء بوساطة أخيه القطب ، وقد توفي قبل أخيه ، فتوسط في تعيين ابنه عبد الكريم محله كما سيأتي بيانه .

٣ - يذكر العصامي أن القطب لم يخلف أولاداً ذكوراً ، وإنما خلف بناتٍ ، والقطب نفسه يذكر في رحلته أنه سافر إلى المدينة ، ومعه الأولاد : حسين ومحمد وعبد الكريم وجمال الدين ^(١) ، ولكنه لم يذكر هل هم من أولاده أم من أقربائه وكثيراً ما يعبر المرء عن أولاد أقاربه بمثل تعبير القطبي ، ونص العصامي صريح ، فقد قال : ^(٢) (أما قطب الدين فلم يعقب سوى أربع بناتٍ لا غير) .

ولكننا نجد فيما بين أيدينا من المؤلفات كتاباً يُدعى : « ابتهاج الزمن ، في الاحسان الواصل إلى أهل الحرمين من اليمن ، بمولانا الوزير العدل الباشا حسن » ، واسم المؤلف محمد ابن قطب الدين محمد بن علاء الدين أحمد بن خوردار النهروالي المكي القادري الخرقاني الحنفي ، فرغ من تأليفه في غرة

(١) الرحلة ص ٦٥

(٢) سمط النجوم ج ٤ ص ٣٨٤ .

ربيع الأول سنة ١٠٠٥ هـ والنسخة التي بخط المؤلف موجودة في المكتبة العباسية في البصرة « مكتبة آل باش أعيان » ورقمها ب ١٦٠ (١) ومنه ، نسخ أخرى .

وقد نسبته بعض الباحثين إلى القطب المكي (٢) والصحيح انه ليس من تأليفه ، ولا يبعد أن يكون مؤلفه ابناً للقطبي ، ولكنه مغمور ، ولهذا توهم العصامي أنه لم يخلف ذكوراً .

وقد يعترض على هذا بأنه لو كان ابناً للقطبي نفسه لما استطاع الشيخ عبد الكريم ابن أخي القطبي أن يستولي على ما خلفه القطبي وهو عمه من كتب وغيرها ، ويحاج على هذا بأن عبد الكريم قد قوي نفوذه ، واشتهر أمره في حياة عمه بخلاف غيره من آل القطبي .

٤ - عبد الكريم بن محب الدين : هذا هو أبرز عالم في بيت القطبي بعد القطب نفسه ، وقد ولد سنة ٩٦١ هـ بأحمد آباد من بلاد الهند ، وقدم مكة مع والده وبها نشأ ، ولازم عمه واستأذه قطب الدين وعلى يديه تخرج ، ولما توفي عمه حل محله ، وصار مفتياً لمكة ، ومقرباً لدى أمراءها ، وذا صلة بالدولة العثمانية ، بحيث كان أشرف مكة يتوسطون به في بعض الشؤون ، واستطاع بقوة نفوذه أن يوحد إمامة المقام بعدما كانت قبله يتنازعها عدد من الناس ، وهو أول من سمى في تقرير مبلغ محدد من واردات بندر جدة راقباً لمفتي الحنفية بمكة فأجيب الى ذلك ، وقرر للمفتي المذكور خلعة تحمل مع الركب المصري يلبسها المفتي يوم العرضة ، وقرر له أيضاً كسوة تحمل من الديار الرومية ، ومعها مئة دينار سنوياً ، (٣) واستمر ذلك لمفتي مكة مدة سيطرة الدولة العثمانية على الحجاز .

(١) مخطوطات المكتبة العباسية قسم ٢ ص ٨٦ .

(٢) الاعلام للاستاذ الزركلي .

(٣) خلاصة الاثر ج ٣ ص ٩ .

ومن مؤلفاته : (النهر الجاري على البخاري) لم يكمله ، و « إعلام العلماء الاعلام ببناء المسجد الحرام ، مختصر تاريخ مكة تأليف عمه ، زاد فيه أشياء مهمة مما يحتاج اليه وما حدث بعد تأليفه وهو كتاب صغير الحجم ، طبع بتحقيق الأستاذين عبدالعزيز الرفاعي ومحمد أحمد جمال سنة ١٩٦٩ (١٩٥٠) .

وكان والده الشيخ محب الدين يتولى القضاء في اليمن ، فلما مات سعى قطب الدين ليقدر ابنه عبد الكريم هذا مكانه في الوظيفة (١) ، ويظهر انه تولى هذا العمل ولم يباشره نظراً لعدم استتباب الأمن في اليمن في عهده ثم بعد ذلك اشتغل في وظائف أهم من تلك في مكة .

وكان جماعة للكتب ، فقد آلت اليه تركه عمه قطب الدين من الأموال والكتب الكثيرة ، ونمت معه ، حتى بلغت كتبه أربعة عشر الف كتاب ما بين مجلد ومجلدين وثلاثة وأكثر ، وكان الكتبة ملازمين لبيته ، يكتبون له ما يريد من الكتب ، مع الاعتناء بتصحيحها وضبطها (٢) .

وقد توفي في منتصف ذي الحجة سنة ١٠١٤ هـ . ودفن في مقبرة المعلاة بمكة (٣) .

٥ - الشيخ اكمل الدين ابن عبد الكريم المتقدم ذكره :

مع أن المترجمين لهذا العالم يصفونه بأنه مفق مكة وعالمها ، فان المعلومات عنه لا تمدنا بما يمكن من فهم حالته العلمية ، ولد في مكة سنة ٩٨٨ هـ ، ويظهر أنه تدخل في بعض الأمور التي حدثت أثناء الخلاف بين شريف مكة فهيد وادريس بحيث كان يجانب فهيد ضد ادريس ، ولكن الأمر تم بتغلب

(١) النور السافر ص ٣٨٨ .

(٢) نظم الدرر في اختصار نور الزهر تأليف الشيخ عبد الله غازي ص ٤١ نسخة الشيخ محمد نصيف في جدة .

(٣) خلاصة الأثر ج ٣ ص ٩ .

ادريس الذي سعى حتى قتل هذا العالم في قرية « الاعاضيد » من قرى الطائف الشرقية ، ويؤرخ صاحب الخلاصة (٢) قتله بسنة ١٠٠٩ هـ ، ويظهر أن هذا غلط ، لأن صاحب « الخلاصة » نفسه نص على انه تولى امامة المقام بعد والده ، ووالده توفي سنة ١٠١٤ هـ كما تقدم ، والخلاف بين الشريفين وقع بعد هذا التاريخ بست سنوات ، ولهذا فان الصواب انه قتل سنة ١٠١٩ هـ .

٦ - عبد الكريم بن الشيخ أكمل الدين المتقدم ذكره :

يصفونه بأنه من أعيان الفضلاء بمكة ، يظهر انه غلب عليه التصوف بطريقة شديدة ، وله شرح على فصوص القونوي ، وقد توفي هذا بمكة سنة ١٠٥٥ هـ .

٧ - أبو محمد بن الشيخ علاء الدين :

هذا أخ للشيخ القطبي ، ذكر صاحب كتاب « نظم الدرر » ان القطبي ترجم أخاه هذا في تاريخه بما خلاصته : انه ولد في رجب سنة ٨٩٢٩ هـ . ولما توفي والده سنة ٩٤٩ هـ نشأ في كفالة أخيه القطبي وقرأ عليه ، ورحل إلى بلاد الروم ، ثم رجع إلى مكة ، ورحل إلى الهند ، ثم تولى قضاء مدينة زبيد في اليمن بالحاح أخيه القطب سنة ٩٧٧ هـ ، وبقي هناك حتى توفي في ذي الحجة سنة ٩٧٩ هـ .

٨ - خليل الله بن حبيب الله :

وهذا هو ابن أخ الشيخ القطبي الذي تقدمت ترجمته وقد تولى القضاء في بلاد « تعز » في اليمن وتوفي سنة ٩٨٢ هـ .

على ما نقله صاحب كتاب نظم الدرر عن الشيخ القطبي نفسه ، وهذا أخ للشيخ عبد الكريم الذي سبقته ترجمته .

(٢) خلاصة الأثر ج ١ ص ٤٢٢ .

هؤلاء هم أبرز بيت القطبي (١) ويلاحظ أن لقب الشيخ نفسه (القطبي) صار يطلق على أبناء أخيه كعبد الكريم وغيره .

وعلى ذكر هذا اللقب نحسن الإشارة إلى أن الشيخ القطبي كان يسكن في بيت بقرب الحرم الشريف بقرب الباب الذي لا يزال حتى هذا العهد يعرف بباب القطبي .

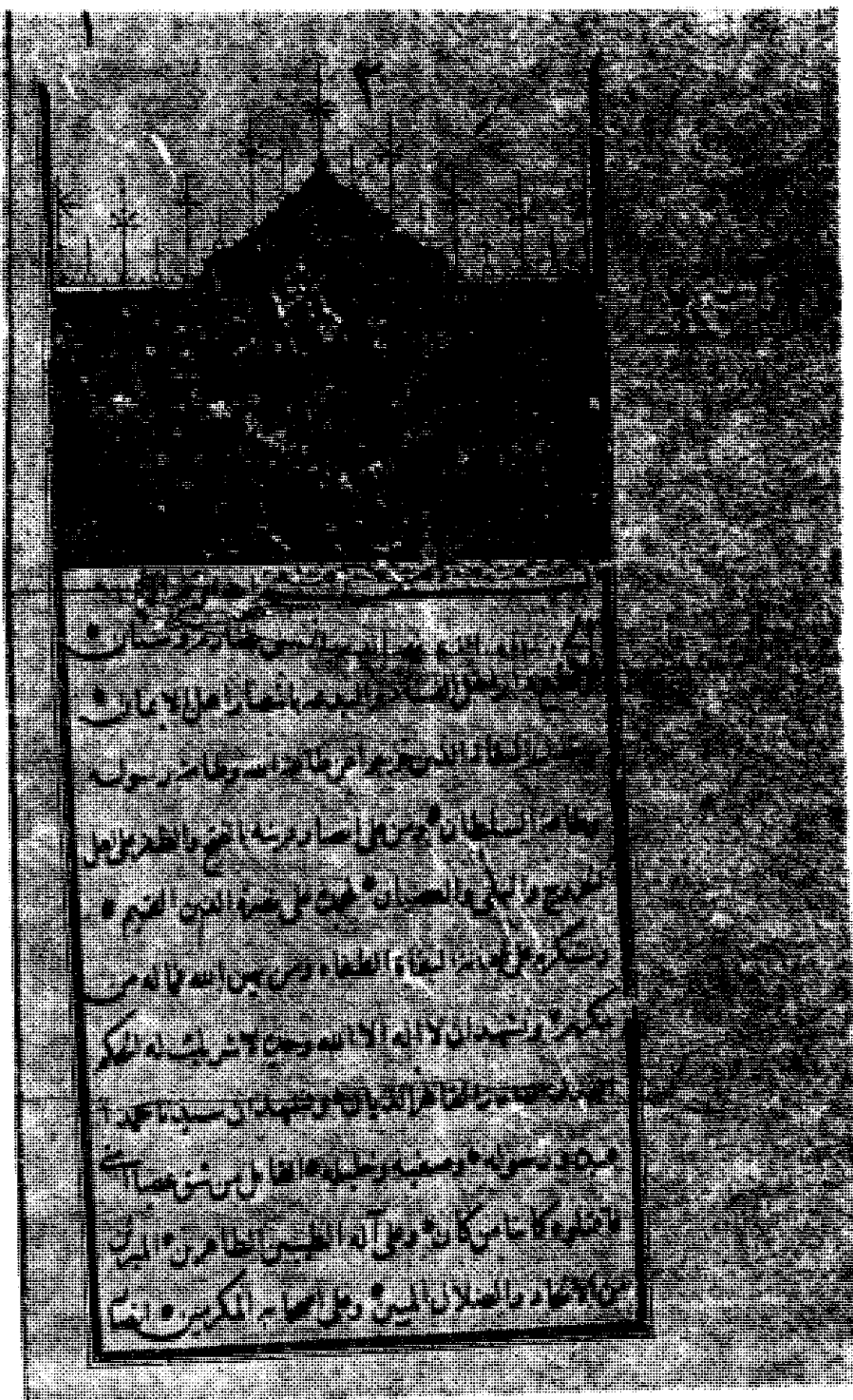
ومع تفرع هذا الببت فقد انقرض ، يقول الاستاذ أحمد السباعي (٢) :
(وقد انقرضوا إلا امرأة كانت تسمى سمادة كانت تحت رجل يقال له عبد اللطيف أولدها ولدأ ورث أوقافهم) .

(١) هناك آخرون من آل القطبي أشار اليهم الاستاذ السباعي في كتاب « تاريخ مكة »
ج ٢ ص ١٠٦ .
(٢) تاريخ مكة ج ٢ ص ١٠٦ .

٢- هذا الكتاب

هذا الكتاب من أجل كتب القطبي وأشهرها ، وأكثرها انتشاراً .
وقد ألفه استجابة لرغبة سنان باشا فاتح اليمن ، وسمّاه في أول الأمر
« الفتوحات العثمانية للاقطار اليمانية » وأهداه إلى السلطان سليم خان ٩٧٤ -
٩٨٢ هـ كما يظهر من مقدمة نسخة مكتبة فيينا المخطوطة سنة ٩٨٦ هـ .
المكتوب أصلها في سنة احدى وثمانين وتسعمائة .
ثم زاد زيادات يسيرة ، وسمّاه البرق اليماني . وأهداه إلى السلطان مراد
خان بن سليم ، كما ذكر في المقدمة ، وفي كتاب الاعلام (١) .
وقد طبعت مقتطفات من كتاب الفتوحات العثمانية مع ترجمة اسبانية لها .
طبعت في لشبونة ١٨٩٢ .
ويوجد لهذا الكتاب نسخ كثيرة في مكتبات اصطنبول وغيرها ، منها
ثلاث يظهر انها كتبت في عهد المؤلف وان المؤلف أهدى واحدة منها إلى
مكتبة سنان باشا الخاصة الذي كتب التاريخ باسمه ، واخرى إلى محمد باشا
رئيس وزراء السلطان مراد . وقد ترجمه المؤلف في الاعلام ، وثالثة إلى خزانة
السلطان مراد (انظر صور طرر هذه النسخ وخواتمها وكلها في اصطنبول) .
ويتضمن هذا الكتاب مجمل تاريخ اليمن من أول القرن العاشر الهجري إلى

(١) صفحة ٢٤٨ هامش « خلاصة الكلام » .



الصفحة الأولى من نسخة سنان باشا



طرة نسخة محمد باشا

بسم كافة المحمدين و محمد وآله و سلم و بسم الله الرحمن الرحيم
طوائف المؤمنين فانهم عماد الاسلام و قوام هذا الدين
الدين و الله اعلم بنسبنا الشريفة و انما كنا قد اهل
الاسلام و انما نؤمن بالله تعالى و نؤمن بصلواته
عليه افضل الصلاة و السلام و نؤمن بالولاية و نؤمن
بالحق و نؤمن باهل الباطن و نؤمن بحدود الامارة
و نؤمن بجمع انبى النبي و الصادق و الله تعالى بحمنا
بالحسن و ما نحن من جوده و ذكره المقام لا نستطيع
وهذا نؤمن بالله تعالى ما افتر من اخباره
الوزير العظيم حسب ما بلغ اليانا من اخباره
المعلمة و اما ما قبله فمحتاج الى بسط طويل و وضع
ذلك مما وصل اليانا ذلك لتفصيله و حسبنا
الله و نعم الوكيل و الحمد لله رب العالمين
و صلى الله على خير خلقه سيدنا محمد و آله
و الاخرين و عاتم الالهيات و المرسلين
سيدنا محمد و آله و صحبه و اجمعين
و بسم الله الرحمن الرحيم

الصفحة الأخيرة من نسخة محمد باشا

الحمد لله الذي نصر الدين الحنيفي بطاروقاً وسليماً وقطع
 دابر أهل النفاق والبدعة بانتصار أهل الإيمان، وحلّد
 التوحيد الذي برز جوارح طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة
 السلف الصالحين، وعمل على انتصار دينه بالفتح والظفر على أهل
 الخروج واليهي والعصيان تخمده على نصرة الدين القيم
 وشيخه على أهانه البغاة الطغاة ومن يهين الله فها له من
 مكرم ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المحكم
 العدل القادر القاهر العبدان وشهده أن سيدنا محمد
 عبده ورسوله وصيّه وخليفه القابل من عني على منى
 فأقتلوه لأننا من كانه وعلى له الطيبين الطاهرين المرثين
 بمن الأجداد والطلاب المسنن وعلى له المكرمين الظّار
 الذين المصنف المؤيد من مناد الله بخوفه المليك المسموم
 المنزّل في حقهم نصر من الله وفتح قريب ويشير المؤمنون
 أهل البيت في هذا الكتاب الطيف وتاريخ منتخب نظير جمع
 فيه ما يجيد في عصرنا من فتوحات اليمن، وما حدث فيه
 من أهوال والفتن، ونهيب من شران الجحش والإحش
 مهاجكت منه كتب التواريخ والأخبار ولو توكّد مجموعته
 ونقصون الحرف والأسطر وكان في التاريخ علماء عربياً
 فيه العظمة والاعتبار ولا اطلاع على حوادث الدهر الدواد
 واختلاف صوارف الليل والنهار ومعرفة أحوال بني النوح
 مما به قنط الأدهان ولا تكاد يورثه بصيرة أو إلى الصغار
 والابصار

نزل حمزة الوزيير من مجده المبط وحرب حياته في
 سبيل الحق وطمح الجمعه وتوجد بعد ان وادح اليه
 الشريف وتام من الشرف مياها كاتفت الضعيف وكبرياكل
 العيون العزله واظهره شله كانه على ذلك واختراؤه وتضريح
 الاله مع في العبرك واعتبره بين يدي خالعه بالعبر
 والقصور وتصد في كيار وصلى العفقر الى ان خ من
 باب الكوررة تركب الوجيه وهو يصد قوسيا وسما لا
 فلما امسى عليه الليل ذهب الى التعمير واخره حصره
 مكره مواجى الاله فاف باليهب وسعى وحلق في دخل
 المسجد الكرام وعاد طوافي الوديع لئلا تخفينا عن الناس
 واخذني بيديت ربه وتضريح اليه وعدد احسانه عليهم
 ولا اعترف بتقصيره بين يديه وعاد الى حبيبه غير متوجه
 معجوبا بسلاسة مع الزياره رسولته صلى الله عليه وسلم
 عمال مصر كتب الله في سلامته ثم ارتاح في فتح اليمن
 في الدولة المشرفية السلطانية السلمية العثمانية
 على يد الوزير العظمى سلطان باشا خلد الله مع ظلال وزارته
 ولا ان العرف من كتابة الذي يقل منه هذه السنة
 في مستهل رمضان المشرف سنة اذلال وعاثت وتسعها
 بحكمة المشرفة رادها الله في عزها وكراما وتحمك
 هذه الشخصية المباركة في يوم السبت الرابع عشر
 رجب القود الاحمر لاجل الكرام ستوت وعائين
 وتسعيه
 على يد العبد الفقير العزيز المسكين عبد نفسه من آية
 الصالح في بنهاره وامسى نور الله قلبه بنور حبه من احد
 ابن محمد بن علي بن سارون غنيم من سلامه من عبد الله بن عبد
 الرحمن المشقول بلدا العصري مؤلدا وسنشا غفر الله له
 والوازيه ريشا في ولا حياته وكل
 المسلمين اجمعين امين امين

نعم الكتاب تكاملت . نعم السرور والحاجة .
 وعنى الاله بحبوه . وبفضله عن كاتبة .
 نعم يا حبيب عمي . دعوه يا حبيب عمي .
 رحم الله قاتلها . رحم الله قاتلها .

الصفحة الأولى والأخيرة من كتاب و الفتوحات العثمانية ،

آخر سنة ٩٧٨ هـ، ويفصل ما قامت به الدولة العثمانية من أعمال حربية عنيفة لمحاولة الاستيلاء على ذلك القطر ، ويصور أول صراع بين قوات أجنبية محاربة وبين العرب في جنوب الجزيرة .

وفي آخر الكتاب وصف موجز لغزو الدولة العثمانية لأطراف البلاد التونسية في شهر جماد الأولى سنة ٩٨١ هـ .

وفي هذا الكتاب حاول المؤلف أن يبرز مقدرته البيانية ، فكتبه مسجوعاً ونثر فيه من محفوظات شعره أبياتاً كثيرة يحمل بها أسلوبه ويزينه .

وأصل هذا الكتاب أن القائد سنان باشا بعد عودته من غزو اليمن طلب من القطبي أن يؤلف كتاباً عن فتوحاته هناك ، وقدم له كتاباً عنها منظوماً ومؤلفاً باللغة التركية ، نظمه مصطفى بك الرموزي ، أمير اللواء ، و (دفتر دار اليمن) .

وقد وصف القطبي هذا الكتاب بأنه تاريخ لطيف ، غير انه لما كان منظوماً لم يتمكن ناظمه من أداء المعنى أداء تاماً .

وذكر انه انتفع به انتفاعاً كبيراً (١) .

وذكر صاحب « كشف الظنون » ان هذا الكتاب كتبت نسخته الأولى في عهد الدولة السليمانية ، والنسخة الثانية - وهي المتداولة كتبت في عهد الدولة المرادية (٢) .

ويظهر انه لم يطلع على النسخة الأولى التي سماها المؤلف « الفتوحات العثمانية ، للأقطار اليمانية » لأنه لم يذكر هذا الاسم في الكشف .

(١) مقدمة (البرق الباني) .

(٢) ٢٤٠/١ .

وقد نقل كتاب « البرق الياني » إلى اللغة التركية هصطفى بن محمد المعروف بنحسر زاده المتوفي سنة ١١٩٨ هـ^(١) .

وبالإجمال فإن كتاب البرق الياني يعتبر من أهم مصادر تاريخ جنوب الجزيرة في القرن العاشر الهجري .

وقد انتشر الكتاب انتشاراً واسعاً ، فقل أن تخلو مكتبة عامة في العالم العربي منه ، في مصر والحجاز والعراق ، أما في تركيا فيوجد في مكتبات اصطنبول العديد من نسخه ، ولعل من أسباب رواجه ما لمولفه من الشهرة عند ولاية الأتراك وعلمائهم ، فهو مؤرخ دولتهم بين العرب ، وهو أحد مشاهير علماء المذهب الحنفي مذهب الدولة الرسمي .



طريقة تحقيق هذا الكتاب ونشره

الغاية من تحقيق أي كتاب إبرازه للقارئ بالصورة التي رسمها المؤلف ، أو بأقرب صورة مماثلة لها بقدر الإمكان .

ولئن احتاجت بعض المخطوطات اللغوية والأدبية القديمة إلى بعض الشروح والايضاحات لبعض جملها ، تضاف في هوامشها ، فإن مثل هذا بالنسبة للكتب التي تسرد الحوادث ، أو تسجل بعض المعلومات العامة - يعتبر خارجاً عن منهج التحقيق ، بل يعتبر دراسة خاصة لذلك المخطوط .

ولقد فكرت - عندما أردت البدء في طبع هذا الكتاب - أن أضيف إليه بعض الحواشي لإيضاح معنى كلمة لغوية ، أو للتنبيه على خطأ في التعبير ، أو لتحديد موضع وذكر اسمه الصحيح ، إلا أنني رأيت هذا قد يثقل الكتاب بحواشي كثيرة ، وتلك الأمور التي أشرت إليها هي من السهولة بحيث يدركها القارئ ، وعلى هذا انحصرت الغاية في اخراج الكتاب بأوفى صورة أرادها مؤلفه ، وأوضحها ، وهذا يرجع - قبل كل شيء - إلى اختيار أقرب النسخ إلى المؤلف وألصقها به ، فكان أن وقع الاختيار على أربع نسخ من نسخه الكثيرة ، التي قل أن تخلو مكتبة من المكتبات الكبرى العربية ، منها :

- ١ - النسخة التي أهداها المؤلف للقائد سنان باشا ، الذي طلب منه تأليف الكتاب ، وقدم له الأصل التركي ليعتمد عليه ويتخذة أساساً لمؤلفه .

ومن حسن الحظ أن هذه النسخة - مع النسخ الأخرى التي سبقت الإشارة إليها - لا تزال محفوظة في مكتبات اصطنبول .

وقد كتب في طرة هذه النسخة داخل دائرة منقوشة بماء الذهب : (أهدي لخزانة الوزير المعظم ، فاتح اقليم اليمن وبلاد تونس وحلق الواد ، وغير ذلك من البلاد ، حضرة الوزير المعظم سنان باشا) . وفي أعلى الصفحة اسم الكتاب ، وفي أسفلها : (جمع الفقير قطب الدين بن علاء الدين الحنفي ، نزيل مكة المشرفة) .

ولا شك أن المؤلف سيختار لمن الف الكتاب له أجود النسخ ، وأصحها . وقد رمزنا لهذه النسخة بحرف (س) .

٢ - النسخة الثانية : نسخة أهداها المؤلف الى رئيس وزراء ذلك العهد ، محمد باشا ، وهي تشبه الى حد كبير - نسخة سنان باشا ، ويظهر انها منقولة منها ، غير أن الأولى أصح ، ويظهر أن عجلة الكاتب في الكتابة هي التي سببت سقوط بعض الجمل في هذه النسخة ، وأن كاتبها هو كاتب الأولى : أما طريقة تذهيب طريقي النسختين فهي واحدة ، والكتابة فيها متشابهة إلى درجة تحمل على الاعتقاد بأن الكاتب واحد . وفي طرة هذه النسخة - داخل دائرة منقوشة بماء الذهب : (أهدي لخزانة كتب الوزير الأعظم ، والصدر الأفخم ، انتظام العالم ، محب العلماء الفضلاء ، محمد باشا ، خلد الله تعالى ظلال وزارته ، وأبئد أيام صدارته) . وفي أعلى الصفحة اسم الكتاب ، وفي أسفلها : (جمع الفقير الى الله تعالى قطب الدين الحنفي المكي) .

وفي هامش آخر صفحة منها : (بلغ مقابلة بحسب الطاقة والاجتهاد) وفي هوامشها اضافات سقطت من الأصل ، وتصحيحات يسيرة :

٣ - النسخة الثالثة : نسخة نعتقد أن المؤلف أهداها إلى السلطان مراد ، فقد أهدى المؤلف إليه نسخة من كتابه ، وقدل العناية بكتابتها وتذهيب

أول صفحة منها ، وبعض اشارات مكتوبة عليها على ذلك . وهذه النسخة لا تختلف عن سابقتها في شيء ؛ إلا أن تصحيف الأسماء ، وسقوط بعض الكلمات والجمل فيها كثير ، ومن مقابلتها بها يظهر انها منقولة عن أحدهما .

٤ - النسخة الرابعة : كتاب « الفتوحات العثمانية للأقطار اليمنية » هذا هو أول نسخة لكتاب « البرق اليباني » كانت مختصرة ، فتوسع فيها المؤلف بأن أضاف إليها ما يتعلق بغزو البلاد التونسية ، مع زيادات يسيرة ، وكتبها بأسلوب مسجوع ، ولهذا فالرجوع إلى هذا الكتاب مما يفيد في تحقيق النسخة الأخرى الموسعة منه التي هي كتابنا الذي نتحدث عنه . وأوثق نسخة اطلعنا عليها وأقدمها هي نسخة المكتبة العامة في فينّة (النمسا) فهي مخطوطة سنة ٩٨٦ - في حياة المؤلف - وقد استفدنا منها في تصحيح بعض أسماء المواضع ، التي ورد كثير منها في النسخ الأخرى مصحّفاً محرفاً ، ومنه ما لم نتمكن من معرفة الصواب فيه ، فأبقيناه على علّاته .

وكان ممن ملك هذه النسخة عالم تركي له اطلاع واسع في الأدب العربي ، يدل على ذلك كثرة تعقيباته للمؤلف عندما يورد شعراً على غير وجهه ، والمؤلف كثيراً ما يعتمد على حفظه ، فيورد الشعر بعد أن تصرفت فيه ذاكرته . ومن ذلك ما علقه على إيراد المؤلف ص ١٢ - البيت :

والليالي - كما علمت - حبالي مثقلات يلدن كل عجيب

علق : (سياق البيت :

كن حمولاً إذا جفتك الليالي وصبوراً ، إذا أتتك مصيبه
فالليالي من الزمان حبالي مثقلات ، يلدن كل عجيبه

وله اشارات على بعض الكلمات التركية استفدنا منها يسيراً .

ورمز نسخة الفتوحات : (ف) .

هذه هي الأصول التي اتخذناها أساساً للنشر ، واعتمدنا عليها في تحقيق الكتاب . وسيراً على النهج الذي أملت إليه من عدم الحاجة إلى الحواشي والاكتفاء بابرار الكتاب بصورة هي أقرب ما تكون إلى صورته الأصلية - فإني أرى وجوب الإشارة إلى :

١ - أن المؤلف - رحمه الله - كان ينقل عن مؤلف تركي يجهل النطق بكثير من الأسماء العربية التي يجهلها المؤلف نفسه ، وهذا ما سبب وقوع تحريف في بعض الأسماء مثل (صعدة) فالمؤلف يكتبها (صعدا) و(صبيا) يكتبها (صبية) وهذا خطأ . ومن هذا القبيل اطلاق اسم القبيلة على الموضع ، وان كان شائعاً ، إلا أن المؤلف قد يخلط بينهما .

٢ - مع تمكن المؤلف من اللغة ، إلا أنه قد يرتكب اللحن أحياناً ، فيصرف من أسماء المواضع ما لا يجوز صرفه ، وقد يضطره التزام السجع إلى هذا وإلى ما سبق بيانه في الإشارة الأولى ، وقد يلحن في تصريف بعض الأفعال .

٣ - ذكر المؤلف - ص ١٨ ما هذا نصه : (ولهم - يعني البرتغال - شخص ماهر ، يقال له أحمد بن ماجد ، صاحبه كبير الفرنج ، وكان يقال له (الى مندي) وعاشره في السكر ، فعلمه الطريق في حال سكره) . اهـ

والمعروف أن قائد البرتغال يدعى : (فاسكو دي غاما) . وان (ملندي) هو اسم البلدة التي اجتمعا فيها . وهي بلدة لا تزال معروفة وعلى هذا ينبغي تصحيح عبارة المؤلف ، والفضل في التنبيه على هذا الخطأ يرجع للأخ الصديق الأستاذ محمد العبودي مساعد مدير الجامعة الإسلامية في المدينة .

٤ - الكلمات الأعجمية من تركية وفارسية ، مما يكثر وروده في هذا الكتاب ، يحتاج القارئ العربي إلى فهم مدلولاتها ، وهذا ما دعى إلى وضعها في جدول في مقدمة الكتاب ، ومحاولة ايضاح معانيها بالاستعانة ببعض

الاخوان الذين يحسنون اللغة التركية ، وبالرجوع الى بعض القواميس ،
وأضيف إليها بعض كلمات عامية استعملها المؤلف .

٥- وضع فهرس للموضوعات العامة لا يفي بالفرض ، ولا يكون مستوفياً
لكل ما في الكتاب من معلومات مثل استيفاء فهارس الأعلام ، وهذا ما
دعى الى وضع ثلاثة فهارس للأعلام (من أشخاص ومواضع وجماعات) أما
ما عدا ذلك من وضع فهارس للشعر ولأسماء الكتب - الخ - فالكتاب ليس
أصلاً قديماً ، أو مصدرأ من مصادر دراسات اللغة أو الأدب بحيث يقدم
للباحث جديداً فيها ، ووضع فهارس له من هذا القبيل قليل الجدوى .
وقد ضبطت أسماء المواضع ضبطاً يتفق مع ما في المؤلفات القديمة ، وأشير
في مواضع يسيرة الى طريقة نطقها الآن عند أهلها .



كلمات تحتاج إلى تفسير

<p>أوغلي : (بمعنى ابن فيقول قوُرت أوغلي سنان - أي قورت ابن سنان ، وقورت قد يكتبها : قورد - بالدال - ومعنى الكلمة: الذئب ، ولكنها في الكتاب علم لشخص)</p> <p>إيالة : (إيالة اليمن أو إيالة مصر : أكبر وحدة إدارية في العهد التركي ، وأصل الكلمة عربي)</p> <p>باشا : (لقب تعظيم بمعنى : رئيس)</p> <p>برشة : (جمع برشات : مركب بحري)</p> <p>بكلاربكية : (يقصد بها الولاية أو الامارة ، ويصرفها المؤلف كثيراً فيقول : بكلربكي : رئيس . بكلربكيون : أي رؤساء - بكلربكية : أي وظيفة الرئيس)</p>	<p>اسكمني : (جلس في صدر ديوانه على اسكلي ملبس بالسراسر ، وعلى يمينه وشماله اسكليات أخرى ص ١٤٢ - يقصد نوعاً من الكراسي الواسعة) .</p> <p>الأصباهية : (قسم الفرسان من الجند)</p> <p>الأصقال : (ج : صقالة : تعريب : إسكالا : المرفأ)</p> <p>الأغوات : (جمع آغا بمعنى سيد أو موظف كبير ، وقد يقصد بها : رئيس قسم من الجند مثل : جعل في هذا القصر دزداراً يحكم على نحو ال ٧٠ من العسكر ، وولى عليهم آغا - ص ٣٨٩)</p> <p>أمير آخور : (مدير اسطبل الخيل)</p> <p>أوطاق : وطاق : (الخيم ، والكلمة محرفة عن أوتاق)</p>
---	--

إلى بين العلمين غرقوه في البحر
(٢٧) وفي هامش (ف): الجلبة :
قايق بالتركي ، والقايق مركب
بحري صغير أي زورق)
جلي : (يضيف المؤلف الى كثير من
الأسماء كلمة جلي وهو لقب
تمظيم ، والجيم تنطق قريبة من
الشين)
الجوالي : (كاتب الجوالي : أي جابي
واردات أهل الذمة والغرباء)
الجوامك : (جمع جامكية : فرق
عليهم بعض الجوامك - ٤٤٧ -
يقصد العطايا والمرقيات)
حصارية : (في ص ٨١ : وضع في
القلعة حصارية يقصد جنداً
مرابطين فيها)
خاقان : (الخاقانية ، الخاقاني : ملك
وظيفة الملك ، الملكي)
خرگاه : (وله تخت يجلس عليه داخل
خيمته ، في خركاه عظيمة ص
١٤١ ، وعمل له ضيافة مختصرة
عنده داخل وطاقه ، في الخركاه
الذي يختص به ص ١٤٧ - يقصد
جناحاً خاصاً)
خزينة دارباشي : (رئيس الخزانة)

البلوكات : (الفِرَق من الجند
النظامي)
التختروان : (تعريب الكلمة : بساط
الريح ، والمؤلف يقصد نوعاً من
الأسرة يتحرك ، من نوع العربية)
تفكجي : (جندي من حملة البنادق)
جاشنكير : (أمر بتفريق ثلاثة في
البحر : كتخداه ، وكلارجيه ،
وجاشنكيره - ١٢٧ كتخداه :
وزيره ، وكلارجيه : مدير المخازن
جاشنكيره : أي المشرف على
شؤونه الخاصة)
جاوش - أو جاویش : (رتبة
عسكرية في الجيش التركي ، عربت
في عهد حديث بكلمة « شاوش »
أو شاویش ويجمعها المؤلف على
(جاویشية)
جبجي : (شفلوت جبجي - ٤٣٩ -)
جندي لابس درعاً)
الجهه خانه : (مستودع السلاح)
الجزية : (اللونبا طائفة من كجرات
كانوا يعطون الجزية - ص ١٦٩
المقصود هنا ضريبة سنوية)
الجلاب : (جمع جلبة . قال المؤلف :
(وأركبوه جلبة فلما وصلوا به

دفتر الروس وعليه خط قاضي
العسكر بجهات أناطولي : ان
جبله وذي سفال والقاعدة من
أعمال صنعاء ... فأخرج مراد
باشا له الدفتر الذي عليه مهر
عليه مهر السلطان الأعظم
فترجحت حجة مراد بالمهر
الأعظم ، يقصد دفترأ يعطى
الرؤساء والولاة يوضح فيه بيان
حدود الولاية وأسماء مدنها
وقراها)

الرهائن : (جمع رهينة : رجال
يقدمهم المغلوب للغالب ، يكونون
محبوسين عنده . كما في ص ٤٤٢ :
وشرط - قائد الترك - أن
يعطي محمد بن شمس الدين رهينة ،
اما ولده أو أخاه ، يكون مقره
صنعاء ، على عادة أهل تلك البلاد
من اخذ الرهائن اها . ولا تزال تلك
العادة باقية)

الرئيسا : (جمع ريس : ربان السفينة ،
وقائدها ، والمؤلف هنا - ٧١ -
٢٩٠ - يجاري العامة في قلب
الهمزة ياء والصواب : (الرؤساء)
الزردخانه : (تركوا أحمالاً كثيرة

الخندكار : (لقب السلطان)

الخواجا : (المعلم)

خوانين : (جمع خان ، أعلى ألقاب

التعظيم ، يطلق على السلطان)

دار باشي : (رئيس الديوان)

دار الضرب : (دار سك النقود)

دربند : (طريق ضيق بين جبلين)

دزدار : (حارس أو رئيس حراس

قلعة ، مثل قوله : جعل في

القصر نحو ٧٠ من العسكر وولى

عليهم آغا هو دزدار اولئك

الحفظة ، وكخددا ، على عادة

القلع -- ص ٣٨٩ -)

الدست : (كاتب الدست ، أي

السجلات الرسمية)

الدشيشة : (ارسل جرايات أمال

الحرمين ، ودشائشم - ٤٥٩ -

يقصد القمح الذي يرسل إلى تلك

الجهة ، فيعمل طعاماً للفقراء ،

يُجرش - يُدش - ويطبخ

ويفرق عليهم)

دفتردار : (رئيس موظفي الواردات

والخزينة في الولاية)

دفتر الروس : (وفي ص ١٦٦ :

استخرج رضوان صورة دفتر من

إدارية يحكمها شخص، وقد تطلق
على الشخص نفسه كما في سنجق
عدن مثلاً - ١٢٨/٨)

سيب : (خلعة سيب : فألبس سنان
الشريف خلعة سيب وخلعة
سراسر ، ص ٤٤٩ - يدل على
انها أعلى نوع من أنواع الخلع ،
وقد يقصد بها الدرع)

شاد : (شاد النظرون مثلاً ، أي
المتضمن لجباية خراجه)
شاه بندير جدة : (رئيس التجار كما
في ص ١٤٠)

الشفاليت : جمع شفلوت : (طائفة
من العرب ملفقين من كل قبيلة ،
يأكلون العلوقة السلطانية ،
ويخدمون العسكر ، سراً
وحضراً ، ويربون شعورهم ويسمى
الواحد منهم شفلوتاً - ص ٢٩٧)
شقدار : (حافظ شق المملكة
ص ٨٣)

الصوباشي : (في هامش (ف) :
صَو : ما هو بالصاد ، بل بالسين
إذا كان علماً بين الأروام - أ ه .
ويقصد بالكلمة في الأصل موظف
توزيع الماء ، إذ سَو : يقصد بها

من البارود والنفط والزردخانة
- ص ٢٦٢ - هنا مصنع آلات
الحرب)

الزرياف : (وصنوف السراسر
والديباج والزرياف - ص ٤٦٣ -
نوع من الأقمشة كما يفهم من
الكلام)

ساليانه : (ارسل اليه ما بقي في
القاهرة من الخزينة بعد استيعاب
ساليانته ، - ١٦٧ - يقصد المقرر
السنوي)

السراسر : (خلعة من السراسر العال
وفي ص ١٤٧ : اثواب من السراسر
بدون تفصيل مما يبين ان المقصود
نوع من الأقمشة)

سردار : (رئيس)
السكباج : (انظر الكلاج وهو يقصد
نوعاً من انواع الحلوى)

السمعة : (قبول آراء الطائفة
الاسماعيلية)

السناجق الخاقانية : (الألوية السلطانية
او رؤساء الألوية ص ١٥٨ وقد
يقصد بها رئيس حاملي الأسلحة ،
كما في ص ١٧٥ ، والعلم كما في ص
١٥٠ / ٩٢ ، وقد يقصد بها ناحية

غراب : (جمعه أغربة : وهو مركب بحري)

فداوي : (فدائي : جندي لا يتزيا بزي الجند)

قايحية الباب العالي : (حجاب ، الواحد قبوجي)

القبودان (القبطان) : كابتن : أي ربان السفينة ، أو قائد الاسطول البحري)

كاشف : (كشاف)

كتخدا : (وكيل ، وانظر كدخدا)

كُدُخْدَا : (الموظف الكبير ويقصد بها الوزير الأول في حكومة الولاية التي يحكمها باشا)

كخيا : (كخيصة : تؤدي معنى كتختا ، كدخدا ، ويجمعها على كواخي - ص ٤٦٢)

الكلاج : (الخراف المشوية والدجاج والمهلبية والمأمونة والسكباج والرشيديّة والشرابية والكلاج - ص ٤٥١ نوع من الحلوى)

كلارجية : (أمناء مستودعات المؤن واحدهم كلارجي)

كمخا : (أربع قدود كمخا غال ص ١٤٧ - نوع من القماش)

الماء . ثم اطلقت على من يقوم بأعمال الشرطة في المدن ، وقد يقصد بها رئيس المفرزة)

ضربزات : (نوع من المدافع يحشى بالبارود وتشمل فيها النار فترمي قذيفتها)

طغراء : (العلامة السلطانية التي توضع في أعلى الكتاب كما في ص ٤٢٣ ، وقد يقصد بها المرسوم السلطاني - كما جاء في ص ٨٦ : فكتب له طغراء سلطانياً وولاه زبيد) .

عثاني : (ويجمعه عثمانة ، نوع من النقد)

علوفة : (يجمعها : علوفات : مرتب شهري أو سنوي : ورتبنا علوفته في كل عام ستمائة الف عثماني ، ص ٤٢٥) .

علوفجية : (الأتباع ذوو الرواتب . قبل قوله : وبرز بمن قدر عليه من عسكر مصر ، ومن معه من الممالك والعلوفجية - ص ٣٩٢)

العواني : (بمعنى جندي أو موظف صغير)

النقاره زن : (يقصد رئيس الفرقة
الموسيقية العسكرية)

ناخوذا : (جمعه نواخذ . وفي هامش
« ف » : يريد بالنواخذ جمع
ناخوذاً، وهو لفظ فارسي معناه:
الملاح - ا هـ)

نوبتجية : (المناوبون للحراسة)
النوتية : (البحارة)

الوطاق : (يقصد به الخيم والأثاث
والمحطة)

هَدَّة : (استعملها المؤلف بمعنى
السماط)

اليرق : (اعطاه كل ما يحتاج اليه
من اليرق والآلات - ص ٣٩٤ -
اليرق هنا الأسلحة)

اليساقجية : (الجند الذين يراقبون
العسكر ، ويمنعونهم من مخالفة
الأنظمة ، أو التمدي على احد)

الكوركجية : (عمال السفن والكلمة
تودي معني الكنتاس)

الكوكلية : (طائفة من خاصة الجند)
كبخيا : (كبخيا : وكيل أعمال)
كبخية الجاويشية : (وكلاؤهم)

كيس رومي : (خمسون الف عثماني)
اللوند : (جند نصف نظامي يجند
محلياً)

محتسب : (أمير العسكر والمتكلم
عن الحروب)

المكاحل : (في هامش « ف » : مراده
بالمكاحل ما يعبر عنه بالتركي قنبره
- ا هـ - أي ما يعرف الآن باسم
القنابل)

نقيل : (كلمة يعبر بها في اليمن عن
العقبة فيقال نقيل سمارة ، نقيل
احمر وهكذا)



البرق اليماني
في الفتح العثماني

فِي سِيَرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الحمد لله الذي نصر الدين الحنيفي بصارم و سنان ، وقطع دابر أهل الفساد والبدعة بانتصار أهل الإيمان ، وخذل البغاة الذين خرجوا عن طاعة الله ، وطاعة رسوله ، وطاعة السلطان ، و مَنْ على أنصار دينه بالفتح والظفر على أهل الخروج والبغي والعصيان .

نحمده على نصرة الدين القيم ، ونشكره على اهانة البغاة الطغاة : (و مَنْ يَهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مَكْرَمٍ) .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحكم العدل القادر القاهر الديان ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليته ، القائل : « من شق عصا أمّتي فاقتلوه » كائناً من كان . وعلى آله الطيبين الطاهرين ، المبرّئين من الإلحاد والضلال المبين ، وعلى أصحابه المكرمين ، أنصار الدين المتين ، المؤيدين من عند الله بجنود الملائكة المسوّمين ، المنزل في حقهم : (نصر من الله وفتح قريب ، وبشر المؤمنين) .

أما بعد : فهذا كتاب لطيف ، وتاريخ منتخب ظريف ، جمعت فيه ما تجدد في عصرنا من فتوحات اليمن ، وما حدث فيه من الأهوال والفتن ، وتلهّب من نيران الحن والإحن ، مما خلت منه كتب التواريخ والأسفار .

وكان فن التاريخ علماً شريفاً فيه العظة والاعتبار ، والاطلاع على حوادث

الدهر الدوار ، واختلاف صوارف الليل والنهار ، ومعرفة أحوال بني النوع ، مما يوقظ الأذهان والأفكار ، ويزيد بصيرة أولي البصائر والأبصار ، ويقيس العاقل نفسه على من مضى من أمثاله في هذه الدار .

وقد قص الله تعالى لنا بعض أخبار الأمم السالفة في أم الكتاب ، فقال تعالى : (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب) وجاء من أحاديث سيد المرسلين ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين ، كثير من أخبار الأمم الماضية ، كحديثه عن بني اسرائيل و ما غيروه من التوراة والانجيل ، وغير ذلك من أخبار المعجم والعرب ، ما يقتضي لنا منه العجب .

وقد قال الامام الشافعي رضي الله عنه : من علم التاريخ زاد عقله .
ولقد قيل :

إذا عرف الانسان اخبار من مضى توهمته قد عاش من أول الدهر
وتحسبه قد عاش آخر عمره الى الحشر، ان أبقى الجميل من الذكر
فكن عالما أخبار من عاش وانقضى وكن ذانوالٍ، واعتتم أطول العمر

ولا يخفى ان قطر اليمن قطر عظيم ، وإقليم واسع من أحسن الأقاليم ، وفضلها وبركتها على كثير من الامصار ، مقرر عند علماء الأخبار والآثار ، وقد ورد في ذلك من الأحاديث ما صح عند النظار ، وجمع في ذلك أهل الحديث عدة رسائل واسطار ، فمنهم الامام محمد بن عبد الحميد بن عبد الله ابن خلف القرشي المصري ، جمع « أربعين حديثاً في فضل اليمن » .

ومنهم الامام الحافظ محمد بن اسمعيل بن أبي الصيف اليماني^(١) الف كتاباً في فضل اليمن وأهله .

ومنهم الحسين بن محمد اليماني من أهل صنعا ، قاضيا وعالمها ، له كتاب حافل في هذا المعنى ، وغيرهم من مؤرخي اليمن ، ذكروا في صدور كتبهم

(١) توفي سنة ٦٠٩ واسم كتابه : « اليمون في فضائل أهل اليمن » - كشف الظنون .

أحاديث كثيرة زادت شرفاً وحسناً . وقد روى الامام الحافظ أبو عبد الله محمد بن اسمعيل البخاري رضي الله عنه في صحيحه عن النبي ﷺ « انه قال : « اتاكم أهل اليمن الذين قلوباً ، وأرق افئدة ، الفقه يمان والحكمة يمانية » .

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابي مسعود البديري رضي الله عنه قال : أشار النبي ﷺ بيده نحو اليمن وقال : « الا إن الإيمان ههنا » . وفي صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ « انه قال : « جاء أهل اليمن هم أرق افئدة ، الإيمان يمان ، والفقه يمان ، والحكمة يمانية » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : بينا النبي ﷺ ، بالمدينة إذ قال : « الله أكبر جاء نصر الله وجاء الفتح ، وجاء أهل اليمن نقية قلوبهم ، لينة طاعتهم ، الإيمان يمان والفقه والحكمة يمانية » أخرجه بن حبان في صحيحه .

ولو تتبعنا ما ورد في هذا الكتاب أو في هذا الباب ، لأدى الى الإسهاب والإطناب ، وملت منه الطباع وان طاب ، فعدلت عن ذلك الاكثار ، وملت الى الاقتصاد والاختصار ، وذكرت فتوحات اليمن بسيف (آل عثمان) خلد الله تعالى ملكهم الى انتهاء الزمان ، مما خلت عنه كتب التواريخ الى هذا الأوان ، وشرعت من أول القرن العاشر ، وتتبعت أفواه الرجال ، وصدور الدفاتر ، وجمعت من ذلك ما يكون نزهة للخاطر ، وقررة للناظر ، ووشحة بلطائف من الأشعار والنوادر ، وحليته بجواهر من عقود الحكيم الزواهر ،

وألحقت به في الخاتمة فتح (تونس) و (حلق الواد) (١) مختصراً بطرق الاستطراد ، حيث لم أطلع على تفاصيل ذلك لبعده البلاد .

وسميته « البرق الياني ، في الفتح العثماني » .

وخدمت به سدة سلطان سلاطين الزمان ، وخاقان خواقين العصر

(١) حلق الواد : مدينة في تونس ، على ساحل البحر ، لا تزال معروفة .

والأوان ، وخليفة الله الأعظم على أفراد بني الانسان ، ثالث العميرين ، صرامة وحزماً من ملوك آل عثمان ، ظل الله الممدود على كافة أهل الايمان ، وسيفه المسلول بيد القهر على أهل البغي والعدوان ، مدمر الملاحدة بكل غضب صارم وسنان ، قاتل الكفرة والمبتدعة وسائر حزب الشيطان ، القائم بفرض الجهاد لإعلاء كلمة الله تعالى ، وإذلال أهل العصيان ، ذى المغازي التي تليت آيات نصرها في المحافل والمشاهد ، وتسند العوالي حديثها منه عن مقاتل ومجاهد ، لم يكتحل عين الزمان بروية من يوازنه أو يوازيه ، ولم تنظر أحداق النجوم مع كثرة دورانها حول السماء والأرض إلى من يساويه أو يساميه ،^(١) صاحب الامامة العظمى والسلطان الباهر ، وارث الخلافة الكبرى كابرأ عن كابر ، متوج رؤوس المنابر والدفاتر ، بذكره الكريم الفاخر ، مرغم انوف الفراغنة والجبابرة ، كاسر تيجان الأكاسرة ، قاصر قصور القياصرة ، هازم جنود البغاة وجيوشها ، وهادم حصون الطفاة فهي خاوية على عروشها ، ملك البرين ، والبحرين ، والعرب والعجم ، والروم والترك ، والعراقيين ، والشرق والغرب ، واليمن والحبشة والخافقين ، خادم الحرمين المحرمين الشريفين ، عامر البلدين المكرمين المنيفين ، السلطان الأعظم ، والليث الغشمشم ، والبحر الغمطم ، واسطة عقد ملوك بني عثمان ، السلطان مراد ، بن السلطان سليم ، بن خان بن سليمان خان ، خلد الله تعالى أيام خلافته ، ما تعاقبت الشهور والسنون ، وأجرى أحكام سلطته في أكناف أطراف الربع المسكون ، وجعل الملك كلمة باقية فيه وفي بنيه الى يوم يبعثون .

وهذا دعاء لا يُرد لأنه يُزان به كل الورى والماليك
نراه بلا شك أجيب لأننا إذا ما دعونا أمنته الملائك

(١) لولا الأمانة العملية ، لكان من الأحسن حذف هذه الأوصاف ، التي تجاوزت الحد ، وبلغت من الغلو درجة قبيحة ، فضلاً عما تضمنته من الباطل .

وانا في إهداء هذا الكتاب وان لم تكتحل بنظره عين الزمان ، كمهدي الدر إلى عُمان ، والزهر إلى النعمان ، والقطر الى السحاب الهتان ، فبابه الكريم العالي سوق يروج فيه ما كسد من بضائع الفضلاء ، ويرغب فيه إلى كل من يجلب اليه متاعاً من متاجر العلماء النبلاء ، فقصة الاعرابي وإهداؤه قربة ماء إلى خليفة الزمان [وإهداء رجل جرادة إلى حضرة سليمان] ، معلوم عند كبراء أهل الشأن ، وكرماء بني نوع الانسان ، والغرض هو التعلق بجبال الآمال ، والتوسل إلى التوصل إلى فائض الاحسان والإفضال ، وتهنئته بالسلطنة الشريفة ، وجلوسه على اليخت الشريف ، في أشرف ساعات السعد والاقبال ، والالتجاء من جور الدهر الظلوم ^(١) إلى معدلة هذا الظل الظليل ، الممدود الظلال ، فأكرم به سلطاناً كان بلباس الكرم والتقوى ولياً ، وهي على العالم من غيث إحسانه وسمياً وولياً ، واتخذ طوق العدل في لبته حلياً ، وألبس الدنيا جمالاً ، ومنح أهلها منى وآمالاً ، فأصبح الدين منبسطاً ، والبخت مجلول مقدمه الشريف مفتبلاً ، فالسيف والقلم يجريان إلى قهره ورضائه ، والبأس والحلم يمضيان بمضائه ، فلو استجار به أحد من الدهر ^(٢) لماه ، أو جاوره كليب ما طرق حماه ، أو استنجد به امرؤ القيس ما كسا ، قيصر ما كساه ، ولو دعى الطود الأثم الى طاعته لأجاب ، أو أشار إلى

(١) في (ف) و (س) زيادة هذا نصها :

[فلقد أناخ بكلكله على خدام العلوم ، وطحنهم طحن الجائر الفشوم ، سيما جيران بيت الله الحرام ، وجيران نبيه سيد الأنام ، عليه أفضل الصلاة والسلام ، فقد تواتر عليهم منذ سنوات المحل الشديد ، الى أن ذهب الطارف والتليد ، وشاب من هوله اليافع والوليد ، ثم انتمشوا بعض الانتماش ، ورجعت لهم أرواحهم بعد الاقتماش ، بوصول حضرة الوزير المعظم] .
يعني « سنان باشا » وقد ساق الثناء الذي اسبغه على الوزير (محمد باشا) فاستعمله في النسخ الاولى من هذا الكتاب في حق « سنان » وفي هذه النسخة في حق « محمد باشا » .

(٢) : المهير من الدهر هو الله سبحانه ، وهذا مخلوق ضعيف (لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعا) فضلاً عن دفع الضرر عن غيره : وكلام المؤلف في مدح السلطان ووزيره ، من الغلو ، الذي نهى عنه الرسول (ص) ومن الاطراء بالباطل .

للليل البهيم لانجاب ، مع عفاف حتى عن الطيف ، وتقوى فاق بها المحرمين
في (الخيف) وعدل أزال به كل شطط وحيف .

كيف لا وقد اسعده الله بوزيره الأعظم ، ومشيره الأكرم الافخم ، الجواد
الذي لم ينحن الهلال إلا ليكون نعلا لحافر جواده ، ولا مدت الثريا كفها
الخضيب الا للتمسك بذيل كرمه وامداده ، ولا طلع البدر المنير الا ليكسب
منه كالا ، ويستر نقصانا ، ولا دارت حول الأفق اعين النجوم الا لترى وجهه
الكريم وتعاينه عيانا ، ولا سل الصبح سيفه الا قال : الله أكبر على أعدائه ،
ولا احمر الشفق في الخافقين الا حرمة لحرمة خافق لوائه^(١) ، ولا امطرت السحب
الا بكاء من خشية جلاله ، ولا اصفرت البروق الا خجلا من لمعان سيوفه
ونصاله ، ولا تحلت الخناصر بالخواتم الا لانها تعقد عليه ، ولا تكحلت
العيون بسواد النور الباصر الا للتشرف بالنظر اليه ، ولا فتحت الدوي
افواها الا لتنطق بمدحه باللسنة الاقلام ، ولا حبر الحبر بياض الطروس
بسواد السطور الا ليشير بأن الليالي والأيام له من جملة الخدام ، غرة جبين الإيالة
والوزارة العظمى ، درة اكليل العظمة في المقام الاسمى ، ليث عرين الوطيس
بأسا وجاشا ، حضرة الوزير الأعظم (محمد باشا) أنعش الله به البلاد والعباد
انعاشا ، وفرش به بساط البسيطة بالأمن والعدل فراشا ، فلقد أنام الأنام في
ظل الأمن والأمان ، وبسط لسكان البسيطة بساط العدل والاحسان ، وشمل
باحسانه طوائف بني الانسان ، سيما فقراء (الحرميين الشريفين) وفقهاء هذين
البلدين المنيفين ، فإنه صيرهم خواص عبيد إحسانه ، واتخذهم عسكر الدعاء
بدوام سلطانه ، فإن عسكر الدعاء أنفع وأنجع من عسكر القتال ، وسهامهم
أشد نفوذاً من نصال النبال ، تنفذ من المسافات التي هي أبعد مما بين الغرب والشرق ،

(١) أبقينا هذه النعوت التي تجارزت الحدود ، لسبيين أولها : محافظة على الأمانة العلمية ،
التي تقضي بعدم التصرف بالنصوص القديمة ، وبأثار المتقدمين ، أيا كانت . وثانيها : لأن من أهم
أهداف المؤرخ إبراز صورة كاملة للعصر الذي يؤرخه ، ولا يتم هذا بالتصرف بما أثر عن
المتقدمين ، أيا كان ، ومهما بلغ من مجافاته لمألوف العصر ، ومخالفته لأحوال أهله .

وأسرع في إهلاك العدو أسرع من وميض البرق ، فالله تعالى يديم علينا وعلى الإسلام ظلال السلطان الأكبر ، بتدبير هذا الوزير الأعظم الأفخر ، ويطيل عمرهما في السعادة إلى مدى لا يُعَدُّ ولا يُحَصَّر .

وهذا دعاءٌ قد أُجيب ، وإنما يريد به داعيه إظهارَ إخلاص

وقد آن أن نشرع في المقصود ، ونستعين بعون الملك المعبود .

وقد رقت هذا الكتاب على مقدمةٍ وثلاثة أبواب وخاتمة .

المقدمة في سبب تأليف هذا الكتاب .

الباب الأول : في ذكر ملك اليمن ، من أول القرن العاشر ، إلى زمن الفتح الخاقاني الباهر .. وفيه ثلاثة عشر فصلاً .

الباب الثاني : في ابتداء الفتح العثماني ، واستيلاء الملك السلجوقي ، ببلاد اليمن الأقصى والداني ، وفيه سبعة وثلاثون فصلاً .

الباب الثالث : في الفتح الثاني ، وعود الممالك اليمنية إلى سلك ملك الدر النظيم العثماني ، وهو المقصود بالذات من تأليف هذه المباني ، وترصيف درر هذه الكلمات منتظمة في سلك جواهر المعاني ، وفيه ستون فصلاً .

الخاتمة : في عود حضرة الوزير إلى إيالة مصر ، ثم إلى الباب العالي ووزيراً ، ثم توجهه إلى فتح (تونس) و (حلق الواد) وأخذ سفائن النصارى ، وعوده إلى الباب الشريف مظفراً منصوراً ، وفيها خمسة فصول .

المقدمة في سبب تأليف هذا الكتاب

اعلم ان الجراكسة أخذوا مملكة اليمن من عامر بن عبد الوهاب آخر ملوك بني طاهر .

ثم انقضت (الجراكسة) ، فاستولى على اليمن طائفة من (اللوند) كما سيأتي تفصيله ، وكانت الخطبة والسكة في أيام (اللوند) باسم المرحوم المقدس السلطان سليمان خان ، عليه الرحمة والرضوان ، الى أن توجه المرحوم الخادم سليمان باشا إلى (الهند) فاستخلص مملكة اليمن من (اللوند) واستصفاها باسم المرحوم المقدس السلطان سليمان خان ، في سنة ست وأربعين وتسعمائة ، واستمرت من جملة الممالك المحروسة العثمانية الى أن اختل أمر اليمن عند وفاة المرحوم المقدس رحمه الله تعالى ، فأظهر العصيان مطهر بن شرف الدين ، علي الحسيني ، الذي ادعى أبوه الإمامة ، فأرسل المرحوم الأقدس السلطان سليم خان ، بوأه الله رياض الجنان ، لافتتاح ممالك اليمن ، وزيره الأعظم ، ومشيره الأفخم ، مدبر أمور جمهور الأمم ، فاتح ممالك اليمن ، من أقصى كوكبان الى بندر عدن ، دافع آثار الجور والفتن ، قالع مآثر الظلم والإحس ، من أقاليم (سيف بن ذي يزن) رافع أعلام السنة والهدى ، كاسر رايات البدعة والردى ، الذي لم يحد بمثله الدور ، ولم يحد مثله أهل العصر ، المحسن الى جيران بيت الله الحرام ، وإلى جيران نبيه محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، معدن اللطف والكرم والجود ، رحمة الله الشاملة لأفراد الوجود ، الوزير المعظم ، حضرة

سنان باشا المكرم ، دام الزمان به مسعودا ، والنصر والظفر به مشهودا ،
وظل سعادته ممدودا ، وبجر مواهبه مورودا .

لا بدّل الله حالاً قد حباه بها ما دار بين (النحاة) العطف والبدل

ولما توجه بعسكره المنصور إلى المملكة اليمنية ، ومَرَّ بهذه البلدة الشريفة
العلية ، (مكة المشرفة) زادها الله تعالى شرفاً وتعظيماً ، اجتمعت بخدمته ،
فأحسن إليّ بوافر نعمته ، وأحسن إلى جميع أهل الحرم الشريف ، جيران
بيت الله المنيف ، وطلب منهم الدعاء ، واستجلبهم بلطيف الاستدعاء ،
فدعوا بنصره وتأييده ، وإصابته وتسديده ، فتقبل الله دعاهم ، واستجاب
ضراعتهم ومُنّاهم ، ففتح الله تعالى البلاد لحضرة الوزير ، ونصره ويسر له
مراده أحسن تيسير ، فعاد من أرض اليمن إلى بلد الله الحرام ، ورزقه الله
تعالى حجة الإسلام ، فلازمته في زمن الحج ، وقضيت معه مناسك العَجِّج
والثَّج ، وغمرني بلطفه وكرمه ، وقلدني بأطواق بره ونعمه ، وشرف معاطفي
بخلع التشريف ، وأتممني بكل نادرة لطيفة وكل خبر لطيف ، وساق إليّ
أخبار هذا الفتح العظيم ، وما منحه الله تعالى من الفضل العظيم ، والخير
الجسيم ، وشرح ما لاقاه هو والعساكر المنصورة من التعب الشديد ، والألم
الآليم ، وأمرني أن أرقم تلك الأخبار ، وأودع صدور الصحف عجائب تلك
المآثر والآثار ، لتكون عبرة لأولى الأبصار ، وتذكرة لمن تذكر من أهل
الاعتبار ، وتبصرة يتبصر بها حذاق أهل الاستبصار ، وتطليح بها على ما
ظهر من غبّيات الليل والنهار ، لتكون قياساً لما يتولد من حركات دوران
الفلك الدوار ، من عجائب تحار فيها الأفكار ، وغرائب تقف دونها
أنظار النظار .

والليالي كما علمت حبالى مثقلات يلدن كلّ عجيب

وأعطاني حضرة الوزير المشار اليه ، أعلا الله تعالى مرتبة لديه ، نسخة

من تاريخ فتح اليمن ، منظومة باللسان التركي ، للمرحوم المبرور ، مصطفى بك الرموزي ، أمير اللواء السلطاني ، و (دفتردار) ممالك اليمن ، تغمده الله تعالى برحمته ، وأسكنه فسيح جنته ، لأستضيء به في الاطلاع على بعض أحوال تلك البقاع ، وهو تاريخ في أعلى درجات اللطافة ، ليس له نظير في الكياسة والظرافة ، أناف على الحسن غاية الإنافة ، غير انه لما كان منظوماً لم يتمكن ناظمه من أداء المعنى بالتام ، ولو بلغ حد الإعجاز في حسن اداء الكلام ، على اني انتفعت به كثيراً في الأخبار ، وعولت عليه فيما ثبتت صحته عند نقلة الأخبار ، وجمعت في حدائق هذه الأوراق ، ثمرات تتنزه بها الخواطر والأحداق ، بإنشاء عربي بليغ ، يدركه أهل الأدواق ، وسجع سهل ممتع ألدّ من سجع ذوات الأطواق ، وكنت قد افتتحته بقصيدة طنانة ، سارت بها الركبان ، تتسابق ألفاظها ومعانيها الى الآذان والأذهان ، يُعَمَدُ كل بيت منها بديوان ، وتسحب كل كلمة منها أذيال البلاغة على (سحبان) :

لك الحمد يا مولاي في السر والجهر
 كذا فليكن فتح البلاد إذا سمعت
 جنودٌ رمّت في (كوكبان) خيامها
 تجرّ من الأبطال كل غضنفر
 عساكر سلطان الزمان مليكننا
 حمى حوزة الدين الحنيفي بالقنا
 له في سرير الملك أصل مؤثّل
 ملوكٌ تساموا للعلى وخلصانف
 شمسٌ بفيض النور تمحو غياهباً
 هم ملأوا عين الزمان وقلبه
 هم العقد من أعلى اللآلي منظماً
 (شهذشاه) سلطان الملوك جميعهم
 عمادٌ يلودّ المسلمون بظله
 على عزة الاسلام والفتح والنصر
 له الهمم العليا إلى شرف الذكر
 وآخرها ب (النيل) من شاطئ مصر
 بصارمه يسطو على مفرق الدهر
 خليفة هذا العصر ، في البر والبحر
 وبيض المواضي ، والمثقف السمر
 تلقاه عن أسلافه السادة الغر
 أولو العزم في أزمانهم ، وأولو الأمر
 من الكفر ، منهم يستمد ضيا البدر
 فقرت عيون العالمين من البشر
 وسلطاننا في الملك واسطة الدر
 (سليم) كريم أصله طيب النجر
 وسدّ منيع للأنام عن الكفر

وحين أتاه أن قد اختلَّ جانب
 وساقَ لها جيشاً خيساً عرمرماً
 لهم أسدٌ شاكي السلاح عرينه
 وزيرٌ عظيمُ الشأن ، ثاقبُ رأيه
 يقوم بأعباء الوزارة قومة
 أيادي له بالبأس كاسرة العدى
 به أمّن الله البلاد ، وطمّن
 (سنان) عزيزُ القدر، يوسفُ عصره
 قدلى إلى أقصى البلاد يجيشه
 وشتت شمل الملحمين وردم
 وقطع روساً من كبار رؤوسهم
 وكان (عصا موسى) تلقفُ كلما
 ولا زال فيهم عاملُ الرمح عاملاً
 وما (يَمَنُ) إلا ممالكُ (تبع)
 وقد ملكتها (آل عثمان) إذ مضت
 فهل يطمع (الزيدي) في ملك (تبع)
 تسمى (أمير المؤمنين) سفاهة
 وكان كذي رجلين رجلٍ صحيحة
 أبى الله والإسلامُ والسيفُ والقنا

من (اليمن) الأقصى، أصر على القهر
 تدكُّه فجاج الأرض في السهل والوعر
 طوالُ الرماح السمهرية والبشر
 يجهز في آنٍ، جيوشاً من الفكر
 تشدُّ جيوشَ الدين بالأيدِ والأزر
 ولكنها بالجدود جابرة الكسر
 وطمّن العباد، وأضحى الدينُ منشرح الصدر
 ألم تره في (مصر) أحكامه تجري!؟
 ومهد ملكاً قد تمزق بالشر
 مثال قرود في الجبال من الذعر
 لهم باطنُ السرحان والطير، كالقبر
 بدا من صنيع الملحمين، من السحر
 ولا برحوا بالذل في القتل والأسر
 وناهيك من ملكٍ قديم، ومن فخر
 (بنو طاهر) أهلُ الشهامة والذكر
 فياخذُه من (آل عثمان) بالمكر!؟
 وكاد يسوس الناس بالكذب والفدر
 وأخرى رمى فيها الزمانة بالكسر
 وسرُّ (أمير المؤمنين أبي بكر) !

الباب الأول

في ذكر مَنْ ملك اليمن من أول القرن
العاشر، إلى زمن الفتح الخاقاني الباهر،
وفيه ثلاثة عشر فصلاً •

الفصل الاول

في دولة السلطان عامر بن عبد الوهاب ، آخر ملوك
العرب في اليمن ، رحمه الله تعالى

إعلم ان سلطنة ممالك اليمن ، أعلاها وأسفلها ، وجبالها وتهايمها انتهت
في رأس القرن العاشر ، إلى السلطان عامر بن عبد الوهاب بن داود بن
طاهر ، بن مُعْرُوضَة الأموي ، ولقبه الملك الظافر ، صلاح الدين ، وهو
آخر ملوك بني طاهر .

وابتداء ملكهم من سنة تسع وخمسين وثمانماية ، أخذوا مملكة اليمن من
بني رسول الغساني ، وولي السلطان عامر بعد وفاة عمه المنصور ، في سنة
أربع وتسعين وثمانماية ، واستمر سلطاناً مطاعاً ، نافذ الأمر ، في أقطار
اليمن كلها ؛ إلى انتهاء دولته ، تسعاً وعشرين سنة ، وكان كثير المال والسلاح ،
والخيل والخزائن ، شديد الالتفات إلى العلماء ، وإلى جمع الكتب العلمية ،
شافعيًا سُنيًا قُرشيًا عَبْشِمِيًا ، لم يكن فيه ما يُرمى به غير التعرض
للأوقاف ، في آخر عمره ، وكان سبباً لزوال ملكه .

قال الفقيه الأجل ، الحافظ المحدث ، المؤرخ الشيخ وجيه الدين عبد
الرحمن بن الدِّيْبَع رحمه الله تعالى ، في تاريخه « الفضل المزيد في تاريخ أهل
زبيد » ما نصه : (كان الملك الظافر رحمه الله تعالى على جانب عظيم ، من
الدين والتقوى ، نشأ في طاعة الله تعالى لم تُعلم له صبوة ، وكان

ملازماً للتلاوة والأذكار ، كثير الصدقات ، له مآثر عظيمة ، من مساجد ومدارس ، وخيرات ومبرات ، وله مشاهد من الحروب معدودة محمودة ، ولم يكن فيه خصلة يُذم بها سوى تعرضه للأوقاف ، في معارضة الفقهاء ، وأظن ذلك هو الذي كان سبباً لزوال دولته ، وذهاب ما في يديه ، وأنا ناصح والنصيحة هي الدين لكل من ولي أمراً من أمور المسلمين ، من الملوك والسلاطين ، وسائر المتصرفين ، أن لا يتعرضوا للوقف وأهله ، فما سمعت بأحد اشتغل به وبأهله ، وتعرض من أول الأمر للكلام فيه ، إلا تغيرت أحواله ، وتعثرت أذياله ، وتشتت باله ، وهظم وباله ، وانعكست آماله ، ووتر أهله وماله ، (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تُصيبهم فتنة أو يُصيبهم عذاب أليم) انتهى باختصار (١) .

وأُنشد لنفسه في هذا المعنى :

يا صاحبي لا تكلم في الوقف أولى وأصلح
فإننا ما رأينا شخصاً تولاه أفلح



(١) « الفضل المزيد » ذيل كتاب « بغية المستفيد » وكلاما لابن الدَّيْبَع - مخطوطان - .

الفصل الثاني

في ذكر انتقال الدولة باليمن من بني طاهر ، الى
الأمير حسين من الجراكسة

وقع في أول القرن العاشر ، من الحوادث الفوادح النوادر ، دخول
(الفرقتال) (١) اللعين ، من طائفة الفرنج الملاعين ، إلى ديار (الهند) ،
وكانت طائفة منهم يركبون من زقاق سبتة في البحر ويلجئون في الظلمات ،
ويمرون بموضع قريب من (جبال القُمر) بضم القاف وسكون الميم جمع
أقمر ، أي أبيض ، وهي مادة أصل بحر النيل ، ويصلون إلى المشرق ،
ويمرون بموضع قريب من الساحل ، في مضيق ، أحد جانبيه جبل ،
والجانب الثاني بحر الظلمات ، في مكان كثير الأمواج ، لا تستقر به
سفائنهم ، وتتكسر ، ولا ينجو منهم أحد ، واستمروا على ذلك مدة ، وهم
يهلكون في ذلك المكان ، ولا يخلص من طائفتهم أحد إلى بحر الهند ، إلى
أن خلاص منهم (غُرَابٌ) (٢) إلى الهند ، فلا زالوا يتوصلون إلى معرفة هذا
البحر ، إلى أن دلهم شخص ماهر ، يقال له (أحمد بن ماجد) (٣) صاحبه

(١) يقصد ؛ البرتغال ، ويعبر عنهم المؤلف باسم (الفرنج) .

(٢) الغُرَاب ؛ هنا نوع من السفن ، وسيتكرر ذكره كثيراً ، ويجمعة المؤلف على (أغربة) .

(٣) هو الريان النجدي المعروف ، وقد طبعت بعض مؤلفاته في وصف البحار وذكر ممالكها .

طبعتها مستشرقون فرنسيون وروس .

كبير (الفرنج) وكان يقال له (الى ملندي) وعاشره في السكر ، فعله الطريق في حال سكره ، وقال لهم : لا تقربوا الساحل من ذلك المكان ، وتوغلوا في البحر ثم عودوا ، فلا تنالكم الأمواج ، فلما فعلوا ذلك صار يسلم من الكسر كثير من مراكبهم ، فكثروا في بحر الهند ، وبنوا في (كوه) من بلاد (الدكن) قلعة يسمونها (كوتا) ثم أخذوا (هرموز) وتقوّوا هنالك ، وصارت الأمداد تترادف عليهم من البرتغال ، فصاروا يقطعون الطريق على المسلمين أسراً ونهباً ، ويأخذون كل سفينة غصبا ، إلى أن كثر ضررهم على المسلمين ، وعم أذاهم على المسافرين ، فأرسل السلطان مظفر شاه ، بن محمود شاه ، بن محمد شاه بن أحمد شاه ، سلطان كجرات يومئذ ، الى السلطان الأشرف قانصوه الغوري ، يستعين به على الفرنج ، ويطلب العدد والآلات والمدافع ، لدفع ضرر الفرنج عن المسلمين ، ولم يكن أهل الهند إذ ذاك يعرفون المدافع والمكاحل والبندقيات يومئذ ، ومن ارسل الى السلطان الغوري يطلب منه النجدة على الفرنج : السلطان عامر بن عبد الوهاب ، لكثرة ضرر الفرنج بالمسلمين ، في بحر اليمن وبنادرها ، وتواتر أذاهم ، وضعف جنود المسلمين في بحر اليمن ، بتلك الديار عن مقاومتهم ، لعدم معرفتهم بحرب البحر ، واستعمال المدافع ، ونحو ذلك ، فجهز السلطان (قانصوه) من كبار مقدميه الأمير (حسين الكردي) وأصحابه طائفة كبيرة من اللوئند كبيرهم سليمان الريس وحجز لهم عمارة عظيمة وأغربة نحو الخمسين بمدافع كبيرة ، (وضر بنات) وولاه نيابة جدّة ، وعظم شأنه ، وكان مقداما شجاعا فاتكا ، كثير الظلم ، شديد السياسة ، فأول ما جاء ببنى على جدّة سوراً محيطاً بها ، في عام سبع عشر وتسعمائة ، حمل فيها التجار التراب والأحجار وهدم ما أراد من بيوت المسلمين ، وغصبها وأدخلها في البناء ، ووضع بعض التجار في وسط البناء ، لينبي عليه ، فخلص نفسه بمال كبير ، بعد الشفاعة فيه ، وإنما بنى ذلك السور صوتاً للبندر عن متخطفة العربان ، فإن تلك الأيام كان الخلاف بين ذوي محمد قائماً ، وما خلع للمرحوم الشريف بركات خلوصاً كلياً ، بل كان يعجز عن دفع العربان ، إذ ذاك ، إلى أن قوي ، وآتاه الله الملك والحكم ، وجعل الملك فيه وفي ذويه .

ولما فرغ الأمير حسين من بناء سور جده توجه بأغربته إلى الهند ،
ودخل (الديو) واجتمع بالسلطان (مظفر شاه) وحصل له منه إمداد كبير ،
غير أن الفرنج ارتفعوا إلى (كوه) وما أمكن الأمير حسين أن يستمر في
(الهند) ، فعاد من غير عمل ، فوصل إلى (بندر كمران) (١) ومعه
العدد والآلات ، وكثير من عسكر (اللوند) ومنهم الأمير (سلطان الرئيس)
وكان فاتكا شجاعاً ، ذا معرفة بالحروب ، خصوصاً بالمدافع والبنادق .

فأرسل الأمير حسين إلى السلطان عامر ، يطلب منه الميرة والاعانة ،
مُدلاً عليه بما سبق له من المكاتبات إلى السلطان (الغوري) في طلب النجدة
منه ، فلما وصل إليه رسول الأمير حسين ، بهدية كبيرة إلى عامر ، أراد
عامر أن يُمدّه بما أراد من الميرة وغيره ، فمنعه من ذلك وزيره ، وقال :
(إذا أعطيتهم شيئاً يصير عادة عليك ، تطالب بها كل عام) . وكلام الشح
مطاع ، والبخل والامسك مركزوزان في الطباع ، فاستصوب رأيه ، وكَم من
كلمة 'شح' تخرب الديار ، وتؤول إلى الخسائر والدمار ، فأرسل السلطان
عامر ، إلى الأمير حسين جواباً غير لائق ، ولم يرسل إليه شيئاً ، ومنع
الميرة من (كمران) فتشاحت النفوس لذلك .

وأراد الأمير حسين إنكاء السلطان عامر ، وإخراجه داره ودياره ،
فحدثه نفسه بأخذ اليمن وحسن له ذلك من حوله من الجنود (واللوند)
وشرع في أسباب ذلك .

ومن قوي جأشه على ذلك أهل الجبال ، من طائفة (الزيدية) فانهم
كانوا في ضيق وضنك عظيم ، مع عامر بن عبد الوهاب ، لفتكه بهم ، وقتله
في كل وقت لهم ولأكابرهم ، فرأوا ذلك فرصة ، فنزلوا إليه ، وطلبوا منه
مائتي رجل من (اللوند) وهم يقومون بجوامكهم ونفقاتهم ، ويركبونهم
الخيال .

(١) كمران ؛ جزيرة معروفة بين عدن وجزيرة فرسان ، قرب الساحل الشرقي .

وورد اليه صاحب (جازان) يومئذ وهو السيد الشريف عز الدين بن أحمد بن دُرَيْب مع كثرة اختصاصه بعامر بن عبد الوهاب ، وقوالى الاحسان اليه ، فلم يَرْعَ له حرمة ، ولم يراقب فيه إلا ولا ذمة .

ووفد إلى الأمير حسين أيضاً صاحب (اللُّحَيَّة) الفقيه (أبو بكر بن مقبول) وقال له : نحن نفتح لكم الطريق ، من (بندر اللحية) . وقابل الأمير حسين ، ووعدته بأن يكون دليله في الطرقات ، وأمدّه بالميرة والمعونات ، ولبس خلعتة ، وتقدم أمامه .

وكان أهل اليمن لا يعرفون (البندقيات) ولا (المدافع) بحيث ان الترك في أول حربيهم مع عسكر اليمن ، رموا بمدفع في جمع كبير من عسكر عامر ، يفوقون الألوف ، فراعهم ذلك ، وخافوا منه ، وانهمزوا ، وأخذوا الحجر معهم الى (زبيد) يتفرجون عليه ، ويفرّجون الناس عليه ، ويتعجبون منه ، ويستعظمون أمره .

فوقع بين الترك ، وعامر بن عبد الوهاب عدة حروب ، وهو ينكسر فيها ، كلها ، الى أن اخذ الأمير حسين (زبيداً) ودخلها بعسكر كبير من الترك واللوند والمغارية والمصريين والشاميين ومعهم أمير سلمان الرومي ومن انضاف اليهم من الزيديين وأهل جازان ، وذلك بعد حرب كبير ، وكان دخوله إلى (زبيد) ضحى يوم الجمعة ، تاسع عشر شهر جمادى الأولى ، سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة ، ومدّت العساكر يدها إلى النهب والغارة ، وحلّ بالمسلمين من ذلك بلاء عظيم .

وهرب عامر وأخوه عبد الملك ، وولده عبد الوهاب ، وقد مات تحت كل واحد منهم عدة أفراس ، وأبلوا بلاء عظيماً ، وقاتلوا فلم يساعدهم المقدور ، وانهمزوا جميعاً إلى (تعيز) ، ومن أمرائه يومئذ علي بن محمد النظاري ، وحسام الدين عيسى الحَجْرِي ، وطائفة .

فلما هربوا ، واستولى الأمير حسين على (زبيد) صادر أهلها بعد نهبها ، وأمر (عوانيتاً) عنده يقال له (طوغان) فكتب بيوت أهل (زبيد) ،

وأسماء أهلها ، وأخذ منهم أموالاً عظيمة ، وأقام بزبيد سبعة وعشرين يوماً ، وهو يصادرهم ، ويجمع منهم الأموال ، إلى أن أضعفهم .

ثم خرج يوم الخميس سابع عشر جمادى الآخرة إلى الساحل ، وأقام عشرة أيام ، وسار هو وسلمان الرئيس^١ في الأغرية إلى (عدن) ، لأخذها ، وولوا بدر الدين الحَجَبِي على تعشير النخل بزبيد ، فظلم وغشم ، وأخذ منهم الاموال ، وأذاقهم شديد النكال .

وتولى في زبيد من مماليكه الأمير (برسباي) .

وعضده الشريف عز الدين صاحب (جازان) فمهد البلاد ، وضبط العسكر الباقي بزبيد ، وأقام إلى ثاني عشر شهر شعبان سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة ، ثم خيم خارج زبيد عند (باب الشبَّارِق) وخرج صحبته بالمدافع الكبار والصغار ، وأقام هناك خمسة أيام ، يجمع العساكر .

ثم سار إلى مدينة (حَيْس)^(١) وضرب خيامه فيها ، ثم سار ومن معه إلى (مَوْزَع) فصالحه صاحب (موزع) الأمير عبد الله بن سلامة ، على مال دفعه إليه ، لئلا ينهب البلاد ، ولا يتعرض لأحد ، فدخل البلاد ، وقد تسلم المال ، فنقض العهد ، ونهب بيت الأمير المذكور ، وكانت فيه ودائع أهل البلد .

ثم رجع إلى (زبيد) فدخلها يوم الأحد ثامن شهر رمضان سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة .



(١) حَيْس : بلدة في تهامة ، مشهورة . جنوب زبيد .

الفصل الثالث

فيما وقع للأمير حسين ، وفي انقضاء دولة الجرا كسة

أما الأمير حسين فإنه توجه مع الرئيس سلمان في اثنين وعشرين (غراباً) و (فليونتين) الى بندر عدن وبها يومئذ الأمير مرجان العامري ، فوصلوا في ثالث عشر شهر رجب سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة .

وكانت عدن معمورة ، ترد اليها السفائن من بنادر الهند ، وبها التجار الكبار ، والأموال الجزيلة ، فصادف الامير حسين آخر موسم الهند ، وقد سافرت السفائن ، ورأوا قلاعهم وهي مسافرة ، فوجه اليهم سلمان أغربة ، فأخذ مركباً منها ، كان لعامر بن عبد الوهاب ، فاستولى سلمان عليه ، ووضع فيه (ناخوذا) و (كرانيا) من قبله ، وجهاز إلى (كنجرات ^(١)) وأرسل فيه مكاتبات الى السلطان (مظفر شاه) يذكر فيها أن الأمير حسين أخذ اليمن ، وملكها ، وانه عائد بعد ذلك إلى الهند ، لأخذ (البرتقال) اللعين ، واجتمع عسكر الأمير حسين تحت حصن (صبير ^(٢)) ورموه بالمدافع ، ورموا أكثر دُورِهِ ، ولم يقدرُوا على أخذه ، ولا على أخذ عدن ، وخرج أهل عدن ، ووقعت مقتلة كبيرة ، جرح فيها سلمان ثلاث

(١) كجرات : إقليم من أشهر أقاليم الهند .

(٢) صبير : من أشهر حصون اليمن ، ولا يزال معروفاً .

جراحات ، ثم وقعت حروب أخرى ، وكان الحرب بينهم سجالا ، فوصل من (تَعِز) أخو عامر عبد الملك بن عبد الوهاب ، بمسكروه ، ودخل عدن ، فأيس العسكر المصري من أخذ عدن ، فأخذوا ما وجدوا حول عدن من المراكب ، وركبوا سفائنهم .

وعادوا في يوم السبت ، حادي عشر شهر رجب سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة ، وتوجهوا بما معهم من مال أهل اليمن والمنهوب ، الى (جُدَّة) المعمورة ، واستمر حاكماً في (جُدَّة) لا يد على يده ، ولا معارض له فيما يفعل ، وكان لا يخلو كل يوم من شتى ، أو توسط ، أو شنكله ، أو نوع من أنواع السياسة ، وكلما نزل مكاناً يوضع له فيه المشنقة ، ومحل الشنكلة وآلاتها ، فيقع في يده من شاء الله من المظلومين ، فيتلفه بأذنى سبب ، وانقضت في هذه الأثناء دولة الجراكسة .

ودخل إلى مصر السلطان الأعظم ، مولى ملوك العرب والعجم ، السلطان سليم خان ، بن بايزيد خان ، تقمده الله تعالى بالرحمة والرضوان ، في أول محرم الحرام سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وقد انهزمت الجراكسة قبل ذلك في (مرج دابق) وفقد السلطان الغوري تحت سنابك الخيل ، واجتمع بقية السيوف منهم بمصر على (طومان باي) وانكسروا في (الريدانية) خارج مصر ، وهرب طومان باي ، ثم مسك ، فأمر السلطان سليم بشنقه على (باب زويلة) وانتهت به دولة الجراكسة ، وذلك ابتداء الفتح الحاقاني ، وأولك الملك العثماني ، بمملكة العرب ، أدامها الله تعالى .

وكان مولانا المرحوم المقدس السيد بركات رحمه الله تعالى ، أرسل ولده سيدنا ومولانا الشريف (أبا نُصَيْر) نصره الله تعالى ، لتقبيل بساط السلطنة وسننه إفذاك ثلاث عشرة سنة ، فقوبل من (الخندكار) (١) الأعظم بالتبجيل والاكرام ، وتيمن بطلمة شريف مكة ، وفرح بوضوله إلى ركابه

(١) الخندكار (الخندكار) : السلطان .

العلي ، وأمر له بكتابة الأحكام السلطانية على حسب المراد ، فشرفاء مكة
 في بركة تلك الأحكام إلى الآن ، وكتب معه حكماً سلطانياً ، بقتل الأمير حسين
 الكردي ، أمير (جدة) ورجع مولانا السيد الشريف (أبو نُمي) مجبوراً
 مسروراً إلى مكة ، وزينت لقدمه البلاد ، وفرح الناس لانقضاء دولة
 الجراكسة ، لكثرة ظلمهم ، وتعديهم على الشرع الشريف ، وتركهم
 العمل بآية المواريث ، واستيلائهم على التركات ، وحرمان الأولاد فضلاً عن
 البنات والمصبات ، ولذلك أخذهم الله تعالى ، فقد حكى لي والذي
 رحمه الله تعالى عن شخص مجاب للدعوة ، من أولياء الله تعالى ، أنه رأى
 بمصر جركسياً أخذ من دلال متاعاً ، بدون قيمته ، فلم يرض الدلال
 بذلك ، وقال له : بيني وبينك شرع الله تعالى ، فضربه بالدبوس
 إلى أن أدمى رأسه وشجها ، قال الرجل : فدعوت الله تعالى على
 ذلك الجركسي ، وكنت أشاهد أمثال ذلك قبل هذه القضية ،
 خصوصاً في أمر المواريث ، فلإنهم كانوا لا يورثون أحداً ، وانتهى حالهم
 بالتدريج إلى أن صاروا يستولون على أموال الميت جميعه ، ويجرمون أولاد
 الصلب ، فضلاً عن غير الأولاد من الورثة ، قال : فبت على طهارة ، مفكراً
 في أمرهم ، داعياً إلى الله تعالى بزوال دولتهم ، وولاية من يرفق بالمسلمين
 عليهم ، وأخذني النوم ، فرأيت في النوم ملكاً نزل من السماء ، وبيده
 مِكنسةً وهو يكفس الجراكسة ، ويلقيهم إلى بحر النيل ، فعلمت أن
 دولتهم قد انقضت ، فما مضى لي تكميل عام ، إلا وشاهدت (أوطلق)
 السلطان سليم على جنب النيل ، وعسكره يأتونه بالأسارى من الجراكسة ،
 فيأمر بضرب أعناقهم ، إلى أن صارت رؤوسهم كالأكوام الكبيرة ، وهم
 يلقون جثثهم في بحر النيل ، لثلا يعفن الهواء بها فيحصل الوباء ، ثم يتبعونها
 بلقاء رؤوسهم أيضاً في البحر ، يدحرجونها ، وفي ذلك عبرة لمن اعتبر ،
 وموعظة يزدجر بها العاقل أيّ مزدجر ، ويقال : ان المرحوم السلطان
 سليم خان ، سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان ، أرسل إلى الغوري

مصحفاً لم يكتب فيه آية المواريث ، تعريضاً بأنه يحى حكم المواريث في مملكته ، وهذا الأمر لم يشتد الا في سلطنة الفوري ، ثم تزايد في آخر أيامه ، عند انقراض دولته ، فكان سبباً لزوال ملكه ، فليحذر سلاطين الاسلام من ذلك ، فإنه الموت الزوأم ، ويواظبوا على تأييد شرع محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، فمن أيد الشرع الشريف ، وبسط العدل على القوي والضعيف ، ومنع المظالم ، وكف عن المظلوم يد الظالم ، وعمل بكتاب الله وسنة رسوله ، دام ملكه ، وانتظم فيما بين الملوك سلكه ، فإن العدل إن دام عمره ، والظلم إذا قام خرب ودمر ، والملك يدوم مع الكفر ، ولا يدوم مع الظلم .

ولما ورد مولانا السيد الشريف (أبو نَمِيٍّ) ومعه السيد عَرَّار بن عِجَل بن عرار النموي الى مكة المشرفة راجعاً من لثم ركاب السلطنة الشريفة السليمية العثمانية بمصر ، بالأحكام الشريفة السلطانية ، ومعها الخلع السلطانية ، لمولانا الشريف (بركات) رحمه الله تعالى قرئت المراسم الشريفة بالحطيم باستقرار مولانا السيد بركات على الحرمين الشريفين ، والاقطار الحجازية ، ويندر جدة المعمورة ، مفوضاً اليه جميع أمورها من الولايات ، والعزل ، وغير ذلك ، بالعرض الى الأبواب السلطانية ، ولبس السيد الشريف الخلعة السلطانية ، وطاف بها البيت الشريف ، ودعا له الرئيس على زمزم وتوجه الى (دار السعادة) والفقهاء حوله ، وهنأه الناس بالولاية الجديدة والخلعة السعيدة ، وخطب الخطيب على المنبر ، باسم السلطان الأعظم سليم خان ، وقرت العيون ، وزالت الغبون ، ثم جلس السيد عرار في (مقام الحنفي) وطلب الأمير حسين ، ليرى الأحكام السلطانية ، فجاء حاسراً ذليلاً ، بعد ذلك التيه والعظمة بحيث حكى لي من رآه لما دخل الحرم الشريف ، لم يجد من يقدم له (تاسومة) قال فحنّ خاطري عليه ، وقدمت له (تاسومتي) فلبسها فلما وصل إلى السيد عرار لم يقم له ، وقال له : ورد حكم السلطان نصره الله تعالى ، ان يجهزك إلى مصر . فقال : السمع والطاعة

فرسم عليه بعض العبيد، وكان في ترسيمهم، الى أن نزلوا به إلى جدة وأركبوه
جلبة، فلما وصلوا به الى بين (العليين) غرقوه في البحر هناك واكلته
الحيتان، ومزق أديمه الحدثان، وتسحب خدامه وذووه، وذهبوا بدداً
(ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احداً) ولم يبق للجراكسة أثر
بمكة، وهرب من نجا منهم الى (اليمن)، ولحقوا بالأمير (برسباي) في
(زبيد) فاجتمعوا هناك، وصارت لهم شوكة وظلموا الناس، وقهروهم،
وجمعوا الأموال، وتقووا بطوائف (الزيدية) وبصاحب (جازان) وجمعوا
الجموع لمحاربة السلطان عامر بن عبد الوهاب وذويه، والملك بيد الله يؤتبه
من يشاء، والله على كل شيء قدير .



الفصل الرابع

في ذكر برسبائي وما وقع له واستشهاد عامر

لما عاد الأمير حسين من عدن ، إلى جدة ، وأقام برسبائي نائباً في زبيد ، استفحل أمر برسبائي ، وقويت شوكته ولحقته بقية السيوف ، ممن هرب إلى اليمن من الجراكسة ، وقوى برسبائي فتلبع عامراً وذويه ، واخذ في أهبة الحرب والقتال ، ليستصفي جميع المملكة لنفسه ، وقدر الله جارٍ على عباده وقضاه نافذ في أرضه وبلادته ، فتحرك عامر وأولاده وأخوه عبد الملك فجمعوا العساكر ، وحصنوا البلاد ، واجتمعوا في تعز فخرج الأمير برسبائي بمن معه من الترك واللوند والمغاربة ومن وافقهم من طائفة الزيدية ، وصاحب جازان وقبائله ، فتوجهوا إلى تعز لمحاربة عامر وذويه ، وكان وصولهم إلى مدينة تعز صباح يوم الجمعة ، سادس شهر صفر ، سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ، فلما ترأى الجمعان أحس السلطان عامر بالقدر من بعض جماعته ، واتهمهم بذلك ، فولى من غير حرب ولا قتال ، إلى جهة إرب وجبلة ، ودخل برسبائي بمن معه إلى (تعز) واستباحوا الرعية ، قتلوا ونهبوا ، وصادروا التجار والمتسبين ، إلى أن استصفوها ، ثم استناب الأمير برسبائي في تعز وأعمالها الأمير (آقباي) وخرج بمن معه من العسكر إلى جهة المقرانة ، وهي قلعة حصينة ، فيها خزائن عامر بن عبد الوهاب ، وذخائره وأمواله ، فعارضهم عامر ، وسبق إلى المقرانة ، وأخذ معه ما خف حمله من الجواهر ،

وترك الباقي ، وأحرق ما يمكن إحراقه ، بحيث يقال : لما أحرقوا الفوط المقصبة بقصب الذهب ، سال الذهب منها كالسواقي ، وصارت سبائك ، فتركوها، وتركوا ما لا يمكن إحراقه ولا حمله، وفرّ هو ومن معه إلى إِبّ وجبله وأراد أن يتحصن عامر في حصن حَبّ فسبّقه إلى الحصن الأمير شمس الدين محمد النضاري ، وتحصن فيه ، ومنح عامر منه ، واستمر حصن حب بيده ، وبهد أولاده من ذلك العهد إلى أن أخذه محمود باشا بعد ذلك من علي بن عبد الرحمن بن محمد النضاري ، في سنة سبعين وتسعمائة ، بعد حصار كبير كما سيأتي بيانه ، وإنما أخذه غدرًا ، فكما غدر جدّه بعامر ، غدرَ بأولاده من بعده . والدنيا هكذا قرضُ بوفاء ، وسيأتي شرح ذلك مفصلاً إن شاء الله تعالى ، والسعيد من تيقظ ، والعاقل من وعظَ بغيره فاتمظ .

ولما وصل برسباي إلى (المقرانة) استباحها ، وأخذ أموالها ، وكل ما وجده بها ، وكانت جملة مستكثرة ، وظفر برسباي أيضاً بجماعة كانت عندهم ودائع لعامر بن عبد الوهاب ، فخذها منهم ، وتوجه إلى قتال (بني عمار) طائفة كبيرة ، شجعان أصحاب خيل ورجل ، وأقام على المقرانة نائباً عنه الأمير اسكندر مملوك الأمير حسين ، وخرج إلى بلاد بني عمار بمن معه من العسكر ، فلم ينل منهم شيئاً ، وقاتلوه قتالاً شديداً ، وقتل جماعة كثيرة من عسكره ، وكثير من أشرف جازان ، الذين ناصروه ، ورجع عنهم القهقري وجمع الجموع وتوجه لأخذ صنعاء؛ فلما سمع عامر بن عبد الوهاب بانتهزامه من بني عمار ، استخفه الفرح ، وطمع في قتاله ، وتوجه بمن معه من العسكر يحث سيرا حثيثاً خلفه ، فلما علوا بوصوله قصدوه قبل أن يحط الأحمال ، وكان عامر وعسكره منذ ثلاثة أيام ، يطردون الخيل خلف عدوهم ، وهم في غاية التعب ، وكانت وقعة عظيمة ، فاستشهد فيها الملك الظافر صلاح الدين عامر ابن عبد الوهاب ، وأخوه عبد الملك ، وأكثر من معه من الامراء ، وتشتت الباقون ، وأسروا أولاده . وبذلك انقرضت دولته ، وانتهى ملكه ، وذلك في يوم الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ،

وكان ملكاً شها فاضلا ، يميل الى العدل ، ويكره الجور ، ويرى إكرام العلماء ، ويحسن اليهم ، ويقتني الكتب الكثيرة ، ويشترها ، وتهدي اليه ، وتجلب له من الأقطار الشاسعة .

وقد وفد اليه جماعة من العلماء أكرمهم وأحسن اليهم ، منهم شيخنا آخر العلماء المحققين ، مولانا علاء الدين محمد الكرمانى النقشبندى ، وألف باسمه رسالة في التعبير ، وقدمها اليه ، وأنعم عليه فيها بألف دينار ذهباً ، غير ما أجرى عليه من النفقة الى حين ذهابه من عنده ، وأكرم نزله وأغدق عليه ، وهو من أجلاء تلامذة مولانا علي القوشجى ، وعاد من عنده الى مكة وجاور بها الى أن توفي بها سنة تسع وعشرين وتسعمائة .

أدرسته وأخذت عنه ، وكان شيخاً مقعداً بصيراً نورانياً ، له مكاشفات رحمه الله تعالى ، وله تربة في المعلاة معروفة تزار ، يستجاب الدعاء عندها^(١) ، وله تصانيف في الهيئة والكلام والتصوف ، وغير ذلك رحمه الله تعالى بحيث حكى لي بعض مشائخي ان السلطان محمد خان رحمه الله تعالى ، التمس من مولانا علي القوشجى ان يعمل له زيحاً فقال له : ان هذا الأمر يحتاج الى مهرة من علماء الفلك ، يساعدوني في عمله ، اعلم من عرفته الآن من تلاميذى ، مولانا علاء الدين الكرمانى ، وقد ترك العلوم الرسمية ، واشتغل بالتصوف ، وكتب كتاباً في (مقابلة المثوي) وجاور بمكة ، منقطعاً الى الله تعالى ، ولا يمكن مجيئه الينا لمساعدتنا بعمل الزيج ، فأعرض السلطان محمد خان رحمه الله تعالى عن ذلك .

ولما انقرضت دولة عامر بن عبد الوهاب أسف الناس على فقده ، ورثاه جماعة من العلماء ، فمن ذلك قول عالم اليمن ومسندها ، ومحدثها ، الشيخ وجيه الدين عبد الرحمن بن الديبع بفتح الدال المهملة فالياء المثناة التحتية

(١) الدعاء عند القبور بدعة منكورة ، فاليت بجاجة الى من يدعو له ، ودعاؤه شريك أكبر .

الساكنة فالباء الموحدة المفتوحة آخرها عين مهملة ومعناه بلغة السودان :
الأبيض .

رحمه الله تعالى ، فانه كان غرس نعمته ، وربيب دولته ، فقال :

أخلاقِي ضاع الدين من بعد عامر وبعد أخيه أعدل الناس في الناس
فقدُ فُقدَاً والله والله اننا من الأمن والسلوان في غاية الياس

وله أيضاً :

تحطّم من رُكن الصلاح مشيدُهُ وقوَضَ من بُنيانه كلُّ عامر
فما من صلاح فيه بعد صلاحه ولا عامرٌ والله من بعدِ عامر

وفيه مراثٍ كثيرة واستمر يُرثى بعد تطاول زمان وفاته أيضاً ، بحيث
اني سمعت بعد سنة أربعين وتسماية وأهل اليمن ينعمونه بمراثي ، جعلوا لها
طرائق يفتنون بها ، وقد ترجمه الحافظ السخاوي في « ضوئه » وأثنى عليه ،
وترجمه الحافظ الديبع في آخر كتاب « الفضل المزيدي في تاريخ زبيد » وفي
تاريخه « بغية المستفيد » بأخبار مدينة زبيد ، وأثنى عليه كثيراً رحمه الله
تعالى وسقى عهده .



الفصل الخامس

في قتل الأمير برسباي وولاية الأمير اسكندر الجركسي

لما استشهد عامر بن عبد الوهاب ، وصفت المملكة للترك ، كان من أكبر الجراكسة إذ ذاك الأمير برسباي ، مملوك الأمير حسين ، وبعده الأمير اسكندر ويسمى المخضرم ، وبعده رومي من (اللوند) أهل البحر ، يقال له الأمير رمضان الرومي ، أما الأمير اسكندر المخضرم الجركسي ، فإنه استقر في (المقرانة) وتبع ما بقي من أموال عامر بن عبد الوهاب ، فظفر بالفقيه عمر الجبرتي ، أحد خواص عامر ، فدله على مال عظيم لعامر ، مدفون تحت الأرض ، فاستخرجه ، فقسم بعضه على عسكره ، وتقوى به ، وسيأتي بقية أخباره قريباً .

وأما الأمير برسباي فاستمر بمن معه إلى صنعاء ، وكان فيها الأمير علي بن محمد البعداني ، نائباً عن عامر في صنعاء وجهاتها ، وأعمالها وكان متأثلاً ، صاحب جنود وخزائن ، فدخل برسباي وعسكره إلى صنعاء واستولوا على أهلها وقتلوا ونهبوا وأمسكوا الأمير علي البعداني ، واستصفوا أمواله وذخائره وعذبوه بأنواع العذاب ، واستخلصوا جميع ما معه ثم قتلوه ، واستمروا شهرين في صنعاء ، وهم يصادرون أهلها ، ويظلمونهم ، إلى أن جمعوا ما لا يحصى من الأموال والذخائر ثم قصد الأمير برسباي الرجوع إلى زبيد فجعل

في صنعاء رتبة نحو المئتين من العسكر وامر عليهم اميرا، وتوجه يجمع ما حازه من الخزائن، مما نهبه وحصله من صنعاء من الأحوال والأموال والنفائس والذخائر واللؤلؤ والنقد بحيث حمل ثمانية آلاف بعير لخاصته ، غير الذي مع كل واحد من عسكره فساروا على طريق (نجارة) فلما توسطوا المضيق خرج عليهم جموع بني حبيش وغيرهم من العربان واخذوهم على غزاة وقتلوا منهم أبطالهم وشجعانهم وقتلوا برسباي ومن معه من خواصه ، ونهبوا جميع تلك الأموال ، ففرقت أيدي سبا ، وذهبت شذر ومذر ، والله عاقبة الامور ، وهرب بقية السيوف منهم مكسورين منهوبين ، فهلك منهم من هلك ، ووصل الباقيون الى مدينة زبيد ، في الليلة التاسعة والعشرين من جمادى الآخرة ، سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ، وولوا عليهم (اسكندر الجركسي) .

وأما الامير رمضان ومن معه من طائفة (اللوند) للأروام فأظهروا الدولة الرومية ، وتزيا هو ومن معه بزبي الاروام ، واستمر الامير اسكندر والياً على زبيد وحواليها ، بمن بقي معه من العسكر ، وتزيا أيضاً بزبي الاروام ، وبهذا يسمونه الخضوم ، فانه لحق دولة الجراكسة وأول دولة اللوند من الاروام ، وورد اليه حكم من قبل السلطان سليم خان ، بأن يكون والياً على بلاد اليمن ، أرسله اليه نائب مصر ، من قبل السلطان سليم خان ، إذ ذاك ، وهو ملك الامراء (خير بك) فأطاع وامتثل ، وزاد في اظهار الشعار العثماني ، وصارت الخطبة باسم السلطان الاعظم ، سليم خان ، غير أن أمراء اللوند كانوا يذكرون امراءهم في الخطبة ، بعد ذكر السلطان ، واستمر اسكندر ثلاثة أعوام على ذلك ، إلى أن ورد الامير حسين الثاني الرومي نائب جدة .

الفصل السادس

في ذكر توجه الأمير حسين الرومي نائب جدة
الى اليمن ، وعوده الى جدة

كان الأمير حسين هذا رجلاً فاضلاً كاملاً من أمراء السناجق ، الذين وردوا مع المرحوم السلطان سايخ خان ، إلى مصر ، وكانت له وجاهة عند ملك الأمراء خير بك بمصر ، فولاه سنجقاً يجدة ، بعد وفاة الأمير قاسم الشرواني ، أول أمراء الأروام يجدة ، فلما ورد اليها رأي في جدة عدة مراكب وأغربة ومدافع ومكاحل ، وآلات القتال ، الذي أرسلها السلطان الغوري ، مع حسين الكردي ، ووصلت الى الهند ، ثم الى اليمن ، ثم عادت إلى جدة ، وصارت مودعة في الفرضة السلطانية ، في جدة ، ووجد بها (زردخانه) كاملة من آلات الحرب والبارود ، وسمع أن اليمن خالية ، فطمع في أخذ اليمن ، فأرسل الى مصر يستأذن ملك الامراء (خير بك) في ذلك فأذن له ، فاستعد لذلك وتوجه إلى اليمن في سنة ست وعشرين وتسعمائة ، فلما وصل إلى اليمن صادف وصوله خبر وفاة المرحوم السلطان سليم خان ، سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان ، وخبر ولاية المرحوم السلطان سليمان خان ، اسكنه الله تعالى فراديس الجنان ، فأراد الأمير اسكندر قتاله ، وتهيأ لذلك ، ولم يوافق على استيلاء الأمير حسين على البلاد ، وكان الأمير حسين رجلاً عاقلاً ، رأى اختباط الملك في ذلك الوقت ، واراقة الدماء ، فرجع الى جدة من غير قتال .

الفصل السابع

في ذكر قتل الأمير اسكندر المخضرم ، وولاية كمال بك
الرومي ، وقتله ، وتولية اسكندر بك القرماني

كان كمال بك هذا (ينكجريا) من عسكر المرحوم السلطان سليم ، ماشياً
قدامه مع العسكر ، عند دخوله الى مصر وفتحها ، فلما توجه سلمان
الريثس الى اليمن ، توجه معه في جملة (اللوند) ، وترقى أمره هناك إلى أن
صار أميراً مهيباً ، فاتكأ ، مشاراً إليه ، فتقدم إلى الأمير اسكندر في
الديوان ، فأظهر أنه يريد أن يستأذنه ، فاختم به وقطع رأسه ، وأظهر أنه
خان السلطنة ، وأنه لم يطع الامير حسين ، الذي ورد من قبل السلطان
سليمان ، والياً على اليمن ، وان الامير حسين أمره بهذا الفعل ، لما سبق منه
من عدم الإطاعة ، وكان ذلك في سنة سبع وعشرين وتسعمائة ، وولي هو
موضعه ، واستولى على أمواله وخزائنه ، وخطب باسم السلطان سليمان خان ،
وضبط زبید ونواحيها ، واستمر في (تعيز) ونواحيها الامير رمضان بن
معه من معسكر ، هكذا ، الى سنة ثلاثين وتسعمائة ، وبني مدرسة سماها
(الكمالية) في زبید .

ذكر قتل الأمير كمال ، وولاية اسكندر القرماني

كان باليمن طائفة من اللوند ، أهل شوكة وقوة ، أرادوا الاستبداد بالملك ، والاستيلاء عليها ، فجاؤا الى كمال بك في زبيد فقتلوه ، وولوا عليهم واحداً منهم اسمه اسكندر بك القرماني ، وقتل طائفة منهم أمير (تَعَزِز) ، يومئذ رمضان بك ، وولوا مكانه (دلو علي بك الطويل) ، وذلك في شهر صفر سنة ثلاثين وتسعمائة ، وكانت الخطبة باسم السلطان سليمان ، ويذكرون بعده اسكندر بك القرماني ، وصارت البلاد مُخَبَّطَةً غاية التخبيط ، وأهل زبيد في قهر وذل ، ومصادرة ، مع هذه الأمراء ، والعربان مستولية على البر ، والطرق منقطعة ، لا يسلكها أحد إلا بخفير منهم .

الفصل الثامن

في ذكر عصيان أحمد باشا بمصر ، وتَسَحُّبِ سلمان الرئيس خوفاً ،
ووصوله الى مكة ، وتوجهه هو والامير حسين الرومي ثانياً من جدة
ومعه سلمان الرئيس الى اليمن

كان حصل في مصر اختباط بسبب عصيان احمد باشا على السلطنة، وسبب ذلك ان السلطان سليمان لما ولي السلطنة ، قدّم للوزارة العظمى مملوكه ابراهيم باشا ، وكان أحمد باشا مملوك السلطان سليم والده مقدماً عليه في المرتبة ، وكان شهماً شجاعاً مهيّباً ، ذا نفس أبيّة ، فأبى من تقدم إبراهيم باشا عليه ، وجلس فوقه ، في صدر الديوان ، مقام ابراهيم باشا ، وكان يُدِلُّ إِدْلالاً عظيماً على حضرة السلطان ، فدخل عليه ، وشكى أحمد باشا ؛ فأمره السلطان أن يوليه مصر ، وأن يتوجه اليها لضبطها وحفظها ، ويخلو الدست لابراهيم باشا ؛ فتوجه أحمد باشا الى مصر . فبعد توجهه ، أعمل إبراهيم باشا الحيلة في قتل احمد باشا ، وكتب أحكاماً سلطانية إلى الأمراء المحافظين بمصر ، أن يجتمعوا عند أحمد باشا ، ويقطعوا رأسه ، ويرسلوها إلى الباب العالي ، ويضبطوا البلاد إلى أن يرد عليهم باشا جديد ، فلما وصلت الاحكام مع (جاويش) الى الاسكندرية ، وكان واليها مملوكاً لأحمد باشا ، أحب الاطلاع على ما معه من المكاتبات ، فأضافه ، وأحضر له الشراب ، وأسكره هو وجميع من معه من

أتباعه ، فلما غلب عليهم السكر ، ففش حوائجه ، وأخذ الأحكام ، واطلع على ما فيها ، وأرسلها الى استاذه أحمد باشا الى مصر ، فلما اطلع أحمد باشا على ما في الأحكام ، أرسل إلى الأمراء الذين أمروا بقتله ، أحضرهم كلهم عنده ، وأمر بقتلهم ، فقتلوا ، وعصى ، وأظهر شعار السلطنة ، وضرب السكة ، وخطب باسم نفسه ، وقتل من قدر عليه من مماليك السلطان ، واستبد بالأمر ، وصادر التجار واليهود ، وجمع الأموال والخزائن ، وأخذ قلعة مصر ، بعد حرب كبير مع من كان بها من (الينكجيرية) ، ثم انه نزل إلى الحمام ، وكان يرصده طوائف من غرض السلطنة الشريفة ، ومنهم جانم بك الحزاري ، والأمير محمد بك ، فاجتمعا ، وأحاطا بالحمام ، ورفعوا (سنجقاً) ونادوا : من أطاع السلطان سليمان فليقف تحت هذا السنجق ، فوقف تحته كثير من العسكر ، ووصل الخبر اليه في الحمام ان العسكر السلطاني أحاط به ، وكان حلق نصف رأسه ، فهرب الى سطح الحمام ، ثم منه إلى سطح آخر ، ثم نزل الى الأرض ، وأدركه بعض مماليكه بفرس ، فخرج إلى البر ، ووصل الى شيخ العرب ، عبد الدائم بن بقر ، مستجيراً به ، وتقوى العسكر السلطاني ، ونهبوا خزائنه وأمواله ، وساقوا خلفه برّاً وبحراً ، واحاطوا بابن بقر ، وهددوه ، فأقام به ، فأمسكوه ، وقطعوا رأسه ، وطافوا بها مصر ، وأرسلوها الى الأعتاب السلطانية ، وكانوا قد هياؤا عسكرياً يجهزونه الى مصر ، فاكتفوا عن ذلك (وكفى الله المؤمنين القتال) وكان ذلك في سنة ثلاثين وتسعمائة .

وألطف ما سمعت في تاريخ قتله بيتاً بالفارسية :

كشت شد جونكه او بنامردى كشت تاريخ قتل (او قتلت)^(١)

وكان سلمان الريس في مصر ، في ابتداء هذه الفتنة ، فلما أحس بها تسحب الى مكة ، وحسن للامير حسين الرومي نائب جدة العود الى اليمن والاستيلاء

(١) . كلمة (او قتلت) هي التاريخ وتساوي بحساب الجمل [او = ٧ - ق = ١٠٠ - ت = ٤٠٠ - ل = ٣٠ - ت = ٤٠٠ = المجموع : ٩٣٧ هـ

عليها ، وكانت العدة موفورة بجدة ، فلفقا عسكرياً ، واستعدا ، وتوجها الى اليمن ، وهذا ثاني دخول اليمن للامير حسين الرومي ، ولسلمان الرئيس .

وكانت الفرنج تكمن في جبل (كمران)^(١) ويتخطفون المسلمين من السواحل وينهبون ما يقدرون على نهبه ، فلما وصل سلمان الرئيس دفع ضررهم ، وقتل منهم جماعة ، وأسر جماعة ، ونظف ساحل اليمن منهم ، وأرسل الى اسكندر بك القرماني ، يطلب منه الطاعة ، فأبى العسكري من ذلك ، وكان في خاطره الميل بالخفية الى سلمان ، والامير حسين ، غير ان العسكري ما مكنوه من ذلك ، فوافقهم ظاهراً ، وأرسل بالخفية الى الامير سلمان ، والى الامير حسين بالموافقة ، فأرسل سلمان الى طائفة (يافع) و (المهرة) يستعين بهم على الترك الذين في (زبيد) فأتوا إليه واستخدمهم ، وصاروا جنده ، وأرسل الى السيد عز الدين صاحب (جازان) يستعين به ايضاً ، وكان بينها محبة ومودة سالفة من ايام حسين الكردي ، فأتى اليه بخيله ورجله وسلاحه وخرج الترك الذين في زبيد لقتال سلمان فتوجه اليهم واقام الامير حسين الرومي لحفظ الأغرابة ، والبرشات ، وما فيها من العدد ، ومعه جانب من العسكري ، واجتمع سلمان مع من وصل اليه من يافع والمهرة بجرأ ، والسيد عز الدين صاحب جازان برأ من قرية المراوعة ، وخرج الامير اسكندر القرماني لمحاربة سلمان ، ومعه جميع ترك زبيد ، ووقع بينهم حرب كبير ، فانهزم اسكندر القرماني ومن معه ودخلوا الى زبيد ، وغلقوا ابوابها ، فأحاط سلمان بزبيد ، واراد احراق ابوابها ، والدخول عليهم ، فطلبوا منه الأمان ، فأمنهم ، ودخل الى زبيد ، ووقف أمير جازان عز الدين ابن دريب خارج زبيد ، وامسك اسكندر القرماني ونفاه ، ووقع بين سلمان والامير عز الدين صاحب (جازان) مخالفة ووقع بينهما حرب كبير ، قتل فيه من عسكري سلمان ما يزيد عن المائتين من الأورام ، وقتل السيد عز الدين صاحب جازان ، في المعركة ، واستولى

(١) هي جزيرة معروفة .

سلطان على زبيد ، يصادر أهلها ، ويتبع أهل الفساد ، الذين تعصبوا عليه أولاً ، واستدعى الأمير حسين فجاء ، ورفق بأهل البلاد ، فانه كان يميل الى الخير والعدل ، فانثالت عليه الناس ، وكبر أمره ، فخاف سلمان على نفسه ، وفر الى البحر ، واستولى الامير حسين على البلاد، من شهر رجب سنة ثلاثين وتسعمائة ، وطمن البلاد ، وشتت أهل الفساد .

ثم في سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة عصت العربان وعتت ، وقطعت الطرقات واعتدت ، وعم ضررها وزاد شرها ، فبرز بنفسه إلى قتالهم ، وتبعهم الى محالهم ، وشتت شملهم ، وأخذ خيلهم ورجلهم ، وطمن الرعايا، وأمن البرايا ، وعاد مظفراً منصوراً ، محموداً في سيرته مشكوراً .

وكان صاحب تعز الأمير الأشرفي ، فأرسل إلى الامير حسين يطلب منه بعض الخزينة ، للصرف على من عنده من العسكر ، فأبى منه ، فأحدث مكوساً زائدة على الرعايا ، ومد يده الى المصادرة على الناس ، فلما بلغ الامير حسين ذلك لم يرض بفعله ، فتوجه اليه ، وقاتله فقتله ، وقتل اغراضه من أهل الفساد ، واستقل بالبلاد، وشكره الناس على ذلك وجاء في أثناء ذلك الأحكام الشريفة السلطانية .

فإن أحمد باشا لما قتل بمصر ، جاء الوزير الأعظم إبراهيم باشا إلى مصر ، لإصلاح ما فسد من أحوال مصر ، والنظر في أموال السلطنة ، وأحوال الرعية، وكان ممن وصل إليه من اليمن سلمان الرئيس، وأخبره بأحوال اليمن، وانها مملكة بلا رأس (سلطان) وان الامير حسين استولى عليها، وانه لا يصلح لذلك، لأنه عاجز عن حفظها ، وأكثر الحط على حسين بك ، حيث استأثر باليمن دونه ، وكان سبباً لإخراجه من اليمن ، وطلب عسكراً يأخذ به اليمن ، ويأخذ الفرنج الذين بالهند أيضاً ، فوعده بذلك ، لكنه أرسل إلى الأمير حسين حكماً سلطانياً ، باستمراره على البلاد ، يستميله بذلك ، ليغره ، حتى

يأخذ بيد سلمان ، فوصل إليه الحكم المذكور ، وقويت به شوكته ، وازدادت مكانته ورفعته ، وتمكن من البلاد ، وأحسن ضبطها ، وعمرها ، وأزال خللها ، وكان يحب العلماء ، ويعتقد الصلحاء والأولياء ، ويطيع الشرع الشريف ، ويتلطف بمداواة القوي والضعيف ، فأحبه أهل اليمن ، وسكنت في أيامه نيران الفتن .



الفصل التاسع

في ذكر وفاة حسين بك ، وولاية مصطفى بك ، ووصول سلمان من مصر بالعسكر الجرار الى اليمن ، وما حدث بها من أنواع الفتن

قدر الله سبحانه وتعالى بقضائه المحتوم المبرم ، وحكمه النافذ على جميع البرايا والأمم ، بوفاة الأمير حسين ، في سنة اثنين وثلاثين وتسعمائة ، وذلك بعد مرض طويل ، وتوعدك زايد مستطيل ، فلما أحس بالرحيل ، وانه قادم على الدبّ الجليل ، أوصى بالخيرات ، وقدم الاحسان والصدقات ، وأقام بدله الأمير مصطفى الرومي ، واقام الخواجا محمود خواجته كالوزير معه ، وأمر الأمير مصطفى ان يستشير محموداً في جميع الأمور ، فأسكنا رجّ البلاد ، ودفعنا داعية الفساد ، واستمرا على ذلك إلى وصول سلمان من مصر .

وكان من خبر سلمان انه لما تسحب من اليمن ، ووصل الى الوزير الأعظم ابراهيم باشا بمصر ، ودبره في ارسال عسكر معه ، ليدفع به أذى الافرنج ، ويأخذ اليمن في ضمن ذلك ، ويحصل الأموال والخزائن للسلطنة الشريفة ، فاطاعه ابراهيم باشا وكتب له من اللوند الاتراك أربعة آلاف نفس ، وجهزم معه في أغربة الى جدة ، ليسافروا منها الى الهند ، وإلى اليمن ، وكانت عسكراً ملفقاً من كل نوع ، من الأساكفة والصناع ، وقطاع الطريق ، والجهال ، من الشباب ، وغير ذلك ، ولكل عشرة أنفس منهم رأس يسمونه (بلوكباشي)

ولكل خمسين منهم رأس له يبرق ، يكونون تحتَه ، وعلى الجميع سنجق سلطاني ، اسمه خير الدين حمزة ، وكان لا يخلو من خير، وجعل سلمان الرئيس قبطاناً على الجميع ، فوصلوا إلى جدة في شهر رمضان ، سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة، وكان ذلك في ابتداء دولة المقام الشريف العالي ، نجم الدنيا والدين الشريف محمد ابي ('نمي') ادام الله تعالى عزه وسعاده، وأيد دولته وإياله، فلما دخل سلمان جدة عاث اللوند فيها ، وصاروا يتعرضون للعرب ، وينهبون الأسواق، فانقطعت الميرة عن مكة، فحصل فيها قحط شديد ، وغلاء عظيم ، بحيث صار تاريخاً عند أهل مكة فيقولون : سنة سلمان . وأضر ذلك بالناس جداً وارتفعت الأسعار ، وفقدت الأقوات من الأسواق ، ووصل قح القمح خمسة محلقة، والرطل السمن اثني عشر محلقاً، ولكنه لم يدم زمانه، ولم يطل، فحصل الفرح ، من الله تعالى في وقت الحج ، ونزلت الأسعار والله الحمد والمنة ، وتفرق عسكر سلمان ، ووصل طائفة منهم الى مكة وسكنوا بيوت الناس قهرا واخرجوا اهلها منها ، وكثروا بمكة ، وكثروا اذام بها، وتسلطوا على السوق، وعلى العرب فتسلط العرب عليهم، عند (بير شمس) وصاروا اذا خرجوا من حدة بالحاء المهمة خرج عليهم العرب من الشعاب عند بئر شمس ، وهجموا وقتلوهم وسلبوهم، الى ان قتلوا منهم مقتلة كبيرة وتعفنت طرق جدة باشلائهم ، وصارت طريق جدة مخوفة ، وترك السيد الشريف صيانة طريق جدة لبذاءة سلمان وجماعته على قواد السيد الشريف واتباعه بمكة وجدة ، فأغتنمت العربان ذلك ، وصاروا يقطعون الطريق على اللوند ، ويفتكون بهم ، الى ان قتل في ضمنهم تاجران كبيران معتبران ، أحدهما : الخواجا شيخ علي الكيلاني ، والثاني الخواجا محمد شاه قوام اللاري ، وكانا من خيار الناس احسانا، وتفقدوا للفقراء ، فأسف الناس عليهما وأمر حينئذ السيد الشريف بالكف عنهم ، ومنع العربان عن التعرض لهم ولغيرهم ، ولكن اعفنت طريق جدة من جثث الموتى، فأرسل الشيخ العارف بالله تعالى ، ولي الله على الاطلاق ، الشيخ محمد بن عراق ، قدس الله روحه ،

ونور ضريحه ، طائفة من اتباعه وفقرائه ، لدفن الاموات في طريق جدة ففعلوا ذلك ولم يحسر على ذلك احد غيره رحمه الله تعالى ، لاختلاف الطريق ، وشدة الخفاة ، ولما كثر اللوند بمكة نصبوا بيارقهم في الحرم الشريف ، وصفوها من باب السلام ، الى باب علي ، وتعدوا على بيوت الاكابر ، وضاق الناس ذرعاً بذلك ، فشكوا ما يجدونه الى الشيخ محمد بن عراق ، فجلس في المسجد الحرام ، وطلب الامير خير الدين ، وبعض المقدمين والروس اللوند ، وكنت واقفاً على رأس الشيخ رحمه الله تعالى ، فرأيت قد احمرت وجنتاه ، وقام كل شعره في بدنه ، وانتفخت اوداجه ، فنهز هذه الطائفة ، وجرح فيها ، واغلظ القول عليهم ، ورأيت الامير خير الدين ، وهو يقبل اقدام الشيخ ، ويعتذر اليه ، ورأيت الكل اكبوا على اقدام الشيخ يقبلونها ، ويعتذرون اليه من جهلتهم ، فأمرهم بكف الأذى عن الناس ، وإشهار المفسدين منهم ، وان يخرجوا من بيوت الناس ، قالوا : قد قرب الحج ، ومقصودنا ان نخرج ، ثم نتوجه الى غزو الفرنج ، فأين نسكن ؟ فقال لهم : توجهوا الى منى ، فان بها بيوتاً خالية اسكنوها الى زمن الحج ، ولا تظلموا احداً ولا تغصبوا من المسلمين شيئاً . فقبلوا ذلك جميعاً وامثلوا امره وامسكوا جماعة من مفسديهم وربطوهم وخرقوا لهم في سواعدهم وعضدهم السكاكين ، واركبوهم الجمال ، وطاقفوا بهم مكة ، ثم انتقلوا الى منى ، وكفى الله تعالى شرهم ، وكان ذلك من بركة من الشيخ وكرامته ، رحمه الله تعالى . ورأيت بخط الشيخ جار الله ابن فهد رحمه الله تعالى : ان الشيخ رضي الله عنه كان في المدينة الشريفة ، فأشار اليه النبي ﷺ ، وقال له : توجه إلى مكة لإصلاحها . فقدم إلى مكة لإصلاحها يوم الاربعاء ، سادس شهر شوال فصادف هذه الفتن في الحرم الشريف ، فأسكنها بمقدمه اللطيف ، وأطاعه طائفة اللوند وأمرؤهم وأغواتهم ، وصاروا يباعدون لما يأمر ، ويتمثلون أوامره ، ويتبركون بآثاره ، ولما ضاق عليهم الأمر في المساكن أمرهم أن لا

ينزلوا دار احد إلا بإعطاء الأجرة التي يرضى بها صاحب الدار ، فصاروا يسترضون أصحاب البيوت ، وصاروا يدفعون لهم فوق الأجرة ، ومنهم من سكن الدور الحالية بمنى . انتهى .

وأما سلمان الرئيس فاستولى على محصول جدة وكان نصفه للسلطنة، ونصفه للسيد الشريف ، فوضع يده على المجموع ، وكان محصول جدة في ذلك العام للجهتين ، تسعين ألف دينار ذهباً ، ووافق على ذلك نائب جدة الأمين علي جاوش ، وكان مولانا السيد الشريف أبو نمي أدام الله تعالى عزه وسعادت ، نازلاً بفريقه في أرض (الدكناء) فتوجه امين جدة اليه ، يذكره باستيلاء سلمان على مال جدة بالأمر السلطاني ، وانه ما أمكنه المخالفة ، وقدم من عنده هدية سنوية للسيد الشريف ، وحلف له على المصحف الشريف ان ظاهره وباطنه واحد ، وانه لم يضمّر غيلاً ولا غشاً ، ولا يريد سوءاً ، فقبل هديته ، وأخلع عليه ، وأضافه وأكرمه وردّه . وفي أثناء إقامته عند مولانا السيد الشريف أشاعوا بيجدة ان السيد الشريف أمر بقتل أمين جدة وانه قتل وجميع من معه ؛ فأقيمت غوغاء بيجدة ، وأمسك سلمان جماعة بيجدة من المنسوبين الى مولانا السيد الشريف ، وأراد قتلهم ، فأمره أصحابه بالتربص الى أن يصل الخبر ، فحصن سور جدة بالمدافع ، وتهيأ بآلات الحرب ، فاضطرب الناس بيجدة لذلك ، وإذا بأمين جدة ورد من عند مولانا السيد الشريف ، بالخلع والتشريف ، فسكن روع الناس لذلك .

وفي أثناء ذلك عصى على مولانا السيد الشريف عمّاه السيد رُميثة، والسيد أبو الغوث ، أخوًا مولانا السيد الشريف بركات بن محمد ، طمعاً في المنصب ، والتف عليهم جماعة من دواعي الفتنة ، فوصلا الى خارج جدة ، وأرسلوا إلى سلمان الرئيس ، وإلى الامير خير الدين ، يطلبان منها أن يقيماهما في امرة مكة ، ويعرضا لهما في ذلك ، فاشتورا فيما بينها فما رأيا ذلك صواباً ، وعلما ان فعل ذلك يؤدي الى فتنة عظيمة ، وان البلاد تتخبط بسبب ذلك ، فلم يقبلها ، فرجعا الى (الخيف) وأرسل السيد الشريف أبو نمي أدام الله عزه ،

مائة وخمسين فارساً ، مع أخيه المرحوم السيد ثَقَبَةَ بن بركات ، وولد عمته السيد حزيمة أمير المدينة ، السيد باز بن فارس الحسيني ، وأمرهما بالقبض على عميه المذكورين ، وتوجه إليهما القائد جوهر المغربي ، وعذلهما على فعلهما ، ولامهما على ما صدر منها ، فذكرا أنها فعلا ذلك من ضرورة ضيق اليد ، وضنك العيش ، وطلبها الزيادة في المشاهدة ، فالتزم لها ذلك ، وأحسن إليهما إحساناً كبيراً ، وأتى بهما طائعين ، وعُذِّدَ ذلك من تدبيراته وحسن رأيه ، وكادت تشور فتنة فأسكنها الله تعالى ، وأكد ذلك السكون والاطمئنان وصول السيد محمد السهمودي من الأبواب السلطانية ، ببراسم وخلع للسيد الشريف أبي نمي أدام الله تعالى سعده ، يتضمن الإنعام عليه بإمرة مكة ، عوضاً عن والده المرحوم مولانا السيد بركات ، فزين حاكم مكة القائد مرشد الحريري مكة سبعة أيام .

ووصل السيد الشريف مولانا بنخيله ورجله إلى مكة ، بعد أن أمر باخلاء مكة من عسكر سلمان ، فأمرهم الشيخ محمد بن عراق ، أن يتوجهوا إلى منى ، فتوجهوا كلهم من مكة إلى منى ، ودخل السيد الشريف إلى الحرم ، وأحدقت الناس به ، وُقِرَّتْ المراسيم السلطانية بالحطيم ، ولبس الخلعة السلطانية ، وطاف بها ، ودعى له الرئيس من أعلى قبة زمزم ، واطمأنت خواطر الناس بذلك ، ثم دخل من باب الحَزْوَةِ ، وخرج من أسفل مكة ، وعاد إلى (الدكناء) وكان يوماً مشهوداً .

وفي السابع والعشرين من ذي القعدة وصل أمير الحاج المصري ، إلى وادي الجموم ، فبرز مولانا السيد الشريف أبو نَمِي ، بمسكركه لملاقاته ، وطلب منه الخلعة السلطانية على العادة ، واسمه (سنان كتخدا) فأرسل الخلعة على رأس (جاويش) فتسلمها السيد الشريف ، ولبسها وهو على ظهر فرسه ، وعاد إلى منزله ، ووصل (سنان كتخدا) بالحجاج إلى مكة من غير عرضة ووصل بعده أمير الحاج الشامي ، وهو الأمير (اويس الكاشف) ودخل مكة بلا عرضة ، فأرسل إليه مولانا السيد الشريف يطلب خلعته المعتادة ، فأرسلها

اليه من مكة فلما وصلت اليه تسلمها ولبسها واعتذر الى اميري الحاج عن دخول مكة وعن الحج ، لأن القبطان سلمان يحج مع طائفة كبيرة من اللوند المفسدين، وأنه يخشى من سوء أديهم ويهرب من وقوع فتنة يتضرر بها الضعيف والعاجز ، وأما حفظ الحجاج ، وتأمين الطرقات من العربان ، فذلك خدمتنا ودركنا ولا نخجل بها ، ولا يقطع على الحجاج من طوائف العربان شيء من التمدي والاختطاف ، ان شاء الله تعالى ، ففعل ذلك ووفى به، وحفظ سائر العربان ومنعهم من الخطف والنهب ، ونحو ذلك ، لكن القلوب كانت خائفة، متوقعة وقوع الفتنة في كل لحظة ، وسلم الله تعالى الحجاج من ذلك .

وفي ضحى يوم الخميس خامس ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة ، وصل سلمان الرئيس بجميع عسكره ، إلى مكة ، ودخل من الحجون ، وجميع عسكره اللوند، قدامه صفوفاً بعد صفوف ، مشاة كلهم ، حاملين بنادقهم على اكتافهم ، ورأيت أول عسكره في أول المعلاة ، في المحل الذي بني فيه بعد ذلك عمارة والدة السلاطين (الخاصكية) رحمها الله تعالى، وآخرهم في الحجون، ورأيت سلمان وخير الدين راكبين حصانين ، وما في العسكر راكب غيرها وكان مدخلا هائلا فاستمر الى باب الصفا ، ودخل الأمير خير الدين إلى منزله وكان نازلا بالعينية المتصلة بباب أجياد ، التي كانت مدرسة (المجاهدية) بناها الملك المجاهد من بني غسان ، ملوك اليمن ، وكان بالقديم يقام بها درس ثم استبدلت ، وأخذ المدرسة أحمد العيني ، وأوقفها على قراءة قرآن ووظائف خير ، ثم سكنها الافنديون قضاة مكة المشرفة ، ثم خربت وهي الآن خراب الى أن يقبض الله من يعمرها .

وبعد أن وصل الأمير سلمان والأمير خير الدين الى منزله المذكور ، برز من عنده الأمير خير الدين ، ودار من السوق الصغير أمام باب ابراهيم ، الى أن وصل إلى السويقة ، ونزل في منزله الذي هيء له ، وهو بيت الخواجا

الطاهر ، الذي هو الآن من أوقاف المدارس الأربعة السلطانية السليمانية بمكة .
ثم في ثامن الحجّة توجه الحجاج والناس الى عرفات ، محرمين لاداء الحج ،
وتخلف في ذلك العام المقام العالي ، السيد الشريف ابو نمي عن الحج ، وتخلف
كثير من أهل مكة ، خوفاً من وقوع فتنة ، وكانت الوقفة الشريفة يوم
الاثنين ، ولم ير الناس حراً ولا شراً ، والله الحمد .



الفصل العاشر

في ذكر وصول الامير سلمان ، والامير خير الدين الى اليمن

لما فرغ سلمان وخير الدين من الحج عا... الى جدة ، وركبا مع العسكر السفن والأغربة إلى اليمن ، مثابراً على أخذ ثأره من الأمير حسين ، لما تقدم من فعله معه ، من اخراجه من مملكة اليمن ، واستثثاره بالملك دونه ، ولم يكن سفره ذلك ميموناً عليه ، بل قتل هو والأمير خير الدين ، وغالب ذلك العسكر ، بسبب ظلمهم في حرم الله تعالى ، واستطالتهم على مولانا السيد الشريف ، حامي بلد الله تعالى ، وايدائهم له بلسانهم ، واستيلائهم على ما يتعلق به من محصول جدة ، وصبره عليهم في جميع ما فعلوه ، الى أن انتقم الله تعالى له منهم ، وهكذا عاقبة الظالمين ، ومآل أحوال الصابرين ، وفي ذلك عبرة لمن اعتبر ، وعظة لمن رزقه الله السمع والبصر .

ولما وصل الأمير سلمان إلى اليمن ، اطلع على وفاة حسين بك وصيرورة الإيالة إلى مصطفى بك ، فاستجاش بمن معه من عسكر اللوند ، وقصد زبيد ، فلما رأى مصطفى بك هذه الحال ، خرج بمن معه إليه ، وأرسل إليه جاويشاً ، يسأله ما المراد بهذه الحروب ، وما المقصود من سل السيف ، وإراقة دماء العسكر من الجانبين ؟ فلما وصل الجاويش إلى سلمان بك ، وأدى رسالته ، قال له في الجواب : ان الحضرة السلطانية السلطانية ، خلد الله ملكها ، أنعمت على الأمير خير الدين بمملكة اليمن ، وآمرك

أنت أن تتوجه الى الباب الشريف السلطاني ، فإن أطعت فسلم البلاد الى الامير خير الدين ، وسلم نفسك الينا ، لنجهزك إلى الابواب السلطانية ، فلما عاد الجاويش الى مصطفى بك بجوابه ، عرف انه إن وقع في يد الأمير سلمان قتله ، فدبر الحيلة في ذلك ، وصار يستميل اللوند ، الذين عند الامير سلمان بالبذل والعطاء ، فنبذوا سلمان ، وصاروا عَصَبَةَ الامير مصطفى ؛ ففي الأمثال : الدراهم مراهم ، والنقود تحمل العقود . فقوي جاش مصطفى بك ، وكثر جيشه ، وعظم بذلك زفرته وطيشه ، وثبت للأمير سلمان في مقابلته ، وعزم على حربه ومقاتلته ، وبقي مع الامير سلمان نبذة من اللوند الشجعان ، وشرذمة صابرة على سحر الطعان ، فالتقت بالصليبي الفتيان ، وثبت سلمان لوقع المران ، فما لبث أن هرب مصطفى ، وأشفى من جرف الجرافة على شفا ، واستمر منهزماً الى نواحي عدن وكرمان ، وعاد عسكر مصطفى الى سلمان ، واعتذروا منه عما وقع منهم من المخالفة والعصيان ، فقبل عذرهم ، وسامحهم فيما وقع من غدرهم ، ودخل بهم الى زبيد ، فصادر أهل زبيد مصادرة عامة ، وآذى الخاصة والعامة ، وأخذ من كل واحد ممن صادف بها من التجار والمتسبين من ألف دينار إلى ثلاثة آلاف دينار ، وأنعم بها على اللوند ، واستجلب خواطرم بذلك ، وتوجه الى تعز ، وجعل في زبيد الامير يونس ، وتوجه مع اللوند ، وأخذوا تعز ونهبوها ، وقتلوا أميرها ، ثم أخذوا إبتاً وجبلة ، ونهبوا منها أموالاً عظيمة .

وكان ابن حمزة في الزيدية ومعه أموال جمة ، فقاتلوه فهرب منهم ، ولم يثبت لمقابلتهم ، ففر وترك جميع ما معه من الأموال ، فظفر بها سلمان ومن معه من اللوند ، واستمر ابن حمزة هارباً ، الى أن وصل الى أمير بيت الفقيه ، علي بك القرماني ، فاتفق معه أن يتوجها الى زبيد ، ويأخذانها من الامير يونس ، النائب بزبيد من قبل سلمان ؛ فبمجرد وصولهما الى زبيد ، واستيلائهما عليها ، والشروع في مصادرة أهلها ، وصل سلمان الى خارج زبيد

بمن معه من اللوند والعربان ، فقاتلهم أشد قتال في الباب الغربي ، فانهزموا منه الى الباب الشرقي ، فتبعهم وكسروهم ، فدخلوا مدينة زييد ، وغلقوا أبوابها فحاصروهم ، وأرسل إلى اليافع والمهثرة ، فوصلوا اليه ، وأتى بالمدافع الكبار من الصلّيف ، ونزل البستان فوق النهر ، ورماهم بالمدافع والمكاحل والبنادق ، فأخذ زييد قهراً ، ودخل العسكر من اللوند وغيرهم ، وأصابته بندقية في رجله ذلك اليوم ، فما أمكنه الدخول الى البلد ، فاستمر نجيمه في البستان ، ومنع التعرض لأهل البلد ، وصاروا يأتونه بالعسكر الذين خالفوه وحالفوا غيره ، من داعية الفتنة والفساد ، فيقتل البعض ، ويكحل البعض ، الى ان أكحل طائفة كبيرة ، استمروا زماناً بمكة الى أن أكلتهم الايام والليالي ، تركتهم كغيرهم من الاقوياء ، شبيه الشنّ البالي ، من كل أمير كان يحكم على مئين ، وكبير أذله الدهر فعاد من الصاغرين ، وهكذا شأن الزمان الجائر ، ودأب الدهر الظلوم الغادر ، وفعله على نمط واحد في الأوائل والأواخر ، وكل من فر من يد سلمان ، ولم يقع في أسره من اللوند والتركان ، التحق بمصطفى بك حول عدن ، فاستقر خاطره بذلك واطمأن ، وعند الاطمئنان ، يغدر الدهر الخوان ، وهذه عادة الزمان ، مع أبنائه في كل آن .

ذكر قتل مصطفى بك واستقلال سلمان بملك اليمن

لما رأى سلمان انتعاش مصطفى بك، والتثام بعض العسكر عليه ، قصده يجموعه ، وتوجه لمحاربته ، وتوجه الآخر إليه ، ومعه ابن حمزة بن معه من الجنود ، والتقيا على التريبة (١) في سلخ سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة ، وكان بينها عدة مصاف كان فيها الغلبة لسلمان ، ففر مصطفى منه فتبعه الى ان أدركه ، وحز رأسه ، ووقع في اسره ابن حمزة ، وغالب عسكر مصطفى ، إلا القليل النادر ، الذي نجى بنفسه في ابتداء الواقعة ، وذلك في مستهل محرم الحرام ، سنة أربع وثلاثين وتسعمائة ، فكحل ابن حمزة ، وقتل كثير من الاسرى صبوا وكحل الباقين ، واذاقهم وبالا وقهرا ، فظن ان الجو خلاله ، وان الدهر البسه تاج كرامته ومنحه إقباله ، وان الزمان بذل له مراده وهياً آماله .

وهيات هيات العقيق وأهله وهيات خل بالعقيق نحاوله !!

(١) التريبة : بضم التاء وفتح الراء ، ثم باء مثناة تحتية مفتوحة ، ثم هاء : قرية شرقي زبيد : «النسبة الى المواضع» تأليف باخرمة .

الفصل الحادي عشر

في قتل سلمان ، وولاية ولد أخته مصطفى بن بيرم

لما رأى الأمير خير الدين استقلال سلمان بالملك ، وانه سقط اعتباره لما استقل سلمان ، وكان في أول الأمر لا يبت أحدهما أمراً دون الآخر ، وكان الأمير خير الدين في الحقيقة هو المشار اليه ، وكان سلمان قبطاناً في البحر ، يرجع اليه في أحوال البحر لا غير ، أضمم الفتنك بسلمان ، والغدر به ، وصار يرصده في كل وقت ، وينتظر الفرصة في ذلك ، فسلط عليه طائفة من اللوند ، هجموا على سلمان ، وضربوا رأسه بالسيف ، في موضع اسمه جزيرة المحاملة ، وتوجهوا على حمية إلى الأمير خير الدين ، وكان ذلك في أواخر سنة أربع وثلاثين وتسعمائة ، فقام بالأمر بعد سلمان ولد أخته مصطفى بك ابن بيرم ، وكان شجاعاً فاتكاً ، ذا معرفة بالحروب ، سياً أخذ القلاع بالمدافع ، وافتتاح الحصون المنيعة ، فجمع مصطفى بك كل من كان من أتباع سلمان ، وخواصه ومماليكه ، ومن أشجعهم الخواجا صفر ، وكان على الأغرية التي كانت بيد سلمان ، فجعل الخواجا صفر وزيراً ، واستعد لأخذ الثأر من خير الدين بك ، واستعد خير الدين بك للقتال ، وأرسل من جانبه سنان للقنبطان ، وكريم الحلبي ، وبالي الحلبي ، مع بعض عسكره إلى زبيد ، للقبض على من بها من جماعة سلمان ، فوصلوا إلى زبيد ، واستولوا عليها في أوائل شعبان سنة خمس وثلاثين وتسعمائة ، واستأسروا من وجدوا بها من أتباع سلمان ، وأقاموا بها ثلاثة عشر يوماً ، فتوجه اليهم مصطفى بن بيرم ، بمن

معه من عسكر خاله ، وطلب الخواجا صفر ليأتيه بالمدافع والضربنانات ، ومن معه وعنده من عسكر اللوند والعرب ، ودخل زبيد على غفلة ، وقتل سنان القنبطان ، ومن معه من أتباع خير الدين ، وأطلق جماعته ، وتوجه إلى قتال خير الدين .

ذكر قتل الامير خير الدين ، وعزم مصطفى بن بيرم الى الهند ، وتركه مملكة اليمن

لما توجه مصطفى بن بيرم لأخذ ثأر خاله سلمان من الأمير خير الدين ، أحس الأمير خير الدين بذلك ، وكان خوّاراً جباناً ، فأسقط في يده ، وكان في حبسه جماعة من الأمناء والعمال ، والملتزمين بأموال المملكة ، فأخرجهم من حبسه ، وأمر بقتل الأمناء والعمال ، فقتلوا صبراً ، وقد ورد : « بشر القاتل بالقتل ولو بعد حين » ، فبمجرد أن وقع المصاف ، ولعت بروق الأسياف ، خار خير الدين وخاف ، وناله الارتعاش والارتجاف ، وما شام بروق الأسياف إلا وأمطره من الوبال وابل ، وأوقعه النكال في كفة حابل ، وطارت اليه من كنانة البأس حمام الحمام ، وسعت اليه باجنحة الطيور نسور السهام ، وهرب منكسراً وولى مدبراً ، فتبعه مصطفى بن بيرم ، وقتله بيده ، وما نفعه شيء من الآته وعدده ، واستولى مصطفى على البلاد كلها ، سهلها وجبلها ، غير أن مصطفى لما شاهد جراءة اللوند على الامراء بالفتك فيهم ، وقتلهم واحداً بعد واحد ، لم يستقر خاطره في اليمن ، ولا أمن الإقامة بها من كثرة الفتن ، فجمع ما يعز عليه من السلاح ، والمدافع والمكاحل ، ومن يعز عليه من أهله ، واتباع خاله ، وترك مملكة اليمن ، وأقام فيها السيد علي الرومي من أصحابه ، واليا على جميع البلاد ، نائباً عنه فيها ، وأدخل معه في الامر مملوكا للامير سلمان ،

اسمه أحمد بك ، وتوجه الى كمران ، مظهراً انه يريد أن يبني فيها قلعة يدفع فيها ضرر الفرنج ، وأحضر البنائين والآلات وشرع في عمارة قلعة حصينة ، ولما حصل زمان سفر المراكب الى الهند ، في زمن رجوعهم ، ركب في أغربته ، وأخذ معه الآلات والمدافع الكبار ، وشحن تلك الأغربة بما يعز عليه ، وتوجه هو وخواص جماعته ، وجماعة الامير سلمان الى الهند ووفد على السلطان بها درشاه صاحب كجرات ومعه الخواجا صفر ، وذلك في سنة ست وثلاثين وتسعمائة ، فأكرمه السلطان بهادر غاية الاكرام ، وفرح بقدمه عليه ، وأنعم عليه وأغدق ، وصدق رجاءه فيه وحقق ، واعطاه على قاعدة سلاطين الهند خطاباً ، ولقبه (رومي خان) ولقب الخواجا صفر (خدا وندخان) واعطى بندر الديو لرومي خان ، وبندر صورة لخدا وندخان، وصار لها في الهند شأن عظيم ، ومرتبة عليّة ومقام جسيم ، وقصتها ووقائعها في تلك الأقطار ، متلوة بالسفن التجار والسفار .

ومحصله انه بعد ان اختص بالسلطان بهادر شاه ووصل صاحب دلي السلطان همايون شاه إلى محاربتة ، هرب من عندها شادر شاه ، إلى همايون شاه واختص به أيضاً اختصاصاً أعظم من الأول فحسده على مرتبته بعض الخواتين فسقاه السم ، وتوفي الى رحمة الله تعالى في سنة خمس وأربعين وتسعمائة .



الفصل الثاني عشر

في ذكر ولاية اسكندر موز على مملكة اليمن

ثم لما توجه مصطفى بن بيرم من اليمن الى الهند قام بالامر من تلقاء نفسه الامير اسكندر بن سولي المشهور باسكندر موز ، وبارزه الامير السيد علي ، فأعان الامير اسكندر شخص من نواخذ الأروام ، يقال له الناخوذة أحمد ، كان ذا ثروة ، وتدبير ، وحسن رأي ، وقدم عهد ، ومحبته مع الامير اسكندر ، فاستعان على إزالة السيد علي ورفيقه أحمد بك ، وانطوى اسمها ، واندرس رسمها ، وملك البلاد الامير اسكندر ، وصار الناخوذة احمد من جملة وزرائه وأمرائه ، فتمكن الامير اسكندر من مملكة اليمن ، وأظهر فيها العدل والكرم ، وكان شجاعاً كريماً ، وافر العقل ، حسن للتدبير ، أحبه أهل اليمن ، وتبسطوا في أيامه ، وكان له اعتقاد في المشايخ والصلحاء والعلماء ، وكان له سماط ممدود ، وطعام مبدول ، وكان أكولاً ، يقال انه يأكل الكباش وحده ، ويجتمع على سماطه العسكر ، وينعم عليهم ، ويضبطهم ، بحيث حكى لي بعض الامراء ، انه كان يحضر معه في السماط سيفاً مسقطاً ، مذهباً ، مثمناً ، ثم بعد الفراغ من الطعام ، ينظر يميناً وشمالاً في وجه الحاضرين من الجند ويقول : سبحان الله ! أخرجت هذا السيف لأعطيه شخصاً من العسكر ، كانت جمالة سيفه رثة ، فما حضر الآن ، وما كان هذا السيف نصيبه لغيبته في هذا الوقت ، وكان من نصيب هذا الشاب ، ويشير

الى واحد من عرض المجلس ، ويعطيه السيف ، ويقول : كان هذا نصيبك .
ويفعل كل قليل هكذا ، ويعطي سيفاً أو خنجراً ، أو ترساً أو فرساً ، أو
ثوباً جميلاً ، مطويًا بين يديه ، فاستمال بذلك قلوب العسكر .

وأما الرعايا فكان يمنع الظلم عنهم ، ويحسن الى الضعفاء والارامل ، ويرسل
الى زوايا المشايخ بالإنعامات .

حكى لي من وصل اليه : ان امرأة جاءت به فغنص من الفاغية ، طويل ،
نحو الذراع ، مستغرباً طولها ، بحسب العادة ، وأهدته اليه ، وقالت له :
ربيت لك هذا الغنص ، وصرت أتفقده بسقي الماء ، الى أن انتعش ، وصار
في هذا المقدار بسعادتك ، لكونه على اسمك ، فأجلسها الى جانبه ، وأكرمها ،
وتناول الغنص بيده ، وصار يستعظمه ، ويريه جلساته ، ويظهر ان ذلك كان
في خاطره وفي ضميره ، فكتب لها ان تكون أرضها التي تزرعها مُعفى كلها ،
وأمر لها ببقرتين من أحسن بقره الخاصة ، وملاً حجرها فضة ، ورحب بها
وصارت من المُدليات عليه ، ومن المقبولات عنده .

ووفد عليه شاب من السادة الشيبين سَدنة بيت الله الحرام ، فأكرمه
وعظمه ، وقال له : إن أقمت عندنا الى موسم الهندي نلت منا فوق مطلوبك ،
فقال له : أريد الرجوع الى وطني سريعاً ، فليس لي طاقة على التغرب .
فأعطاه ألف دينار ذهباً ، واعتذر منه .

وبالجملة فكانت محاسنه جمة ، رحمه الله تعالى .

وكان فتاكاً في العسكر ، إذا توهم من أحدهم خلافاً ، أو ظن به إضرار
سوء قتله ، من غير مهلة .

وكان قد استكثر من عميد السود ، وضبط اللوند بهذه العبيد ، وضبط العبيد
باللوند ، ولم يستخدم غير هذين الطائفتين ، وكانت الخطبة والسكة في أيامه ، باسم
السلطان الأعظم ، السلطان سليمان خان ، سقى الله عهده ثوب الرحمة والرضوان .

وإذا قرأ أحد في موكبه له الفاتحة يقول له : إقرأها لحضرة السلطان سليمان .

ووصلت إليه المراسم السلطانية بإقامته على بلاد اليمن ، وكانت حال الرعية في أيامه منتظمة .

ووقع له عدة مقاتلات مع العربان ، وكان هو الظافر فيها عليهم ، منها أخذه لإدريس الأعور ، وفتح حصن (تَعَكَّر) وغير ذلك . واستمر في الملك ستة أعوام ونصف ، وهو نافذ الأمر ، مقبول الكلمة ، باسط اليد .

وبنى مدرسة عظيمة في زبيد ، تسمى الاسكندرية . وهو من الامراء الذين يذكورهم أهل اليمن بالجميل ، ويثنون عليه الثناء الجزيل ، رحمه الله تعالى .



الفصل الثالث عشر

في ذكر وفاة اسكندر موز ، وولاية الناخوذه أحمد لمملكة اليمن ،
وظهور الامام شرف الدين في أيامه

ثم توفي اسكندر موز في سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة ، وخلف ولداً صغيراً ، فقام بعده بولده وزيره الناخوذه أحمد ، وقدمه صورة ، وكان هو كافل المملكة اليمنية ، والأمور كلها راجعة إليه ، وسار في الناس على سيرة اسكندر موز ، واستمال العسكر ببذل المال ، إلا انه كان جائراً على الرعية ، غير مشكور السيرة فيهم .

وفي أيامه استولى الإمام شرف الدين - الذي ادعى الإمامة في طوائف الزيدية - على الجبال ، وفحل أمره ، وكبر جيشه ، وسار في الجبال باظهار شعار الزيدية ، غير انه لم يتعرض لأهل السنة ، بل كان يناهم منه الانعام ، لا سيما العلماء ، من أهل المذاهب الأربعة رضي الله عنهم ، فانه كان يكرمهم غاية الإكرام ، وكان يترضى عن الصحابة رضي الله عنهم ، ما عدا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، وكان يقول بالأئمة الأربعة ، أصحاب المذاهب الأربعة ، رضي الله عنهم ، ويرى مذهب الزيدية مذهباً خامساً ، فإن سيدنا زيد بن علي ، رضي الله عنه ، كان مجتهداً ، ويرى ان مذهبه أرجح .

ورأيت بخطه ما نصه : ورضي الله عن الإمام أبي حنيفة ومالك ومحمد بن

إدريس الشافعي وأحمد بن حنبل ، ولا جزأ الله تعالى خيراً من أوقع بين سفهائنا وأتباعهم من الجهلة المتعصبين ، . انتهى .

وكان يدعي الاجتهاد ، ويظن ان دواعي الاجتهاد وشروطه اجتمعت فيه . وكان يقول : (تقليد الحي أولى من تقليد الميت) . وهذا من الأغلاط الواهية ، فإن فضيلته لم تبلغ به الى مرتبة يصح منه دعوى الاجتهاد بها ، تجاوز الله تعالى عنه .

ذكر ترجمة شرف الدين ، و ترجمة الامام زيد ،

وشيء من اصول عقائدهم

كان شرف الدين يلقب نفسه المتوكل على الله ، واسمه يحيى بن شمس الدين ابن أحمد ، صاحب « البحر الزخار » في مذهب الزيدية ، وهو أيضاً صاحب « كتاب الأحكام » في أصول الزيدية ، بن يحيى ، بن المرتضى ، بن الفضل بن المنصور بن الفضل بن الحجاج ، بن علي بن يحيى ، بن القاسم بن يوسف ، بن المنصور بن يحيى ، بن الناصر بن أحمد بن يحيى ، بن الحسين بن القاسم ، بن ابراهيم بن الحسن ، بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحسيني .

قرأ على ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن الهادي ، وعلى ولده الهادي بن ابراهيم بن محمد ، وعلى الفقيه جمال الدين علي بن أحمد بن مكابر ، وكلهم زيديون ، وله رواية وإجازة عن جده أحمد ، صاحب « البحر الزخار » . وأما الإمام زيد رضي الله عنه الذي تنتسب الزيدية اليه فهو بريء مما ينسبونه اليه من مسائل الاعتزال ، وعقايد أهل الزيغ والضلال ، حاشاه من تلك الخلال ، وكلاً أن يصدر منه شيء من شوائب الاختلال ، بل كان إماماً مثيلاً ، وعالماً نبيلاً ، ومجتهداً جليلاً ، غير أن من لا خلاق له من أتباعه ،

الذين لا حظ لهم من الدين ، بل تبرأ منهم كما تبرأ من الشياطين ، نسبوا اليه ما نسبوا ، وافتروا عليه وكذبوا ، كما كذبت الرافضة على سيدنا الإمام جعفر رضي الله عنه ، وأسندت إليه وإلى بقية الاثني عشر رضي الله عنهم ، ما تصم الاذان عنها ، وتنفر قلوب أهل الدين منها . ولقد كانا يجلان إمامنا الأعظم أبا حنيفة رضي الله عنه ، وكانوا في عصر واحد ، وكان بينهما وبينه مودة ، ومهاداة ومراسلة ، ورأيت في آخر كتاب « خزنة الأكل » من كتب الفتاوى عندنا : أن الامام أبا حنيفة رضي الله عنه أمد الإمام زيد بمال عظيم ، وبايعه سرا ، لما خرج على هشام بن عبد الملك من بني أمية ، وكذلك أمد الامام جعفر بمال عظيم ، وكان يحسن اليها . انتهى .

والامام زيد هو أخو الامام محمد الباقر ، وعم الامام جعفر الصادق ، وهو ولد الامام زين العابدين ، بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وأكرم مثوam ، ونفعنا ببركاتهم . وكان من أعظم العلماء ، وأكبر الصلحاء ، ورأس أهل التقوى ، وكان من شدة تقواه يرى ان الغيبة تنقض الوضوء ، وان الصلاة لا تصح في الثوب المغصوب ، والمكان المغصوب . وفضائله كثيرة ومناقبه شهيرة .

حكى عيسى بن يونس ان الرافضة جاؤوا الى زيد بن علي ، حين خرج على هشام بن عبد الملك ، فقالوا له : تبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، حتى نكون معك ، فقال : لا أتبرأ منها ، بل أتولاهما رضي الله عنهما ، وأتبرأ من تبرأ منها . فقالوا : إذا نرفضك ؛ فسميت الرافضة .

وكان خروجه بالكوفة سنة اثنتين وعشرين ومائة ، وتبعه خلق كبير من الأشراف والقواد ، وأهل القرى والسواد ؛ فبعث اليه والي العراقين ، يوسف ابن عمر الثقفي ، جيشاً مقدمه العباس المرثي ، فنلاقى الجيشان خارج الكوفة ، في صفر سنة اثنتين وعشرين ومائة ، فانهزم أصحاب الامام زيد ، وبقي هو في جماعة قليلة ، فقاتل أشد قتال ، وتمثل بقول من قال :

ذُلُّ الحَيَاةِ وَعِزُّ المَمَاتِ وَكُلُّ أَرَاهِ طَعَامًا وَبَيْلًا
فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنْ وَاحِدٍ فَسِيرِي إِلَى المَوْتِ سِرًّا جَمِيلًا !!

وَحَالِ المَسَاءِ بَيْنَ الفَرِيقَيْنِ ، فَانصَرَفَ الإِمَامُ زَيْدٌ ، مُتَخَفًا بِالجِرَاحِ ، وَقَدْ
أَصَابَهُ سَهْمٌ فِي جَبْهَتِهِ ، فَطَلَبُوا مِنْ يَنْزِعِ النِّصْلَ ، فَآتَى بِحِجَامٍ مِنْ بَعْضِ
القُرَى ، فَاسْتَكْتَمُوا أَمْرَهُ ، فَاسْتَخْرَجَ النِّصْلَ مِنْ جَبْهَتِهِ الشَّرِيفَةِ ، فَمَاتَ فِي
سَاعَتِهِ شَهِيدًا رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ، فَدَفَنُوهُ فِي مَجْرَى سَاقِيَةِ ، بَعْدَ أَنْ نَحَوُوا مَجْرَى
المَاءِ عَنِ قَبْرِهِ ، وَحَثُّوا عَلَيْهِ التُّرَابَ ، ثُمَّ أَعَادُوا المَاءَ كَمَا كَانَ يَجْرِي ، وَلَمَّا أَنْ
وَارَوْهُ حَضَرَ مَعَهُمُ الحِجَامُ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ نَمَّ عَلَيْهِمْ ، وَدَلَّهُمْ مَوْضِعَ قَبْرِهِ ؛ كَمَا
قَالَ القَائِلُ :

أَرَادُوا لِيُخْفُوا قَبْرَهُ عَنْ عَدُوِّهِ فَطِيبُ تَرَابِ القَبْرِ دَلٌّ عَلَى القَبْرِ

وَلَمَّا دَلَّهُمُ الحِجَامُ عَلَى قَبْرِهِ الشَّرِيفِ ، نَبَشَ عَنْهُ يَوْسُفُ بْنُ عَمْرِو الثَّقَفِيِّ ،
قَاتِلَهُ اللهُ تَعَالَى ، وَبَعَثَ بِرَأْسِهِ الطَّاهِرِ إِلَى هِشَامٍ ، وَصَلَبَ جِسْمَهُ الشَّرِيفِ فِي
كِنَاسِ الكَوْفَةِ عَرِيَانًا ، فَارْتَحَى بَطْنَهُ الشَّرِيفِ عَلَى عَوْرَتِهِ فغَطَّاهَا ، وَفِي ذَلِكَ
يَقُولُ بَعْضُ شِعْرَاءِ بَنِي أُمِيَّةٍ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ أَخْزَاهُ اللهُ تَعَالَى :

صَلَبْنَا لَكَ زَيْدًا عَلَى جِنْدَعٍ نَخْلَةٍ وَلَمْ أَرَ مَهْدِيًّا عَلَى الجِنْدَعِ يُصَلِّبُ

وَاسْتَمَرَ خَمْسَةَ أَعوَامٍ مَصْلُوبًا ، فَلَمَّا كَانَ أَيَّامَ الوَلِيدِ بْنِ يَزِيدٍ ، وَظَهَرَ وِلْدُهُ
الإِمَامُ يَحْيَى بْنُ زَيْدٍ بِخِرَاسَانَ ، كَتَبَ الوَلِيدُ إِلَى عَامِلِهِ بِالكَوْفَةِ ، بِأَمْرِهِ بِأَنْ
يَحْرِقَ زَيْدًا بِخَشْبَتِهِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَأَذْرَى رَمَادَهُ فِي الرِّيَاحِ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ،
وَأَمَّا رَأْسُهُ الشَّرِيفِ فَوَصَلَتْ إِلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ ، وَطَافَ بِهَا البِلَادُ ، فَلَمَّا
وَصَلَتْ إِلَى مِصْرَ ، جَعَلَتْ بِالمَشْهَدِ الَّذِي بِالقُرْبِ مِنْ جَامِعِ طُولُونِ ، فَقَدْ قِيلَ :
أَنَّ رَأْسَهُ مَدْفُونَةٌ هُنَاكَ . كَذَا ذَكَرَهُ قَاضِي القَضَاةِ شَمْسُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ خَلْكَانَ
فِي مَوَاضِعٍ مُتَفَرِّقَةٍ مِنْ كِتَابِهِ « وَفِيَاتُ الأَعْيَانِ » . وَذَكَرَ المَسْعُودِيُّ فِي
« مَرْوَجِ الذَّهَبِ » فِي وَلايَةِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ : أَنَّ الهَيْثَمَ بْنَ عَدِيٍّ

روى عن عمر بن هاني الطالبي ، قال : خرجت مع عبد الله بن علي وهو عم السفاح والمنصور فانتهينا الى قبر هشام بن عبد الملك ، فاستخرجناه صحيحاً ، ما فقدنا منه إلا أرنبّة أنفه ، فضربه عبد الله ثمانين سوطاً ، ثم أحرقناه ، واستخرجنا سليمان بن عبد الملك ، من أرض دابق ، فلم نجد منه شيئاً إلا صُلْبَهُ وأضلاعه ورأسه ، فأحرقناه ، وفعلنا ذلك بغيرهما من بني أمية ، وكانت قبورهم بِقِنْتَسَرِين ؛ ثم انتهينا الى دمشق ، فاستخرجنا الوليد بن عبد الملك ، فما وجدنا في قبره لا قليلاً ولا كثيراً ، واحتفرنا عن عبد الملك ، فما وجدنا إلا شئون رأسه ، ثم احتفرنا عن يزيد بن معاوية ، فما وجدنا إلا عظماً واحداً ، ووجدنا في طول لحدّه خطأً أسود بالرماد ، ثم تبعنا قبورهم فأحرقنا ما وجدنا منهم فيها ، وكان سبب فعل عبد الله بقبور بني أمية هذا الفعل ، ما فعله هشام والوليد بالإمام زيد بن علي رضي الله عنه ، لما استشهد وصلب . انتهى .

فليتوقّ الملوك والسلاطين التعرض لأجساد الموتى والمثلة بهم ، حذراً أن يتسلط عليهم بعد دولتهم من يأخذ بالثأر ، فإن ذلك بشاعة تبقى على صفحات الليل والنهار .

ومن ارتكب هذه الخطة الشنيعة في أوائل هذا القرن شاه اسمعيل بن حيدر الصفوي الاربيلي ، وكان خروجه من بلاد المعجم في سنة ثلاث عشرة وتسعمائة ؛ فلما ملك بلاد خراسان والعراق ، نبش قبور طائفة من العلماء والأولياء والأمراء ، وأحرق ما وجد فيها من العظام ، فأخذه الله تعالى وما أمهله ، فمات ولم يكمل الاربعين ، وقد قتل من الأنفس ما يفوق مائة ألف نفس ، بل أضعافه ، فإن قتلاه خارجة عن الحدّ والحصر ، وأكثر من علماء الدهر وملوك العصر ، فأخذه الله تعالى في سنة ست وثلاثين وتسعمائة ، ومولده سنة اثنين وتسعين وثمانمائة ، وظهوره من أعظم حوادث القرن التاسع عشر .

واعلم ان زيد بن علي رضي الله عنها تلمذ لواصل بن عطاء ، وكان واصل معتزلياً ، فمن هنا نسبت الزيدية الامام زيد الى الاعتزال ، وأسندوا اليه - وحاشاه - مقالا يفضي الى الزيغ والضلال ، ولا يلزم من تلمذته لواصل ، أن يسلك مسلكه في الاعتزال الباطل ، فمن استضاء بمشكاة النبوة والرسالة ، كيف يسلك سبيل أهل الضلالة ، أو يخوض فيما خاض فيه أهل البدعة والجهالة ؟! ، حماه الله من ذلك ، وحاشاه بما تلبس به أولئك .

وواصل كان تتلمذ للحسن البصري رضي الله عنه ، فأخذ واصل يتكلم في مسائل القدر والجبر ، وشرع يثبت المنزلة بين المنزلتين ، الى غير ذلك من الاباطيل المتذلة فأمره الحسن أن يعتزل مجلسه ، فسموا المعتزلة . ومبنى أصولهم على تحكيم عقولهم ، وهم في هذه الآراء الفاسدة ، اتباع الفلاسفة في مذاهبها الكاسدة ، فهم يلحسون فضلات الفلاسفة ، ويروجون مذهبهم الباطل ، بإسناده الى مثل هذا السيد الكبير ، من أهل البيت النبوي ، فيفخون في غير ضرم ، ويستسمنون من اعتقادهم الموهون ذا ورم ، وقد دلام إبليس بفروره ، وأغرقهم من لجج الشك في تيار مجوره ، فهم يتشبثون بأوهى من خيوط العنكبوت ، ويتبعون وساوس إخوان الجبت والطاغوت ، ويتمسكون بشبهات نشأت عن رأي عليل ، وصدرت عن فهم قاصر ضئيل ، ويبؤون بالإثم والخسران والثبور ، (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) .

فأول شبهة وقعت في البرية ، شبهة إبليس ، ومصدرها اتباع الهوى ، وتحكيم العقل في معارضة أمر الله تعالى ، واستكباره بالمادة التي خلق منها وهي النار ، على مادة آدم عليه السلام ، وهو الطين ، فإنه رأى برأيه الفاسد ، وعقله الكاسد ، ان النار ليعلوه أشرف من التراب ، فحكّم العقل ، في مقابلة النص فعصى أمر الله في السجود ، وخالف النص الشريف بإبداء الجحود ، وانشعبت عن هذه الشبهة شبهات رسخت في أذهان الملحدين ، الذين هم اخوان الشياطين ، فصارت بدعة وضلالة ، وإلحاداً في

الدين وجهالة ، وتلك الشبهات مسطورة في شرح الانجيل ، والتورة وصحف التنزيل ، على شكل مناظرة بين ابليس اللعين ، والملائكة المقربين بعد الأمر بالسجود، والامتناع منه لمحض العناد والجحرد، فقال كما نقل عنه فيما ذكر انه قال للملائكة : إن الباري تعالى إلهي وإله الخلق ، قادر عالم إذا أراد شيئاً قال له « كن فيكون» إلا أنه يتوجه على مساق حكمه أسئلة. فقالت الملائكة: ما هي ؟ فقال سبع : الأول قد علم قبل خلقي ما يصدر عني ، ويحصل مني فلم خلقتي أولاً ؟ وما الحكمة في خلقه اياي ؟ الثاني : إذ خلقتني على مقتضى مشيئته وإرادته ، فلم كلفني بمعرفة وطاعته ، بعد أن لا ينتفع بطاعة ، ولا يتضرر بمعصية ، فانه الغني القادر على الاطلاق ؟ الثالث: إذ خلقتني وكلفني ، فالترمت تكليفه ، واطعته ، فلم أمرني بالسجود لآدم ، وأنا خير منه لأنني من عنصر النار ، وهو أعلى العناصر ، وهو من عنصر التراب ، وهو اسفلها ؟ الرابع : إذ خلقتني وكلفني ، وأمرني بالسجود ، ولم أسجد لمن هو دوني ، فلم لعنني ، وأخرجني من الجنة وأنا لم ارتكب قبيحاً إلا اعدام التنزل لمن دوني وليس ذلك بقبيح عندي ؟ الخامس : إذ طردني ولعنني ، فلم مكنتني من الدخول الى الجنة مع آدم ، حتى غررته بوسوستي فأكل من الشجرة المنهي عنها ، فاخرجني واياها من الجنة ولو منعني عن الدخول الى الجنة استراح مني آدم ، وبقي خالداً فيها لم يعص ربه . السادس : حيث أخرجني ، وأخرج آدم من الجنة فلم سلطني علي أولاده ، مع ما بيني وبين آدم من الخصومة والعداوة ، ومكنتني من اضلالهم ، بعد ان خلقهم على الفطرة ؟ . السابع : اني حيث استمهلته لاحتناك ذرية آدم فقلت : انظرني الى يوم يبعثون ، فلأني شيء امهلني وقال : (إنك لمن المنظرين الى يوم الوقت المعلوم ، ولو اهلكني في الحال لاستراح الخلق مني ؟ . قال شارح الانجيل : فأوحى الله الى الملائكة عليهم السلام قولوا له : أما قولك اني إلهك وإله الخلق فما أنت بمخلص فيه، ولا مصدق به ، فإنك لو صدقت اني إله العالمين لما احتكمت علي بالسؤال بـ (لِمَ) فانا الله الذي لا إله إلا أنا ، لا أسئل عما أفعل ، والخلق مسؤولون .

هكذا في الإنجيل مسطور ، وفي التوراة مذكور .

واعلم ان كل شبهة وقعت لبني آدم في أمور دينها واعتقاداتها ، فإنما نشأت من إضلال الشيطان الرجيم ، ومن تحكيم العقل السقيم ، الذي هو غير سليم ، وان إبليس اللئيم لا يكتفي من بني آدم بمجرد العصيان ، من ركوب الفواحش ومنكرات الأديان ، بل يثابر على توهين عقائدهم ، وانسلاخهم من الدين ، لشدة عدواته لهم ، وبغضه وحسده إياهم ، فتجد أكثر ضلالات الأمم السابقة واللاحقة إنما هي من إلقاء الشيطان موادّ هذه الشبهة إلى ذرية آدم ، فلا فرق بين قول الكافر : (أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا) وبين قول إبليس : (أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا) وكذا لك قول المتأخر : (أنا خيرٌ من هذا الذي هو مَهِين) ؛ كما قال : (أنا خيرٌ منه خلقتني من نار وخلقته من طين) . ولو تتبععت عقائد أهل الضلال ، لوجدتها من شبه إبليس ، التي تقدم ذكرها ، وكلها مبنية على تحكيم العقل ، كما هو مذهب المعتزلة ، وقد نهى الله تعالى عنها ، ولذلك قال الله تعالى : (ولا تتَّبِعُوا مَخْطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) وقال تعالى : (كذلك قال الذين من قبلهم مِثْلَ قولهم تشابهت قلوبهم فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل) فاللعين الأول لما أن حكم العقل على من لم يحكم عليه العقل ، لزمه أن يجري حكم الخالق في الخلق ، أو حكم الخلق في الخالق . والأول : غلُّو ، والثاني : تقصير . فالمعتزلة غلُّوا في التوحيد بزعمهم ، حتى وصلوا إلى التعطيل بنفي الصفات ، والمشبّهة قصرُوا حتى وصفوا الخالق بصفات الأجسام ، وكذلك تشبّثت الفرق الضالة ، كل فرقة بشبهة من شبه إبليس ، فتشعبت الفرق إلى ثلاث وسبعين فرقة ، كما في الحديث الشريف ، كلها في النار إلا الفرقة الناجية ، وهم أهل الحق الذين اتبعوا النبي ﷺ في أقواله وأفعاله ، جعلنا الله منهم ، ولا عدل بنا عنهم ، وكفانا شر الشيطان ، وثبتنا على محافظة القرآن .

ذكر محاربة شرف الدين للناخوذة أحمد

ثم في سنة أربعين وتسماية أرسل الامام شرف الدين أولاده مطهر وشمس الدين علي ، يحيوشه من أهل البلاد ، لأخذ زبيد من الناخوذة أحمد ، وحط على زبيد عدة محطات ، واستمال مشايخ العرب ، وأرسل اليهم بالإحسان ، ليكونوا معه ، فمنهم من مال اليه ، ومنهم من لزم نفسه ، ومنهم من انتمى إلى أحمد الناخوذة ، وأعانه بالعدد والمدد ، انتصاراً لأهل السنة ، وفراراً من أهل البدعة ، وهم أكثر عربان أهل زبيد ، ولحج ، ومن والاهم ، وجميع رعية هذه البلاد ، فإنهم شافعيون سُنيون ، فحشد أحمد الناخوذة ، وجمع ما عنده من الترك والأروام ، والمغاربة والعرب ، فجمع سبعمائة فارس ، وكان الزيديون أوفاً مؤلفة ، لا يحرصهم عدد ، بحيث كان المعروف من رجال قبائل أهل الجبال الزيدية ما يفوق عن عشرين ألف نفر ، فخرج الترك وأتباعهم من زبيد ، على متون الخيل ، غارقين في الحديد ، في عزم حديد ، وعز جديد ، وبأس شديد ، وبرز الأمير أحمد والعساكر الاسلامية في خدمته ، وأحزاب الايمان تحت ألويته ، قد تأهبوا للقيام بفرض الجهاد ، وقمع أهل البدعة والإلحاد ، وظهرت لأهل السنة علامات العلو والاستظهار ، وبدت أعلام بشائر الظفر والانتصار ، ووثقت القلوب بأن هذه مواعيد نصر لا بد من إنجازها ، وفرصة ظفر لا بد من انتهازها ، فجردت للقتال سيوف الهيمم ، وقامت الحرب على ساق ، ونهض القوم على قدم ، وتسابقت الفرسان ، وكل منهم يود أن يكون أول سابق ، وأعملوا أسنة الرماح ، وأطلقوا أعنة الخيل للكفاح ، فأبدوا مجرّ العوالي ، ومجرى السوابق ، وأشرعت الأسنة من

الجانبين ، ورأى كل خصمه رأي العين ، فصدق الترك في القتال ، وثبتوا للحرب ثبات الرجال ، وحملوا حملة واحدة على الزيدية ، ففرقوهم شذراً مذبذباً ، وذهبوا أيدي سبا في البر الأقفور ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، بالرمح والبنادق والنبال ، وفرّ الباقون يطيطون طيران الأغر به الى الجبال ، وظفر الناخوذة أحمد بوطاقهم وأثقالهم وأحمالهم ، وغير ذلك مما عجزت الزيدية عن الفرار به معها على جماهم ورحالهم ، وحصل له اسم عظيم في الجبال ، وشأن كبير بين الرجال ، وفرّ أولاد شرف الدين الى أوكارهم ، بعد انهزامهم وانكسارهم ، وما أغنت عنهم أسلحتهم وأموالهم ، ولا استبقتهم خيلهم ورجالهم .



الباب الثاني

في ابتداء الفتح العثماني ، واستيلاء الملك السليمانى ،
المستوعب لآخر الزمان ، باذن الملك الديان
وفيه سبعة وثلاثون فصلا

الفصل الاول

في ذكر توجه سليمان باشا الخادم بالوزارة الى الهند،
ولدفع الفرقتال اللعين، وعدوله عن ذلك الى أخذ بلاد اليمن،
وفتكه بكثير من المسلمين

لما وصل الى المقدس المرحوم، السلطان سليمان خان، تغمده الله تعالى
بالرحمة والرضوان، استيلاء الفرنج على بلاد الهند وعجز أهل الهند عن مقاومتهم،
وكثرة ضررهم، وإذا هم للمسلمين، بحيث غدروا بالسلطان السعيد الشهيد،
صاحب كجرات السلطان بها درشاه، ففتكوا به مكرًا، وقتلوه غدراً، تحركت
حمية الاسلام لديه، وصعب ذلك عليه، وأمر بترتيب عمارة كبيرة في مصر،
يتوجه فيها عسكر جرار، وليوث يحمون الديار، ويأخذون بالثأر من الكفار
الفجار، ومدافع كبيرة، والآت كثيرة، وجعل (بكلاربيكي) مصر الخادم
سليمان باشا رأس هذا الاسكر، وولاه منصب الوزارة، وأطلق له السيف
والقلم، وعقد له البند والعلم، وكان فتاكًا، للدماء سفاكا، ضعيف منة
المقل، عديم الرأي والفضل، غير انه من خواص مماليك السلطان، سليم
خان، بن بايزيد خان، لم يتعلم من اخلاق سيده غير الفتك، ولم يستقر في
باله مما شاهده منه غير اراقة الدماء والسفك، وكان للسلطان سليم رحمه الله
تعالى يفعل ذلك لمصالح ملكية، واسرار ملكية خفية، وهذا يفعله تقليدًا

لسيده، ومن غير أن يميز بين ردية وجيده، كما يحكى عن مسرور خادم هرون الرشيد، انه فصد مرة فوزن دمه وسئل كم جاء وزنه؟ فقال: لا أدري غير اني رأيت الخليفة اذ فصد كان يأمر الفصاد أن يزن دمه .

وكان سليمان باشا ربي في حجر السعادة في سرايا السلطان ، وحصل من كيمياء نظر السلطنة اليه ما يفوق النضار والعقيان ، وتقلب في المناصب ، وترقى الى ذرى المراتب ، فكان عضد الدولة العثمانية ونصيرها ، ومدبر المملكة السلطانية ومشيرها ، نافذ الأوامر والأحكام ، مطاعاً فيما يقوله ، وإن كان من أوهى الأوهام ، وكانت مصر في أيامه عروساً تجلى ، ومحاسن وجه ملاحظتها كالنهار اذا تجلى ، لم يشقق جلبات شبابه القشيب ، تمزيق خراب المشيب ، ولا وصلت الى قصورها المعمورة يد الحوادث بمعاول التخريب ، وكانت (قاهرة) كاسمها لا مقهورة كما تراه الآن من رسمها والناس بعد في خير ونعيم ، وعيشة راضية ومقام كريم ، فعمل سبعين غراباً وثلاثين برشة ، وشحنها بالمدافع والمكاحل ، وملاها بالعدد والسلاح الكامل ، وجند الجنود والأبطال ، وحشد العساكر والرجال ، وأخذ من (الكور كجية) والريسا والنوتية ما يسدون عين الشمس في كبد السما ، واعد لهم من الأزواد ما يملأ الفضاء ونادى بالجهاد في سبيل الله ، على الفرققال ، وتهيأ للغزو والقتال ، وخلط هذا العمل الصالح بأشياء غير صالحة من الأعمال ، الى أن غلبت الأعمال السيئة ، واضمحل ذلك القصد الجميل غاية الاضمحلال .

فمن ذلك قتل الامير جانم الممزوي ، وولده يوسف أمير الحاج ، بمجرد الحسد وسوء التدبير والاعوجاج ، وكان الامير جانم من أعظم الناصحين في خدمة السلطنة الشريفة ، مع حسن التدبير ، ودقة الرأي والاحسان الى الصغير والكبير ، وكان هو من أعظم أسباب إصلاح المملكة في أيام عصيان أحمد باشا ، ولم يطاوعه في العصيان ، فحبسه ثم احتال الامير جانم حين خرج من الحبس ، ودبر الحيلة في قتل أحمد باشا ، الذي عصي على السلطنة ،

و (لما) خرج أعاد مصر على السلطنة العثمانية ، فجازاه سليمان باشا بشرّ
الجزء ، وعرض على الحضرة السلطانية : (اني شمت من جانم الحزاوي
وولده رائحة العصيان ، وأخشى ان العسكر يطيعونه لإحسانه اليهم) وذلك
كذب عليه لا أصل له ، وإنما حملة على ذلك الحسد والبغض ، وعند الله يجتمع
الخصوم ، فكتب اليه السلطان : (ادفع شرهما) ؛ فلما وصل اليه جوابه
أرسل اليهما ، يطلبهما الى القلعة ، وكانا قد تهبأ للسفر معه ، فوصل اليه
يوسف قبل والده ، فأمر أن يجلس به في بيت سليمان الكيخيا ، وأمر الكيخيا
أن يلاهيهِ إلى أن يصل والده ، فأخذه عنده ، وجعل يلعبان الشطرنج ،
وكان لوالده معرفة في علم النجوم ، ورأى في طالعهِ ان يصيبهِ في ذلك اليوم
حادث كبير ، فمضى الى بستان له ، ومنع الناس عنه في ذلك اليوم ، فأرسل
اليه سليمان باشا جاويشاً يأتي به ، فلم يجده في بيته ، فصار يتطلبه ، الى أن
عرف محله ، الى آخر النهار ، فدخل عليه ، وأخذه معه الى سليمان باشا في
القلعة فطلبه ، فوصل له ، فلما رأى فرس ولده الامير يوسف على الباب ،
ازداد تخيله ، وما أمكنه الرجوع ، فطلع الى سليمان باشا ، وجلس عنده
ساعة ، فقال له : هل تهبأت للسفر ؟ فقال : نعم . فقام عنه ، فتسله
الجلاد ، فلما رأى الموت تشهد ، واستقبل القبلة وصلى ركعتين ، وأمر الجلاد
أن يضرب عنقه بسيفه الذي كان معه ، فإن سيفه كان حاداً ، وسيف الجلاد
كان كليلاً ، فقطع رأسه بسيفه ، ووقعت رأسه على الأرض عند قوله (الله)
من (أشهد ان لا إله إلا الله وأشهد ان محمداً رسول الله) . وختم الله تعالى له
بالشهادة . وجاء سليمان الكيخيا الى سليمان باشا وكان مدلاً عليه ، وكان له
بالامير يوسف محبة فقال له : قد كفيت همّ جانم بقتله ، وليس لك نفع في
قتل ولده فاتركه . فسبّه وقال : اثني برأسه الآن وإلا ألحقتك به ، فمضى
اليه ، وأدخل عليه الجلاد ، مع نفرين من غلمانهِ ، فدخلوا عليه وكان مهيباً
فوقفوا بين يديه ، واستنكر دخولهم ، وتخيّل منهم ، فمد أحدهم يده إلى
عمامته ، فقال : كأنكم أكلتم الشبخ؟! يعني والده . وكان قويا ، فعافسهم

قليلاً ، فضربوا وجهه بالسيف ، وصرعوه ، ثم قطعوا رأسه ، ومضوا به الى
 سليمان باشا ، فأمر بسلخها ، فسلخا وحشياً تبناً ، وعلقا على باب زُوَيْلَةَ
 فارتجت البلد ، وغلقت الاسواق ، وكان عصر يوم الاربعاء ، آخر يوم في ذي
 الحجة ، سنة أربع وأربعين وتسعمائة ، وبعد التعليق ، دفعوا أجسادهما ،
 وجاجم رؤوسهما ، والمسوخ من جلد رأسها ، لأهلها ، فما عرف احدى
 الجمجمتين من الاخرى ، فوضعوا احدى الجمجمتين في احدى الجلدين ، والثانية في
 الثاني ، ودفنا بالقرافة ، عند تربة الامام الشافعي رضي الله عنه ، وترحم
 الناس عليهما ، وأسفوا على فقدهما رحمهما الله تعالى ، وكان وقوع هذا الفعل
 بالامير جانم جزاء وفاقاً ، لما فعله الأمير جانم بالقاضي شرف الدين الصغِير
 بضم الصاد المهملة ، وفتح العين المعجمة ، وتشديد الياء التحية المكسورة ، والراء
 المهملة . وكان رئيس الدولتين من أكبر المتعممين بمصر ، وأعرف المباشرين في فن
 المباشرة ، وأحفظهم للمقاطعات الديوانية ، والجهات المصرية ، بحيث انتهت
 اليه الرئاسة في حفظه ، وإملائه لها عن ظهر الغيب ، بدون دفتر ، فعظم
 عند حكام مصر من (البكركية) والوزراء ، وكان بمثابة (دفتر دار) وحسده
 جانم الحمزاوي على مرتبته ، وخاف منه ، وسعى في قتله ، وتوجه إلى الباب
 العالي وبث أمره فيه ، وأخذ أحكاماً في شأنه بما أراد ، فتخيل القاضي
 شرف الدين الصغِير ، وتوجه عقبه الى الباب ، ليدفع شره ، فصادفه في
 (اسكودار) راجعاً من الباب ، ولقي القاضي شرف الدين بسن ضاحك ،
 وإظهار تودد وتطمين ، ومعاقدة أيمان وتأمين ، وقد خبأ له السم في الدسم ،
 ودس له أنياب الافاعي في لين جلد الأرقم ، وقال له : الى أين تذهب ؟ وفيم
 تنفق كنوز الذهب ؟ احفظ مالك ولا تنفقه سدى ، ولا تشمت بك العدى ،
 وهلم بنا الى الصلح فالصلح خير ، وارجع لنتعاقد على أن لا ضرر ولا ضرير ،
 ونكون كروح في جسدين ، ونرفع ما بيننا من الخلاف والبين ، ففرح القاضي
 شرف الدين بذلك وتلقاه بالقبول ، وما فطن انها خديعة تذهب بالعقول ،
 وغره كلامه الرائق ، وخذعه حلاوة منطقته وظن انه بالنصح له ناطق ،
 ورجعا مصطحبين ، وعادا كروح في جسدين ، بعد أيمان كثيرة ، كلها من

جانم كذب غموس ، وغيل كامن في النفوس ، ودفع الأمير جانم مالا كثيراً الى شرف الدين ، أعانه له على الرجوع عن الغش والغدر ، وتصفيته للسر وإزالة الغل من الصدر ، فرجعا الى مصر ، ووضعنا عن جيد البسط والسرور اعباء المشاجرة والأضر ، فما استقر بالقاضي شرف الدين قراره ، ولا فرح به أهله ولا تمّ مزاره ، حتى أخرج له مراسم كالعقارب تسمى اليه ، وأحكاماً تدب كالأفعوان عليه ، فأخذه بمقتضى تلك الاحكام ، وسله الى (الصوباشي) فعذبه بالاسكنجة وأنواع الآلام ، ليستصفي ماله أولاً ، ثم يقتله حقيراً مذلاً ، فصبر على العذاب ، وقال له في الجواب : الأولي بمالي منك بطن التراب . وباع عليه بالجبر أوقافه وعقاره ، وسقاه من كؤوس العذاب عقاره ، واستمر يعذب ويقرع بالمقارع ، وما له في ذلك من دافع ، وصار يضرب الى ان رجع الشرف الى الهبوط ، وانقطع رجاء الحياة بالقنوط ، الى أن مات الى رحمة الله الكريم ، وقدم على ما قدم ، من عمل صالح أو سيء تقدم ، ثم تسلم الامير جانم من أقارب شرف الدين شاباً فاضلاً ، ذكياً ، لودعياً ألمعياً ، كأنما صور من نور ، أو تفلت على رضوان من الولدان والحرور ، يقال له القاضي منصور ، فَضُلَ بين أقرانه وأترابه ، وفاق في حسن الخط وضبط الدفتر وحسابه ، ونظم الشعر الفائق ، ونثر النثر الرائق ، وتأدب بالآداب ، وأعرب شكله عن مליح الإعراب ، أحفظ له مطلع قصيدة ، عملها في مدح القاضي شرف الدين ، وقد عوفي من رمد أصابه . وهي :

بِإِسْرَائِكَ يَا عَيْنَ الزَّمانِ وناظِرِهِ وجوهُ الوري أضحت من البشر ناظره

وله قصيدة نظم فيها أسماء الله الحسنى مطلعها :

الله أكبر مسؤولاً ، وأوفاهُ يجيب إن أضمر الداعون ، أو فاهوا

هذا وما نغم بعد عذاره وما اكتسى بالآس المخضر جلناره ، وهو في برد الشباب القشيب ، يهتز كالغصن الرطيب ، فخطفه خطفة الذئب ريم الغزال ، وذاقه سوط العذاب بعد ذاك الدلال ، وعذبه بشديد النكال بعد تيه الجمال ،

وكانت له والدة حنوننة ، مولعة بحبته مجنوننة ، ما لها سواه ، ولا ولدت الا إياه ، فدارت على العلماء والصلحاء ، وتوسلت بالمشايخ والاولياء ، وحملتهم على الامير جانم ليدفع لها ولدها ، ويبرد بذلك كبيدتها ، فظهر لهم اجابة سؤلهم ، ووعدهم الى الليل بنجح آماهم ، وقال لها : اسلمه اليك في هذه الليلة ، وعقد على ذلك أيماناً جليظة ، وارسل اليه سماً مجمولاً في (سنبوسك) فلما أكله أحس بالسم ، فاستعمل له (بازهرا) كان معه ، يدفع السم لساعته وينجى من أكل السم وآفته ، فدفع عنه السم ، فدرى الأمير جانم بذلك فأمر الصوباشي أن يخنقه ، فخنقه ، فلما جاء الليل سلمه الى والدته ميتاً ، فدعت علنه وعلى ولده يوسف ، بقلب مقروح ، ودمع مسفوح ، دعاء المظلوم المقروح ، على الظالم المغرور الجموح ، فاستجاب الله لها دعاها ، وانفذ سهام بلواها ، ولم يمض حين إلا وبلغها ان رأس جانم وولده في هذه الليلة، معلقان في باب زويلة ، فتخلقت بالزعفران سروراً ، وجاءت ووقفت تحت رأسها ، واظهرت فرحاً وحبوراً .

ثم إن الأمير جانم ما اكتفى بقتل هذين الرجلين ، حتى عززها بثالث ، وكان ذلك من أعظم الحوادث الكوارث ، وهو أن الشيخ الفاضل الأديب ، الشاعر اللسن الاريب ، شمس الدين محمد الدمياطي ، قتله الأمير جانم بغير ذنب يوجب قتله ، غير انه كان مصاحباً للقاضي شرف الدين ، وبلغه عنه انه قال له ، كيف اغتررت بكلام جانم وأنت في (اسكودار) ؟ وهلا دخلت الى الباب العالي واتقنت أمرك واتقنت الفرار ؟ ! فحملة على ذلك أن أخرج فيه حكماً بصلبه ، على شجرة جميزة على باب مدرسة السلطان حسن ، في سوق الخيل ، بالرميلة ، والناس راجعون من دفن القاضي شرف الدين ، وكان جليلاً فاضلاً ، عالماً كاملاً أديباً ، اريباً عاقلاً ، لييباً ، احفظ له من شعره هذا البيت من قصيدة له في الفخر والحماسة :

لو شئتَ أطلقتَ لا دعوى ولا كذبا وقئلتَ : كل الورى في الشعر لي تبعُ

وله أيضاً :

لقد فتحت باب الرضا بعد هجرها شقيقة بدر التّمّ وانجبر الكسرُ
فكُنْتُ بعد الضم ما قد نصبتَه وقلت : ارفعي جزماً ، فقد طاب لي الجرُّ

جمع فيها ألقاب الإعراب ، والقباب البناء ، وله أيضاً :

الحق أقرب من أن تستعدّ لهُ بعدة ، أو ترجى دونه سبباً
إذا اصطفاك لأمر هياتك له يد العناية ، حتى تبلغ الأرباباً

ونظم « متن المنهج » لشيخ الاسلام زكريا ، وله محاسن غزيرة ،
وفضائل شهيرة ، ورسائل في الفقه والتصوف والادب كثيرة ، وكان مهيباً
ظريفاً ، حسن البزة ، نظيفاً قنوعاً لطيفاً ، رحمه الله تعالى وعوضه غرفات
الجنان وبلّ مضاجعه بزال الرحمة والرضوان .

وهذه حوادث ذكرناها استطراداً ، وزينا باطواق مواضعها من الدهر
اجيادا ، وان خرجت بنا عن المقصود ، وزادت على المطلب المعهود ، لما في
ضمنها من التجاريب والأعاجيب ، والوعظ المفيد ، والنصح السديد .
ثم إن سليمان باشا بعد قتله لجانم الحمزاوي ، تلمح أيضاً بصلب الأمير داود بن
عمر ، أمير الصعيد ، من غير ذنب أتاها ولا ذنب سواه غير كثرة ماله ، وبذل
يده وسعة حاله ، فطمع الباشا سليمان ، فطلبه الى الديوان ، فلما جاء اخذ
هداياها أولاً ، ثم عاتبه لقصد قتله معللاً ، فقال : كيف ترسل الينا قمحاً غير
نظيف ؟ فقال : انا ما جئت الا بقمح مثل الجوهر اللطيف ، فأمر به الى
باب زويلة وعلق في عنقه منديلاً فيه قليل قمح ، وصلبه هناك ، وأحاط
بجميع أمواله وخزائنه ، وظفر بكنوزه ودفائنه ، وقتله وهو مظلوم ، وعند
الله تجتمع الخصوم ، وكان من أحسن أمراء الصعيد ، كثير البر والصدقات ،
محباً للخيرات والحسنات ، يحسن في كل عام الى كل واحد من علماء جامع
الأزهر والمشايخ المسلمين في ذلك القطر الأزهر ، بالخمسة الف دينار فما

دونها ، ولا يعهد ذلك لغيره من أمراء الصعيد ، حج في سنة سبع وثلاثين
وتسعمائة ، وأغدق على أهل الحرمين ، وأوصلهم احساناً عميماً ، وتصدق
بصدقة كبيرة من الدراهم والقمح عم بها أهل الحرمين تعميماً ، رحمه الله تعالى ،
وضاعف رحمته عليه ووالى ، وكان محسناً للوافدين ، ملجأً للقاصدين ، كهفاً
للواردين ، ختم الله له بالحسنى ، ومنحه الشهادة مقاماً أسنى ، فلقد رزقه الله
تعالى العلوّ في الحياة وفي المات ، وأقدمه على ما قدم من الحسنات ، فكان
كاقيل في بعض المراثيات :

علوّ في الحياة ، وفي الماتِ لحقّ أنتَ إحدى المعجزات

وما اكنفى سليمان باشا بقتل من ذكرناه ، بل صلب بعدهم عدة من أمراء
العرب ، منهم ابن ابي الشوارب ، وزُعيّر ، من أمراء الصعيد . وكان سفاكاً
للدماء ، بسبب قريب أو بعيد ، وان الله على كل شيء شهيد .



الفصل الثاني

في ذكر وصول داود باشا الى مصر ، وتوجه سليمان باشا
من مصر الى السويس ، ووصوله من البحر الى جدة

لما قضى الوطر من أراد قتله سليمان باشا ، وقرب سفره الى الهند ، وصل
الى مصر ليستلمها عنه ، داود باشا الخادم ، وكان رجلاً حليماً ، باذلاً كريماً ،
تربى في السراي العالي ، وتقلب في المناصب والمعالي ، الى أن صار خزينته (دارباشي)
وله فضيلة ومعرفة باللسان الفارسي ، ومحبة للفضلاء والعلماء ، وإحساناً اليهم ،
وحنواً عليهم ، وكان دفتر داره محمد بن سليمان ، جركسي الأصل ، كثير
الفضل ، يجالس العلماء ، ويحب الفضلاء ، ويحسن اليهم ، ويتعطف عليهم ،
ويتفقد أحوالهم ، ويزيل مِلاهم ، وكانا من تنفسات الزمان ، وحسنات
الدوران ، وكانت مصر في أيامها تضاهي الجنان ، مشحونة بالخور والولدان ،
محفوفة بالروح والريحان ، رحم الله روحيهما ، وبَلَّ بصَيِّب الرحمة ضريحيهما .

وبعد تسلم داود باشا البلاد ، من سليمان باشا ، سافر سليمان بجنوده الى
السويس ، وركب البحر ، فسخر الله له الريح ، كما سخر له مردة الانس من
ذلك العسكر الفسيح ، فوصل الى بندر جدة ، بعد سبعة أيام ، مع عساكره
وجيوشه ، وأسوده في الحرب ووحوشه ، فأمال أهل جدة ما رأوا من
الأجناد ، واضطربت لخشيته البلاد ، غير انه ضبط العسكر أقوى ضبط ،

ولم ينزل هو ، ولم يمكن أحداً من عسكره من النزول ، فشكر على هذا الضبط والوصول ، وطلع اليه جماعة مولانا السيد الشريف بجدة يومئذ ، وهم يرتعدون فرّقا ، وينتفضون خوفاً وقلقا ، فتلقاهم بالإكرام ، وألبسهم الخلع والتشريف ، ولم يصدر منه شيء من الارعاب والتخويف ، ومضى عنهم شاكراً حميداً ، ورجعوا عنه حائزين في اعتقادهم عمراً جديداً ، وذلك لما عهد من بطشه وفتكه ، وحبه لإراقة الدماء وسفكه ، فدعر لذلك من دعر ، وسلم الأمر الى خالق القوى والقدر ، من احتسب وصبر.



الفصل الثالث

في ذكر توجه سليمان باشا الى عدن
وقتله لصاحب عدن غدرأ ، وأخذها منه جبرأ وقهرأ

لما توجه سليمان باشا من جدة ، قصد المرور بـعدن ، وكان صاحبها يومئذ عامر بن داود ، بقية بني طاهر ملوك اليمن سابقاً ، ولم يبقَ في يده من مملكة أسلافه بني طاهر إلا قلعة عدن ، من سائر ممالك اليمن ، وكان شاباً كريماً ، جواداً حليماً ، محسناً الى الناس ، باسطاً لهم وجه اللطف والايـنـاس ، يعظم الشرع الشريف ولا يخرج عن حكمه ، ويوقر من وفد اليه من العلماء ويكرمه لعلمه ، الى غير ذلك من الخصال الجميلة ، والحلال الحسنة الجليلة ، الشاهدة له بكرم أصله ، وجودة فضله ووصله ، فلما بلغه وصول سليمان باشا ، للغزو في سبيل الله ، وقطع جادة الإفرنج عن الإضرار بعباد الله ، فتح له باب عدن ، وأمر أن تزين ، وجمع له من البلاد ، ما أراد ، من الأزواد ، وتوجه هو ووزيره للسلام عليه ، الى الغراب الذي هو فيه ، فبمجرد أن رأى سليمان باشا باب عدن قد فتح ، امر عسكره بدخول عدن ، وأخذها ، فلما وصل اليه عامر ألبسه ومن معه خلعاً ، ثم أمر بصلبهم على الصاري ، في الغراب الذي هو فيه ، ونهب العسكر داره ، وشرعوا في نهب البلد ، فأمر مناديا يمنهم عن نهب الناس ، ونادى في البلاد بالأمان ، واستناب في البلاد بهرام بك ، سنجقاً

كبيراً ، ونائباً أميراً ، ورتب لديه عسكرياً وعدة من المدافع والمكاحل ، ووضع فيها (نوبتجية) ودآدارا في القلعة ، وحصارية ، وضبط البلاد بذلك ، وعدة ذلك من فتوحاته ، وكتب الى الابواب : انه أخذ عدن قهراً ، وانه افتتحها قسراً ، وشاع غدره بصاحب عدن ، في أطراف البلاد ، وأكناف العباد ، وسبقه خبر هذا الغدر الى بنادر الهند ، ونفرت خواطر الناس منه لذلك ، ولما بلغ أهل الهند فعله بعامر ، زاد نفورهم منه ، وكان ذلك سبباً لعدم مساعدتهم له على الفرقتال . وكتب على باب عدن : انه افتتح هذه البلاد في سنة خمس وأربعين وتسعمائة ، وتوجه الى الهند لقتال الفرنج الذين في الديو .



الفصل الرابع

في ذكر توجه سليمان باشا من عدن الى الديو ورجوعه منه

كان الخوaja صفر الملقب من سلطان الهند بخداوندخان ، مملوك المرحوم سلمان القبطان ، موجوداً إذ ذاك ، فلما بلغه توجه سليمان باشا إلى الهند لقتال الفرنج ، شمر ساعد الجد ، وضيق على الفرنج من جهة البر ، وهيا العسكر لقتالهم معاضدة لسليمان باشا ، ومناصرة له على الكفار الملاعين ، فلما وصل نزل بموضع يقال له (مظفر آباد) بقرب (الديو) ، فأرسل اليه الخوaja صفر بأنواع التقدام والهدايا ، وأراد أن يأتي اليه فنصحه شخص من أصدقائه ، من جلساء سلمان كيخيا اخص الخواص لدى سليمان باشا ، فقال له : ان لك علي حقاً واجباً ، وان لي نصيحة ، أبذلها لك . فاختلى معه ، وقال له : ان سليمان باشا فتاك قتال ، لا يبقي على أحد ، وانه قتل عند بروزه من مصر جانم الحمزاري ، وولده يوسف ، وقتل الامير داود بن عمر ، وعند وصوله الى عدن ، برز الى ملاقاته عامر بن داود صاحب عدن ، وفتح له الابواب ، وظهر السرور بقدمه ، فصلبه بمجرد الوصول اليه ، وأنا أنصحك فلا تقابله . فتخيل خداوندخان من ذلك ، وعرف انه متى وقع في يديه لم يسلم منه ، واستمر يخدمه على بُعد ، ويرسل اليه الهدايا والتحف ، وكلما طلبه الى عنده تعلل بنوع من الاعذار ، ثم ان السلطان محموداً أرسل اليه خاناً كبيراً

من خوانينه ، مثل البكلربكي عندهم ، يقال له (شق دار) يعني حافظ شق المملكة ، وكان له نحو خمسين ألف فارس ، وقال له : قم في خدمة سليمان باشا ، وأعنه بعسكرك على الفرنج ، وآتهم بالذخيرة ، وبكل ما يحتاجون اليه . وكان اسمه (اولوخان) وكان حقيير المنظر قصيراً ، في لباس الهنود ، فلما رآه سليمان باشا احتقره ، عن أن يقوم له ويعظمه ، فاستمر واقفاً الى أن أدى رسالته ، ولم يأذن له في الجلوس عنده ، وبرز من عنده ، فلم يعد اليه ، ومضى الى السلطان محمود ، واشتكى اليه ازدرائه له ، وعدم مقابلته بالإكرام ، فتكدر منه السلطان محمود لذلك .

ثم ان سليمان باشا ارسل جاويشاً معه قفطان وسيف مسقط ، الى السلطان محمود ، فلما وصل اليه تعجب من فعله ، وطلب الجاوش ، وقال له : قل لأستاذك إن كانت هذه الخلعة والسيف من عند حضرة السلطان سليمان ، نلبسها ، وإن كان من عندك فليس من مرتبتك إرسال الخلعة الينا . ورجع الجاوش وأخبره فامتلاً غيظاً ، وتأسف على فوات (اولوخان) وخلاصه من يده ، وأضمر السوء لأهل الهند ، وأضمرُوا له السوء ، وتشاحنت الانفس ، وأرسل السلطان محمود الى (خداوندخان) يأمره بالحيلة في هروب سليمان باشا ، فدبر الحيلة في ذلك ، وزوّر كتاباً بخط الفرنج ، من عند كبيرهم (ورنديور) الذي في (كوه) الى كبير الفرنج في (الديو) فيه : انا قد جمعنا الجموع ، وتهيأنا في ثلاثمائة غراب ، وخمسين برشة ، وقد فرغنا من مصالحنا ، ونحن متوجهون الى دفع عسكر الروم ، فإذا ظهرنا من البحر ، فابرزوا انتم ايضاً من قلعة (الديو) للقتال . وأشاع (خداوندخان) أنه أمسك قاصد الفرنج ، وأخذ كتبهم ، فأرسل سليمان باشا اليه ، يتحقق منه هذا الخبر ، فأرسل اليه المكتوب الذي اصطنعه ، وقال : قد صح عندنا من طريق البر صحة ذلك ايضاً ، ولكن سيف السلطان طويل ، وأنتم في قوة وشوكة ، ونحن معكم ؛ ونحو ذلك من التطمينات . وكان سليمان باشا خواراً خوفاً لم يعهد منه شجاعة ولا إقدام ، وإنما كان يفتك بمن وقع في يده مأسوراً مربوطاً ، فركبه

من ذلك خوف عظيم ، وتفرقت عساكره ، وصاروا يخدمون خوانين الهند ،
طمعاً في كثرة العلوفة ، فإن واحداً من أفراد العسكر ، اذا كانت علوفته
عشرة عثمانة كل يوم ، يعملون له ديناراً ذهباً كل يوم ، فازداد بذلك خوف
سليمان باشا ، وترك المدافع الكبار ، لحداوندخان ، وركب في أغربته ، وعاد
الى اليمن ، وفرح بخلصه من الهند ، وقرت عينه بذلك وناظره ، واطمن
خاطره .



الفصل الخامس

في ذكر وصول سليمان باشا الى الخنا ، وطلبه للناخوذة أحمد ،
والغدر به ، وولاية مصطفى بك ، نائب غزة في زبيد وأعمالها

لما برز سليمان باشا من الديو ، أقلع الى أن وصل بجميع الأغرابة والبرشات ،
وما فيها من المدافع وآلات الحرب ، الى بندر الخنا ، ما عدا ست مكاحل
كبار ، استعجل عن تحميلها ، الى البرشات ، فتركها في (مظفر آباد) وما
عدا من تسحب عن المسكر والكور كجبية ، الذين تأخروا في الهند طمعاً في
العلوفات الكبيرة ، ولم يكن معه شيء من الخيل غير طويلة واحدة ، وهي
ثمانية رؤوس من الخيل ، فنزل في بندر الخنا ، وضرب وطاقه ، وأرسل
الى الناخوذة احمد بخلمه ومرسوم فيه الامان ، وأن يكون نائباً عن
السلطنة بملكة اليمن ، كما كان ، وأن يصل بنفسه ، يدوس البساط ،
ويحصل له كمال الشرف والانبساط ، فلما وصل اليه المرسوم ، استشار
أخصاءه ، فكلهم أشار عليه بعدم المواجهة ، وقالوا له : انه لم يكن عنده
شيء من الخيل ، ونحن عندنا سبعمائة حصان ، ومعنا نحو ألف عبد أسود ،
فإن قاتلنا قاتلناه ، وإن رضي منا بالإطاعة أطعناه . فلم يستصوب هذا
الرأي ، وركب اليه لملاقاته ، هو وخاصة عبيده وكانوا نحو الخمسمائة ، ووصل
اليه طائماً ، لابساً خلمته ، هو وولده ، وولد اسكندر موز ، وهما صبيان ،
دون المراهقة ، وقدم اليه من هدايا اليمن ما قدر عليه ، فلما دخل عليه أمر

بقتله في الحال ، وذلك في ثامن شوال ، سنة خمس وأربعين وتسعمائة ، فتشتت عبيده ، فنأدى فيهم مُنادي : من أراد من العبيد السود العلوقة السلطانية عند الوزير فليأت ؛ فاجتمعوا بأسرهم ، ودخل معهم من ليس منهم ، طمعاً في العلوقة ، وأدخلوا حوشاً كبيراً ، له باب واحد ، وصاروا يخرجونهم اثنين اثنين ، ويكتب اسمها الكاتب بحضوره ، ويبرز بها الى خارج الباب ، فيرمي رقابها ، ولم يشمر بها أحد منهم ممن داخل الحوش ، ولم يعلموا ما يفعل بها عند الباب ، الى أن قتل الجميع . وكان عنده من امراء السناجق مصطفى بك نائب غزة ، فكتب له طُغراء سلطانياً ، وولاه زبيد ، وجميع ضواحيها ونواحيها ، واستمر بزبيد يتبع أموال الناخوذة أحمد ، واسكندر موز ، وأخذ ولديها عنده ، وعمل لها علوفة ، وجهازها الى مصر ، ونصب الأمناء والكشاف ، وكتب علوفة لمن بقي من عسكر اليمن ، وأمر عليهم مصطفى بك المذكور ، وأرسل جاووشاً بمكاتبات ، الى الامام شرف الدين ، في الجبال ، يداريه ، ويطمئن خاطره ، وجاءته أجوبة بالتهنئة ، واظهار الملاءمة ، وقرر أمر المملكة ، وأقام فيها من أراد من العسكر ، وعاد ، هو طالباً بندر جدة ، بما معه من الأغربة والبرشات ، وأرسل إلى الباب العالي جاووشاً مبشراً بفتح اليمن ، وانه أخذ من البلاد ما لا يمكن حصره ولا عده ، وكتب اسم كل ضيعةٍ وقرية ، ليس فيها الا بقرتين ، وعظّم الأمر جداً كيلا يقال : ضاع سفره سدى ، والقى في سمع السلطنة من ذلك شيئاً كثيراً ، تمويهاً وتزييقاً ، والله تعالى يسامح الجميع ، ويدخلهم في بحر فضله الواسع وغفرانه الواسع .



الفصل السادس

في ذكر عود سليمان ياشا من اليمن الى جدة ، في الإياب
وادائه الحج ، وعوده الى مصر ثم الى الباب

لما قرر سليمان باشا امر اليمن ، على الوجه الذي تقدم شرحه ، جمع ما كان صحبته من الأعرية والبرشات ، وشحنها بمن بقي من العسكر والآلات ، وركبها قاصداً الى جدة ، ومر بطريقة علي جازان ، وكان مولانا السيد الشريف ابو نمي ادام الله سعده ، واسعد جده ، اخذ جازان في سنة اربع واربعين وتسعمائة ، من عامر عزيز ، بعد ان حاصرها واقتلعها منه ، وسبب ذلك استطالة عامر عزيز على شرفاء مكة بلسانه ، وادعاء الافتخار بحسامه وسانه ، وذكر ما لا يليق بشأنهم الشريف ، والسفه عليهم بكل كلام قبيح ووضع سخيف ، وتكرر منه هذا الوضع الشنيع ، وبالغ في الاحتراس والتبشيع ، فحركتهم النفس الأبيّة ، وشمخ انفسهم بالعصبة والحمية ، وعاملوه بالكلام بدل الكلام ، وخاطبوه بالسنة السيوف عن السنة الاقلام ، وانشدوه على أجنحة السهام قول ابي تمام :

السيفُ أصدَقُ انباء من الكتب في حده الحدُّ بين الجِدِّ واللعب
بيض الصفيّاح ، لاسودُّ الصحائف في مُتوتن جلاء الشكِّ والرّيّب

فتوجه لقتالهم سيدنا ومولانا السيد الشريف ابو نمي ادام الله تعالى عزه

ونصره ، ونفذ في الخائفين نهيته وامره ، وجمع الجموع ، وسرى بربعه الى تلك
 الربوع ، واراها مقدارهم في ديارهم ، واحاط بقلعتهم وحصارهم ، فما اطاقوا
 جلاده ، ولا حملوا قواضيه وصعاده ، وخرجوا فارين من الحصن ، على الحصن
 الجياد ، طائرين من المهاد الى الوهاد ، فهرب عامر الى اقصى البلاد ، وتسلم
 مملكة جازان عسكر مولانا السيد الشريف ابي 'نمسي' واقام فيها من جانبه
 مقدماً يضبطها ويعولها ، وصار اليه محصولها ، فلما احاط سليمان باشا علماً
 بذلك ، أخرج من جازان نائب السيد الشريف ، وقرر فيها نائباً من جانبه ،
 وجعلها من مضافات صاحب زبيد ، ورتب فيها عسكراً من الاجناد ، وزعم انها
 مما افتتحه من البلاد ، وتعدى الى ان وصل الى جدة في العشرين من ذي العقدة ،
 سنة خمس واربعين وخمسة ، وضرب نخيمه في ساحل جدة ، وجهر جميع
 الأغرابة والبرشات ، والآلات التي معه الى جهة مصر ، وصار في فئة قليلة ،
 وتوجه الى مكة لأجل الحج ، وكان مولانا السيد الشريف أبو 'نمسي' دامت
 سعادته ، غائباً في نواحي الشرق ، ودخل سليمان باشا الى مكة ، وطاف
 وسعى ، ونزل في قرب باب العمرة ، في الموضع الذي كان مدرسة للمنصور
 الفسافي ، من بني رسول ، سلاطين اليمن فيما قبل ، وصار الآن رباطاً للمرحوم
 داود باشا ، في القاعة المطلة على المسجد الحرام ، من جهة باب العمرة ، وأتى
 مولانا السيد الشريف أبو 'نمسي' - دامت سعادته - من البر للسلام عليه ،
 فلم يشعر به الا وقد لاقاه ، بعد أن فرغ من الطواف ، وهو يصلي في حجر
 اسمعيل ، وقد احدثت بالطواف ، وأبواب المسجد ، عساكر مولانا السيد
 الشريف ، وازدحوا عليه في الحجر ، فأهاله ذلك ، فلاطفه مولانا السيد
 الشريف ، وتحادثا قليلاً ، ثم ذهب مولانا السيد الشريف عنه الى البر ،
 فوصل في ثاني ذلك اليوم أمير الحاج المصري ، وكان في ذلك العام ، مصطفى
 بك ، المعروف عند الأروام (صغصغان مصطفى) وعند العرب مصطفى
 النشار ، لأنه نشر بعض قطاع الطريق نصفين ، بالمنشار ، وكانت العادة
 دخول أمير الحاج في موكب عظيم ، ومشاعل بكثرة ، ليلاً فيطوف طواف
 طواف القدوم ، ويعود الى الزاهر ، ويدخل في الصباح في موكب آخر ،

يلاقيه فيه صاحب مكة ، بخيله ورجله ، والقضاة والأعيان ، ويوصلونه الى محل سكنه المعتاد ، وهو مدرسة الأشرف قايتباي . فترك مصطفى أمير الحاج جميع ذلك النظام ، ودخل وحده وخلفه مملوكان ، وبدأ بالسلام على سليمان باشا قبل الطواف ، وهو خائف يرتعد منه ، وقدم له هدايا ، وهو غير آمن منه ، لأنه هو وجميع من بمصر من الأمراء وغيرهم ، ما كانوا يتوقعون عود سليمان باشا من الهند ، خصوصاً مع هذه السرعة ، وظنوا أنه يصير نسباً منسياً هناك ، فتقرب أكثرهم الى خاطر داود باشا ، لا سيما مصطفى النشار ، فانه انتدبه لأمر مهمة ، وصار من أعظم خواصه ، فلم يطب خاطر سليمان باشا ، وأدرك مصطفى النشار بذلك ، وصار في غاية الخوف منه ، والمداراة له ، وأظهر سليمان باشا جبروته بمكة ، وعمل ديواناً في مقام الحنفي ، ونُصِب له كرسي وجلس عليه ، وكان قاضي مكة يومئذ مصلح الدين افندي ، المعروف بمصدر مصطفى ، وهو أول قضاة الأروام ، الذين تولوا قضاء بلد الله الحرام ، فطلبه الى ديوانه بمقام الحنفي ، وأجلسه تحت الكرسي ، في الأرض ، ووقف بين يديه شخص من الأروام صوفي^١ يقال له : موسى ، وينبذ بقزله آشك ، فقال له سليمان باشا : أنت الذي يقال له (قزل آشك) فقال : سود الله وجهه من لقبني بذلك . فأمر به ان يفرش ويضرب ، فقال له : هذا بيت الله الحرام لا يضرب فيه احد ، فأمر باخراجه الى باب السلام ، وضربه هناك ، فأخذ الى باب السلام ، وكان الذي أمره بضربه عنده لُطْف ، وخوف ، من الله تعالى فضربه نحو العشرين سوطاً واطلقه ، ورجع الى سليمان باشا وقال له : ضربناه ضرباً مبرحاً الى ان انقطع ائينه ، وحملوه في بساط . واستعظم الناس بعض اوضاعه الجبروتية ، وطلع الى عرفات للحج ، مع سائر الحجاج ، ووقف بذلك الموقف الشريف ، وهو في غاية الاعوجاج ، والتحريف ، وما رأى احد منه صدقة ولا ضراعة ، ولا اطعاما لفقير يدفع عنه المجاعة ، بل يقال : انه دار في أرض عرفة ، وطاف بنخم الناس ومضارهم ، فمها اعجبه منها كتبها عنده ، وكتب اسم صاحبها في دفتر ، فلما عاد من الحج ارسل الى اصحابها لطلبها منهم ، فأخذ ما

راد منها ، بعضها بغير ثمن ، وبعضها بأبخس ثمن ، فهذا من جملة اعماله في ذلك اليوم الشريف ، بذلك المحل الاطهر المنيف ، ولعل الله تعالى غفر له جرائمه ، وعفا عنه مظالمه ، ببركة الحج الشريف ، ووقوفه بذلك الموقف المكرم المنيف ، فقد ورد في ذلك آثار كثيرة ، واحاديث كريمة أثرية ، تُطْمِنُ في رحمة الله تعالى ، يرجو بها العبدُ غفران ذنبه وان عظم وتوالى ، ويُرضي الله تعالى الخصوم ، ويبرئ بمرام الفضل والانعام ما سبق لهم من الجراح والكلوم .

ثم ان سليمان باشا بعد اداء الحج ، توجه برا الى مصر ، واخذ من امير الحاج المصري والشامي ما اراد من الجمال والدواب ، وتقدم على ركب الحاج ، وصار هو ومن معه ركباً وحده ، وتوجه معه المرحوم المقدس مولانا السيد احمد بن سيدنا ومولانا المقام الشريف العالي ، نجم الدنيا والدين ، السيد الشريف ابو نُمَيْيٍّ ، وهو مرهق بعد ، لأن يدوس بساط السلطنة العظمى ، ويتشرف بلثم ركبها الأسمى ، واستدعى له والده ان يكون امير مكة المشرفة ، وان يخفق على رأسه اللواء الشريف السلطاني ، ويبلغ بذلك نهاية السؤل وغاية الأمانى ، وصحبه من اعيان مكة وكبرائها ، وساداتها وقضاها وعلمائها ، جمع كبير ، اختاروا السفر معه والمسير .

منهم قاضي القضاة ، شيخ الاسلام واسطة عقد الليالي والأيام ، رئيس مكة وكبيرها ، ومشيد أركانها ومشيرها ، من له أصل أصيل ، له في السيادة سمو ، وبيت كبير له في الرياسة نمو ، وعرق عريق لفروعه في المكارم رواحٌ وغدو ، مولانا القاضي عبد الوهاب تاج الدين ، بن نجم الدين المالكي الشهير بابن يعقوب ، نسبة الى جده الأعلى .

ومنهم قاضي المسلمين ببلد الله الأمين ، أحسن الناس وجهاً وقداً ، وشكالة ، وهيكلًا يملو العيون قبولاً وجلاله ، ذو الأصل العريق ، والأرومة الشاخنة غصنها الوريق ، القاضي ابراهيم بن أحمد بن أبي السعود بن ظهيرية الشافعي .

ومنهم السيد المثل ، والشريف المكرم الجليل ، سفير الدولة الحسنية
ولسانها ، وترجمان كلمتها الى سلاطين زمانها ، نقاوة السادة النّموية ،
وخلاصة الغرة النّبوية ، السيد عرار ، بواه الله جنات تجري من تحتها الأنهار ،
ومن انضم اليهم في لفيفهم ، ونظمه سلك عقدهم بواسطة شريفهم .
وكان جل المقصود من هذا السفر عود مناصب القضاء الى قضاة العرب ،
كما جرت به العوائد السابقة ، من الأزمان السالفة ، فما أنجح مرامهم ، ولا
أصاب مرامهم سهامهم ، وبعد التعب والأين ، وقطع شقة السفر ومشقة البين ،
عادوا بخفّي حنين .

ووصل سليمان باشا الى مصر ، ثم توجه الى الباب العالي ، ومعه الجماعة
المذكورون ، وكان الوزير الأعظم يومئذ لطفي باشا ، زوج اخت حضرة
السلطان ، سليمان خان ، تغمده الله تعالى بالرحمة والرضوان ، فأظهر لهم أنه
افتتح عدن ، وألحقها بإقليم اليمن ، وعظم شأن ذلك القطر الواسع ، وكبر
قدر ذلك المكان الشاسع ، وسمى لهم أسامي بلدان ، وأمصار وحصون ،
كبيرة المقدار . واسعة المجال والمدار ، وهم لا يعرفون شيئاً مما ذكره ، ولا
الأسماء فضلاً عن المسمى ، ولا يحلون ما عقده لهم من ذلك المَعْمَى ، وقال
لهم : افردوا لي ديواناً يعطى فيه المناصب ، في البلدان التي افتتحت عنوة
بسيّفي القاضب ، وبين لهم بذلك نتائج سفره ، وتبجّج عندهم بنصرته وظفره ،
ولو نظروا في حقيقة الحال ، وتدبروا ما سيؤول اليه في المآل ، علموا
انهم كانوا في غنى عن هذا العنا ، وتيقنوا انه جرّ اليهم مِحْنًا وإِحْنًا .

ولقد سمعت المرحوم أحمد حلي المقتول ، دفتر دار مصر ، يفاوض
المرحوم داوود باشا في حدود سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة ، فقال : ما رأينا
مَسْبَكًا مثل اليمن ، لعسكرنا كلما جهزنا اليه عسكراً ذاب ذوبان
الملح ، ولا يعود منه الا الفرد النادر ، ولقد راجعنا الدفاتر في ديوان
مصر من زمن ابراهيم باشا الى الآن ، فرأينا قد جهز من مصر الى اليمن ، في
هذه المدة ثمانون ألفاً من العسكر ، لم يبقَ منهم في اليمن ما يكمل سبعة

آلاف نفر ، انتهى كلامه .

قلت : وقد تجهز بعد ذلك الى هذا الزمان ، أضعاف ما ذكر محمد بيك رحمه الله تعالى ، وهم جرا الى آخر الزمان ، وهذا سر إلهي ، لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى ، والذي يلوح للخاطر أن سبب نقصان بركتهم ، وتقهر عددهم ، ما يرتكبونه من ظلم العباد ، وما يتصاعد من المظلومين من الأدعية ، التي تصدر عن قلوب منكسرة ، وليس لها ناصر الا الله تعالى ، والله سبحانه وتعالى يلهم حكامنا وأمراءنا العدل والانصاف ، ويعدل بهم عن الجور والاعتساف ، انه مجيب الدعوات ، ومقيل العثرات .

وكان من أمر سليمان باشا أنه استمر وزيراً بالباب العالي ، الى أن وقعت مناقشة ومنافسة بينه وبين خسرو باشا الوزير الثاني ، في الديوان العالي ، بسبب وقائع فعلها بمصر ، واسند كل منها الى الآخر ما لا يليق ، فأدى الحال الى عزلها ، فاستمر معزولاً الى أن مات في (جفتلكة) في سنة بضع وستين وتسعمائة .

وأما من توجه معه الى الباب العالي من أهل مكة شرفها الله تعالى ، فبعضهم مات بالطاعون ، ومنهم السيد عرار بن عجل ، في اسطنبول ، وأنشد للمرحوم السيد أحمد ، وهو يجود بنفسه .

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشيّة من عرار
وقرر لمولانا القاضي تاج الدين المالكي ثلاثون عثمانياً من جوالي مصر ،
تحمل إلى مكة في كل عام ، واستقرت له الى أن مات ، في يوم عاشر محرم ، سنة
ستين وتسعمائة .

وقرر للقاضي ابراهيم بن أحمد الشافعي أيضاً ثلاثون عثمانياً من الجوالي
أيضاً ، تحمل الى مكة ، استمرت له الى أن مات في سنة ثلاث وستين وتسعمائة .
وعاد مولانا السيد أحمد بالسّنَجَق الشريف السلطاني الى مكة ، واستمر
أمير مكة الى أن توفي الى رحمه الله تعالى في سنة احدى وستين وتسعمائة ،
ودفن عند أسلافه ، وعملت له قبّة عظيمة بالمعلاة ، رحمه الله تعالى .

الفصل السابع

في ذكر ولاية مصطفى بك زبيد وأعمالها ، وبيان مدة إيلته

كان مصطفى بك المشار إليه ، عارفاً ضابطاً ، مائلاً الى الرعية ، ينصفهم ويمضدّم ، ويساعدهم ولكنه كان سفاكاً للدماء ، أقام سنة في زبيد ، وحدثته نفسه بأخذ تعز ، وجرّد اليها عسكرياً ، وتوجه لأخذها ، وقاتل أهلها أشد مقاتلة ، فما تمكن من فتحها ، ورجع الى زبيد ، واستمر بها الى ان عزل منها ، ولم يؤثر عنه شيء من الآثار لقلة مدته وقصرها ، وسرعة انقضاء أيامه وغررها ، وما كان يلقب بكر بكييا ، ولا يطلقون عليه باشا ، وما كان يطلق عليه إلا اميرا ، حاملاً للواء السلطنة ولا يذكر في خطبة ولا في سكة لا هو ولا من بعده الآن .



الفصل الثامن

في ذكر ولاية مصطفى النشار في المرة الاولى ، وبيان نبذ من احواله

كان مصطفى هذا مرّاجاً عند دخول السلطان سليم الى مصر ، ولما رجع السلطان سليم الى الروم رتب طائفة من العسكر ، اختاروا الإقامة بمصر ، وكان هذا ممن اختار الإقامة بمصر ، وكان في ايام فتنة احمد باشا وعصيانه ممن نهب خزينته ، وحصل مالا له صورة ، ولا زال يترقى الى ان صار كاشفا بمصر ، ثم ولي امرة الحاج سنين متواليه ، وكان في طريق الحج ، اذا وقع في يده سارق او قاطع طريق ، نشره ، فسمي مصطفى النشار ، وكان خصيصاً بداود باشا ، فعرض له داود باشا مملكة اليمن في سنة سبع واربعين وتسعمائة ، فأعطاه السلطان إيالة مملكة اليمن ، فتوجه الى اليمن ، ووليها عوضاً عن مصطفى بك ، واظهر فيها العدل ، وضبطها ، ومهد امورها ونمطها ، وكان احد المشكورين سيرتهم باليمن ، وهو اول من اطلق عليه لفظ الباشا ، والبكلربكي وكان قبل ذلك يطلق على كل واحد منهم فلان بك وهذا قيل له مصطفى باشا ، وسار سيرة حسنة ، وظهرت منه احوال مشكورة مستحسنة ، واستمر ببلاد اليمن والياً على زبيد وضواحيها وبنادرها الى ان عزل عنها سنة اثنتين وخسين وتسعمائة .

الفصل التاسع

في ذكر ولاية أويس باشا ، ممالك اليمن ، واغتيال البهلوان حسن له

عزل مصطفى النشار في سنة اثنين وخمسين وتسعمائة، وولي موضعه أويس باشا، فوصل بجرأ إلى جدة ، ثم توجه الى اليمن، فخرج منها مصطفى باشا ، في سلخ رجب : من السنة المذكورة ودخلها أويس باشا في اول شهر العقدة منها ، وهو من ممالك المرحوم السلطان سليم ، وكان له أخ شجاع ، يقال له (بُيُوْقلُو باشا) ولاء السلطان سليم ديار بكر ، وقتل هناك، في حرب بينه وبين بعض ملوك التتار، وبقي هذا أويس باشا يتقلب في المناصب، الى ان ولي اليمن، وكان أويس باشا شجاعاً، متهوراً مقداماً، وكان الامام شرف الدين استولى على الجبال، واستقل بها في جيوش عدد الرمال، وجبا خراجها وحصن قلاعها وأبراجها، وسلمت اليه طوائف الزيدية منصب الإمامة وسلمت عليه بإمرة المؤمنين ، وسلم كل واحد منهم ان يكون إمامه ، وجعل ولي عهده من بعده ولده علي ، وعهد اليه ان يكون اماماً بعده ، وأكد موثيقه بذلك وعهده ، وقدمه على جميع أولاده حتى على مطهر وهو أكبرهم ، وأشجعهم وأفطنهم وأمكرهم ، لنقصان خلقته بالمرج ، واتصافه بالجهل والعوج ، وهو ينافي منصب الامامة في اعتقاد الزيدية ، ولا يتأهل للإمامة عندهم ذو عاهة بدنية ولا جاهل بالأمر الدينية ، ولا متصف بالخصال الدنيئة الردية ، فناذ مطهر والده لذلك ، وعقه ، وزعم انه ظلمه حقه ، وأرسل الى أويس باشا

يطعمه في أخذ الجبال ، ووعده بالمعاضدة والمساعدة بالمال والرجال ، فاغتم اويس باشا هذه الفرصة ، وأخذ لنفسه من هذه البشرية أعظم حصة ، وجند الجنود ، وكتب الكتائب ، وعقد الألوية والبنود ، وجنب الجنائب ؛ فبرز من زبيد أول ذي الحجة سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة ، الى تمز ففتحها ، في أواسط الشهر المذكور ، ثم استمر متوجها بعساكره وجيشه الى صنعاء ، وفتح حصون الجبال ، وحصنها بالعدد والرجال ، وضبط البلاد ، وساس العباد ، وكان قد ضيق على البلاد بشدة الضبط والقهر ، وحصرهم بالاستيلاء والقسر ، فضاقوا ذرعاً بإياله ، واستثقلوا أيام دولته ، فأضرموا أن يفتكوا به ، ويغتالوه غدراً ، وأن يهجموا عليه ويقتلوه صبراً ، وكان أكبر المتحركين عليه في هذا الشأن ، شخص من اللوند يقال له حسن البهلوان ، فاتفق مع طائفة ان يهجموا على وطاق اويس باشا ، في حال سكره ، وكان كثير السكر ، وأن يقتلوه ، وأن يتولى حسن البهلوان موضعه ، وأن يبذلوا للعسكر ما وجدوا من الاموال والخزائن ، وظنوا ان ذلك يتم لهم ، فنزل اويس باشا في أواخر ربيع الآخر سنة أربع وخمسين وتسعمائة في وادي خَبَّان ، وأعجبه خضرة ذلك الوادي ، ونضرة سفحه البادي ، وتكسر المياه على جنبات ذلك النادي ، والأطيار تخطب على منابر الأشجار ، والأزهار والأمطار ما بين ضاحك وباك لصروف الليل والنهار ، فأنشد لسان حاله ، وقد أخذ الطرب بطوقه وأذياه :

وإذا البلابل أفصحتْ بلُغَاتِهَا فانف البلابل باحتساء بلابل

فأمر بنصب مجلس الشراب ، وتعاطى إدارة الأكواب ، وتذكر في صبح المشيب عهد ليل الشباب ، فلما عز عليه عود شبابه المستطاب ، استبدل عنه بتناول الشراب ، والكباب ، وأنشد حوله الأتراب والأحباب ، وأنشد بصوت الرباب ، يرثي أيام الشباب :

قد كان لي في شببتي طربٌ يحدث لي بغمّة بلا سبب
فمذ تولى الصبا تبين لي ان الصبا كان موجب الطرب

حظاً تولّى فلست أدركه إلا ببعوثٍ من ابنة العنّب
فهايتها عن شبيتي بدلاً أقضي به بعض ذلك الأرب

وأنشد بصوت العود ، يستدعي ابنة العنقود :

هاتِ اسقني الصهباءَ يا مؤنسي قد طاب عرف الورد والزرّجس
والوقت قد راق ، ورقّ الهوى وجاد بالوصل الزمانُ المسى

فسكر حتى ثل من الراح ، وأدار في الصباح كأس الاصطباح ، ونام وهو
مغرور نخمور ، فاستيقظت له عين الدهو الغيور ، وأنشد له طارق الحدثان
حتى مَ هذا الغرور ، وقد انقضت ساعات البسط والسرور ، واستيقظ له
الدهر الغيور :

يا راقداً الليل مسروراً بأوله ان الحوادث قد يطرقن أسحارا

فدخل عليه حسن البهلوان ، فجلبه بسيف العدوان ، وأدخله في خبر كان ،
وأذاقه بعد العز كؤوس الهوان ، وسقاه بعد العقار ، ماء الصارم البتار ،
وأنشبت المنية فيه الخالب والأظفار ، فانتقل من هذه الدار الى دار القرار ،
وأقدم مزملاً بكلومه ودمائه على ربّه الكريم الغفار .



الفصل العاشر

في ذكر قيام ازدمر باشا ، بعد اويس باشا ،
وأخذ ثأره من حسن البهلوان

كان ازدمر باشا جركسي الأصل ، فلما انتقلت دولة الجراكسة الى الاروام
خدم البكلربكية بمصر ، وتنقل في الاطوار الى ان صار (شاد النطرون)
بمصر ، ثم ولي كاشفاً بنواحي مصر ، ثم توجه مع سليمان باشا الي اليمن ،
واستمر في اليمن أميراً ، وكان من الفرسان المذكورين ، والابطال المشهورين ،
وكان ذا رأي صائب ، وتدبير في الحروب ثاقب ، وشجاعة وإقدام ، وصبر
على نوائب الليالي والأيام ، وصدق لهجة مع العربان ، قدمه صدق لهجته على
الاقران ، مع حسن عهده ، وكال نصحه في خدمة السلطان .

فلما رأى هذه الفتنة قامت ، واختل لها مملكة اليمن بعد ان انتظمت
واستقامت ، شمر عن ساق الحزم ، وادّرع لبسوس الهمة ، وركب جواد
العزم ، وسمى في إطفاء ثائرة الفتن بأرض اليمن ، وتيقظ لذلك بعد ان حرم
على جفنه الوسن ، وأظهر اليد البيضاء في إعادة الدولة العثمانية ، وحبس
شياطين الفتن بالعزائم السليمانية ، وعندما تحقق موت اويس باشا اقام سنجقاً
سلطانياً ، ونادى في العسكر : من أطاع السلطنة الشريفة ، وانقاد لأوامرها
المنيفة ، فليقف تحت هذا اللواء الشريف السلطاني ، وليدخل تحت الظل الممدود

الحاقاني ، ومن خان وسعى في الأرض بالفساد ، قاتلناه وجاهدناه في قتاله أعظم جهاد . فانحاز اكثر العسكر اليه ، ورتبهم للقتال واللواء السلطاني يخفق عليه ، فلما رأى حسن البهلوان ذلك المصاف ، تحقق ان مصيره بعد هذا الغدر الى التلاف ، سيما وقد شاهد أخصاءه قد خانوه ، وشانوه بعد ان زانوه ، ففعل كما فعل الحارث بن هشام ، ونجا برأس طِمِرَّةٍ ولجام ، ففرَّ هارباً ، وقطع مَهَامِهِ وسباسباً ، وهرب معه من خواصه شردمة قليلون ، والحائن خائف ولا أفلح من يخون ، فتمعه من جماعة ازدمر باشا فوارس لوابس ، فتتبعوه في النهار الواضح والليل الدامس ، فأدركوه في اليوم السابع ، في ظل جامع من الجوامع ، فقطعوا رأسه ، وأخذوا أنفاسه ، وسقوه بكأس سقاها ، وخضبوا لحيته من دمائه لخضابها ، وأتوا برأسه الى ازدمر ، فطاف بها البلاد ، ونادى عليه : هذا جزاء من سعى في الارض بالفساد فسكنت نيران الفتن وانطفئت ، وانمحت بواعث الفساد وانتفت ، واستمر في جنوده وجيوشه وجنوده العظام ، الى أن خيم على صنعاء وحاصرها سبعة أيام ، وفيها المطهر بن شرف الدين ، فتركها لهم ، فدخل الى صنعاء وضبطها ، وضبط ما في البلاد ، وأرسل قاصداً الى الباب العالي ، يخبر بوفاة اويس باشا على الوجه المشروع ، وبقتل غريمه حسن البهلوان ، وبأخذ صنعاء ، وضبط البلاد ، وإطاعة العساكر السلطانية ، وعدم عصيانها ، وعدم مخالفتها ، وان الفساد والخلاف ما صدر الا من حسن البهلوان ، وقد أخذ بالثار منه ، وانهم منتظرون (بكلمة بكيا) يضبط العسكر والبلاد ، ويكونون في طوعه وتحت امره . فلما وصلت العروض الى الباب العالي ، برز الأمر الشريف السلطاني إلى فرهاد باشا ، أن يتوجه الى اليمن ، ويكون (بكلمة بكيا) بتلك الديار . وفي أثناء هذا الهول الشديد ، وقعت فتنة عدن وزبيد ، كما نذكرها ان شاء الله الحميد المجيد .



الفصل الحادي عشر

في ذكر فتنة أخذ علي بن سليمان البدوي لعدن ،
ووثوب حيدر على زبيد ، وكيف كفى الله تعالى شرهما

ولما توجه ازدمر الى صنعاء لأخذها ، ومعه جمع العساكر السلطانية ، اضطربت التهامم ، فوثب على عدن شخص من العربان ، يقال له علي بن سليمان البدوي ، على حين غفلة من أهلها ، وأخرج من فيها من الترك والروم ، واستولى عليها ، وحصن حصونها ، واستمر فيها بسيفه ، وظن انها من أكفائها ، وعدّ نفسه من ولاتها وأمرائها .

وعلي بن سليمان هذا من طائفة من بني مبارك ، فخذ من آل فضل ، وهم عرب سكان البادية ، يسكنون وادي أبين الذي تنسب اليه عدن ، فيقال : عدنُ أبين ، احترازا من عدن أخرى بقرب مدينة صنعاء ، وهم طائفة ، قطاع طريق أشرار ، كان عامر بن عبد الوهاب يقول : ضربت العربان والبوادي إلا عرب وادي أبين . ويصلون برّاً الى الشجر ، ويكاد صاحب الشجر يستجيش بهم ، على من يخالفه من امراء زبيد .

وأما زبيد فوثب عليها الامير حيدر ، من جماعة البهلوان ، وحصنها وجلس فيها متأمرأ ، ومعه عدد قليل من داعية الفساد ، اجتمعوا عليه وأطاعه بحسب الظاهر من كان بزبيد من النوبتجية . فلما وصل علم ذلك الى ازدمر ، وهو محاصر صنعاء ، ما أربه ذلك ، ولا أخافه ، بل ثبت جأشه ، وأرسل من عنده

عدة فرسان ، وأمر عليهم موسى بك ، وأمرهم بسرعة التوجه الى زبيد ،
وعلم ان النوبتجية الذين بزبيد ما أطاعوا حيدر إلا قسراً ، ولا دخلوا تحت
طاعته إلا قهراً ، وانهم إذا شاهدوا من يقوم عليهم من عينه العسكر
السلطاني تركوه ، وانضموا اليهم . وكان كما حدس ؛ فبمجرد وصولهم الى
زبيد ، تكاثروا ، واجتمعت عليهم النوبتجية والمربان ، فقتلوا حيدر ،
وملكوا زبيداً ، وضبطوها ، واستمر الامير نائباً عن ازدمر بزبيد .

وأما عدن فاستمرت في يد علي بن سليمان البدوي ، الى ان جهز عليها
نائب مصر داود باشا عسكراً من بلوكات مصر ، وأمدم فرهاد باشا بعسكر
من بندر الحما ، بعد وصوله الى اليمن ، ففتحوا عدن ، فقتلوا علي بن سليمان
البدوي ، في أوائل سنة خمس وخمسين وتسعمائة .



الفصل الثاني عشر

في ذكر وصول فرهاد باشا بكر بكيا على اليمن

كان فرهاد باشا رجلاً كاملاً عاقلاً فاضلاً ، له اليد الطولى في علم التاريخ ، يحفظ كثيراً من الوقائع والتواريخ ، يقال له (صولق فرهاد) يعني الأعسر ، وكان يسرد أسماء الملوك سرداً ، ويضبطها بكل لغة فرداً فرداً ، ويذكر وقائعهم ونواديرهم ، ويعدُّ مواردهم ومصادرهم ، ويستحضر من ذلك شيئاً كثيراً ، وينثر على جلسائه من خزائن صدره درراً نظيماً ولؤلؤاً نثيراً ، مع استحضر مباحث فقهية ، ومسائل شرعية ، وأبيات أدبية ، ومفاكهة في الفنون العربية ، وكان متين الديانة ، شديد الصيانة ، معروفاً بالصدق والأمانة ، يلازم تلاوة القرآن ، وإذا مر بآية سجدة دار وجهه وسجد ، ولو في الديوان .

اجتمعت به في حلب وهو متوليها ، في رحلتي الثانية القسطنطينية الكبرى ، عام خمس وستين وتسعمائة ، فأكرمني وأضافني ، وأحسن الي ، ورأيت مستحضراً لما ذكرته من الفنون ، مسترسلاً في استطراد فوائد ، كلها غرر وعيون ، يملأ بذكره الاسماع كما يملأ بوجهته العيون ، يباسط كل أحد بحسب مقامه ، ويتلطف في نكته وكلامه ، أنشده بعض الظرفاء قول قول القائل ، متأسفاً على شبابه ، غير راض برداء المشيب وأثوابه :

وقالوا المشيبُ وقَارُ الفقى فقلتُ اصفَعوني، ورُدّوا شَبَابي

فقال له : أما الأولى فنقدر عليها الآن ، وأما الثانية فما يقدر عليها إلا الله تعالى . فضحك الحاضرون لذلك ، وهذه نكتة لو صدرت عن ماهر في فنون الأدب ، لسطرت بماء الذهب ، فضلا عن تركي تكلف لسان العرب ، ولم يكن له فيه نسب ولا نشب ، وبالجملة فقد كان حسنة من حسنات زمانه ، فريداً بين أسلوبه الفائق واقرانه ، وكان ميمون النقيبة ، مبارك الطلعة ، على أهل اليمن ، انتظمت به أمور المملكة وسكنت مواد الفتن .

وكان دخوله في أول أرض اليمن، في شوال سنة أربع وخمسين وتسعمائة، فكان لأهل اليمن عيداً بوصوله ، وكان دخوله الى زبيد في شهر ذي القعدة ، من السنة المذكورة ، وبمجرد وصوله افتتحت صَعْدَا (١) ، وكان مقدمه على أهل السنة مباركا سعاداً ، وجهاز عسكرياً إلى عدن لافتتاحها ، وارسل اليه داود باشا من مصر عسكرياً أمدّه بها ، فحاصروا عدن ، وقتلوا علي بن سليمان البدوي ، الذي وثب على عدن ، ودخلوها وملكوها ، في افتتاح سنة خمس وخمسين وتسعمائة فعصت عليه اشراف صَبِيَّة ، وصاروا مع صاحب جازان، ابن مهدي عصبنة عليه، فدار لهم وصبر عليهم، ثلاثة أشهر، وأرسل ينصحهم ويعظهم ، ويخوفهم وخامة العِصْيَان ، ويحذرهم مخالفة السلطان ، طمعاً في دخولهم في الطاعة ، بدون اراقة الدماء ، فازدادوا جهلاً وعمى ، واستمروا في طغيانهم يعمهون ، وفي ثوب خيلاء الغرور يتبخثون ، فجيش عليهم ، وساق جيوشه اليهم ، وقاتلهم أشد قتال ، وأذاقهم شديد النكال ، بجديد النصال ، وصب عليهم سوط العذاب ، بوبل النبال ، وبرزت البيض لمعانقة الأعناق ، وأحدقت السهام كالأهداب بالأحداق ، وتصافحت الصفائح الرقاق بالرقاب ، وانهزم القوم ، وتقطعت بهم الأسباب ، فقتل منهم جماعة كثيرة من الشجعان ، وفرسان الميدان ، منهم ابن مهدي صاحب جازان ، وكانت تلك وقعة كبيرة ، وواقعة هائلة شهيرة ، وقعت في أبي

(١) « صَعْدَا » : ولعل السجعة أو العجعة هي التي حملت المؤلف على تحريف اسمها ، فهو ينقل عن كتاب أعجمي تركي .

عريش من أعمال جازان ، في سلخ شعبان ، سنة خمس وخمسين وتسعمائة
فاطمأنت الخواطر ، واستقرت النواظر ، وانتظم الحال ، وزال الملل ،
وطابت التهاثم والجبال ، وانتصر أهل السنة على المبتدعة أهل الضلال ، وظفر
حزب الايمان بحزب الشيطان ، وطابت البلاد وراشت ، وانتعشت الرعية
وعاشت ، وانتشرت ألوية الامن والامان ، واطمأن القلب والجنان ، تحت
ظلال معدلة السلطان .

وأقام فرهاد باشا مدة اقامته باليمن ، وهو يسلك بأهلها المسلك الحسن ،
بحيث صارت أيامه من غرر الأيام ، ودولته مشكورة في ألسنة الأنام ،
وسيرته من أحسن السير في العدل والانتظام .



الفصل الثالث عشر

في ذكر ولاية ازدمر باشا المملكة اليمنية ، بعد عزل فرهاد باشا ،
وعودته منها الى الأبواب

كان ازدمر سبق منه معاضدة ، ونصح للسلطنة الشريفة ، عند انفصام
عقد النظام ، وانقطاع سلك النظام ، في زمن قتل اويس باشا ، وارتعاش
المملكة اليمنية ارتعاشا ، وكان ذلك يداً عند السلطان قدمها ، وخدمة
مشكورة خدمها ، يتوقع عليها حسن الجزاء ، ويظل لاغتنام فرصها منتهزا ،
فأرسل اكبر اصدقائه احمد جقل ، وهو جر كسي أصيل شجاع بطل ، بهدية
من الجواهر والآلي ، الى الباب الشريف العالي ، يطلب اياالة بمالك اليمن ،
ويعدم على حصول ذلك له بَدَل اعظم الثمن ، فتلطف احمد جقل في حسن
الطلب ، ونال بذلك ما أمله وطلب ، الى ان قبلت هديته ، ونال أمنيته ،
وعظمت مرتبة صاحبه ومرتبته ؛ والهدايا تستجلب العطايا ، وقدفع الرزايا ،
وتزرع بذر المحبة في ارض القلوب ، وتنيل كل مرام صعب ومطلوب ، فبلغ
مراده المرغوب ، ورجع الى اليمن ومعه احكام سلطانية ، ومراسم شريفة
خاقانية ، بأن يكون ازدمر (بكلوبكيا) بمالك اليمن ، ويبيدي للناس
صفحة وجهه الحسن ، ويزيل مواد الفتن والهن .

وكان وصوله الى استاذته بتلك المراسم ، في ثامن عشر جمادى الاولى ،
سنة ست وخمسين وتسعمائة ، فخرج فرهاد باشا من اليمن ، وتوجه الى الباب

العالي ، فأعطي حلب ، ثم عزل من حلب ، وأعطي بغداد ، ثم توفي في بغداد في سنة بضع وستين وتسعمائة .

واستمر ازدمر باشا في اليمن حاكماً على الإطلاق ، ضابطاً لقبائلها وعربانها من غير عصيان ولا شقاق ، أليفوه وألفهم ، وعرفوه وعرفهم . وكان كثير الغارات ، لا يستقر له قرار ، ولا يقيم بمكان ساعة من نهار ، الى أن احكم أمرته ، وأثبت حكومته ، وشيد دولته ، وعمر مملكته ، وكان يعامل أعداءه وأصدقاءه بالصدق في مقاله وعهده ، والوفاء بقوله ووعدده ، فانتالت عليه الناس ، وأقبلوا عليه بغاية المحبة والايانس ، وأحبهم وأحبوه ، ودَرَبَهُم ودربوه ، فقصد ان يقطع جادرة المطهر وذويه ، ويطهر وجه الارض من مقابجه ومساويه ، ففهم مطهر منه هذا المطلب ، وصار من قهره خائفاً يترقب ، ويتحصن في قلعة (ثلا) ، وانزوى فيها واهماً وجلاً ، وهي قلعة حصينة ، ذات أبنية مكينة ، ينقطع السحاب دون علوها ، وإذا وقع النسر الواقع في ذروتها طار النسر الطائر في جوها ، فرام ازدمر باشا اخذ هذه القلعة ، وقطع جادرة مطهر منها وقلعه ، واستقل بمن معه من الجنود ، لتحصيل هذا المقصود ، فأرسل ازدمر باشا الى الباب العالي ، يستعين عليه ، يجيش يصل من مصر اليه ، لإتمام هذا المعنى على يديه ، فما تم له هذا المرام ، بل جلب على نفسه ما اتعبه في ذلك المقام ، ووصل اليه من خالفه وعكس عليه مراده ، وما تم له إلا ما شاء الله وأراده ، ولا ريب ان الأمر لله ، وله الارادة ، وسنشرح تفصيل هذا الشقاق ، ان شاء الله تعالى الملك الخلاق



الفصل الرابع عشر

في ذكر وصول مصطفى النشار ، بالعسكر الجرار ، الى تلك الديار ،
وميله مع مطهر المكار ، بعد اشراف ازدمر على أخذه لو وافق المقدار ،
وساعات الأقدار

لما وصلت عروض ازدمر باشا الى الباب العالي ، تحركت الحمية السلطانية
وتوجهت الهمة الخاقانية السليمانية ، إلى اخذ مطهر و اراحة البلاد والعباد
منه ، فبرز أمرها الشريف ، الى دارد باشا ، ان يجهز نحو ثلاثة آلاف بندق
والف فارس ، الى اليمن ، ويعمل عليهم باش العسكر من يرتضى به ، فعين
لذلك داوود باشا ، مصطفى النشار ، وأعطاه الحكم السلطاني ، الوارد من
الباب العالي ، الى مطهر ، وامره ان يؤمنه اذ أطاع ، وداس البساط السلطاني
وإلا فيأخذه ، ويأتي به أسيرا اليه ، و جهز العسكر على دفعات الى اليمن ،
من طريق البرّ ومن طريق البحر ، وارسل مصطفى النشار اميراً للحجاج المصري
على عادته ، الى مكة ، فحج سنة سبع وخمسين وتسعمائة ، وتوجه من مكة الى
اليمن ، وعاد الحجاج مع امير اسمه مراد بك ، وتوجه مصطفى النشار الى اليمن ،
في سنة ثمان وخمسين وتسعمائة ، فلما ورد الى اليمن ، واجتمع بازدمر باشا ،
ونزلا بعساكرهم اليمنية والمصرية ، على (ثلاثاً) وضيّقوا على مطهر ، الى
ان عاين الموت ، وتحقق الأسر أو القتل ، والفوت ، ولكن كان له فسحة في

الاجل ، ومجال بعد في العمر والأمل ، فقدّر الله تعالى بالمنافسة بين مصطفى النشار ، وازدمر باشا ، وهكذا شأن كل كبيرين اجتمعا على مطلب واحد ، وكل أميرين جمعها مشهد من المشاهد ، وفي أمثال الفرس ما معناه : ان زاوية من زوايا المسجد يسع عشرة من الفقراء ، ولا يسع اقليم واسع اميرين من الامراء و اشار الى ذلك قول الله تعالى : (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا) و جرت لذلك نظائر كثيرة فيما مضى من الزمان ، وشاهدنا منها ايضاً ما هو غني عن البيان ، منها قضية غزوة (مالطة) في ايام المرحوم السلطان سليمان في سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة ، وهي شهيرة بين الناس بكل لسان ، غنية عن التبيان في هذا المكان ، ففرح مطهر بهذا الشأن ، وتنفس بعد ان ضاق عليه الخناق ، وتحقق الهلك والمحاق ، وارسل الى مصطفى النشار يبعده بمال عظيم ، وطلب منه الصلح على وجه واضح ووسيم ، وقد اشرف ازدمر على أخذ (ثلا) وما بقي إلا افتتاحها عاجلاً ، فعانده مصطفى النشار ، وكف عن القتال والطعان ، وارسل الى مطهر بالامان ، وتعاقدا على الصلح على ان يطيع السلطان ، ولا يظهر الخلاف والعصيان ، ولا يفعل شيئاً من البغي والعدوان ، ففرح مطهر بذلك وعده عمراً جديداً ، ونعمة غير مترقبة وسعدا سعيداً ، وانتكى لذلك ازدمر باشا اشد الانتكاء ، واشتكى الى كل أحد تلك الحال فما نفعه المشتكى ، وما اكتفى مصطفى النشار ، بمجرد الصلح بل أظهر للمطهر شأناً ، وعقد له لواء سلطانيا ، وارثقه عهداً واماناً ، وطلع بنفسه الى (ثلا) واجتمع بمطهر ، والبسه الخلعة الشريفة السلطانية ، ومد له سماطاً ، وقلده من درر المفاخر اسماطاً ، وعرض له الى الابواب السلطانية ، عرضاً طناناً ، وجعله من المطيعين للسلطنة الشريفة ونفى عنه خروجاً وعصيانياً ، وسلب عنه بغياً وعدواناً ، واثبت له طاعة واذعانا ، فجاءه من الابواب السلطانية خطاب شريف ، وكتاب مكرم منيف ، رفعه من حضيض الذل الى اوج الرفعة والتكريم ، وقلده عقداً فاخراً ابهى من الدر النظيم ، وازهى من الكوكب الدرري يضيء في حندس الليل البهيم .

صورة المرسوم الشريف السلطاني ، الوارد من الباب العالي الخاقاني الى
مطهر بن شرف الدين ، علي يد مصطفى النشار ، لما عين من
مصر الى اليمن ، لقتال مطهر : —

هذا مثالنا الشريف السامي السلطاني ، وخطابنا المنيف العالي الخاقاني ،
لا زال نافذاً بالعون الصمداني ، واليُمن الرباني ، الى الاميري الكبير الهامي
الظهيري العوني ، النصيري ، الحسيني النسبي ، فرع الشجرة الزكية ، طرا؛
العصابة العلوية ، نسل السلالة الهاشمية ، السيد الشريف مطهر بن شرف الدين
نخصه بسلام اتم ، وثناء اعم ، ونبدي لعلمه الكريم أنه لا يزال يتصل بمسامعنا
الشريفة اخلاصه لأعتابنا وقيامه بقلبه وقالبه في مرضاة سلطاننا ، وبمقتضى
ذلك كان حصل شكرنا التام على مناصحته ، ورضانا الشريف العام على حسن
خدمته ، ولما برزت ارامرنا الشريفة بتعيين وزيرنا الاعظم ، الى البلاد الهندية
لافتتاح ممالكها من ايدي ظلمة الرعية ، احياء لسنة الجهاد ، وقطع دابر
الكفر وأهل الفساد ، استبشر بذلك كل مسلم وصار فرحاً مسروراً ، وكان
امر الله قدراً مقدوراً ، فرجع وزيرنا المشار اليه ، فوجد طائفة من اللوند العنيد
يتصرفون في قطر زبيد ، زاد ظلمهم على الرعية وأهل البلاد ، وعم ضررهم كل
باد وناد ، وسعوا في الارض بالفساد ، فاستنقذ الرعايا من يديهم ، واوجف
بخياله ورجله عليهم ، واضاف تلك الممالك الى ممالكنا المعمورة ، وادخلها في
في سلك امصارنا الواسعة الموفورة ، وعاد الى اعتابنا الشريفة ، ومعه منكم
ومن والدكم مكاتيب ، تتضمن الطاعة لسلطاننا ، والاخلاص لاتباع مرضاتنا ،
وتعاقبت بعد ذلك مكاتبات والدكم باظهار الطاعة ، وبذل الاخلاص والصدق
والاستطاعة ، الى ان بلغنا بعد ذلك عنهما اظهار الخلاف ، وركوب جادة
مادة البغي والاعتساف ، وصار يقع بينهما وبين امرائنا الخلف الكبير ، والاضاع
التي يعم ضررُها المأمور والأمير ، وهذا عين الخطأ الذي يترتب عليه رواح
الارواح ، ويؤول الى الخسران بعد النجح والفلاح ، ولا يخفى على من عقل
وفهم (ان الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) وان مقامنا الشريف

السلطاني ، قد ملك بعون الله ولطفه الصمداني ، بِسَاطَ بِسَاطَ الارض شرقاً وغرباً ، وضبط الاقاليم الواسعة بُعْداً وُقْرِباً ، وصار سلطاننا القاهر كالإبريز المُصَفَّى ، وخلصة العَسْجِدِ المُستَصْفَى ، ورقم سجلات سعادتنا بآيات العز والنصر ، وعقد لنا لواء السلطنة على كافة أهل العصر ، وادام الله تعالى فخرنا على سائر الملوك باقامة فرض الجهاد في سبيل الله الى يوم العرض ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وأماما ينفع الناس فيمكث في الارض ، وعساكرنا المنصورة حيث ما سلكت ملكت ، وأينا حلت عَقَدَتِ وفتكت وسفكت ، لا يعجزهم ديار ، ولا يبعد عليهم ديار ، فان أشرنا امرنا ان يتوجه من عساكرنا شرذمة قليلون ، نحو مائة الف أو يزيدون ، بكمال الاستعداد من الآلة والزاد ، وتبضع العساكر بالعساكر ، والجيوش بالجيوش الكواسر ، يكون اولهم بالبلاد اليمنية ، وآخرهم بمملكتنا الحمية السنية ، ولا نحتاج الى ان نعرفكم قوة سلطاننا وسديد عزمنا وشديد أركاننا ، فان أكبر الملوك ذري التيجان ، وأهل القوة والإمكان ، خاضعون لدولتنا الشريفة قهراً ، مطاطؤون برؤوسهم في اعتابنا جبراً وقسراً ، وذلك ظاهر لكل احد معلوم ، مشهور بين الناس غير مكتوم ، لكن غلب جانب حلمنا عليكم ، وعطفنا مراحمنا بالالتفات اليكم لأنكم من سلالة خير البشر ، ومن آل بيت النبوة الميامين الغرر ، فلزم على ناموس سلطتنا العلية ، ووجب على ذمم همنا السنيّة السنية ، ان نعرفكم بعقبى الامور قبل اتساع الخرق وانتشار الحال ، ونعلمكم بما يؤول اليه الحال في الاستقبال بحسب المآل ، وان الجبل الذي تحصن به ، وظن انه يُنَجِّيه فهو محض الخيال وعين المحال ، وأن قدّميره في تدبيره ، جهل أو علم إذ لا عاصم اليوم من أمر الله الا من عصم :

أَيْنَ الْمَفْرُ وَلَا مَفْرَ هَارِبَ إِلَّا ظِلَالَ الْبَيْضِ وَالْأَرْمَاحِ

وقد برزت اوامرنا الشريفة السلطانية ، بتعيين أمير الامراء الكرام صاحب العز والاحتشام ، المختص بمزيد عناية الملك العلام ، مصطفى باشا ، دامت معاليه ، باشا

على العساكر المنصورة ، وصحبته ثلاثة آلاف من المشاة الرماة ، المجهزين معه بحراً ، وألف فرس تجهز بين يديه برآ ، ويسير معه أمير الامراء الكرام ، المختص بمزيد عناية الملك العلام ، ازدمر باشا ، دامت معاليه ، بالجيوش اليمنية ، والجنود (النوبتجية) فعند وصول عساكرنا المنصورة الى تلك الديار ، وتوجههم الى حط المحطات وترتيب الحصار ، إن وصلت بنفسك الى مصطفى باشا ، وقابلته بقلب منشرح ، ودُست بساط سلطنتنا بصدر منفسح ، فلك الأمان، وتكون من الفائزين، وتتلو مراحنا عليك : (لا تحف ولا تحزن ، انك من الآمنين) وتنعم عليك عواطفنا بما تستحق من الممالك ، غير معارض في ذلك ، ولا منازع فيما هنالك ، وإن تكبرت واستأنفت ، وجهلت وما عرفت ، أتينا يجنود لا قبل لك بها ، وأخرجناك من حصنك ذليلاً ، وأخذناك أخذاً وبيلاً، ودخلت في قول أصدق القائلين: (يخربون بيوتهم بأيديهم ، وأيدي المؤمنين) وصرت بعد الوجود الى العدم ، وندمت حيث لا ينفع الندم ، وقد حذرناك حنوآ وتعطفاً عليك ، وأنذرناك تلطفاً وإحساناً اليك ، وخاطبناك في هذا الباب ، بالطف خطاب ، فاختر لنفسك ما تراه ، ومثلك لا يدل على صواب ، وعلامتنا الشريفة أعلاه حجة ناطقة لاعتماد مضمونه وفحواه . حرر ذلك في دار الاسلام ، قسطنطينية الكبرى ، في عاشر شوال المكرم ، سنة سبع وخمسين وتسعمائة .

صورة ما كتبه مطهر بن شرف الدين ، الى الباب العالي ،

جواباً عن هذا المثال الشريف

نورَ الله شمس الاسلام وأطلعها ، وفجرَ عين مَعِينِ الشريفة النبوية وأنبعها ، ولألا كواكب الدين الحنيفي وأسطعها ، وأعلا مراتب الملة البيضاء ورفعها ، وأزال جموع الظلم والعدوان وزعزها ، وآلف بين قلوب المسلمين

وجمعها ، بدوام أيام مولانا السلطان العظيم ، والملك القاهر الباهر الحليم ،
القاطع بسيف عزمه عنق كل جبار أثم ، الهادي بأوامره ونواهيه الى الصراط
المستقيم ، بتقدير العزيز العليم ، المتسم بحماية آل الرسول ، وأبناء فاطمة البتول ،
وسلالة النبي الكريم ، الباسط عليهم عدله فلا يناههم حر الجحيم ، فهم راتعون
في ظلال إحسانه ظلا من النعيم ، له نبت وسم ، الذي أوتي الحكمة ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ، والله يؤتي ملكه من يشاء من فضله العميم ،
شمس الخلافة وقمرها المضيء في الليل البهيم ، ظل الله في أرضه ، القائم بسنته
وفرضه ، ودينه القويم ، والحجة الواضحة للخلق على التعميم ، أمين الله على
خلقه ، وخليفته القائم بحقه ، فهم راتعون في رياض أمانه ، وكارعون في
حياض امتنانه ، التي لا يشوب صفوها الدهر السليم ، سامي الفخار ، وزاكي
الأصل والثار ، السابق في الحسب الصميم ، الكاف لأكف من تجافى عن
الهداية ، وسلك مسالك الغواية ، وكان له في الجلالة تصميم ، التي لا تحصى
صفاته بتعداد ، ولو كان الشجر اقلاماً ، والبحر مداد ، واسئل بذلك كل
خبير عليم ، الخندكار الكبير ، والخاقان الشهير ، السلطان الاعظم ، سليمان
ابن سليم .

يهدي الى مقامه الشريف نجائب ركائب التحية والتسليم ، من الله الكريم ،
ورحمته الطيبة ، وبركاته الصيبة ، الموصولة بنعيم دار النعيم ، حرس الله تعالى
جنابه العالي ، وحرمه المحترم من صروف الايام والليالي ، بما حفظ به الآيات
والذكر الحكيم .

وبعد ، فإنه ورد من تلقائه ، أطال الله للمسلمين والإسلام في بقائه ،
مرسوم سطعت بالمسرات أقماره ، وتضاحكت في عرصات المجد كوائمه
وأزهاره ، وجرت في جداول رياض السعد أنهاره ، وتحاسد على شرفه ليل
الزمان ونهاره ، فوجدناه أشفى من الترياق ، وأشهى من الأثم في دُعج
الأحداق ، يتبلج بالمسرات تبليج البرق ، ويتحلب بالخيرات تحلب الودق ،

يفوق اللؤلؤ المنشور منشوراً ، ويفضح شقائق النعمان زهوراً ، ويجعل ممدود
الزمان عليه مقصوراً ، فتمطرت الأندية بنشره ، وأعلنت الأنفس بحمده
وشكره ، وهبت في البوادي والامصار نسيم ذكره ، ودخلت الناس أفواجا
تحت نيه وأمره :

حبذا مدرجا كريما جليلا زانه منشىء كريم جليل
لفظه الدر في السمو ، رفجواه ، ومعناه سلسل سلسيل
واذا المدرجات كانت ملوكا فهو فيها ، وبينها إكليل
مدرج فيه للعقول غدو ومراح ومسرح ومقيل

فليكن أنامل رصعته بجواهر البلاغة ، وضمنته ما يعجز عنه «قدامة» و «ابن
المراغة» ، فلو رآه الملك الضليل لطأطأ خاضعا ، أو لبيد ، البليغ لخر
ساجدا وراكعا .

وعرفنا ما ذكره سلطاننا سلطان الأمم ، ومالك رقاب العرب والعجم ،
المختص بحماية الحرم المحترم ، من الإحاطة بطاعتنا لجلاله ، وجولاننا تحت لواء
قوله وأفعاله ، فالحمد لله الذي وفقنا لطاعته ، وذاذنا عن السلوك في مخالفته ،
وأثاننا بذلك الحظ الأسنى ، والنصيب الأوفر الأهنى ، في الخيرات والحسنى ،
ونرجو ان شاء الله نيل الشرف الكامل والمآرب ، ونجح المني والمطالب ،
ومن استمسك بعروتكم الوثقى فاز بمطالبه ، وحاز غاية القصوى في مآربه ،
ورفع له الدرجات السامية العالية ، ويتم له كل سؤل ومأمول وأمنية ،
ويحضى بكل عيشة هنية ، راضية مرضية ، وهذه طريقة معروفة ، وسنة
مألوفة ، لا تقبل عن الوفاء ، ولا تكدر عن ذلك الشرب ما صفى ، كيف
وطاعتكم من طاعة الملك الخالق ، ومعصيتكم تُظلم منها المغارب والمشارق ،
ونحن بمن مودتكم على يقين ، ونرجو انكم لا تصفوا أذنا لكلام الفاسقين ،
ولا تهملوا رعاية الصالحين المتقين ، ولا تقطعوا حقا لنرية النبي الأمين ، وأبناء
علي الأنزع البطين ، كرم الله وجهه في عليين (قل لا أسألكم عليه اجرا الا

المودة في القربى) وذلك هدي الكتاب المبين ، وانتم أولى برعاية ما أمر الله به ان يُرعى ، ويُقِرُّ من عين النبي الكريم عيناً وسمماً ، فلكم مالكم من محامد مذكورة ، ومفاخر مشهورة ، ومعالي حميدة منشورة ، تؤمل أن تسقوا بحسامها يوافيخ الوشاة ، وتقطعوا طرق الواصلين بالأكاذيب والوشاة ، وتردوا كل كايده لا يراقب الله ولا يخشاه .

والذي نقله اليكم أرباب الزور ، ذوو الأفك من الناس والفجور ، من تحوّلنا عن طاعة السلطان الأعظم ، ومخالفتنا لما سبق من مودتنا وتقدم ، كـ"ب" ، يعلمه الداني والقاص ، ومن الميّن الذي لُبَابُهُ قِلَّةُ الاختصاص ، وحاش لله وكلا أن نرضى مخالفة ، أو نميل عن الأحوال السالفة ، أو ننكر تلك المعارف العارفة ، نعوذ بالله من الحور بعد الكور ، أو نكون بمن تعدى الحدّ بعد الطور ، ان تقاعدنا عن طاعتكم يجب علينا السعي اليها بالفور ، وإن تأخرنا عن أوامركم نكون كمن اشترى الضلالة بالهدى ، وتحول عن موافقة الاسلام الى الردى ، وآل الرسول صلى الله عليه وسلم ، اعرف الناس بالصواب ، وأدراهم بمعاني السنة والكتاب (اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) ومن نسب اليها خلاف ما ذكرناه فهو خبيث نبئ ، فثقوا منا بالمودة الراسخة أطنابها ، والمحبة الشاخنة قباها .

والذي أشرتم إليه في شأن الخطاب ، وبطاقة الكتاب ، فمخالفتنا لمساكرم المنصورة ، وكتائبكم الواسعة الموفورة ، ليس له صحة ولا ثبات ، ولا كان لنا الى حربهم تَعَدِّي ولا التفات ، بل قصدونا الى هذه الأقطار والجهات ، وجلبوا علينا أتراكا وأرواما ، وهتكوا أصلاحاً كانت بيننا وبينهم ودماما ، وما رعوا لأوامركم الشريفة فينا أحكاماً ، وضيقوا علينا مسالك المعيشة خلفاً وأماماً ، ورمونا بمدافع لا يرمى بها إلا الذين يعبدون اصناماً ، ولم يعملوا انا بمن أوجب الله لهم رعاية واحتراماً ، ومن الذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً ، فدافعنا عن أنفسنا وأولادنا ، ما أمكن من

الدفاع ، ودرأنا عن محارمنا وترك الرد عنها لا يستطيع ، ونحن في مهاجر يسير ، ومكان يأوى إليه الضعيف البائس الفقير ، لا ينافس من اعتصم به ، واعتصم على طاعة ربّه ، ولو أن عساكركم المنصورة الألوية ، المسلّمة عن صروف الأفضية ، وجهوا همهم العلية ، وعزائمهم الصليبية القوية ، الى الجهات الكُفّرية ، لنالوا من الخير نيلاً عظيماً ، وسلّكوا الى سبيل السعادة صراطاً مستقيماً ، وأصلوا أفئدة الكفار ناراً جحيماً ، وأدركوا من فضل الله جنة ونعيماً ، بيد أنهم تشاغلوا بحربنا عن جميع الحروب ، وفوتوا بذلك كل غرض مطلوب ، وأهملوا جهاد الكفار حتى سقط الجنوب ، وهبت من ديار الاسلام للشر صباً وجنوب ، وحين وصل المرسوم الشريف ، والمثال الكريم ، والخطاب الوسيم ، طبنا به نفوساً ، سلّكنا به من الانس محلاً مأنوساً ، وخدمت نيران الحرب ، وغلت أيدي الطعن والضرب ، فقر منا بما قروتموه لنا كل قلب ، فان امتثل من حوالينا من الامراء والأكابر ، لما صدر منكم من النواهي والأوامر ، وثبتوا فيما ذكروتموه من الموارد والمصادر ، فذلك البغية المقصودة ، والضالة المنشودة ، والدرة الثمينة المفقودة ، والغنيمة العظيمة الشاملة المحدودة ، وان خالفوا أوامركم الكريمة المطاعة ، وقابلوا نواهيكم اللازمة بالاضاعة ، فحَسَبَهُمْ من عذابكم الوبيل ، ما تعدونه لمن خالفكم من التنكيل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وكنّا نود أن نرسل إلى الأبواب الشريفة ، والأعتاب الفخيمة الزليفة ، رسولاً ينهي اليكم حقائق الأمور ، ويرفع إلى مسامعكم الكريمة من عين المقدور ما تكن القلوب منا والصدور ، إلا أن هؤلاء الذين يكلوننا سدوا علينا وقطعوا من التواصل أوصالاً ، وقعدوا لرسلنا كل مقعد بكرة وأصلاً ، وصدومهم عن الوصول الى أبوابكم العالية عن الأبواب ، ومنعومهم عن مناهج الذهاب والإياب ، فلو كان منهم ما نريد لكان صدر الى أبوابكم الشريفة ، منا في كل حين من نريد ، وحين وصل وكيلكم الباشا مصطفى ، الى هذه الجهات اليمينية ، والديار التي هي لسيوف قهركم محمية ، بسط عدله في أهل اليمن ، وأحمد

نيران الفتن ، وأصلح الأمور ما ظهر منها وما بطن ، واطلّع على الحقائق ،
وهو يعرفكم من حالنا للسابق ، وما نحن عليه بحمد الله من حسن المساعي
والطرائق ، وكرم الأصول الشريفة والمعارق .

وقد ارسل اليّنا قصاداً بالظاهر منها والمستور ، ولعل الله سبحانه يبيّن
قدومه الى صنعاء ، ويحيى به ديننا للاله وشرعاً ، ويقطع به دابر من خالفكم
وخالف امركم قطعاً ، ولعمري انه لرجل عظيم ، وذو شأن فخم ، قد فاقت
شمائله ، وراقت اوصافه ومخائله ، فهو بكل خير يجود ، ويحمل من طاعتكم
ما يشق على غيره ويؤود ، فالله تعالى يجعل سعيه مشكوراً ، ويشرح باعماله
من الأمة قلوباً وصدوراً ، ويدفع بعنايته عن الاسلام والايان شرواً ، ويملأ
الاقنثة والنفوس حبوراً ، ان شاء الله تعالى وسروراً ، جرى ذلك في شهر الله
الله الاصب ، رجب المرجب ، سنة ثمان وخمسين وتسعمائة .



الفصل الخامس عشر

في استقلال ازدمر باشا بمملكة اليمن الى ان عزل بعد هذا
الصلح ، وعود مصطفى النشار الى الباب العالي

لما رأى ازدمر باشا ميل مصطفى النشار الى مطهر ، والصلح معه وتركه
على حاله ، لم يجد بداً من موافقته على ذلك ، فوافق وصالح ، ولوتحلوا عن
(ثلاً) وعاد مصطفى باشا الى مكة في آخر سنة تسع وخمسين وتسعمائة ،
وحج وعاد الى مصر .

واستمر ازدمر باشا حاكماً ضابطاً في اليمن وتخلف عنده جميع العسكر
الذين جهزوا من مصر مع مصطفى باشا فقوى بذلك وافتتح عدة من البلاد ،
ونشر بها ألوية العدل على العباد ، فما افتتح ازدمر من بلاد اليمن : كحلان
وُحْبَيْش ، والشوافي ، وُعْتَمَة ، والخلاف ، وخنفر .

ورتب في كل منها رتبة من العسكر ، وضبط سائر طرق البر وبنى في
بعضها حصوناً وقلاعاً محكمة ، وعاهد العربان وعاقدهم عقوداً مبرمة ، واحبته
أهل اليمن واحبوه ، واختبروا صدق كلامه وجربوه ، فوجدوه ثابتاً في اقواله ،
صادقاً في مواعيده ومآله ، فاستمر سبعة اعوام ونصف (بكربكيا) في
ارض اليمن ، سلك معهم فيها بالسيرة الحسنة ، والسلوك الحسن ، مع الرضا
التام ، من الرعايا ، وميل الفقراء والمشايخ اليه في المساجد والزوايا ، وشكر

العسكر من حسن مقابلته، ولطف مكالمته ومجاملته، وطرح عنه التكلف في مأكله وملبسه، ولزم التقشف التام في مقامه ومجلسه، بحيث كان يلبس فروة من جلد الذئب، عليها جوخ مجرود لا يُبدّله صيفا ولا شتاء، ويأكل خبز الذرة من غير ادم، كيف ما اتفق له، من غير تأنق ولا تكلف، وينام على الارض بدون فرش، ويشرب من ركوة عتيقة، أو شن بال، ولا يفارق ظهر حصانه، ويغير في ليلة واحدة من مسافة ثلاثة أيام الى غير ذلك من التقشفات.

واستمر (بكر كيبا) في مملكة اليمن كذلك، الى ان بلغه ان مصطفى النشار يريد اليمن، ويسعى في الأبواب السلطانية فيها، فبادر هو الى طلب العزل عن اليمن، اختياراً منه لذلك، وأرسل كيخيته جقل أحمد، إلى الباب العالي، واستغفى عن اليمن واستأذن في الرصول الى الاعتاب السلطانية، فاجيب على سؤاله، وعاد اليه جقل أحمد، ومعه الاذن له على الوجه الذي أراد، فحصل المرام والمراد.



الفصل السادس عشر

في ذكر بروز ازدمر باشا ، وتوجهه من سواكن الى مصر ،
ثم الى الباب العالي ، ثم الى الحبشة .

لما وصل لازدمر باشا الإذن في الوصول الى الباب العالي ، اختار أن يجعل طريقه إلى مصر على سواكن ، ولم يمر بمكة ، وسبب ذلك ما اشيع عنه انه كان سبب الفتنة التي وقعت في أيام علي باشا الوزير نائب مصر ، وانه كان عرض الى الأبواب ان الشريف أمير مكة يوالي المطهر ، ويكاتبه ، وذلك باطل لا أصل له ، فان مولانا السيد الشريف ما أهل مطهرا قط لأن يكتب اليه مكتوبا يرأسه ، وليس بينها موالاة ولا تعارف ، بل كان بينها عداوة قديمة ، وما كتب الى مطهر مدة عمره مكتوباً غير مكتوب النصيحة بعدما أظهر العصيان ، فيما بعد هذا التاريخ في سنة خمس وسبعين وتسعمائة ، كما سيأتي تفصيله إن شاء الله تعالى ، وما أقدم ازدمر باشا أيضاً على هذا العرض ، ولكن لما شاع ذلك عنه اختار ان لا يمر بمكة ، فما وجد طريقاً إلى مصر غير سواكن ، وكانت عامرة إذ ذاك ، فاضمر أن يطلب إيالتها ، ويسوق إليها عسكرياً من مصر ، ويفتح ارض الحبشة ، ويظهر فيها شجاعته ، ويقوم سنة الجهاد في سبيل الله هنالك ، فتوجه من البر من سواكن الى مصر ، فوجد بها علي باشا الوزير ، فوصل الى الأبواب العالية ، وكان أيام وزارة أحمد باشا ، فقدم هدايا كبيرة سنوية ، وتحفاً كثيرة بهية ، واجتمع

بحضرة المرحوم السلطان سليمان رحمه الله تعالى ، وما وقع ذلك لأحد قبله من بكربكية اليمن ، وركب مع المرحوم السلطان سليمان في ركابه ، وتكالما ، وتحادثا على ظهر الفرس ، وخاضا في شؤون الكلام ، فعرض عليه أن يفتح له مملكة الحبشة ، وكان المرحوم السلطان سليمان يحب الجهاد كثيراً ، وبهيمه دائماً إعلاء كلمة الله تعالى ، فإنه دأبه وهجيره ، هو وأسلافه الكرام ، تقدمهم الله تعالى بالرحمة والاكرام ، وبوأهم مقعد صدق في دار السلام ، فأعجبه ما ألقاه اليه ، وقبل في هذا الباب كل شيء عرض عليه ، وأمر له بعسكر جرار يجهز معه من مصر ليتوجه الى مقصده ، ويفتح بلاد الحبشة كلها بسيفه ويده ، ويظهر فيها عز الاسلام ، وينكس ألوية الصليب والاصنام ، فجاء بالاحكام السلطانية الى مصر ، وجمع فيها نحو الثلاثة آلاف من العسكر ، كتبهم في العلوقة ، وتوجه بهم برأ الى سواكن ، وتعب أهل مصر لذلك ، وضاقوا ذرعاً بهذا العسكر المجتمع من كل مكان ، وصاروا يختطفون ما ارادوا ، ويتعدون ويفسدون ، الى ان رد الله تعالى شرهم ، وسافروا الى الصعيد ثم إلى سواكن ، فهد تلك البلاد ، واقام فيها سنة الجهاد ، وبنى بها القلاع وغزا عدة غزوات ، ظفر في كثير منها ، وانكسر في بعضها ، والحرب سجال ، وكانت سواكن قبله يتوجه اليها الأمناء من مصر ، فصارت من بعده للبكربكية ، وكانت من قبل اطيح حالاً منها الآن ، لأن البكربكية في الاكثر يظلمون ويفشمون ، وعن نهج الحق يعدلون ، ولا يعدلون ، والمنصف فيهم قليل جداً خصوصاً اذا كانوا في اطراف الممالك .

واستمر أزدمر باشا في بلاد الحبشة ، مجاهداً في سبيل الله افتتح عدة من البلاد، هناك الى ان توفاه الله تعالى في عام سبع وستين وتسعمائة في (دولروه) ودفن بها ثم نقلت رمته الى 'مصوّع' ، ودفن بها ، وبنى عليه قبة ولدّه عثمان باشا ، لما ولي بعده بكربكي الحبشة .



الفصل السابع عشر

في ولاية مصطفى النشار بمكة اليمن الى ان توفي بها

لما عزل أزدمر باشا عن اليمن بطلبه ولى مكانه مصطفى النشار فوصل الى مكة في موسم سنة اثنين وستين وتسعمائة ، وهو امير الحاج المصري ، فوقف بعرفات ، واكمل حجته ، ورجع بالحاج المصري الامير مراد بك الى مصر ، وتوجه هو برأ الى اليمن ، وكان دخوله زبيدا في العشرين من شهر صفر سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة ، فاستقبله أهل بلاد اليمن ، بالبشر والوجه الحسن ، وعاملهم باللطف والاسعاف ، وتلقاهم بالعدل والانصاف ، ونفى عنهم الجور والاعتساف ، وهو احد البكلاربيكية المشكورين ، عند أهل اليمن ، المذكورين في سنتهم بالمعنى الحسن ، وله مآثر أثرية ، ومحاسن كثيرة .

منها أنه احدث لحجاج اليمن محملا ، مثل محمل الحاج المصري ، والشامي ورتب لهم امير الحاج ، وقاضي المحمل ، وعرضة مثل عرضة امير الحاج المصري والشامي ، فيبرز السيد الشريف صاحب مكة لملاقاة امير الحاج اليباني بعسكره ، الى خارج مكة في بركة الماجن ، ويلبس الخلعة الشريفة السلطانية ، من يد امير الحاج اليباني ، ويدخل معه الى مكة كما يفعل ذلك مع امير الحاج المصري والشامي ، ويفارقه مولانا السيد الشريف عند المرور على دار السعادة ، ويتوجه امير الحاج اليباني بمحملة الى أن يصل الى الميمنة فينزل عن

يمين النازل الى المعلاة في سفح جبل عند البستان المعروف الآن ببستان المدني، بقي منه شجيرات سدر، وبطلع الحمل مع جماعة المحامل، يوم الصعود الى عرفات، فينزل قبل الوصول الى محطة أهل مكة، على يمين الصاعد الى عرفات، ويحمل وقت الوقفة بعكسه وطبله وزمره، ويسير الى نحو جبل الرحمة، فيقف بجبل عرفات بين يدي من يخطب خطبة عرفة ثلاثة محامل: المصري، ثم اليباني، ثم الشامي.

وأفرد لذلك مالا يصرف عليه من الخزائن السلطانية، التي تحصل في اليمن، واستمر ذلك قانونا جاريا الى الآن، وكان من قبل ذلك يأتون للحج من بلاد اليمن، بدون أمير الحاج، وبدون الحمل، بل تأتي قافلة يكون لها شيخ من بني مرزوق السادة المشايخ، نفع الله تعالى ببركتهم، وهذه من مآثر مصطفى باشا النشار، بأرض اليمن، رحمه الله تعالى. وله مدارس، ومساجد، ومآثر، ولم تطل مدته هذه في اليمن، بل كانت أسرع من غمض الوسن، فما استقر قليلا، ولا رداً طرفاً قليلاً، إلا سقاه صروف الدهر كأس الحماة، ومضى الى دار السلام بسلام، ومضى النشار الى يوم النشور، رهين جنادل وصخور، وكانت وفاته في عام سبع وستين وتسعمائة، وله تربة هناك وعليها أوقاف لوجوه البر.

وكان كيخيته يوسف ضبط المملكة الى أن وصل اليها متوليها الجديد، نائب غزة، قره شاهين مصطفى.



الفصل الثامن عشر

في ولاية مصطفى باشا قره شاهين

كانت نيابة غزة طريقاً لبكربكية اليمن ، وكان في ذلك الزمان نائب
غزة هو قره مصطفى بك ، الملقب قره شاهين ، لحذقه ونجابته في صفه ،
وسمرة لونه ، وهو من قدماء مماليك المرحوم المقدس ، السلطان سليمان خان ،
وربى في سراي السلطنة ، وتقلب في المناصب ، وترقى في المراتب ، الى ان
صار لالا المرحوم السعيد ، السلطان بايزيد ، وعزل حيث كتب الله له للسعادة ،
وولي نيابة غزة ، وانتقل منها الى البكربكية اليمن ، ووصل من مصر بجرأ
الى جدة ، في عدة أغربة .

ولاقيته الى جدة ، وجاء الى مكة محرماً بالعمرة وطاف معي وسمى ،
وعاد الى جدة ، وتوجه بجرأ الى أن دخل اليمن ، وكان معه ولده بهرام ،
الذي صار بكربكيا اليمن ، فيما بعد ، وولد اخته محمود بك الذي كان
دفترداراً في أيام مراد باشا ، فاستمر مصطفى باشا في اليمن بكربكياً ، وسلك
طريقاً وسطى ، ولم يمس الى الظلم ، ولم يسفك الدماء ، فشكروا سيرته ،
وحمدوا حكومته ، إذ طابت سيرته وصفت طويته ، وخلصت نيته ، ولم
يُعبَ بشيء سوى حب المال ، وجمع التراث والأموال ، مع القصد في البذل
والإفضال ، وبالجملة فكان خيراً من كثير من البكربكية ، ومن أحسن ولاة
الممالك اليمنية ، وعزل عن اليمن في سنة سبع وستين وتسعمائة ، ووصل من

اليمن برّاً الى مكة ، وقدمها في ثاني ذي الحجة من العام المذكور ، ولاقاه
المرحوم السيد عجل بن عرار ، في نحو مائة خيال ، وخرجنا الى ملاقاته ،
فدخل محرماً بالحج ، فطاف معي طواف القدوم ، ونزل في مدرسة قايتباي ،
واتفق في هذا العام ان ولده رضوان بك ، الذي صار بعد ذلك بكربكياً
في اليمن ، وصل من الشام ، وهو أمير الحاج الشامي ، وخرج هو للقاء ولده
الى التنعيم ، فتلقيا واعتنقا وبكياً ، وكانت ساعة رقت فيها قلوب الحاضرين
وكنت معهم ، فحصلت لي عبرة معهم ، وحجا معاً ، وكانت الوقفة يوم
الاحد ، وحصل ذلك العام رَجٌ في إثبات هلال ذي الحجة الحرام ، وكانت
الناس قد بنّت على ان أول الحجة يوم الأحد ، فلما كان ليلة السبت وهو
السابع ، في ظن الناس ، وصل الحجاج الشاميون ، وشهدوا عند قاضي مكة
الأفندي عبد الباقي بن علي العربي ، انهم رأوا هلال ذي الحجة ليلة السبت ،
وان هذه ليلة الثامن ، وهي ليلة صعود أهل مكة الى جبل عرفات عادة ،
فإنهم يقدمون الطلوع الى عرفة بيوم ، ويستمررون اليوم الثامن واليوم التاسع
في عرفة ، وهو خلاف السنة ، فإن السنة الطلوع بعد صبح الثامن الى منى ،
وأن يصلى فيها الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء ، والصبح ، ثم يتوجه الى
عرفات . وقد ترك الناس هذه السنة إلا قليلاً ممن يقصد إحياءها ، وفقنا الله
تعالى لذلك ؛ فلما ثبت ذلك عند القاضي ، أرسل في الحال ، ونادى بعد صلاة
العشاء ، في شوارع مكة ، بأن أول الحجة يوم السبت ، وان هذه ليلة الثامن ،
فاضطرب الناس لذلك ، لأنهم ما كانوا تهبأوا للرحيل الى عرفة ، ظناً ان في
الوقت فسحة ، وتزاحموا على تحصيل الجمال ، وطلع كرا الجمل نحو الدينارين ،
وكانت العادة دون الدينار الواحد ، وحج الناس حجة هنية من غير رعب ولا
فزع ، والحمد لله .

وعقد مصطفى باشا مع الحجاج المصريين ، بعد اداء الحج ، الى مصر ، وكان
أمير الحج عثمان بن ازهر ، اللذي كان والده بكربكياً في اليمن ، ثم نقل الى
الحبشة ، وولى بعد ذلك عثمان هذا بكربكياً في اليمن - كما يأتي شرحه إن

شاء الله تعالى - وتوجه أمير الحاج الشامي رضوان مع الحجاج الشاميين بعد
الحجاج المصريين بسبعة أيام على العادة ، فلما وصل مصطفى باشا الى مصر ،
سنة ثمان وستين وتسعمائة ، صادف بها وفاة علي باشا الخادم ، صاحب مصر ،
وكان من أحسن من ورد الى مصر من البكاريكية ، لطفاً وإحساناً وعدالة ،
وعدم طمع ، ورعاية للعلماء وللصلحاء والرعايا ، رحمه الله تعالى ، بحيث لم
يرد الى مصر له نظير ، يقاربه في هذه الخصال ، أو يناظره في بعض هذه
الخلال ، فصار مصطفى باشا بكاريكياً بمصر ، بعد المتوفي المذكور ، وكان
أيضاً من أصلح من ولي مصر بعده .



الفصل التاسع عشر

في ولاية محمود باشا - ساعه الله

ثم ولي مملكة اليمن محمود باشا ، وهو عتيق محمد باشا نائب الشام ، ثم نائب مرعش المتوفي بها ، حوالي سنة اثنتين وأربعين أو ثلاث وأربعين وتسعمائة ، وكان داود باشا خرج من سراي السلطان وهو (خزينة دارباشي) الي (بكليركية مصر) ومر وهو متوجه الي مصر بالشام ، فوجد محموداً هذا في طريقه ، فخدمه ، وصار كتخداه ، فلما وصل داود باشا الي مصر أرسل محموداً هذا بخلع السيد الشريف صاحب مكة ، ومراسيمه ، على جاري العادة ، من قبل من يتولى إيالة مصر على العادة ، فلما وصل الي مكة لم يرض بما قوبل به من جانب مولانا السيد الشريف ، فعاد وهو متحمل في خاطره الي مصر ، فصار امير الحج المصري ، في سنة سبع وخمسين وتسعمائة ، ثم في سنة ثمان وخمسين وتسعمائة ، ف وقعت منه فتنة عظيمة بيمنى ، سلمه الله تعالى منها وسلم الناس منها ، وهي مشهورة الي الآن وتسمى « سنة الهبة » وسنة الفتنة ، وقد كفى الله شرها ، فلا نطيل بذكرها ، واعتنى به الوزير علي باشا ، وجعله سنجقاً من الأمراء المحافظين بمصر ، وصار لا يزال يرقيه الي ان جعله بكليركيا في اليمن ، عوضاً عن قره شاهين مصطفى باشا ، فوصل بحراً الي جده ؛ في أوائل محرم الحرام ، سنة ثمان وستين وتسعمائة ، وكان سفاكاً ، كثيراً القتل ، نهاباً وهاباً ، يحب الزينة واللباس الفاخر ، وآلات الذهب والفضة ، والخيول المسمومة ، والأساكف المذهبة ، والمناطق المرصعة وسروج الذهب ، ولجُم الذهب والفضة ، بذولاً ، كثير السخط ، عظيم

الغضب، تزوج زوجة الأمير خوشكلدى، نائب جدة، - كان - وانبسط بامواله، وتوسع فيها، وظهر فيها، وظهر من ذلك اليوم نظامه وترتيبه، ولكن لما توجه الى اليمن كان مديوناً بنحو مائة ألف ذهب، واستقرض بمكة أيضاً مبالغ على ذلك، ولما قرب من جدة أمر بتفريق ثلاثة أنفس في البحر، كتحذره، وكلا رجليه، وجاشنكيره، لأنه تخيل منهم بومه أنهم يريدون الهروب، ففرق منهم اثنان: هما الكيخيا والكلارجي، وأما الثالث فنزلوه في البحر، مربوط اليد والرجل، وفي عنقه حجر كرفيقه، فانحل حبله جوف البحر، وكان عواماً، فخرج ولم يشعروا به، وتعلق ليلة كاملة في سكان المركب، ولم يشعر به أحد، الى أن قرب المركب الى البر، فخرج هارباً الى العرب، وسلمه الله. وهذا من أعاجيب فرج الله لمن أراد من عباده، بعد نزول البلاء واشتداده.

فلما وصل محمود باشا الى جدة لم يحتفل باكرامه جماعة مولانا السيد الشريف مجدة، لما كان منه سابقاً، فأرسل الى مولانا السيد الشريف يعتذر عما وقع منه، وانه كان بغير اختياره، وحلف أيماناً غلاظاً، مؤكدة انه ليس في خاطره غلٌ ولا غش، وانه لم يزل في غاية المحبة والمودة، فأرسل مولانا السيد الشريف اليه وقبل عذره، وأظهر له المحبة والمودة، وأمر أن يساعده بالجمال، وأن ينزلوه في جدة، في بيوت عظيمة، في جانب اليمن، من بيوت الخواجا الطاهر، فخرج من جدة الى مكة لأجل الطواف.

وخرجت أنا لملاقاته لسابقة بيني وبينه في مصر، ففرح بذلك، لأنه لم يواجهه أحد إلى ذلك الوقت، وبشرته بأن السيد الشريف مولانا السيد حسن يبرزُ الى ملاقاته، فازداد فرحه بذلك، وركب له؛ فلما قرب من تربة الشيخ محمود بالشبيكة، لاقته خيول مولانا السيد الشريف، ثم هو واخوته، ومعهم مولانا شيخ الإسلام، السيد القاضي حسين الحسيني المالكي، فاجتمعوا وحصلت المصافاة بينهم، واستمر بعد ذلك على الوفاء، والصفاء مع غاية تخيل ساداتنا الشرفاء منه، ونزل في مدرسة الأشرف قايتباي، ومُدَّ له من جانب

سيدنا ومولانا السيد الشريف سباط حافل ، قدمه اليه الخواجا كمال الدين أبو الفضل ابن عبد الرحمن بن أبي علي ، فألبسه محمود باشا خلعة ، وأقام بمكة يومين ، وبرز في الثالث ، فردعته .

وتوجه الى جهة اليمن بعد أن أكرم كثيراً من الناس ، وأحسن اليهم .

ذكر دخول محمود باشا الى اليمن

دخل في شهر صفر سنة ثمان وستين وتسعمائة ، الى اليمن ، ونزل من بندر جازان ، وقد لاقاه جميع الامراء والعساكر التي باليمن ، والعمال والأمناء والكشاف ، وقدموا له التقدّمات الكثيرة ، والخيول المسومة الفخيرة .

فأول ما فعل من الظلم أن صلب أمين دار الضرب ، وهو الفقيه عبد الملك اليمني ، وكان مُثرياً ذا أموال كثيرة ، وجعل ذنبه اختلال السكة ، بغلبة النحاس على الفضة ، ولم يكن ذلك بفعله ، بل بفعل البكلاربيكية السابقة ، للطمع وجمع المال ؛ فإن الدينار الذهب السلطاني ، الذي وزنه الآن درهم وقيراطان ، هو الآن في الروم بستين عثمانياً ، وفي مصر بثمانين عثمانياً ، وصار في اليمن بثلاثمائة عثمانياً ، ولا زال يتزايد الى ان صار الدينار بألف عثماني ، وصار وقد ذلك ما كلاً للبكلاربيكية ، فأمر بصلبه ، واستولى على جميع أمواله وذخائره ، وكان ذلك ابتداء تموله وقوسه ، وتلفست السكة بعد عبد الملك المذكور ، الى أن صار الدينار الذهب بألفين من العثمانية ، وكان ذلك سبباً لحراب العسكر وفقرم ، فان علوفة العسكر من عشرة عثمانية ، الى مائة عثماني ، فصار المني له مائة عثماني علوفة في كل يوم ، يأخذ في الشهر ثلاثة آلاف عثماني ، وهذه درجة عليّة ، يرتقى منها الى السنجق ، فيصرف له من الديوان عن الثلاثة آلاف عثماني دينار واحد ونصف ، وذلك لا يفي بشمن القهوة التي يشربها ، فضلاً عن سائر حوائجه وضرورياته ، فشرعوا في

ظلم الرعايا لضيق معاشهم ، وصارت الحكام تتغافل عن إنصاف الرعايا من
العسكر ، لعلمهم بشدة ضرورة العسكر ، الى أن دهبوا الرعية وأضعفوها .

ثم لما ضعفت الرعية وانكسرت ، ولم يبق معهم شيء ينهبه العسكر ، أو
يأخذونه بالقهر منهم ، صار العسكر يبيعون السروج المذهبة ، والحيصات ،
والسيوف المُسَقَّطَة الى أن أفنوها ، وصاروا يبيعون أثواب بدنهم ، إلى أن
أفنوها ، فباعوا أسلحتهم وما أبقوها ، فشرعوا يهربون الى مطهر ، وافتقروا ،
وامتلأت بهم البلاد ، وضعفوا عن قتال العدو ، الى أن استولى العدو على
بلادهم شيئاً فشيئاً ، وكان ذلك في الكتاب مسطوراً .

ثم ان محمود باشا جدد داراً في تعز كانت دار السعادة لملوك بني غسان ،
وسكنها ، وجعلها تحت المملكة ، وكانت مملكة بَعدان قريبة منه ، وفيها
حصن حَبّ الذي يضرب به المثل في الارتفاع والشهوق ، يكاد يلامس ذروته
نجوم الثريا والعَيُوثُ ، فكأنه هامة ، لها الغمامة عمامة ، او انملة اذا خضبها
الأصيل كان الهلال لها قلامه ، وحاكمها يومئذ الفقيه المثلث ، الأمير الجليل ،
الكامل النبيل ، نور الدين علي بن عبد الرحمن بن محمد النظاري ، ورثها عن
أبيه ، وورثها أبوه عن جده الأمير شمس الدين محمد النظاري ، أحد أمراء
السلطان عامر بن عبد الوهاب ، كان تغلب عليها عند انكسار عامر ، من
الأمير حسين الكردي ، وأراد عامر ان يلتجى اليها ، ويتحصن فيها ، فسبقه
اليها شمس الدين النظاري ، ومنع عامراً عنها ، واستمرت في يده ويد
أولاده ، الى ان صارت للفقيه علي النظاري ، وكان يهادن البكلربكية ،
ويداهنهم ويهاديهم ويهاودهم ، وكانوا ينتفعون به وينتفع بهم ، الى ان استقر
محمود باشا في تعز ، فهاداه أكثر ممن مضى ، وقدم اليه ما ادخره من النفائس ،
طالباً للود والرضا ، فابى محمود باشا الا نفورا ، وكان أمر الله قدرا مقدورا .



الفصل العشرون

في ذكر أخذ حصن حب وقتل علي بن عبد الرحمن النظاري

لما عجز الأمير علي النظاري عن استرضاء محمود باشا حصن قلعتة ، وسد طرقها ، وتهيأ للقتال فنزل محمود باشا يجنوده ، تحت حصن حب وكان جباراً عنيداً ، فتاكا مريندا ، لا يستمع إلى رأي أحد ، ولا يصغي إلى نصيح ذي رشد ، وكانت مملكة اليمن مشحونة بعد الأمراء الأبطال ، والسناجق السلطانية أهل الرأي والقتال ، فتقدم إليه الأمير اسكندر ، وكان من أعظم السناجق ، ذا رأي رائق ، وثناء فائق ، وشجاعة واقدام ، وبصيرة نقادة وتدبير تام ، وقال له : إن النظاري لم يظهر منه عصيان ، ولم يبد منه مخالفة ولا شأن ، فالأولى ابقاءه على ما كان ، فان حصنه حصين ، وبرجه ثابت مكين ، لا يتصور أخذه بالقتال ، ولم يعهد فتحة بالسيف فيما تقدم إلى هذا الحال ، فالأحسن أن يجعل عليه مال كثير ويترك على حاله . فما استتم هذا الكلام ، الا وأمر بضرب عنقه ، فقتل بين يديه ، واستولى على أمواله ، وذخائره وعبيده وخدمه ، وأثاثه ، وكان محمود باشا يتهم بموافقة علي هذا الرأي أميراً آخر كان أقوى جاشاً ، وأكثر مالا ومنا لا ورياشا ، وكان من أعظم السناجق السلطانية ، يقال له ميرزابك ، فطلبه الى الديوان ، فلما جاءه امر بضرب عنقه بين يديه ، فما استطاع بعد ذلك أحد ان يكلمه في أمر النظاري .

وكان للنظاري صهر ، يقال له الخواجا علي الريامي ، كانت بنته تحت

النظاري ، وكان ذا مال وافر ، وثرء عظيم متكاثر ، وله عدة سفائن تجري في بحر الهند ، وتأتيه بأصناف البضائع وكانت له دائرة متسعة جداً ، وكان ذا إحسان وبر الى الناس ، وصدقة مستمرة ظاهرة ، وخفية ، حسنة من حسنات اليمن ، وسبباً لتعمير تلك الجهات ، والايساع على فقرائها وعلمائها ، فطمع محمود باشا في ماله ، وأخذه من بلدة إب واستصفى جميع ما بيده ، ثم صلبه هو وولده ، من غير ذنب يوجب ذلك ، وعند الله يجتمع الخصوم ، ثم انه استمر محاصراً لحصن حب ، نحواً من ثمانية أشهر ، الى أن سئم هو والعسكر من طول الحصار ، فطلب الأمير عبد الله الداعي احد أمراء اليمن الباذلين الطاعة للسلطنة الشريفة ، من طائفة لهم اعتقاد غير اعتقاد أهل السنة ، من دعاة الاسماعلية ، ولكنهم مخلصون في طاعة السلطان نصره الله تعالى ، وأرسله الى النظاري ليعطيه الأمان ، وكان سئم النظاري أيضاً من طول الحصار ، فوافق على أن ينزل هو وأهله ومن يعز عليه ، وجميع خزائنه ، وان يعطي سنجقاً ويسلم حصن حب ، ويعطى بدله مكاناً آخر يختاره ، ولا يتعرض له في شيء مما معه ، ووقع الاتفاق على ذلك ، وحلف محمود باشا يمينا فاجرة ، ما وفى بها ، على المصحف الشريف ، وضمنه في ذلك الأمير عبد الله الداعي خوفاً منه وجعل الموعد انه ينزل في موكبه إليه في اليوم الرابع والعشرين من شهر رجب ، سنة تسع وستين وتسعمائة ، وفرح بذلك محمود باشا ، وأرسل إليه سنجقاً سلطانياً ، فاغتر النظاري بذلك فنزل من حصن حب هو وولده عبد الرحمن ، وكاتبه الفقيه ادريس ، وخزنداره ابن رصاص ، ومعه جميع خزائنه ، وما يعز عليه ، وحوله نحو المائتين من عسكره ، وعلى رأسه سنجق السلطان ، والطبل يضرب بين يديه ، ومعه الأمير عبد الله الداعي ، فاستمر موكبه الى ان نزل الى خيم الباشا ودخل عنده ، فقام له وأكرمه ، ووضع له كرسيًا ، ملبسا بالمخمل ، وأجلسه عليه ، فجلس والبسه خلعة عظيمة ، من السراسر ، وحادثه ساعة ، واسقاه السكر

وجميع العسكر حاضرون في الديوان بأسلحتهم وعددهم ، وقد وكتل بكل واحد من عسكر النظاري أكثر من عشرة ، مطيفين بهم ، فاستأذن للقيام فقام ، فلما برز من عنده ، أشار محمود باشا لأوزن على جاوش ، ان يقتله ، وقال له : أما تريد أن تصير سنجقا ؟ فسل خنجرا ضربه به بين كتفيه ، فصاح النظاري ، صيحة واحدة بالسودا على الأمير عبد الله الداعي ، فحزت رأس النظاري ، وجميع من معه من العسكر ، واستولى محمود باشا على جميع خزائنه ، وسلاحه وخيله ، وكل ما وصل به معه ، وكان هيا جماعة يدخلون الحصن ، بمجرد خروج النظاري ، وان يضعوا السيف في كل من هو منهم ، ففعلوا ذلك وقتلوا منهم مقتله عظيمة .

وكانت هذه افعلة خيانة قبيحة ، وغدراً فاحشا ، صارت بها العريان لا تستامن الأتراك ولا تصدقها في أيمانها وعهودها وصاروا يسمون امثال هذا الغدر « محموديتا » .

وتأثرت من خزائنه محمود باشا ، وكانت أموالا كثيرة ، وجواهر نفيسة .

وأخبرني حسين بك دفتر دار اليمن إذ ذاك أنه من جملة ما شاهد ، كرسيا من الذهب ، مكللا بالجواهر الثمينة ، لا يوجد في خزائن الملوك ، وعصا مرصعة بالجواهر من ذخائر عامر بن عبد الوهاب ، ومن النقود القديمة المسكوكة من الذهب والفضة حمولا ، ومن كتب العلم والفقہ على مذهب الشافعي ، وعلم الحديث ، والمصاحف الكبيرة المذهبة ، شيئا كثيراً .

وكان النظاري شافعي المذهب ، سني الاعتقاد ، يكره طوائف الزيدية ويقائلهم ، ويحب العلماء والفضلاء ، ويحسن الى الأفاضل .

وكان من أكبر أعدائه مطهر بن شرف الدين ، وطوائف الزيدية كلهم . وكان معينا لأهل السنة عليهم ، يُمدّهم بالأموال ، ويعينهم بالميرة والرجال ،

ويخدم السلطان وأمراؤه بالنفس والمال، وقد أسند اليه العصيان وليس من أهله،
وأضعف بذلك مدد أهل السنة وفرح بذلك الزيدية غاية الفرح ، وعلّموا انها
تؤول الى الفتنة .

وأما وصمة نقض الامان ، وخُلّف العهد وكذب الايمان ، فتلك ثلثة
باقية على صفحات الزمان ، اختل بسببها كثير من الأحوال ، وشرعت عقود
تأخذ الذمم في الانحلال ، وصارت العرب تنقض عهودها وتسميها «محمودية» ،
وأدى ذلك الى الأمور الرديّة ، الى أن وقع بسبب ذلك ، ما سنشرحه إن
شاء الله تعالى .



الفصل الحادى والعشرون

في ذكر ارسال محمود باشا خبر الفتح الى الباب العالي ،
والانعام عليه بالترقيات بسبب ذلك

لما فرغ محمود باشا ، من أخذ حصن حبة ، جهز الى الباب العالي جاوش باشيه اسكندر جاوش ، وسنان جاوش ، بالمعروض في شأن النظاري ، وانه كان عاصياً على السلطنة ، وانه كان يضر بالجار والمار، وانه كان واجب الدفع ، وانه استولى على مملكة بعدان ، وإب وجبلة ، وأسند اليه أموراً كثيرة توجب قتله ، وانه ظفر به بعد محاصرته ثمانية أشهر قهراً وقسراً ، وأرسل رأسه ورأس ولده ، ووزيره ، وعدة رؤوس سماهم ، قد سلخت وملئت تبناً ، وعرض لأوزن علي جاوش السنجق ، وعرض لكل من أراد ترقيات كثيرة من مماليكه وخاصته ، وأرسل جميع ذلك مع جاوش باشي الى الباب العالي ، فوصل جاوش باشي المذكور الى مكة ، متوجهاً الى مصر ، ثم الى الباب العالي ، ودخل مكة في يوم الأحد سادس رمضان ، ومعه عدة مماليك ، فأسكنه بعض مماليك مولانا السيد الشريف عنده في محله لسابقة بينهم في درب اليمن ، بقرب رباط بديد ، ووصلت معه مكاتبات الى مولانا السيد الشريف ، بدر الدنيا والدين ، الحسن بن أبي نمي بأخبار الفتح ، فأظهر كمال السرور بذلك ، وألبس الجاوش خلعة سنية ، وأمر بضرب النقارة والطبول للفرح بانتصار العساكر السلطانية ، وأرسل اليه بالغمم والضيافات ، فتوجه هو ومن

معه الى مصر ، متوجهاً الى الأبواب السلطانية ، بما معه من الرؤوس والعروض ،
بأخبار الفتح ، فخرج من مكة ثاني عشر رمضان سنة تسع وستين وتسعمائة ،
فوصل الى مصر ، وحاكمها يومئذ من قبل السلطنة الشريفة ، قره مصطفى
باشا ، وكان يعلم أحوال اليمن ، وان محمود باشا ما أتى بطائل في قتل النظاري ،
لكنه لم يعارضه فيما عرضه ، حيث علم ان لا فائدة في المعارضة غير اثاره
الضغائن القديمة ، فسكت عن ذلك ؛ فتوجه جماعة محمود باشا الى الباب العالي ،
بما على أيديهم ، ففرح المرحوم السلطان سليمان ، سقى الله عهده صوب الرحمة
والرضوان ، وظن ان النظاري كان عاصياً على السلطنة ، مفسداً كما عرضه
محمود باشا ، وانه كان واجب الازالة من مملكة اليمن ، اعتماداً على عروض
محمود باشا ، فرأى له بهذه الخدمة ، فرفع مرتبته ، وأنعم عليه بالترقي لأخذ
حصن حب ، وأنعم على قاتل النظاري بالسنجق ، بمائتين الف عثماني ، وأمر
بالترقي لكل من عرض له محمود باشا ، وأرسل اليه بالخلع السنية ، والسيف
المُسْقَط ، والدبوس ، على عادة من يعتنون به ، وعاد جاوش باشي الى محمود
باشا معززا مكرماً ، مَقْضِي المرام ، وزاد بذلك عنوان محمود باشا وعظمته
وسلطنته ، فصارت مملكة اليمن لا تسمه ، فطلب العزل ، ليتوجه الى الباب
العالي ، ويقدم هدية هائلة هيأها ، ويأخذ إيالة مصر ، فأرسل المرة بعد المرة
يستعفي عن اليمن ، ويذكر انه حدث به مرض في رجله منعه عن الحركة ،
وانه يطلب علاج ذلك بمصر ، وكرر السؤال في ذلك ، وهيأ نفسه للخروج
من اليمن ، وجمع من الخيل والجمال والبغال ، وغير ذلك ، ما قدر عليه ،
وأعد نفسه لذلك ، واستعد لورود الجواب عليه ، من قبل بمدة ، وأرسل أولاً
جاوش فرهاد آغا ، وجهاز معه من الحبوب شيئاً كثيراً من البحر ، قد خر له
في جدة ، وأرسل معه ثلاثمائة عَجْرَة من الذرة ، لمولانا السيد الشريف ،
وخمسين عَجْرَة لمولانا شيخ الاسلام القاضي حسين ، وكذلك كثير من علماء
البلد ، فوصل جاوش باشي الى جدة ، في منتصف شهر صفر ، ثم أتى الى
مكة ، وفرق ما معه من التذاكر ، وعاد من يومه الى جدة ، وتسلم كل واحد

ما يتعلق به من الذرة ، ووسع على الناس ، ودعوا له ، ثم توجه جاووش باشي بعروضه بسرعة في غراب الى مصر ، بحراً ، وأبطأ عليه جوابه ، فأرسل ثانياً جاووش باشيه ، جعفر جاووش باشي ، فوصل الى مكة تاسع ربيع الأول سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة فحضر ليلة المولد الشريف ، وتوجه من البر على رواحل ، فوصل من مصر الى مكة هجان ، متوجه الى اليمن ، مخبراً بعزل محمود باشا ، من منتصف جمادى الآخرة سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة ، وتوجه الى اليمن مسرعاً فلما وصل اليه فرح بهذا الخبر ، وأنعم عليه بمائتين ذهب ، واسم القاصد : نُعَيْيْمٌ من بني عُقْبَةَ ، وما فرح قاصد قط بهذا المبلغ من أحد ، وهكذا كانت عطاياه ؛ تجاوز الله تعالى عنه وغفر له .



الفصل الثاني والمشرون

في ذكر عزل محمود باشا عن مملكة اليمن ،
وولاية رضوان باشا بن مصطفى باشا

لما تكرر سؤال محمود باشا وطلبه للعزل عن اليمن ، اجيب من الباب العالي الى سؤاله ، وعين عوضه في اليمن رضوان بك نائب غزّة الذي كان امير الحاج الشامي ، وهو شاب فاضل وجيه ، له شجاعة وفروسية ، ومعرفة باللسان الفارسي ، ومشاركة في التاريخ والنظم ، ونحو ذلك ، وهو اخو بهرام باشا ، وكان بهرام باشا مع والده مصطفى باشا في اليمن ، لما وليها سابقاً ، ولم يكن رضوان باشا معه حينئذ فوليها من الباب العالي في سنة اثنين وسبعين وتسعمائة وله فضل ومعرفة وحسن اخلاق ، وتوجه الى الله تعالى بالعبادة والطاعة ، واعتقاد في العلماء والصلحاء ، وفعائله مرضية ، وافعاله مشكورة ، غير أنه كان شاباً غراً بالأموار ، لم تُخنيكه التجارب بعد ، وهذا اول منصب له من البكربكية ، ولا يكمل الانسان الا بطول التجارب كما قيل :

إن الرجالَ صناديقٌ مغلقةٌ وما مفاتيحها الا التجارب



الفصل الثالث والعشرون

في ذكر توجه محمود باشا من اليمن الى مصر

لما وصل خبر عزله اليه، وكان متهيئاً مستعداً لذلك، خرج من تعز الى زبيد، ثم منها الى جازان، ثم من جازان براً الى جهات مكة، وارسل قاصداً الى مولانا السيد الشريف، وصل الى مكة في اواخر رجب، سنة اثنين وسبعين وتسعمائة بخبر بوصوله من البر، وكان يعلم ان السيد الشريف لا يلاقيه، مع ما هو عليه من القوة، وكثرة الخيل، فبادر الى كتاب جهزه الى الشريف، يعذره في الملاقاة، فداخل موالينا السادة الاشراف تخيل من ذلك، وارسلوا الى الاطراف يجمعون العربان والخيول، وكان مع محمود باشا الفا بعير، وثلثائة وكان معه ثلاثون جندياً، فوقع الارتجاج بمكة، وغلت الاسعار، وتوهمت الناس الفتنة، وشرعوا في تحبئة الحوائج.

وبرزت الى ملاقاته لما بلغني قرب وصوله، ووصلت يوم السبت رابع عشر شعبان الى السعدية، وهي ثالث مرحلة الى صوب اليمن، وارسل السيد الشريف لملاقاته خمسين فارساً، فوصلوا الى السعدية، ووصل من عربان اليمن من بني زيد، وبني العير، وأهل حلي ولفيفهم نحو ثمانين فارساً.

وذكر لي السيد عرار ان مولانا السيد الشريف امره ان يذكر لي ان اقول لمحمود باشا: ان مكة لا تحمل عسكره، وانها مفلسة، وان المناسب ان يتوجهوا الى جدة ثم يتوجه من جدة حيث يريد. فامثلت ما أمرني به السيد

الشريف ، وثقل علي ان استفتح به هذا الكلام ، وان اواجه بذلك ، لما اعرفه من جبروته وعناده ، وصرت مفكراً في ذلك ، الى ان قبل محمود باشا بمن معه على السعدية عصر يوم الاحد ، خامس عشر شعبان ، فركبت إلى استقباله ، وركب السيد عرار بعدي ، فلاقيت بركه وبراقه ، وقد امه ثلاثون جنياً ، تساق بين يديه ، وحوله من بعيد الجاويشية وخلفه مماليكه بأساكف الذهب ، فلما قربت منه نزلت عن دابتي ، فوقف لي ، وأمرني أن اركب الدابة فاركبوني ، فسلمت عليه ، وقبلت يده فسألني عن حالي ، وانا مفكر في اداء رسالة مولانا السيد الشريف باي عبارة اعرضها عليه ، فأول ما بدأني به ان قال لي : اين طريق جدة ؟ فقلت : على جهة اليسار . فقال لي : اني قصدت التوجه الى جدة ، فان مكة ربما تضيق بنا . فقلت : هذا عين الصواب وحسنت له ذلك ، وحمدت الله تعالى إذ كفاني مؤونة مفاتحته بذلك الكلام الذي حملته ، وكان ذلك من حذقه ، واطف فهمه ، رحمه الله تعالى .

ثم سألتني عن احوال مولانا السيد الشريف ، فقلت له : طيب بخير ، يبلغكم جزيل السلام ، وقد ارسل صهره مولانا السيد عرار الى ملاقاتكم . فقال : أين هو ؟ فقلت : ها هو ، واصل بين يديكم ؛ فما أتمت الكلام ، إلا وقد أقبل السيد عرار فلاقاه ملاقة حسنة ، وأتى عن جهة اليمين منه ، واستمر هكذا الى أن نزل في محل عالٍ ، بينه وبين بئر السعدية المسيل ، وكان أوطاقاً منصوباً في نفس المسيل فأمر برفعه الى هذا المكان الذي اختاره ، فنزل قريب المغرب ، ومضى السيد عرار ، وبقيت معه ، وكان معي قليل حنّاب ، قدمته اليه ، فأعجبه وأظهر كمال الميل اليه ، وأخذ يحدثني ، ويذكر ما لاقاه في اليمن من الأتعاب ، وانه فرح بالخلاص منها . وأنا أوافقه في كل ما يقول ، وأصاقله على مقاصده ، وذكر لي انه ولّتي موضعه رضوان باشا ، وانه سيخرب اليمن ويقع بها فتنة عظيمة ، واني رأيت ذلك في واقعات لا تكذب معي ، فكان كذلك . ثم ذكر : انه لا بد لي من ولاية مصر ، فقلت له : أنتم أهل لذلك وزيادة . وفي خاطري استبعاد هذا الأمر ، فإن مصر مذ

فَسَبَّحَتْ ما أعطاهما السلطان إلا لخاصة مماليكه ، الذين خرجوا من عنده من السراي ، وتربوا بين يديه ، وهذا ما هو من الذين خرجوا من عنده من السراي ، وتربوا بين يديه ، وهذا ما هو من الذين خرجوا من السراي ، ففهم من وجهي عدم قبول ذلك من حذقه ، وكان فطناً ذكياً فقال لي : الدراهم مرام ، والنقود تحمل العقود ، والبرطيل حكيم ، يوصل الى المقصود ، وقد رأيت في منام صادق ، اني طرت من شرافة قصر تعز ، ووقعت على شرافة قلعة مصر ولا تأويل لذلك إلا ولايتي مصر ، وسأذكرك بذلك . فقلت : قد أقمت مدة بمصر ، وصارت لأهل مصر حقوق عليكم بالجوار ، فاستوصوا بهم خيراً ، ولا تنسوا فقراء مكة فانهم بوادٍ غير ذي زرع . فوعد بخير ، واستمر يحادثني الى أن مضى نحو ربيع الليل ، فأذن لي ، فانصرفت الى نخيمي ، فلما أصبح أرسل لي بخلمة سراسر عظيمة ، وأرسل الى السيد عرار بخلمة سراسر كذلك ايضاً ، واستدعاني اليه ، فمضيت له فقال : هل يوجد هنا شيء من الغنم؟ فقلت : لي هنا ثلاثة ايام انتظر حضرتكم ، وما رأيت شيئاً من الغنم ، فان العربان ارتفعوا متوهمين من العسكر . فقال لي : السيد عرار في جمع كبير ، فما الذي يأكلون؟ فقلت : ذبحوا امس تاريخه جزورين من الإبل اشتوا لهما على الحصى الحمى بالجمر ، بحيث تدخن ظاهره فقط ، وباطنه نيء بعد ، وأكلوه تلتشاً بالأسنان ، وهذا أكلهم الى يومين ، بعد ذلك . فضحك من ذلك ، ثم مد سماطاً فيه الرز المفلقل بالقاورمة ، والوان اخرى ، واحضرتني عليه ، ثم رحل عصراً ، ودخل التختروان واستمر الى جهة جدة ، فنزل بموضع يقال له الأطواء ، ورحل عصراً ، وعند رحيله وصل اليه رئيس مكة وكبيرها ومرجع اشرافها ومشيرها ، ثمرة شجرة الشرف ، وأنفس دُر نفيس ما حواه الصدف ، شيخ الاسلام ، سيد القضاة والحكام ، مولانا السيد حسين زين الله به الوجود أحسن زين ، وفي صحبته طائفة متعینون ، منهم شاه بندر جدة المعمورة ، العريق الاصيل الفاضل المثيل ، الخواجا محمد بن مجد الدين والشاب الامثل الارشد جمال الدين محمد بن الشيخ مصطفى المنتشوى ، وغيرهما ، ففلاصقه

يجنب التختروان ، وباسطه ، وباسط من وصل معه ، وسأل عنهم ، وأقبل عليهم ، وقدم مولانا السيد حسين اليه عشرين جملا ، محملا من انواع الحلوات والمربيات ، والفواكه والجُنب ، وامثال ذلك واستمر يحادثه الى الليل ، وفرح بوصوله كثيراً ، وكان في صحبته احد عبيد مولانا السيد الشريف ، ومعه بعض جوارح ، من آلات الصيد ، هدية من مولانا السيد الشريف اليه ، فقدمها اليه فزاد فرحه واعجابه بها ، وتشكر كثيرا ، ثم اذن للجماعة في الانصراف ، ووعدهم ان يصلوا اليه في غد ، في المنزل ، واستمر سائراً الى ان نزل قريباً من الصبح في منزل اسمه العِد ، فلما اصبح ارسل يطلب مولانا السيد حسين ، فوصل اليه ، فأكرمه اكراماً كبيراً ، ودخل بنفسه الى الاضطبل ، فانتقى حصانا من احسن حصنه ، وكان يغالي في الخيل ، ويولع ببيادها ، وكان يرغب اليها ، ويرغب في اثمانها ، بحيث تجلب اليه من كل مكان ، أحسن خيول أهل ذلك المكان ، ثم امر بسرّج معرّق من فضة ، بجميع آلاته من الركب واللجام والسلسلة ، كلها من الفضة ، المموهة بالذهب بحيث قومت بخمسمائة دينار ذهباً ، فأركب مولانا السيد حسين عليه ، وأخلع عليه خلعة عظيمة من السراسر العال ، تساوي خمسين ذهباً ، وارسل بماليكه وخواصه يمشون في ركابه ، تعظيماً اليه إلى ان اوصلوه الى نخيمه ، ثم استدعى بعبيده والبسهم خلعا من السراسر ، وبالغ في اكرامهم وتعظيمهم ، ورحل بعد العصر من العِد الى ان اصبح في جدة ، فوصلها ليلة الخميس تاسع عشر شهر شعبان ، وضرب له أوطاقه خارج سور جدة ، من ناحية الشام ، عند مُرتبة أمنّا حواء عليها السلام .

وكان له وطاقان معظمان ، في غاية الزينة يكون هو في أحدهما ، ويتقدم الآخر ، فينصب له في المنزل الذي سينزله ، على اسلوب السلاطين ، وكان ترتيبه في نخيمه ترتيب السلاطين ، وله تخت يجلس عليه ، داخل خيمته في خركاه عظيمة ، وحوله صناديق خزائنه وحول الخركاه بماليكه ، اصحاب الاساكف الذهب ، والمناطق المرصعة المذهبة ، ويحيط بهم ديار حوش كبير

ولا يصل اليه في هذا المكان الا افراد، يختارهم من الناس ، وكان طبعه طبع الملوك ، واوزاعه اوضاع السلاطين .

وأما ديوانه فخارج عن ذلك الحوش في خيمة مقصصة عظيمة من عمل المعجم ، وامامها اربع سحابات ، وجنبان ، وأخرى امامه ينكسها احيانا بحسب الظل والشمس ، وبحسب ما يعتره من الأحوال ، فاذا برز جلس في صدر ديوانه ، على (اسكَملي) ملبس بالسراسر ، وعلى يمينه وشماله اسكَمليات أخرى، ملبسه بالخمل الدوخابه لمن يجلسه عليه من السناجق، ومن في مرتبتهم ، يأمرهم بالجلوس عليها ، وهي نحو العشرين اسكَملي، وتقف مماليكه خلفه بالأساكف والمناطق الذهب ، يقلون ويكثرون وهم مائة مملوك، وتقف العسكر سباطين ، عن اليمين وعن الشمال ، وكانوا اذا حضروا ديوانه لبسوا فوق ثياب رتبتهم المعتادة برانس حمر ، مفصلة من الجوخ البندقي العال ، محفوظة عنده في صناديق ، فصلها لهم ، وعين لهم مملوكا يلبسهم ذلك لديوانه فاذا انقضى ديوانه اخذها منهم المملوك ، واعادها الى الصندوق ، كيلا يضعونه ويبيعونه وديوانه مفروش بالفرش العظيمة والبسط الحرير المثمنة تداس بالبشمق والنجاشير ، وتتبدل بين يديه بأمره، هذا نظامه واسلوبه .

ولما وصل محمود باشا الى جدة كان مولانا السيد الشريف قبل ذلك أمر مقدمه الشرفي ، ابا القاسم بن قرقاس ، ان يهيء لمحمود باشا ، عند قدومه الى جدة سباطا عظيما ، يليق بمثله ، ففعل ما امر به وعمل له سباطا يفوق عن الفي صحن مُدت بين يديه في الأوطاق ، وفضل بَعُد الغرف شيء كثير في القدور ، يصلح ان يمد سباطا آخر ، فجلس وأكل ، هو واتباعه ومماليكه ومن معه من الجنود ، وحمل من اراد منهم مهما اراد ، ولما فرغ من السباط ، ألبس الشرفي ابا القاسم خلعة عظيمة من السراسر .

وورد عليه من مكة في ذلك اليوم الامير قاسم ، سنجق جدة ، وكان من المماليك السلطانية خرج مع الوزير علي باشا ، وكان سراجا له ، وأول ما

ولى اغاة بالمدينة الشريفة ، بعد عزل دلو بيري ، ثم الى سنجق جدة ، ثم الى امرة جدة ، فخلع عليه خلعة عظيمة ، واعطاه فرساً من جياذ خيله ، وقدم اليه قاسم بك بعض علق خيل ، وبقسماط ، كان هياه له ، فالبس الذي وصل اليه بذلك خلعة ، وكذلك البس دزدار جدة الاغا مصطفى ، خلعة ايضاً والبس كيخية القلعة ايضاً خلعة ، وهو حسين اغا الذي صار دزدارا ، بعد مصطفى اغا .

ثم في يوم السبت حادي عشري شعبان وصل اليه الامير الكبير ، المعظم الصارمي ابراهيم بك امين عين عرفات ، دفتر دار مصر سابقاً ، وكانا يتباغضان أشد تباغض ، وكان محمود باشا في ابتداء أمره ، وهو كاشف بمصر ، يتردد على ابراهيم بك ، وهو دفتر دار ، وكان ابراهيم المذكور في مظنة ان يكون بكربكي اليمن ، فالتمس منه محمود باشا وهو كاشف اذ ذاك ، وما كان حصل له السنجق بعد ، انه اذا تحقق له البكربكية في اليمن ، يأخذ معه سنجقا ، ليرتقي هناك ، بتربية ابراهيم بك لمحمود باشا ، وما كان يرى ابراهيم لمحمود باشا أهلية ان يأخذه معه ، ويصيره أميراً في اليمن ، فقدر الله تعالى عزل ابراهيم بك من دفتردارية مصر ، وسبق الى خدمة اجراء عين عرفات ، ليصير من هناك بعد اداء الخدمة بكربكياً في اليمن ، وكان في خيال ذلك دائماً ، وهياً لذلك أسباباً ويرقاً وزرود خانة ولُبوساً ، وتجملات ، تليق بذلك . فما قدرها الله تعالى لابراهيم بك ، وكان له إدراك عظيم ، وفهم دقيق ، وهمة عالية ملوكية ايضاً وكان مثرياً جداً ، فسبقه محمود باشا الى البكربكية في اليمن ، وحرمها ابراهيم بك ، فكان يرى ذلك حسرة و غصة ، وكل ذلك بقضاء الله تعالى وقدره ؛ فطوبى لمن فتح بَصَرَ بَصيرته في حوادث الدهر وعِبْرته .

ذكر قدوم ابراهيم باشا على محمود باشا ، والباسه الخلعة

لما قدم ابراهيم بك الى جدة للسلام على محمود باشا ، قصده المداراة ، واستجلاب خاطره ، جهز له هدية سنية ، وذلك بمملوك تركي كاتب ، وآخر خادم ، بما يليق بهما من الثياب الجميلة ، وفرساً ربغلين مسرجين ، وثلاثين اردبا فولاً ، وثلاثين اردبا شعيراً . وكان الغلاء موجوداً بحيث يساوي كل اردب خمسة عشر دينار ذهباً ، إذ ذاك . وأرسل معها عشرة قناطير 'سكراً' ، وعدة مراطبين من المربيات ، وخيمة عظيمة مقصصة منقشة ، فقبل هديته ، وألبس الذي وصل اليه بها خلعة من السرامر . وأهدى محمود باشا الى ابراهيم بك ثلاث سيوف مذهبة ، وخوذتين ، وبساطاً مكلفاً من عمل المعجم ، فألبس ابراهيم بك الذي جاء بها خلعة من سرامر عظيمة .

ولما أراد ابراهيم بك الوصول الى محمود باشا ، وكان يأنف من أن يلبسه محمود باشا خلعة ، أرسل إليّ ، وكانت بيني وبينه مودة سابقة ، فقال لي : إليك حاجة ، وهي اني أظن هذا السفية يعني محمود باشا تحدثه نفسه انه يلبسني خلعة ، والموت عندي دون هذا ، فأني ألبسته مراراً عديدة ، في أيام فلاكته ، خلعة وثياباً كثيرة ، وقد دار الفلك إلى أن صار كما ترى كما قيل : الدهر الدولاب ، ليس يدور إلا بالبقر . وأقل الأحوال أن يعفيني من لبس الخلعة ، فامض اليه ، وحسن له عدم الإلباس ، فانه إن أبرم عليّ ، لا أوافق على ذلك ، وربما يؤدي ذلك إلى الكدورة . فقلت له : أبذل لك الجهد في ذلك ، ولعل الله يقدرني عليه . فتوجهت إليه ، ودخلت عليه ، فلاطفتني وباسطني وباسطته ، وقلت له في أثناء الكلام : محبكم القديم ، الأمير ابراهيم وصل من مكة الآن للسلام عليكم ، تقرباً الى خاطركم الكريم ، وقد

صار الآن في زي الفقراء ، وقد ترك ملابس الأمراء ، واتخذ الفقر شعاراً ، ولبس الصوف دثاراً ، وذلك المناسب لمن أقام ببلد الله الحرام ، وخدم الفقراء والمشايخ الكرام . ففهم محمود باشا المقصود من فرّش الكلام ، قبل أن أذكره بالتام ، وقال : هو أرسلك تمنعني من لبس الخلعة له ؛ والله لا بد أن ألبسه قهراً عليه ، أحبّ أم لا !. فقلت له : ربما تتكدر الخواطر . فقال : تفرّج أنت كيف يكون الحال . فما أتممت الكلام ، إلا وأقبل ابراهيم بك فعمّقه ، وأجلسه الى جانبه على كرسي عظيم ملبس بالديباج المزركش ، وأتى له في الحال بخلعة سنية ، فمسكها بيده ، وصار الأمير ابراهيم يدافعه ، وكلما تأبى منه ، مسحها محمود باشا على وجهه ، وعينه ، وحلف ايماناً أنها ليس فيها شيء من الذي تظنه - يعني من السم - واني أمسح بها عيني ووجهي ، قبل أن تلامس جسديك ؛ وألبسها له قهراً ، ثم أتى بسيف مسقط ، ربطه في وسطه بيده ، ثم سأله عن حاله وعن حال ولديه . فقال : هما في مكة . فأعطاه سيفين مسقطين صغيرين يصلحان للأولاد باسمها ، وما استقر به المجلس قليلاً ، حتى قام ، فلما خرج من وطاقه أخرج الخلعة والسيوف ، وناولها بعض الخدم ، وهو يرقبه من خلال الوطاق ، فزاد بذلك البغضاء والشحناء ، الى أن أدى الحال بعض وفاة ابراهيم بك الى أن ضيع أمواله - كما سنشرحه إن شاء الله تعالى - ثم في ثاني يوم وصوله ركب محمود باشا في الصباح ، الى محل ابراهيم بك ، للسلام عليه ، وجلس عنده ساعة ، وأسقاه السكر ، هو ومن معه ، ثم برز من عنده ، وقصد أن لا ينفرد ابراهيم بك بسلامه عليه ، وتوجه الى دار قاسم بك ، ولم يكن في عداد من يتوجّه اليه ، وفهم ذلك ابراهيم بك ، وعلم انها من مقاصد محمود باشا ، فتألم من ذلك ، لأن قاسم بك لم يكن في مرتبة ابراهيم بك ، ولا قريباً من مرتبته ، وجلس محمود باشا عند قاسم بك ، وأطال الجلوس عنده ، أكثر مما جلس عند ابراهيم بك ، وشرب عنده السكر هو وجماعته ، ثم انصرف الى وطاقه .

ثم توجه في ذلك اليوم ابراهيم بك ، الى مكة ، وأرسل يعتذر اليه بأنه مشغول بعمل العين ، وكل منها متحمل من الآخر في الخاطر تحملا مفرطاً ، وراكب في البغض للآخر مَرَكِباً شَطَطاً ، وفي الليل والنهار عجائب ، وفي قلبها كل لحظة أنواع من الفرائب ، هي عظة للمتعض ، وعبرة للفطن الحاذق اليقظ ، وهذا شأن أكابر الزمان ، وهكذا يكون الى انتهاء الدوران .



الفصل الرابع والعشرون

في ذكر سفر محمود باشا الى مصر

لما وصل المشار اليه من اليمن الى جدة ، ماتت له عدة جمال في الطريق ، وأراد بدلها ، فأرسل الى مولانا شيخ الاسلام ، ناظر المسجد الحرام ، السيد القاضي حسين ، وتكلم معه أن يرسل الى سيدنا ومولانا السيد الشريف ، يتطلب منه بعض الجمال ، لحمل الأثقال ، فوافقه على ذلك ، وصار يرسل الى مولانا القاضي السيد حسين كل يوم ، ويدخله الى مجلسه الخاص ، داخل وطاقه ، ويجلسه معه على سريره ، ويفرجه على زينته ، ويتنزل معه ، وعمل له الضيافة مختصرة عنده ، داخل وطاقه ، في الخركاه الذي يختص به ، وطلبني معه مرة فدخلنا ، وتحدث معنا ، وقدم نفائس الأطعمة في أواني الذهب والفضة ، وأنواع الخوشاب ، في الأواني العظيمة ؛ فرأيت أسلوبه داخل محله أسلوب السلاطين ، مع الشهامة والبذل ، وعلو الهمة ، وعامله مولانا السيد القاضي حسين بما يليق به ، وقدم اليه مراراً من الحلويات والمعمول والمربيات ، وأرسل هو أيضاً الى مولانا بخلعة سراسر عظيمة ، وأربع قدود كمنخا عال وثلاثة أثواب سراسر بلا تفصيل ، وعدة أصناف أنكوري ، وفوطتين حرير مذهبتين ، من عمل اليمن ، واختراعه ، وتسمى : الفوط المحمودية .

وأرسل الى مولانا السيد الشريف قماشاً اشتراه من جدة من اسكندراني ، وسوسي ، وأصواف ، وأثواب من السراسر بدون تفصيل .

وأرسل يطلب من مولانا السيد الشريف جملاً يشتريها من العرب ، وكتب إليه كتاباً بذلك ، وافتتح مکتوبه بقوله : (يقبل الأرض لدى المقام الشريف العالی) وما كتبت هذه العبارة الى أحد قط : فكتب إليه مولانا : (يقبل الأرض) . أيضاً ، وأجابه الى سؤاله ، وأمر العربان بأن تجلب الجمال عليه ، فلم تطمئن العرب بالوصول إليه ، فاستعرض مولانا السيد الشريف من العرب مائة من الأبل ، فصلها منهم بثمان ، وأرسل إليه من عنده أربعين بعيراً ، إعانة على السفر ، وعشرة رواحل ، وأربعة من الجمال القوية لخاصة حمل محفته ، وجعل ذلك هدية إليه . وجلة ذلك أربعة وخمسون جملاً ، وأرسل معها مائة بعير للعربان ، في عنق كل بعير قلادة ، فيها ورقة مکتوب عليها ثمن ذلك البعير ، فقدم بذلك أحد عبید السيد الشريف ، ففرح بقدمه ، وألبسه خلعة واستعرض ما جا به من الأبل ، وقبل ما أهدي منها إليه ، وأخذ الأخرى بالثمان المکتوب في القلادة ، فكان أقلها ثمناً عشرين ديناراً ذهباً ، وأعلاها ثلاثين ذهباً ، فلم يكتف بذلك ، وأرسل ثانياً الى مولانا السيد الشريف ، يستدعي منه نحو مائة بعير ، يأخذها من العربان بالكرام ، أو بالبيع ، فأمر مولانا السيد الشريف عربان بني ريشة ، وحيان ، وبني جابر ، أن يصلوا يجاهلهم إليه ، فاکتري كل بعير من جددة الى الينبوع بسبعة دنانير ذهباً ، وكان كرامها دون الأربعة دنانير ذهباً في المعتاد ، وكان هذا عادته في الذي يأخذه ، يستجلب بذلك خواطر من يجلب إليه شيئاً .

ولما أبطأت الجمال عليه ضاق ذرعاً ، فصار مولانا السيد حسين يلاطفه ويعدده في يوم كذا ، فيقع الخلف في مواعده ، فيكتب الى السادة الأشراف بالتعجيل ، وكانوا يتهاونون في ذلك ، على عادتهم ، في استغراقهم بالصيد ، ونحو ذلك ؛ فيتعب لذلك مولانا السيد حسين ؛ ولما تكرر منه الوعد ، ولم يحصل المرام ، خرج بنفسه الى السبيل الذي خارج جددة ، ينتظر وصول الجمال ، واستمر هناك يومين ، الى أن وصلت ، ففرح بها غاية الفرح ، وتوجه بها الى محمود باشا . ولزم من ذلك تأخر محمود باشا في جددة نحو عشرة أيام ، وحصل الغلاء في جددة بسبب ذلك ، وجاءه قرب سفره من مولانا السيد

الشريف الف رأس غنم ، مع تفقده في أثناء ذلك ، غير ما مرّة ، من الجمول من البطيخ ونحو ذلك . ولما استوعب الجمال ، أرسل يطلب لها عددًا ، فحصلوها له ، وتطلب بعض الرماح ، فأعطوا له نحو المائة رمح ، مريشة مكملة ، وشرع في التوجه في سلخ شعبان ، وكان لا يصبر عن القتل ، فضاق ذرعه في هذه المدة ، حيث لم يقتل أحداً ، وكان عنده مملوك اشتراه قريباً بمائتي ذهب ، فقَدَ خنجره ، فجعل ذلك ذنباً له ، فلما حمل الجمول ، وأراد الركوب ، والناس وقوف بين يديه ، أمر بصلب هذا المملوك الشاب ، فوضِعَ في عنقه حبل ، وسُحِبَ من بين يديه ليصلب ، فمر على مولانا السيد حسين ، فرحم شبابه فتقدم الى الباشا ، وتقدمت معه ، وقبلنا يده ، وسألنا مراحه في العفو عن هذا الشاب ، فقال : أنا حلفت برأس مولانا السلطان اني أصلبه ، فما يمكنني أن أقبل شفاعته فيه . فقلت : لو كانت يميناً بالله لوجب الحنث والكفارة ، فكيف وهو ليس بيمين ؟! فقال : نحن لا نضبط عبيدنا إلا بالسياسة . ولم يقبل الشفاعته ، وليس مراده إلا إرهاب الناس لا غير ؛ فمضوا به وصلبوه ، على جنب تربة الشيخ الزيلعي ، في ساحل البحر ، وعذبوه في صلبه ، لأنهم لم يعرفوا كيف يصلب ، فانهم كانوا مما ليك صفاراً ، ما تعاطوا شيئاً من ذلك .

وركب قرب المغرب ليلة الاثنين ، سلخ شعبان ، وركبنا معه قليلاً ، ورجعنا عنه ، فملت أنا مع بعض الجدم ، الى ناحية المصلوب ، فنزلناه وكفناه في أثوابه وصلبنا عليه ، وحفرنا له حفيرة دفناه فيها ، رحمه الله تعالى وعوضه عن شبابه الجنة .

وتوجه محمود باشا الى الينبع ، ورجعنا الى مكة ، وكان كلما انقطع له جمل في الطريق من العليق والزاد ، ونحو ذلك ، لا يسأل عنه ، ويتركه ، ويمضي ، وكان فضلَ عنده نحو الخمسمائة من الغنم ، التي أضافه مولانا السيد الشريف بها ، تقطعت في الرحلة الأولى والثانية ، فتركها ولم يسأل عنها ، فأخذها الرعاة والبدو ، وهذا كان شأنه في الطريق .

فلما وصل الى الينبع لاقاه السيد علي بن درّاج صاحب الينبع ، فأخلع اليه ، وأكرمه وأحسن اليه ، وأقام في ينبع ثلاثة أيام ، وتوجه الى مصر ، ووفى للجمالين الذين كان استكروى منهم الجمال الى الينبع ، وأطلق جمالهم ، وأحسن اليهم ، وكل من لاقاه في طريق مصر من العربان من أحد ، أكرمه ، وخلع عليه من الجوخ الأحمر البندقي العالي ، الذي لا يالفون مثله ، بل لا يعهدون من الأمراء (البكاربكية) غير اللبابيد الحمر المصبوغة . فوصل الى مصر ، فخرج الى ملاقاته صاحب مصر ، وهو علي باشا ، وكان يلقب بـ (كيلون باشا) وكان رجلاً من أهل الخير والدين والصلاح ، حسن السيرة ، جميل السريرة ، متواضعاً في ملبسه وفي موكبه ، فخرج الى استقباله ، فرأى من تجملاته ما أدهشه ، ففارقه عند الدخول الى مصر ، ودخل محمود باشا في موكب عظيم ، وأفرد السنجق ، وليس ذلك عادة إلا للمتولي ، فصعب ذلك على علي باشا ، ووقع بينها التنافس ، فلم يُقيم محمود باشا بمصر ، وتوجه الى الباب العالي ، فر في طريقه على (كوتاهية) على حضرة السلطان الأعظم ، المرحوم المقدس سليم شاه ، طاب ثراه ، وكان إذ ذاك شاه زاده ، فقدم اليه من الهدايا ما لم يره من غيره قط ، فأحبه وأكرمه ، وخالطه بخالطة محبة وتربية ، وتوجه من عنده الى الباب العالي .

وكان الوزير الأعظم إذ ذاك ، عين أعيان أعظم الوزراء ، تاج مفارق رؤوس العظماء والكبراء ، مدبر الممالك برأيه الثاقب ، ومؤسس القواعد بفكره الدقيق الصائب ، الوزير الأعظم ، والمشير الأكرم الأفخم ، نظام العالم ، محمد باشا ، أنعش الله الملك والملة بتدبيره إنعاشاً ، وكان له قرابة به معلومة بينها ، من جبال بوسنة ، سمعت ذلك من لفظ محمود باشا ، في بعض محاوراته ، فاعتنى به ، وقربه من السلطان الأعظم ، الأكرم الأفخم ، المقدس المرحوم السلطان سليمان شاه ، سقى الله ثراه ، وأهدى إلي بابيه أعظم هدية ، لم يعهد مثلها ظاهرة وخفية ، فأما الظاهرة فتسعة أعداد من كل نفيس ، كان أولها تسعة أفراس منقادة من خيار الخيل ، سرّجها ولجّجها مرصعة

بالجواهر ، عليها لبوسها ، وعليها تسعة ممالك ، من أحسن الممالك ، بأحسن الثياب ، كل مملوك بأسكفِه ومنطقته من الذهب ، مرصعة بالجواهر ، وسيفه المرصع ، وخنجره المرصع ، ولبوسه ، ثم من أنواع القماش المذهب ، ثم القطاس ، ثم شمامات كبار من العنبر ، ولم يترك شيئاً من النفائس ، من كل صنف الا قدمه ، بحيث تعجب السلطان من كثرة ذلك ، ونفاسته ، ثم قدم صندوقاً مختوماً ، والتمس ان لا يفتح إلا بحضرة السلطان ، فيه من كل صنف من الجواهر .

ثم قدم للوزير الأعظم ما أبهره ، ثم صار يعطي كل من ورد اليه الى أن نفذ جميع ما معه من التحف ، و صار يؤتي اليه من البرزستان بجميع ما يوجد من التحف والقماش ، ويعطيها الى أن نفذ جميع ما في البرزستان ، ثم صار يعطيهم من النقد الى أن اقترض ما ينوف على مائتي ألف دينار ذهباً .

فولي مصر ، وعاد متولياً على مصر ، اليها ، فقدمها بحراً في شوكة عظيمة ، فانثالت اليه الناس بالهدايا والتحف ، منذ وصل الاسكندرية الى أن دخل مصر بأنواع الخيول والتحف والأقمشة ، فلما وصل الى مصر ، قدّم اليه صاحب الصعيد ، الأمير محمد بن عمر سفينة كبيرة مشحونة بأنواع الهدايا والتحف ، وخمسين ألف دينار ذهباً من النقد ، فبمجرد وصوله اليه أمر بصلبه ، وأخذ جميع ما أتى به ، وأرسل ختم على حواصله .

ثم صلب القاضي محمد العبادي كاتب الروزنامة وكاتب الجوالي ، وكان من أعيان أهل مصر ، ذا وجاهة وتَجَمُّل وتَعَيُّن ، وكان في قدومه قبل ذلك الى مصر لم يحتفل به ، وأخذ في خاطره منه ، فصلبه .

وصلب أيضاً شخصاً مغربياً ، وكان له معرفة في علم النجوم ، وعلم الرمل ، ونقل عنه الى محمود باشا في قدومه الأول الى مصر ، انه لا يتولى مصر ، فكتمها له ، الى ان وصل متولياً ، فأمر بصلبه .

وأمر بصلب أخي عيسى الجويلي ، وابن بغداد في يوم واحد ، متقابلين ،
في باب زويلة .

وكان صلبه للقاضي شمس الدين العبادي كاتب الجوالي ، من غير ذنب
يوجب ذلك ، غير شحناء قديمة ، أيام كشوفيته ، وكان كاتباً فاضلاً ، عريقاً ،
جميل الحال ، رحمه الله تعالى .

وأراق دماء كثيرة جداً ، بحيث اذا وصل اليه الصوباشي في الديوان ،
وعرض عليه من معه من المتهمين ، يشير اليه بمروحة في يده ، اما الى الصلب ،
أو التوسيط ، أو رمي الرقبة ، أو الخازوق ، باشارات خاصة ، من غير أن
يتكلم بلسانه .

وكان مع ذلك له عطاء وبذل ، وسماط ممدود ، في غاية التجمل ، بحيث
أن الأواني التي توضع بين يديه كلها من الذهب والفضة ، وكذلك أواني
(الخوشاف) .

وكان موكبه من أعظم المواكب ، بحيث لم يعهد مثله ولا الوزراء .

وكان لا يلبس إلا أعلى الثياب السراسر ، من كل لون فاخر ، وكانت له
حرمة وهيبته وأنفة وعظمة .

وكان وصل اليه وهو بمصر متوليها ، خبر وفاة الأمير ابراهيم الدفتر دار ،
الذي كان عين من قبل السلطنة لإجراء عين عرفات المتقدم ذكره ، وكانت
وفاته بمكة في ثالث رجب سنة أربع وسبعين وتسعمائة ، ففرح بذلك ،
وشمت به ، وعامله بعد موته أقبح معاملة في ماله وأولاده ، وأظهر الشماتة
بموته فكأنما أنشده لسان حال المرحوم ابراهيم بك :

الموت كأسٌ دايرٌ وكلُّنا يشربُ بهِ
فقلْ لِمَنْ يشمتُ بي لا بُدَّ أن يشمتَ بهِ

فما دار عليه الحول ، حتى صدق عليه هذا القول ، وكان عند وصول هذا الخبر اليه ، وتحققه لذلك ، أرسل الى دار ابراهيم بمصر ، ومماليكه ، وكانت مشحونة بالأموال والتجملات ، فأخذ الأموال الظاهرة ، وباعها بأبخس ثمن ، ثم عاقب مماليكه ، ليدلوه على دقائمه ، فدلّه كبير المماليك عليها ، وكان دفن فيها مالا عظيما ، فاستخرجه . وكان تسعين الف ذهب ، وحملها وكمل بها خزينة مصر ، وجعلها مع الخزينة ، وأرسل معها مملوكه مراد بك ، وكان كتحذاه يومئذ ، وأرسل معه جملة من التحف والهدايا ، الى باب السلطنة الشريفة ، وإلى الوزراء ، وإلى أركان الدولة لم يعهدوا إرسالها قبل ذلك .

ولما أرسل مراد بك بهذه الخزينة ، وأظهر ما يقدر عليه من التجميل والزينة ، انتظر ما يرد عليه من الأبواب من الترقيات ، والعنايات والرعايات ، في كل باب ، فأنشد له لسان الدهر مترنماً بالجواب :

إذا تمَّ أمرٌ بدأ نقصه توقعُ زوالا إذا قيلَ تمُّ



الفصل الخامس والعشرون

في ذكر وفاة محمود باشا

لما رأى الدهر تمكن محمود ، من رتب السعود ، ولحظه وهو يختال من من العُجْب والكُبر في حلال سابقة وبرود ، وضحك له ثغر الزمان عن أزهار من أمان وورود ، حسده الدهر الحسود ، وأظهر عليه حقد الزمان الحقود ، وطالما أضمر له افتراش أديمه وتمزيق جلوده ، وافتراس جسده بمخاليب أسوده، وطالما صعد إلى الله دعاء مظلوم لا ناصر له إلا الله، فاستجاب الله دعاه ، وعامله معاملة أصحاب الفيل (وأرسل عليه طيراً أبابيل ، ترميه بججارة من سجيل) ، ونقله من التخت إلى التخت ، ومن البخت إلى النحت وتلا عليه لسان الجزاء بعد تلك العناية والرعاية (اليوم ننجيك ببدنك ، لتكون ابن خلفك آية) ، فكان مما قدره الله وقضاه ، وأنفذه عليه بالرغم وأمضاه ، انه ركب في موكبه المعتاد ، في كل اربعاء ، كما يفعله نواب مصر في صبح يوم الاربعاء ، وكان آخر اربعاء لا تدور، وثقل ذلك اليوم معروف مشهور ، في آخر جمادى الأولى ، سنة خمس وسبعين وتسعمائة ، ومر نازلاً من القلعة ، على بركة الناصرية ، في زقاق بين غيطين متهدمين ، وقبض الله له شخصاً مجهولاً ، لم يعرف إلى الآن ، ولا درى به احد إلا الله تعالى ، وكأنه كان له ثار عند محمود باشا ، إما قتل له أحداً أو أنكاه ، أو ألقى الله تعالى في خاطره عداوته ، لكثرة ما يسفك من الدماء ، ويهين الأكابر والأمراء ،

فكن في جُدُر الغيط ، ونقب فيه نقباً يجر منه على رمي من يرميه ، ووضع فيه بندقية محشوة ، صغيرة من بندق اليد ، ما اطلع عليه غير خالقه أحد ، فلما حاذى النقب حرر عليه ، وأوقد الفتيلة ، ورماه واحدة فما أخطأه ، وأصابته تحت كتفه الأيسر ، فمقرته ، ولم ينفذ الرصاص المرمى ، بل احتبس تحت ثديه الايمن ، لكبر جثته ، وسمنه ، وغلظه ، وعظم بدنه ، وما خرج الرصاص عن البدن ، وأما الرامي فترك البندقية في موضعها ، وخرج من الغيط وغاب ، وكان جدر العيط ممتداً مسافة بعيدة ، فبينما يدخل اليهفات الرجل ، وذهب واختلط بالناس فما عرف ؛ فلما سمع هو ومن معه صوت البندق ، استنكروه فقال : هو انا المضروب . واستمر متجلداً على فرسه أربع خطوات ، ثم نزل ، ثم أركبوه فرساً آخر ، وتجلد قليلاً ، ثم لم يطق الفرس ، فنزل عنها ، وفرشوا له غواشي السروج ، وأحدقت به الأمراء ، وهجم مالميكه الى الغيط ، حيث النقب الذي جاء رمي البندقية منه ، فلم يحدوا احداً ، ورأوا بندقية صغيرة من فم النقب ، تركها الرامي ، وفاز بنفسه ، فداروا في الغيط فوجدوا فلاحين فأمسكوهما ، وسألوهما عن الذي رمى بالبندقية ، فقالا : سمعنا صوتاً ، ولم نرَ شخصاً ؛ فرموا رقابها بغير ذنب ، تكميلاً للظلم والغشم . وأحضر إليه الأمير حمزة تختروان ، فركب فيها ، ورائد الموت ينشده بلسان حاله :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفت كل تيمة لا تنفع

فارتجت مصر بموته ، وكادت الأسواق تنهب ؛ فعند وصوله الى القلعة ، ارسل الى الاسواق من يحفظها عن التخطف ، وشرع في الوصية ، فأوصى لجميع مالميكه بالعتق ، وأن يكون اسكفه للسلطان ، وحياسته وسيفه ومركوبه لنفسه ، وان جميع ما حوزة زوجته حق وملك لها ، وان الباقي في خزائن السلطنة محفوظ في الديوان بختمه ، تحت يد أهل الديوان .

ثم اخذ يخلط ، فنزل من عنده الأفندي قاضي مصر ، وهو شاه جلبي ؛

ودفتر دار مصر وهو المرحوم محمد جلبي الكنجي زاده ، وبقية الأمراء
والسناجق ، وشرعوا في ضبط المملكة ، ودخل اليه نساؤه ، فتوفى الى رحمة
الله تعالى ، سماحه الله تعالى وغفر له ، وعامله بلطفه وحمله ، واكرم نزله ،
ففي سعة رحمة الله تعالى وواسع فضله الكبير ، ما يسع امثال هذا البائس
الفقير .

وقد كان رحمه الله تعالى عين لنفسه مدفنا من حياته ، بقرب سبيل المؤمنين
قرب الرملة ، ففُسِّل وكفِن وصلى عليه ناس قليلون ، ودفن بالموضع المعد له
ولم يكثر المتأسفون عليه ، والله تعالى يمحو عنه الآثام ، ويرضى عنه الاخصام
هذا كله ذكرناه استطراداً ، لتضمنه فوائدها ، وفرائدها تزين بعقودها
الايام فحوراً منها واجياداً ، خلعت فيما اعلم عنها كتب التاريخ ، وكاد أن
يصيخ الى سماعها عطارده والمريخ ، لتضمنها زبد المواعظ والعبر ، ومشاهدة
تصاريف الحوادث والغيران في ذلك عبرة لمن اعتبر .

ونعود الان الى اخبار اليمن ، ونقرط الآذان بالدرر المجتلية من عدن .



الفصل السادس والعشرون

في ذكر ولاية رضوان باشا بن مصطفى باشا

بكلربكية اليمن ، بعد عزل محمود باشا

كان رضوان باشا سنجقاً في غزة ووصل إليه الأمر الشريف السلطاني ان يتوجه الى اليمن بكلربكيا عوضاً عن محمود باشا ، وورد الأمر الشريف اليه بذلك ، في رجب سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة واستعد من غزة ووصل الى مصر، ونزل من السويس الى البحر ، في غرابين ، ووصل الى جدة في اوائل ذي الحجة . وكان بيني وبينه سابقة معرفة من والده رحمه الله ، فبرزت لملاقاته ربيع مرحلة من مكة، ولاقاه الامير ابراهيم الدفتر دار أمين عين عرفات، وكان ساكناً في مدرسة الأشراف قايتباي ، واراد ان يسأل منه رضوان باشا نزوله فيها ليسمح له بذلك ، فتغافل عن ذلك رضوان باشا ، وانفتت نفسه ، فتكدر ابراهيم بك من ذلك ، ولم يمكنه الوصول اليها .

وايضاً فقد كانت اليمن عينت لإبراهيم بك ، فسبق الى ذلك رضوان باشا وطلب ايلتها ، وبذل في ذلك خمسين الف ذهب ، كما يقال، وذلك ايضاً كان سبب زيادة الوحشة بينها .

ولما قرب من مكة تطلب من مولانا السيد الشريف محلاً يسكنه ايام الحج فمئن له بيت الخواجا بخشي ، الذي هو في باب الزيادة ، وصار الآن من جملة اوقاف المدارس السلطانية السليمانية بمكة، وكان متهدماً اذ ذاك غير مستكمل

الموافق ، فصبر عليه ، وسكبه ، وكان محرماً بالعمرة فطاف وسعى وحلق ثم احرم بالحج ليلة الصعود ، وصعد الى عرفات ، وتوجه متجرداً ، فمنعه ولده احمد بك من ذلك ، وهو شاب فاضل ، لا بأس به ، حسن الخلق قريب الى القلوب ، معتدل الأحوال ، ذكي فهم ، لودعي حاذق الطبع السليم تقلب في المناصب السلطانية ، وتصرف في السناجق الخاقانية ، وسيؤول الى المراتب العلية ، والمناصب السامية السنية ، ان شاء الله تعالى ، فأبى منه والده ان يلبس ويفدي ، كما يفعله الناس ، فسألني احمد بك المذكور ان امنع والده من التجرد خوفاً عليه من التوعك ، فمنعته وحذرته من التمرض ، خصوصاً وهو على جناح سفر ، لا سيما وفي الشرع الشريف مندوحة عن ذلك بالفداء ، فلم يوافق على اللبس ، واستمر متجرداً ، قصداً للتقشف ، فما وصل الى عرفة الا محمواً ، فلمته على ذلك ، والبسته الخيط : فوقف بعرفة وكانت هذه ثانية حجة له ، وقد حج متعدداً فيما بعد ، معزولاً عن اليمن ، متولياً سنجقاً من غزة ، سنة ثمان وسبعين وتسعمائة ، وما بعدها .

وقد وردت احاديث شريفة نبوية على قائلها افضل الصلاة والسلام ، فيمن حج ثلاث حجج ، مذكورة في كتب المناسك ، يرجى له بها رفع الدرجات ، والله يتقبل منا ومنه ان شاء الله خالص العبادات ، ويضاعف لنا وله الحسنات ، ويغفر لنا وله جميع السيئات .

ولما تم حجه استمر متوعكاً ، فعاده سيدنا ومولانا السيد حسن ادم الله عزه الى محله ، وكان ذكر لنا رضوان باشا ان مولانا السيد الشريف إذا وصل الى عيادته ، يتوجه هو عقيبها اليه ، ولو عند خروجه من مكة ، وان لم يمكنه الركوب اليه ، مضى بتختروانه اليه ، فما وفى بهذا الوعد فيما بعد ، وتكدر سيدنا ومولانا السيد الشريف منه ، بسبب ذلك في الباطن ، ولكنه لم يظهره ، وحصلت لنا بذلك بعض الحجالة ، وستر الله علينا تلك الحالة ، وتوجه عقب الحج الى جدة وركب بحراً ، وتوجه الى اليمن ، وجعل مقره في صنعاء .

ومات في أيامه من الأمراء العظام باليمن ، كوسه بهرام ، وكان سنجقاً شجاعاً فاتكاً ، يخاف أهل الجبال منه ، وكان له اقتدار عظيم ، ومال كثير ، وحرمة وافرة وهيبة في القلوب ، وبعد موته ظهر تجبر أهل الجبال وابتدأ فيهم الغل والحيانة ، والغدر وكثرة الفتن .

الفصل السابع والعشرون

في تصنيف مملكة اليمن الى بكرين وشروع الاختلال بسبب ذلك

لما وصل رضوان باشا الى اليمن ، شرع بتعقب احوال محمود باشا ويظهر عواره ، ويعرض تقصيراته الى الباب العالي ، في مدة اقامته باليمن .

ولما فطن لذلك محمود باشا عرض ان اليمن مملكة واسعة ، وانها تحتاج الى بكرين ، لضبطها وسعة اطرافها، وان ذلك امكن للملك، واهيب في عين العدو ، فما زال يحسن هذا الرأي ويُشَارِفُه به أركان الدولة ، ويكاتبهم به الى ان تقرر ذلك عندهم ، مع مصادفته غرضهم وهو اهم من توسيع الملك وتكثير المناصب ، كما فعلوا ذلك في مناصب القضاة وغيرها .

وكان الامير مراد ، وهو المشهور بكون مراد ، سنجقا ولى غزة وصار امير الحاج ، وللووزير مصطفى باشا الاعتناء به ، ولم يكن اذ ذاك وزيراً فسمى له في الباب العالي ، فقسم مملكة اليمن نصفين ، كما اشار به محمود باشا وجعل التهامم كلها نصفاً، وصنعا وما والاها نصفاً ثانياً، وولى مراد باشا نصف التهامم ، وفيها البلاد والامال اكثر ، وابقى النصف الاخر وهو الجبال محل الحرب والقتال بيد رضوان باشا ، وقصد محمود باشا بذلك نكاية رضوان باشا ، وكان ذلك فيما بعد سبباً لاختلاف رضوان باشا ومراد باشا، وصارت العساكر فرقتين وغرضين مع ضعف العسكر، وقلة العلوقة ، وتلاشيها بتلاشي السكة وصيدورة الدينار الذهب بالفني عثماني فصاعداً ، وضعفت الرعية عن

احتمال بكثر بكيين ، وتفرقت العربان المطيعون ، وصارت شيوخ العرب يختار بعضهم رضوان باشا ، وبعضهم يختار مراد باشا ، واذا حصل لهم نوع جفاء من أحدهما يميل الى الآخر ، وهكذا العسكر فأدى هذا الحال الى الفساد والاختلال قال الله تعالى : (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا)

ومن لطيف حكايات ما حكاها المؤرخون ان اسكندر ذا القرنين لما قاتل دارا بن دارا ملك الفرس ساعده التقدير عليه فسطى على دارا حاجباه فقتلاه ، وتقربا الى اسكندر بذلك ، فكان من انصاف اسكندر انها لما وصلا اليه عمل ديوانا وامر ان يفعل السياسة مع الحاجبين ، ونادى عليها هذا جزاء من خان ولي نعمته ، وسطى على سيده ، ودار بهما في معسكره ثم صلبهما ، ولما وقع في يده امراء دارا واركان دولته واقاربه من ملوك الفرس ، رأى منهم كمال العقل والتدبير ، وحسن الرأي ، وملاحة الأشكال ، وصباحة الوجوه ، فأدهشه ذلك ، فتحير بين أن يقتلهم ، حذراً من طلبهم بعد ذلك بالنار ، وبين أن يطلقهم ابقاءً عليهم لما أعطوه من الكمال ، والحسن والجمال ، في الظاهر والباطن ، ولكن توهم منه وقال : لا يؤمن من أمثال هؤلاء أن لا يأخذوا بثأر داراً ، ولو بعد حين ، فأرسل الى استاذه ارسطاليس الحكيم ، وكان لا يقطع أمراً دون أن يشاوره فيه ، وكان معه اربعمائة نفس من الحكماء أرباب الرأي والتدبير ، ومعرفة الأمور ، يجالسهم ويستفيد منهم ، وكان رئيس الكتل ارسطاليس لا يقطعون أمراً دونه .

وهو أول من دَوَّنَ الحِكْمَةَ ، تقريبا الى الافهام ، وتسهيلا لتناولها على الأنام ، يقال له : المَعْلَمُ الأول ، ويسمى الامام أبو نصر الفارابي المعلم الثاني ، لأنه نقل الحكمة من اللسان اليوناني الى اللسان العربي ، وكان قبلها لا تدون الحكمة ، بل تؤخذ من الصدور إلى الصدور ، صونا لها عن أن يتلقاها من الكتب من لا يتأهل لها ، من أرباب النفوس الرذلة الساقطة ، فلا يتشرفون بشرف العلم لحساسة نفوسهم ، ودناءتها ، بل يرذل العلم برذالتهم ، وسقوط أنفسهم ، وكان استاذ ارسطاليس أفلاطون الحكيم الإشرافي ،

إن أفلاطون الحكيم الاشرافي لامَ أرسطاليسَ على تدوين الحكمة وافشائها ،
وتسلطَ غيرَ أهلها عليها . فقال : إني رَمَزْتُ رموزاً ، وجعلتها كنوزاً ،
لا يصل الى فهمها غير الفطن الذي الحاذق الفاضل ، ويقصر عن إدراكها
الغبيُّ الجاهل .

فلما ورد كتاب الإسكندر على ارسطاليس كتب إليه : أما بعد : فإنك
إن أتلفت هذه النفوس الشريفة ، وأزلت الملك من بينهم ، لزم أن تنصب في
محلهم غيرهم ، ممن لا يكون من بيت الملك والرئاسة ، وليس على الرعية
والمملكة أضرّ من ولاية السفلى والأراذل ، ممن ليس له أصل عريق في الرئاسة ،
ويلومك كل أحد ، على إراقة دماء مثل هذه الأنفس الشريفة ، مع ما يتضمن
ذلك من الظلم ، ومؤاخذة المبدأ الفياض لك بسببهم ، وحصول الجزاء عليك
من خالك ومن خالقهم الذي فطرمهم ، ويشدد لوم الناس بعد ذلك عليك في
ولايتك الأراذل والأسافل في محلهم ، ولا يستقيم لك الملك بذلك ، والذي
أراه أن تختار الكمّل منهم ، وتوزع مملكة المعجم بينهم ، وتعقد لكل واحد
تاجاً تسميه باسم الملك ، وتعين له جهة من المُلْك يستقل بها دون الآخرين ،
وتمنّ على الجميع ، وتخلع عليهم وتطلقهم ، فإنك إن فعلت ذلك انقادوا لك ،
واعترفوا باحسانك ، وتأمّن كيدهم وشرمهم بعد ذلك ، فإنهم لا يتفقون ،
ويرى كل واحد انه مستقل بمملكة ، وتأنف نفسه عن إطاعة غيره ، ويكبر
عليه أن يتفق مع غيره ، فلا يزال بأسُهُم بينهم ، وتكون أنت في
في راحة منهم .

فلما وصل كتاب ارسطاليس إلى الإسكندر استصوبَ رأيه ، وفعل ما
أمره به ، وعقد لكل واحد منهم تاجاً ، وخصه بمملكة مستقلة ، وخلع عليه ،
وأرسله إلى مملكته ، فاستألمهم بذلك ، وصار بأسُهُم بينهم ، واستمر القتال
بينهم أربعمئة عام ، الى ولاية أزدشير بن بابل ، ويُسَمَّون ملوك الطوائف ،
وصار يضرب المثل بكلمة ارسطاليس ، ويقال : يا لها من كلمة فرقت بين

ملوك الفرس أربعمائة عام. ولما ضعفت ملوك الطوائف بعد هذه المدة، استولى عليهم أزدشير، واستقل بالملك في جميع ممالك المعجم.

وإنما سقنا هذه الحكاية، للاستشهاد على أن تفريق الكلمة، وولاية الأسافل، من أعظم أسباب ذهاب الملك وهذه الحكاية نظائر كثيرة تركناها خوف الإسهاب.



الفصل الثامن والعشرون

في ذكر ولاية مراد باشا للتهايم ، من أرض اليمن

كان مراد باشا من خواص المماليك السلطانية ، من طائفة دُوشَرَمَة ، دخل إلى السراي ، وخدم الحضرة السلطانية السليمانية ، تغمدها الله تعالى براحه السنّية ، وتنقل في المناصب إلى أن صار سنجقاً ، وكان بطلاً شجاعاً ، رامياً مجيداً ، وكان يقال له (كور مراد) لخلل كان بإحدى عينيه يسير ، وقع مرة في أسر عربان البصرة والحسا ، في حرب وقع له هنالك ، فاستنقذته زوجته بالفداء ، وخلصته ، وعاد إلى سنجقه ، إلى أن صار أمير الحاج الشامي ، ثم ولي غزّة ، ثم نقل منها بكلربكياً النصف الأدنى من اليمن ، شريكاً لرضوان باشا ، وأبقوا لرضوان باشا صنعاء وعدنًا ، وجبال اليمن ، وتوجه بجرأً من مصر إلى جدة ، ثم وصل إلى مكة وحج في سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة ، ونزل إلى جدة وتوجه بجرأً إلى اليمن ، إلى أن نزل من البقيعة في محرم الحرام ، سنة أربع وسبعين وتسعمائة ، وتلقاه ساجق اليمن بالتقادُم والهدايا .

فما يشاع عنه ، ولا يعلم حقيقة الحال فيه غير الله تعالى ، أنه سقى السُمّ أميرين من أمراء اليمن ، أحدهما : الأمير محمد بن يحيى ، سنجق عدن ، والثاني : محمد بك سنجق جبلة ، وكانا معروفين بالمال الكثير ، والتجملات ، فوضع يده على مختلفيها ، وقوّم له ذلك بأجنس ثمن ؛ حتى يقال : انهم قوّموا له خيلها

وبغالها ضريبة، خمسة دنانير ذهب، كل واحد، فما وصل إلى زبيد إلا وهو متأثر
متجمل، ولم يبارك الله تعالى له في ذلك ، كما ستسمع ما سيقع له ، واستقر في
تعز ، مستقلاً بها وبزبيد ، وما والاهما .

واستقل رضوان باشا بصنعاء وصعدة ، وما والاهما ، وشرعت عقارب
الفتنة تدبُ بينه وبين رضوان باشا، وفرح العدو لذلك ، واتخذ أهبة العصيان،
فكان من قضاء الله ما كان .



الفصل التاسع والمشرون

في ابتداء الفتن ، وشروع مطهر للعصيان بأرض اليمن

لما وصل رضوان باشا الى زبيد ، ثامن محرم ، سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة ، أظهر العدل ، وأنصف الرعية من الكشاف ، وخيم بها أياماً ، ثم توجه الى قمز ، وخيم فيها أيضاً أياماً ، وشنق فيها ابن مكرد ، مع انه لم يصل إليه إلا بعد الأيمان ، وأرسل مندبل الأمان اليه .

ثم توجه إلى صنعاء واستقر بها ، وطالب أهل تلك البلاد ، وطالب الدعاة الإسماعيلية بالتسليمات ، وكان ذلك معافاً عنهم ، لكونهم من الجند وأعداء الزيدية ، وخدام السلطنة العلية ، فقبض بعض قلاعهم ، واشمأزت قلوب الرعايا من فمائله .

ولما كان شوال ، سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة ، وصل قاصدٌ بأن البلاد قد قسمت قسمين ، وأعطي مراد بك سنجد غزة سابقاً بكلربكية زبيد والتهائم ، وأبقي لرضوان باشا بكلربكية صعدة وصنعاء وإبّ وجبلّة وعدن ، وذلك في جمادى الآخرة ، سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة ، فلما وصل الى رضوان باشا هذا الخبر ، تنغص عيشه ، وتكدر مشربه ، وهمّ يجمع المال ، فشرع أولاً بتضمين بلاد الاسماعيلية ، وزاد في جهات السر ، من التزام علي بن الإمام ، وأرسل اليها كاشفاً يحيى خراجها ، ويضبطها ، يسمى اسكندر آغا ، فشكت الرعية من ظلم الكاشف ، الى علي وأخيه مطهر ، فأرسل رسولاً الى الباشا رضوان ،

بأن هذه الجهة ضعيفة ، قليلة الخراج ، وقد كنا اشتكيننا الى محمود باشا ، فنقص عشرة آلاف عثماني ، والمناسب إبقاء هذه البلاد على ذلك .

فلم يلتفت إلى شكواهم ، فاجتمعت الرعية ، وقلوا الكاشف ، اسكندر آغا ، غيلةً وأظهرت العصيان ، وشقت العصا ، وتظاهرت الزيدية ، وتحالفوا على الخروج على الأروام .

فلما سمع رضوان باشا بقتل الكاشف اسكندر ، خيم في موضع يقال له (عُمران) في ذي القعدة سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة .

فلما وصل مراد باشا الى (بندر الصلبي) في أواخر محرم ، سنة أربع وسبعين وتسعمائة ، ودخل (زبيد) في أوائل صفر ، أرسل إليه رضوان باشا ، يستحثه في الطلوع والوصول اليه ، ويطلب منه العسكر ، ودرهم من الخزينة الكائنة في قاهرة تَعِدَّة ، فقابل ذلك بالاصفاء والقبول ، وكان في نيته العزم بعد أن يصل الى تعز ، فوصلها في ثاني شهر ربيع الأول ، فوصل من الباب العالي جاووش باشي رضوان باشا ، بمراسم وسناجق وغيرها ، ومن جملتها : أن سنجق جيبلة أعطيت لولده أحمد بك ، واستخرج صورة دفتر من دفتر الروس ، وعليه خط قاضي العسكر ، يجهات أناظولي ، أن جيبلة وذي سفال ، والقاعدة ، من أعمال صنعاء ، وسبب ذلك ان البلاد كانت قسمت قبل تقرير الأمر على هذه الصفة ، ولما اطّلع محمود باشا ما أعجبه ذلك ، وقال : لم يبق لباشات التهامم محصول ، وتضعف جهاته ، فقسموها بمعرفة محمود باشا على قسمة أخرى ، ادخلوا سنجق جيبلة وذي سفال وغيرها ، في حصة التهامم ، وجعل كل قسم اثني عشر سنجقاً ، وجعل بها دفتر ، عليه مهر مولانا السلطان الأعظم .

وأعطي لكل واحد من البكركيين نسخة ، وعلى كلاهما مهر مولانا السلطان الأعظم .

ولما ان أرسل رضوان باشا الى مراد باشا صورة دفتر الروس ، أخرج له

مراد باشا الدفتر الذي عليه مهر السلطان الأعظم ، فترجّحتْ حُجّة مراد باشا ، بالمهر الأعظم ، وهذا كان سبب الشنآن فيما بينهم ، فتأخر مراد باشا عن الطلوع ، وأظهر ذلك ، وأرسل اليه المسكر مع الأمير شهلا محمد بك ، وأرسل معه ما كان بقي في القاهرية من الخزينة ، بعد استيعاب (ساليانته) وافتتح بينهم القال والقييل ، والكلام العريض الطويل .

فلما تحقق مُطَهَّرُ ما وقع بينهم ، أظهر الطاعة والوداد لمراد باشا ، وأرسل إليه يشتكي من رضوان باشا ، وانه خالف علينا ، وان مُطَهَّراً من أقل بمالك السلطان الأعظم وهو مطيع ، ماشٍ على القواعد القديمة ، التي قررها ازدمر باشا ، ووقع الاتفاق عليها ، فكان على تلك الطريقة من زمان ازدمر باشا ، الى زمان محمود باشا، وقد شرع رضوان باشا في نقضها، بل نقض بعضها ، وطالبهم بخلاف ذلك ، وانه كان في التزام الصنو علي بن شرف الدين التزام وادي السر، بكنيس روميّ ، وهو خمسون ألف عثماني .

ولما وصل محمود باشا انقص من الالتزام عشرة آلاف عثماني ، وجعلها بأربعين ألفاً ، فلما وصل رضوان باشا جعل فيها كاشفاً بثمانية أكياس ، فأرسل من قديم أخونا علي بن شرف الدين يذكر لنا ذلك، فأرسلنا اليه: أن الجهات لا تعتاد كُشَاف أروام ، ولا يحملون الالتزام ، وربما انهم يُقدّمون على الكواشف ، لأن أغلبهم سُرفاء ، وأقرباء ، والأخ علي كان يُسَلِّمُ المبلغ من عنده ، لكي يشتري أقاربه ومن يلوذُ به ، فلم يَرُدْ لنا جواباً ، فقام بعض جهة الرعايا ، وقتل الكاشف ، وهو اسكندر آغا ، لكثرة ظلمه وجورّه ، فجعل أن ذلك بمعرفتنا ، وحاشا أن نرضى بقتل مسلم ، وإننا لا نعتاد تسليم شيء لأنه قد تصدق علينا مولانا السلطان الأعظم بذلك ، ولم يكلفنا بشيء من المطالب ، التي يعتادون أخذها من الرعايا ، من السمن والعسل ، والبر ، والشعير والتبن ، وغير ذلك ، ومن وصل من اخوانكم البكربكية أجزانا على عوائدنا القديمة ، غير رضوان باشا ، لما وصل الى صنعاء تطلّب من أخينا علي بن شرف الدين من التبن ، فثقل ذلك على

الرعايا ، ومن يوالينا ، فلما شكونا اليه ذلك استحققره ، وقال : لو ساعدتم
عسكر مولانا السلطان الأعظم بقليل من التبن ، ما كان يضركم ، وهو نزرٌ
حقير ، أحقر من أن يذكر ، وأمثال هذا من الغلظة والجفاء ، لا يخفاكم ما
يترقب عليه . ثم انه أرسل علينا محطّةً فما أمكننا الا التوكل على الله تعالى ،
والمُصابرة إلى أن يصل خبرنا الى أحد من عقلاء الأمراء ، فيوصله الى
مولانا السلطان الأعظم .

فلما وصل رسول مطهر الى مراد باشا بهذه الرسالة اغتر بمثل هذا الكلام
من مطهر ، وخفي عليه مكره وحيلته ، ورأى فرصةً في عرض تقصير
رضوان باشا ، يكون سبباً لعزله ، وعرض الى الأبواب العالوية : ان
مطهرأ مطيع لكم . وأرسل بنفس كتابه ، بعد أن أثبتته على القضاة أن هذا
توقيعه بيده ، وكذلك رضوان باشا عرض في مراد باشا : انه لم يعاونني ،
ولم يرسل إلي العسكر والمال ، بل خذلني ، وقوى العدو علي . وأرسل
كل واحد منها عروضه إلى الباب ، يشكون من الآخر ، فسبقت عروض مراد باشا ،
لمساعدة أمير الأمراء بمصر محمود باشا ، فكان سبباً لعزل رضوان باشا قبل
وصول عروضه الى الباب العالي ، فاستفحل أمر مطهر ، وضعف عن مقاومته
رضوان باشا ، لموافقة مراد باشا مع مطهر ، وعدم إعانتة لرضوان باشا ،
وكان ذلك في الكتاب مسطوراً .

وأيضاً من جملة أسباب قيام مطهر في القضية ، ومناصبته للأروام ، أن
طائفة من الإسماعيلية التي يقال لها (الدعاة) وهم في شوكة ومنعة ، وجهاتهم
مناخمة لجهات مطهر ، وبينهم العداوة الدينية ، من قديم الأيام ، ولما استولى
الإمام شرف الدين ، في الزمن السابق ، على إقليم اليمن ، فكان أول استقامته
بصنعاء سنة اثنتين وعشرين ، جلّسى الاسماعيلية ، وأخرجهم من البلاد ، إلا
من جاء وأطاع ، وتاب من (السمنعة) وأشهد على نفسه بذلك .
وكان مطهر في زمن أبيه الامام شرف الدين محتسباً ، أعني أمير
العسكر ، والمتكلم على الحروب ، فجعل لهم طابعاً مكتوباً فيه : (المطهر

ابن أمير المؤمنين (فكله من وصل اليه تائباً من (السمعة) وسمه في زنده بهذا الطابع ، ويكون من جنده ، فمنهم من رضي بالتقية ، والدخول في طاعة الزيدية ، واختار هذه الفعلة الشنعاء ، ومنهم من لم يرض ، وخرج من البلاد ، وفرقوا في الجهات ، وجاء منهم نحو مائتين ، وسكنوا زبيد ، وكان داعيهم الكبير ، الذي اليه يرجع العسكر ، من جملة من وصل الى زبيد ، وتوفي فيها ، فأسند أمر الزكاة والأمور الدينية الى واحد من (اللوثيا) يقال له الشيخ يوسف ، واللوثيا طائفة من ملاحدة (كجرات) كانوا يعطون الجزية وأسند أمر العسكر والحروب الى محمد بن اسمعيل الداعي ، وذلك في سنة خمس وثلاثين وتسماية .

ولما وصل أويس باشا إلى زبيد ، كان الشيخ محمد بن اسمعيل الداعي ، هو المحرك له في أخذ صنعاء ، وقال له : دركي أخذ صنعاء ، فمعي خمسون ألف مقاتل ، كل واحد منهم يرى انه يجب إطاعة أمري تديناً ، وإلا يكون عاصياً . فتم على ذلك ، وشمر واجتهد ، خصوصاً بعد أن قتل أويس باشا . وكان أزدمر باشا كتب لهم خطوطاً واستخرج لهم مراسيم سلطانية ، وأعطى الشيخ محمد بن اسمعيل سنجقاً سلطانياً ، وكان لهم الاعزاز والإكرام الكلي ، لأنه لم يكن للزيدية غريم سواهم .

ولما وصل رضوان باشا ، ورأى ان محمود باشا لما أخذ حصن حب ، استخلص بواسطته كذا وكذا سنجقاً ، وترقيات ، اقتضى رأيه ان يظهر انه افتتح أيضاً عدة جهات ، من جهات الاسماعيلية الطائعين ، وعرض لأبن الشيخ اسمعيل ، الذي يقال له محمد بن عبد الله في سنجق ، وأعطاه بلدة من بلادهم ، وأوقع بينه وبين ابن عمه ، ف وقعت الفتنة بينهم ، وتشتت كلمتهم ، وصاروا طوائف ، واغتم مطهر هذه الفرصة ، واستبشر بها ، وقيل : انه أمر بإيقاد النيران في جهاته للفرح والسرور ، لما بلغه ما وقع بين الدعاة وبين الأروام من الاختلاف ، وانتهاز الفرصة ، وجره اليه منهم من أمكنه على ما أراد وأجابهم إلى ما اقترحوا عليه .

فانقسمت الدعاة على خمسة أقسام :

قسم مع الأمير اسمعيل الداعي ، وهم الأكثر ، لأنه داعيهم ، وكل من خرج عن طاعته كان عاصياً ، لا يقبل الله منه صوماً ولا صلاة ، حتى يرجع إلى طاعته ، ويمكنه من أمواله ، يأخذ منها ما شاء تغزيراً له ، لكونه خلع ربة الطاعة ، ثم يستغفر له ، هذا اعتقادهم .

وقسم آخر مع الأمير محمد بن عبد الله ، وهو ابن اخي الداعي الكبير ، ووقعت بينهم المُنَافرة أيضاً ، لأجل انه خطب ابنة الداعي الكبير ، فقال : لم تكن لها كفوءاً ، لكونك فسقت ، ووقعت منك أمور أخرجتك عن دائرة الاسلام ، - على قاعدة مذهبهم ، فان الانسان يكفُر بارتكاب الكبائر عندهم ، فاذا تُبذتَ إلى الله تعالى ، وصحت نيتك بشرائطها ، أنكحتك إياها . فوقع في نفس الداعي الصغير ما وقع ، وصادف هذا وصول رضوان باشا ، وارانته الفتح على الدعاة كما تقدم ذكره ، فأعطاه عسكرياً ، وأرسله لقبض القلاع من الداعي الكبير .

والقسم الثالث : جلسوا في بيوتهم ، ولم يساعدوا أحداً منهم ، كما أفتام به سيدهم الشيخ يوسف المذكور أولاً .

والقسم الرابع : اتفقوا مع مطهر ، وساعدهم على ما أرادوا .

وقسم آخر : تشتتوا في البلاد ، حتى ان بعضهم عزم الى الهند ، وذلك بعد أن طلب رضوان باشا الشيخ يوسف وحبسه ، وقيدته ، ومات في القيد .

فلما رأى الدعاة ان الامر يزداد ، ما أمكنهم إلا أن اتفقوا فيما بينهم أن يُسلّموا لهم (قلعة مسار) التي هي عندهم في مرتبة عظيمة ، لأن أول ظهور (السمعة) كان بها على يد علي بن الفضل ، وتقبلوا ضمان الجهات بمائة وثمانين كيساً ، بزيادة عشرة أكياس عما جعله محمود باشا على (بعدان) بعد أن أخذ حصن حب ، وأرسل رضوان باشا بالمرض : أنه أخذ ثلاثاً وثلاثين

قلعة ، واستخرج سبعة عشر سنجقاً ، وهذا الذي نشط مطهراً للخروج عن الطاعة .

وأما أهل إِبَّ وجبلة ، وتلك الجهات ، فسبب إقدامهم على العصيان ، ومباشرتهم لذلك ، ان القاضي أحمد بن محمد بن أبي بكر اليافعي ، نائب الشريعة بالشوافي الأعلى ، الشهير بالقاضي عبقرة ، كان يذكر لهم دائماً ، انه إذا وقع كسوف النّيرَين معاً ، في شهر رمضان ، انقضت الدولة العثمانية ، حاشاها من كذبه وزوره وبهتانه ، بل هي دولة خالدة على صفحات الدهر وزمانه . وكان وقوع ذلك الكسوف في رمضان ، سنة أربع وسبعين وتسعمائة ، فمن يوم عيد الفطر شرع في المكاتبات ، والارسال الى الجهات ، حتى انه أرسل واحداً يقال له عُبيد الشوافي ، من بلده الى عند مطهر في شوال ، والتزم له أخذ الجهات بأجمعها عرضاً وطولاً ، (ليقتضي الله أمراً كان مفعولاً) .

ولما طال مدة الخلاف ، رأى رضوان باشا انه مغلوب ، والجهات اضطربت .

وعصى عيسى بن المهدي في جازان ، فأرسل مراد باشا عسكرياً اليه ، واسترد جازان منه ، فقبل وصول الخبر ، خرجت بنو حبيش ، وأخذت صعدة ، ووصل اليه الأمير شاه علي ، من صعدة ، هروبا من بني الناصر ، فاحتال في صورة صلح ، ليخلص نفسه من البلاء .

وكان مولانا السيد الشريف حامي الحرمين ، وراعي القبليتين ، أدام الله تعالى عزه وعلاه ، أرسل ملك التجار يمجة الخواجا محمد المكي ، ابن الخواجا محي الدين اللاري ، رسولا من قبله إلى سلاطين الهند ، لأمر اقتضى ذلك ، وتوّه في بندر عدن لاختلاف الريح عليه ، فأرسل اليه رضوان باشا طلبه من عدن ، وجعله واسطة في الصلح بينه وبين مطهر ، وكان ممن يصلح لحل العقود والمشكلة ، ويدخل في رفع الأمور المعضلة ، فأرسله رضوان باشا رسولا من جانبه الى مطهر ، فوصل اليه وأكرمه ، وسما بينها في الصلح ، فوق الصلح على

يده ، بان يعطى مطهر بلد عمران وجهاتها ، وكتب بينهم محضر بذلك .
ووصل الخبر في ثاني رجب ، الى اليمن ، ان مولانا السلطان الأعظم ، واثاقان
الأكرم الأفخم ، الغازي في سبيل الله ، السلطان سليمان شاه ، طاب ثراه ،
انتقل الى رحمة الله تعالى ، في سابع عشر صفر ، وهو في غزوة ببح .

وجلس نجله السميد ، صاحب السعد الجديد ، والعز المشيد ، والمجاهد في
سبيل الله ، مولانا السلطان سليم شاه ، رحمه الله ، على سرير الملك ، تاسع ربيع
الأول ، بدار السلطنة ، قسطنطينية الحمية ، وكان أول خطبة قرئت باسم
السلطان سليم شاه في تعز وإبّ وجبله أول جمعة من رجب ، سنة أربع
وسبعين وتسع مائة ، وكان ذلك أيضا سبباً لغرور مطهر والزيدية ، وخروجهم
عن الطاعة السلطانية ، وطمعهم في بلاد أهل السنة السنية ، ويأبى الله الا
ان يتم نوره ، ويدحض الباطل وغروره .



الفصل الثلاثون

في عزل رضوان باشا وبروزه من اليمن، وولاية حسن باشا وظهور
الفتن ، وشهادة مراد باشا ، واضطراب المملكة ، وحصول المحن .

وصلت الى اليمن الأخبار في أواسط شوال ، سنة اربع وسبعين وتسعمائة ،
ان رضوان باشا عزل من جهات صنعاء بالأمير أروس حسن ، من أمراء
السناجق المحافظين بمصر ، وسبب ذلك أن مراد باشا أرسل الى الباب العالي ،
بمكاتبات مطهر اليه ، متضمنة لغاية التنصل عن العصيان ، وان الخلاف إنما
هو من رضوان باشا ، لتكليفهم بما لا يطيقونه من الأطماع الزائدة ، وصار
مطهر بعد إرسال مراد باشا هذه العروض ، يتحرش برضوان باشا ، ويخالف
عليه ، فعاربه مراراً رضوان باشا ، وصار يحتاج إلى المدد وإلى الخزينة ، للصرف
على العسكر ، فيطلب ذلك من مراد باشا ، فيتهاون في إمداده ، ولا يرسل
اليه لا بالخبزينة ، ولا بالعسكر ، ويعتذر له أعذاراً واهية ، ويقول : أنا أيضاً
أخاف من العدو ، وأحتاج الى الخزينة ؛ فسكن رضوان باشا ذلك الارتجاج ،
مدة إقامته بصنعاء بقائم سيفه ، وبذل ماله لمسكره ، الى أن جموه ، وحموا
البلاد من مطهر وتوابعه ، واستمر على ذلك الى أن وصلت عروض مراد باشا
إلى الباب العالي ، وأيدها محمود باشا ، وهو بمصر ، بعروض من عنده ، تؤكد
ما عرضه مراد باشا الى الباب العالي ، وأيدها محمود باشا ، وذلك لأجل

بغض رضوان باشا ، وبغض والده ، لمجرد الحقد والحسد ، فأدى ذلك إلى عزل رضوان باشا ، بحسن باشا .

ووصل مرسوم سلطاني الى الباشا مراد ، بأن يحفظ جهات صنعاء ، حتى يصل اليها متوليها حسن باشا ، فأرسل مراد باشا مرسوماً الى محمد بك قزل باش ، أن يحفظ صنعاء ، وكتب الى رضوان باشا أن يعزم الى باب السلطان ، ويسلم المملكة ، الى أن يرد متوليها حسن باشا ، وكتب خطه بذلك ، وكتب له له الوثائق بخط قضاة الممالك : أن المملكة في تسلّم مراد باشا ، وتحت ضبطه وتكلمه ، الى أن يصل متولي البلاد ، ففرح رضوان باشا بذلك ، وجمع الأمراء والقضاة والاعوان الذين بصنعاء ، وكتب محضراً أخذ عليه خطوطهم وأمهارهم ، بأنه خرج من البلاد بإذن مراد باشا ، وقد سلمها الى محمد بك قزل باش ، ولم يختلّ من البلاد شيء .

وخرج من صنعاء في أواسط ذي القعدة ، سنة أربع وسبعين وتسعمائة ، ومرّ على تعز ، ومراد باشا نخيم خارجها ، فلم يجتمعا ، لتماحن النفوس .

ثم وصل الى زبيد ، وركب من البقعة ، في أوائل ذي الحجة ، من السنة المذكورة ، وتعب في الطريق من الطوفان ، ومخالفة الريح ، وخرج من بندر القنفذة ، وتوجه منها الى مكة ، ودخلها في أواسط محرم الحرام ، سنة خمس وسبعين وتسعمائة ، ونزل بمدرسة قايتباي ، والتمس من مولانا السيد الشريف أن يعينه بشراء بعض الجمال من العربان ، ليتوجه عليها براً الى مصر ، فأعانه بما منها شراء وهبة ، الى أن كمل له ما يحتاج منها .

وسافر من مكة براً الى البقعة ، ولم يدخل مصر ، لأن محمود باشا كان حياً بها إذ ذاك ؛ بل عرج الى غزة ، ومنها الى باب السلطان ، وحصل عليه نوع غضب من السلطنة الشريفة ، حيث خرج من بلاد اليمن وهي متخبطة ، ولم يلتفت الى ما بيده من العزل والإذن بالسفر ، وحبس في (يدي قلّة) أعواماً الى أن فرج الله تعالى عنه بظهور حقيقة حاله ، وصدق مقاله ،

لدى الأعتاب الشريفة السلطانية ، ووزراء الدولة العثمانية ، خلد
الله تعالى ظلّهم ، وأبّدَ في العالمين معدّلتهم وأفضالهم ،
وكان في الصدوق نجاة للصادقين ، وخلص من البلاء ولو بعد حين ، فادركت
عناية الله تعالى عبده رضوان ، ونقلته من مالك الى رضوان ، وأخرج من
الحبس ، بعد أن أيقن الناس له بالهلاك والقوات ، وأعيد إلى نعيم الدنيا
بإبقاء الحياة .

وانعمت عليه السلطنة الشريفة بسنجد غزة . ثم ببكاربكية الحبشة ، والله
الحمد والمنة ، وهو جدير بعد ذلك ، إلى اعادته للمناصب العلية ان شاء الله تعالى .

هذا ولما خلت اليمن من رضوان باشا ، وماليكه وخواصه ، وعلوفجيته ،
وهم من شجعان العسكر العثماني ، وسباعهم ، وشجعانهم وفرسانهم ، ولم يبق
في صنعاء الا عسكر ضعيف ، لا تقوم علوفته بمصرفه ، نزل مطهر على صنعاء ،
وقطع عنها الميرة ، فضاقت على العسكر معاشهم ، وجاعوا ، بحيث كانوا
يصيدون الغربان بالبنادق ويتقوتون بها ، وشرع جميع عربان النواحي في
قطع السبل ، فتحرك مراد باشا من تعز ، وأقام فيها من أمراء السناجق
قاسم الهلالي ، وبعض العسكر ، وترك فيها بعض خزائنه ، وبرز متوجها الى
صنعاء ، وعرف حينئذ مكر مطهر وكذبه وحيلته في اظهار الاطاعة والحبّة ،
وندم حيث لا ينفعه الندم ، واحتار في امره ، واضطربت البلاد عليه ،
ووصل الى ذمار ، ومعه سبعمائة فارس ، وما ينوف عن الألف من المشاة ،
وخيم في ذمار ، لثلاث ليال بقين من ذي القعدة ، سنة أربع وسبعين وتسعمائة ،
وتوجه الى محاربته علي بن الشويح من أشرف الجوف ، وكان معه سنجدق
السلطان فعصى ، ونبذ العهد ، وصار من اتباع مطهر ، ومعه حسين بن شمس
الدين ، وكانا من أشجع جماعة مطهر ، وصارا يقطعان الميرة عن مراد باشا ،
وكلما خرج طائفة من العسكر لطلب الطعام ، انفردوا بها ، واستأصلوها .
وتوارد الكتب من صنعاء من قزلباش محمد بك ، وباقي الامراء ، بانهم محصورون ،

وضاقت معاشهم جدا ، فدبر مراد باشا ان يرسل ميرة الى أهل صنعاء ، يتقوتون بها إلى أن يصل اليهم هو بنفسه ، فامر أحمد بك القزلباش ، وهو أخو محمد بك القزلباش المحصور في صنعاء ، وكان كل منها في أعلى درجات الشجاعة والجلادة ، فقال له أحمد بك : الطرقات متخبطة ، وحول صنعاء عسكر كثير ، لا يمكن الوصول اليها ، فلو تربصنا الى ان يوافقنا بعض العربان لكان احسن . فسبه مراد باشا ، وقال له : هذه شجاعتك ؟! فقال : أنا أبذل رأسي ، ولكن يقتل معي كثير من معي ، والأمر لله تعالى ، فحمل نحو اربعمائة حمل من الحبوب ونحوها ، وأخذ معه نحو مائة فارس ، وتوجه الى صنعاء ، فانتدب لهم علي بن الشويح ، وأحمد بن حسين الياغمي ، وحسين ابن شمس الدين ، في عسكر من الزيديين ، وكنوا في مضيق بين جبلين ، وساق خلفهم بعد تورطهم في الوادي ، فانفرد أحمد بك عن عسكره ، فقتل هناك ، وقتل عسكره واحداً بعد واحد ، في ذلك المضيق ، وظفر بن الشويح بالميرة والخيل ، ورؤوس المقتولين .

وكانت هذه أول كسرة لمراد باشا ، وساق الزيديون الأحمال الى مطهر ، وكان ذلك اليوم التاسع من ذي الحجة ، سنة أربع وسبعين وتسعمائة ، وكان يقول لهم مطهر قبل ذلك : أول حرب يقع بيننا وبينهم يوم عرفة ، فإن غلبناهم كانت الدائرة لنا عليهم ، وكنا نحن الغالبين . وكذب فيما قال ، وإنما الأمر لله ، وهو أحكم الحاكمين . فلما وقع الأمر على ما أسلف لهم سابقاً ، استبشر بذلك ، وكاتب العربان بالعصيان ، وصار يعدهم ويمنيهم (وما يعدم الشيطان إلا غروراً) .

وأما مراد باشا فإنه أمر كاشف جبلة أن يقتل عبد الله الياغمي ، أحد مشايخ العرب ، لما بلغه عنه من ظهور آثار ظهور الخلاف منه ، وكان شجاعاً مطاعاً في قومه ، وعربه ، فأحس بذلك عبد الله .

وسمعنا ان الكاشف ورد اليه المرسوم من مراد باشا بقتل عبد الله الياغمي ،

وهو جالس عند الكاشف ، والمرسوم بالعربي ، والكاشف لا يعرف قراءته ، ولا يعلم ما تضمنه ، فأعطى المرسوم الى يد عبد الله المذكور ، وقال له . إقرأ لي هذا الحكم . فتأمله عبد الله وعرف ما فيه ، وقال للكاشف : هذا فيه سر ، أخبرك به في الخلوة . فلما أراد الكاشف إخلاء المكان ، قام عبد الله إلى بيت الماء ، وأظهر انه يزيل ضرورة الانسان ، وخرج من باب الدار ، وركب فرسه وهرب ، وجمع الجموع ، وجاء في نحو أربعة آلاف مقاتل ، وأظهر العصيان .

وفي هذه الأثناء وصلت كتب مطهر الى العربان ، يأمرهم بالخروج عن طاعة السلطان ، وإظهار البغي والعصيان ، فأول ما أجاب من (بعدان) أحمد العتلة وكان كاتباً ، ومن الشوافي القاضي عبقرة أحمد اليافعي المذكور أولاً ، فتوجه اليافعي الى عند العتلة ، وتحالفوا يوم السبت ، رابع ذي الحجة الحرام ، سنة اربع وسبعين وتسعمائة ، واتفقت أهل (بعدان) والشعر وصهبان والعرنين ، ثم في ثاني يوم اجتمعوا في دار القاضي عبقرة أحمد اليافعي ، وأكدوا الأيمان ، واتفق أهل الشوافي وحُبَيْش وبعض أهل التتمكر ، فاقضى رأيهم الابتداء بالعسكر الذي في إبّ ، لأن أهل البلد اتفقوا مع أهل (بعدان) بخلاف أهل جبلة فانهم لم يتفقوا إلا بعد أن اجتمعت العربان كلها على الخلاف ، فما أمكنهم إلا الموافقة ، فاجتمعوا ليلة الثلاثاء ، وأوقدوا للنيران ، وأخرجوا العسكر منها ، فخرج العسكر الى جبلة ، ونهب من نهب ، وكان وصول العسكر المنهزم الى جبلة صباح الثلاثاء ، فلما كان يوم الاربعاء ، اجتمعوا مع أهل إبّ وبعدان ، والشوافيين وحُبَيْش ، وأهل الشعر ، وصهبان والعرنين ، نحو عشرة آلاف ، بل خمسة عشر الف محارب ، وقصدوا جبلة ، وأهل جبلة خامروا معهم ، لما رأوا غلبتهم ، فدخلوها بالقهر والغلبة ، بعد الظهر من يوم الاربعاء بعد أن حارب العسكر الموجود بها ، وانهمزوا لقلتهم ، ونخامة أهل جبلة معهم ، وكانوا واثقين بهم . ولولا نخامرتهم ما تمكنت الخوارج من دخول جبلة ، لأن كل بيت من بيوتها كالحصن

الشاهق ، ولكن مال بهم قاضي عبقرة ، وغرهم بقوله : انه لم يبق للأروام دولة ، وقد انقضت دولتهم . والرعايا يميلون إلى قوله لكونهم يتهمونه بعلم النجوم ، وهو أجهل من حمار ، ولكن أراد الله ذلك (ليقضي الله أمراً كان مفعولاً) ولما دخلوا جبلة نهبوا بيوت العسكر .

وكان من المنهوبين بها ، قاضي جبلة الأخ الصديق الشقيق القاضي محب الدين ابن علاء الدين الحنفي رحمه الله تعالى ، وعوضه غرف الجنان ، عن محن الزمان ، فأصيب بطارفه وتليده ، وكتبه وأثاث بيته وعبيده ، وما كان لي من الكتب النفيسة وغيرها عنده ، وكان من لطف الله تعالى به انه نجا بنفسه والله الحمد ، عريانا حافياً ، هارباً من قرية إلى قرية ، ومن جبل إلى جبل ، إلى أن وصل إلى زبيد وحده بهذه الحال ، وسلمه الله تعالى بنفسه وله الحمد من تلك الأهوال ، وفدى نفسه النفيسة بما ملكه من الأموال ، وأنعم بها سلامة إذا بقي الرأس وذهب المال ، وفي ذلك يقول من قال :

لا تَعْتَبِ الدَّهْرَ فِي خُطْبِ رِمَاكَ بِهِ إِنْ اسْتَرَدَّ فَقَدِمًا ، طَالَ مَا وَهَبَا
حَاسِبٌ زَمَانِكَ فِي حَالَتِي تَصْرُفِهِ تَجِدُهُ أَعْطَاكَ أَعْصَاكَ الَّذِي سَلَبَا
وَرَأْسُ مَالِكَ ، وَهِيَ الرُّوحُ قَدْ سَلِمَتْ لَا تَأْسَفَنَّ لشيءٍ بَعْدَهَا ذَهَبَا

ولما رأى العسكر الغلب ، دخلوا في الدار ، والتجأوا إليه ، فحوصروا وقطع عنهم الماء ، فتعب العسكر وطلبوا الصلح ، فوقع بينهم الصلح ، على أن يحلف العسكر جميعهم أنهم لا يسألون عما وقع ، ولا يطالبون أحداً بما أخذ من حوائجهم ، وأن يحلف من العربان نحو خمسين شخصاً انهم لا يضرّون العسكر ، ويوصلونهم إلى تعز ، بشرط أن لا يحملوا شيئاً من السلاح والحوائج ، غير ثيابهم التي على أبدانهم ، وأذنوا لأربعة أن يأخذ كل واحد منهم بغله ، فوافقهم العسكر على جميع ما اقترحوه ، ودخل بينهم الشيخ أحمد بن سالم ، وحلف العسكر وحلف النقباء ، وتم ذلك عصر يوم الأحد ثاني عشرين ذي الحجة .

فلما كان صبح الاثنين خرج العسكر من الدار ، على ما كانوا اشترطوه عليهم ، وعدتهم مائتان واثنان وسبعون رجلاً ، فلما خرجوا الى البر ، خرجت عليهم العربان ، وقالوا : هي موثيق محمودية ، فنغدر بهم كما غدروا بالنظاري ، فقتلوه على بكرة أبيهم ، ولم يبقَ منهم إلا غلامين ، فرجموا وضبطوا خيل العسكر وجالها ، ودواها وبغالها وأسبابها ، وقسم بينهم القاضي عبقرة ، فلما تم لأهل إبّ وجبله ما تم ، طمعت العربان في الأروام ، وأظهرت العصيان وقطعت الطرق ، وزحفت القبائل على محطه مراد باشا ، بدمار ، وضيقوا عليه بعد أن خرّبوا الطريق ، وسدّوا العقاب والنقل ، فاقتضى رأي مراد باشا الرجوع الى تعز ، وأشار عليه العسكر والأمراء الذين كانوا معه : إن راوحنا الى صنعاء أولى . فلم يوافقهم على ذلك بل حلفهم انهم معه الى أي موضع عزم ، فحلفوا له ذلك ، فتشاور هو وبعض من يعتمد عليه ، أن مراده الوصول الى تعز . فذكروا له : أن نَقِيلُ سمار قد خرب ، وفي أطرافها طوائف من العربان ، رتبها مطهر كامنة ، لم نصل اليها . فذكر له بعضهم : أنه يعلم طريق سَلْة ، وأنها لم تخرب ، لكونها على خلاف السمات ، فاقتضى رأي النزول منها ، ونادى الشيخ أحمد بن الحسين الفايقي شيخ فايقة ، واستسره وعين له خمسة آلاف أشرفي ذهب ، على أن يوصله الى السلمى ، فأجاب إلى ذلك وخامره ، وأخبر حسين بن شمس الدين بما وقع منه ، فأمره أن يرسل الى جماعته أن يتهبأوا للحرب ، وأن النقييل يُحدّر ويخرّب ، ففعل ما أمره به ، وأرسل للعربان أن يتهبأوا على نقييل السّود ، ليلة الاثنين حادي عشري محرم الحرام ، سنة خمس وسبعين وتسعمائة ، وهي الليلة التي وعده مراد باشا بالعزم فركب بعد المغرب ، وقصد طريق صنعاء للمغالطة ، فكان هذا أول اختلاف العسكر واقتراقهم ، فمنهم من توجه الى صنعاء ، ومنهم من رجع وتوجه الى نقييل سمار ، ومنهم من توجه الى أرياب . وأما مراد باشا فسار بالعسكر الذي معه الى مضي شيء من الليل ، ثم رجع الى طريق الشلّة ، ونقييل السود وبيت الوَعُوع ، فلما وصل الى النقييل رآه مسدوداً ، فأمر بهدمه ، وكلما

قال له العسكر : نحن ما نحتاج الى هدم النقييل ، إلا لأجل الجمال ، وأما الخيل والبغال فتعزم من غير هذا الطريق أيضاً . فاستنكف عن ترك الجمال ، ومضى ليله في هدم النقييل وإصلاح الطريق للجمال ، فما أصبح إلا والعرب على الجمال ، قد أحاطت به كالجراد المنتشر ، فنهب الجمال ، وقتلت من العسكر من شهر سلاحه .

ولما وصلوا الى وادي خبان وكان الأمير أحمد البعداني أمر أن يحرف الماء ليصير الطريق وحلاً ، فكان الخيال إذا دخل في الوحل ما أمكنه الخروج ، فتأني العرب الى الرومي ، وينظرون إن شهر سيفاً قتله ، وإن استسلم لهم سلبوه ، وأعطوه قطعة خارقة يستر بها عورته ، وكان الباشا ومن معه حاربوا ساعة بالسهم ، وكان لم يُخنطِ له سهم ، ولكن سهم السعادة قد فارق جمعته ، وسهم المنية صوب وجهته ؛ فكان يرميهم بالسهم الى أن يبعدوا عنه ، ويسير الى جهة تعز ، ثم تأتيه جماعة أخرى ، فيدركونه ، فيقف لهم ويرميهم الى أن يهربوا عنه ، وكان هذا عمله ، حتى نفد ما عنده من السهم ، ووقفت الخيل ، وكل ومل ، وعطش ، فلم يجد من يسقيه ؛ حتى يقال انه اشترى شربة ماء في آنية مكسورة ، بثمانية وعشرين ذهباً ؛ فأقبل عليهم الليل ، وهم في موضع يقال له بيت الوعوع ، وهم نحو خمسين ، فلما أظلم عليهم الليل ، أحاطت بهم للعربان ، فسلبوهم وعروهم ، حتى أخبرني من رأى مراد باشا ، في خلق لباس ، ورأسه وجسده مكشوف . ونهبت العربان ما وجدت من العسكر من الآلات ، والأسباب والسلاح ، والدروع ، ما لم يسمع به في تاريخ قط ، وصار البدوي الذي كان لا يستره غير طمره من كرباس خشن يخب في الأطلس والكعخا والثياب المذهبة ، ويركب الخيول المسومة ، وقليل منهم من يختار لبس الجوخ والصوف .

واستمر مراد باشا ، ومن سلم من الموت في تلك الليلة الى الصباح ، يقاسون هذه الآلام ، ويشاهدون الموت الزؤام ، فلما أصبحوا خرج مراد باشا ، ومعه سبعة عشر نفس من وادي خبان ، وعرفتهم العربان ، وأخذت خيلهم

ولباسهم ، وسلبتهم قوتهم وبأسهم ، فمشوا طول نهارهم ، في عرض الفلاة ،
جياعاً عطاشاً حفاة عراة ، في برد شديد ، وتعب ما عليه من مزيد ، فطرحهم
الله تعالى الى مكان يقال له المضرخ ، وعيون المنايا تسرح اليهم وتطمح ،
فأروا مسجداً خراباً فأووا الى ظله ، وقد غشيم مطر الهم والذل يوبله
وطله ، وأحاط بهم العرب يسألونهم : من أنتم ؟ وكيف نزلتم من ذروة العزّة
الى حضيض الهوان وهنتم ؟ ، فأخذوا يغربون عن أنفسهم ، ولا يعربون ، فقال
لهم مراد باشا : صرّحوا لهم بالأمر المكتوم ، وماذا عسى أن يكون ،
أنا مراد باشا ، وهذا دفتر دار اليمن كيلان بك ، وهذا أوزن علي بك ،
ومصطفى بك ، وحسين بك ، وسنان بك ، ومحمد بك ، فإن أمنتونا من
العربان ، وأوصلتمونا الى دار الأمان ، وقربتمونا الى تعز وزبيد ، بذلنا لكم
الطارف والتلبد ، وملأنا حجوركم فضة زهبا ، وأعطيناكم ثروة ونشأ ،
فطمعوا في ذلك ووافقوهم ، وأمنوهم من العربان ورافقوهم ، فسمع شيخ
مضرخ بذلك ، فطرد العربان عنهم ، ووضع اليد عليهم .

وكان سليمان باشا ، لما وصل الى عدن سابقاً ، قتل صاحب المضرخ ،
وصلبه في جملة من صلب عبثاً ، مع صاحب عدن عامر بن داود ، عند توجهه
الى الهند ، سنة خمس وأربعين وتسعمائة . فصاح صاحب المضرخ حينئذ :
واثلزاه !! واجداه !! فقطع رأس مراد باشا بيده ، وأسر من معه من
الأمراء ، وكان ذلك في الكتاب مسطوراً ، (وكان أمر الله قدرأ مقدوراً) .



الفصل الحادي والتمرتون

في ذكر اخذ مطهر صنعاء ، وأسر من بها من الأمراء ،
وطرحهم في غيابة الجب

لما قتل شيخ المضرخ مراد باشا ، جهز رأسه ، والأمراء المأسورين الى مطهر ، وهو محاصر لصنعاء ، مضيق على العسكر الذين بها ، بحيث نفدت أزوادهم ، ونجحت أقواتهم ، وفقدوا الحطب لطبخ ما يأكلون ، وصاروا يخربون أسقف البيوت لينضجوا بها خبزهم ولم يبقوا بها الأبواب ، وصناديق الحشب ، ونحو ذلك ، وهم مع ذلك يقاتلون عن أنفسهم ، ولا يسلمون البلد ، إلى أن أرسل اليهم مطهر برأس مراد باشا ، والأمراء المأسورين ، فنظروا إليه ، واستخبروا عن أحواله ، فتحققوا أن هذا رأس مراد باشا ، فتشاوروا فيما بينهم ؛ فمنهم من أشار بالثبات الى الممات ، ومنهم من أشار بطلب الأمن للنجاة ، الى غير ذلك من الإشارات ، فاتفقوا على طلب الأمان من مطهر ، وتسليم البلد اليه ، ووافقوا بأجمعهم عليه ، فأظهر لهم البشاشة ، والبغض كامن في الحشاشة ، ودخل صنعاء في موكبه وهو راكب ظهر حمار ، لعرج في رجله اليسار ، يمنعه عن ركوب الفرس إذا سار ، وخطيب الزيدية يمشي قدماه ويقرأ بصوت عال : (الذين إن مكثناهم في الأرض ، أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، والله عاقبة الأمور) . ولكنها فرحة ما تمت في المآل ، بل شردوا آخر الأمر كالقردة الى رؤوس

الجبال، ولم يعملوا بما تمثلوا به من كلام الله المتعال، ونهوا عن المعروف، وفعلوا المنكر، فجاءهم من الله تعالى أشد النكال.

ودخل الاعرج الى صنعاء، وقدامه سبعة عشر أميراً من أمراء السناجق الأروام، وأربعة وعشرين من الأغوات، ونحو الف وأربعمائة من جنس الأروام خاصة.

فلما دخل صنعاء نقض العهد، وأمسك الامراء والعسكر، وفرقتهم في الجبال، مقيدين بالأغلال.

وكان أمير صنعاء يومئذ قزل باش محمد بك، وهو من الفرسان الشجعان، ومحمود بك الدفتردار ابن اخت قره مصطفى باشا، وأمر بنهب بيوتهم وأموالهم وسلاحهم، وجعل كل أمير في وسط بشر على فمه عدة من الرقباء والحراس، ومنع عنه الناس، وصار يدلى اليه بنزر قليل من الطعام والماء، بقدر ما تقوم به بنيته فلا يموت، فاستمر معذباً في حكم الموتى، يقاسي شدة وألماً.

واجتمع عنده في مجلسه نحو العشرين من أمراء السناجق، وكثير من كبراء العسكر في تلك الجهات، وهذه بلية أصيب بها المسلمون، ونازلة عظيمة لم يعهد مثلها في القرون، والله يقضي في ملكه ما يشاء (إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) غير ان مطهراً المزبور ما قتل واحدا منهم، ولا اطلقهم، ولا صفح عنهم، وما أخذ واحداً منهم بالقوة والقهر، بل على وجه المكر والغدر، فاذا اعترض عليه في ذلك قال: نجازيهم بفعلهم جزاء وفاقاً وكذب فيما قال، واتي بالزور والحال، فإن هؤلاء المحبوسين، ما خانوا وما غدروا غدرأ وان وقع من غيرهم في السابق شيء فلا تزر وازرة وزر أخرى، وعند الله يجتمع الخصوم (يوم لا ينفع مال ولا بنون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون).

ولما اخذ مطهر بلاد صنعاء ، احسن الى من بها من الزيديين صنعاء ، واهان
اهل السنة وضاق بهم ذرعا ، وأمر ان يخطب على المنابر باسمه ، وغير شعائر
المسلمين بما أبدى من أباطيل رسمه ، وكم أقام باطلا ، وابطل حقوقاً ، وأظهر
شقاقاً وعصياناً ، وابدى عقوقاً، وظن انه ثبت في الملك، وما علم أن الباطل
كان زهوقاً .

ومحصل صورة خطبة خطيبه يوم الجمعة أنه يأتي بحمد الله تعالى ، والصلاة
على نبيه ﷺ ، ثم يذكر سيدنا علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، ويصلى عليه
ثم يذكر السيدة الجليلة فاطمة البتول ، رضي الله عنها ، بلفظ الصلاة عليها ،
ثم يذكر والده شرف الدين بلفظ الصلاة عليه ، عليه ما يستحقه ، ثم يذكر
من الخلفاء الاربعة سيدنا ابا بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان
رضي الله عنهم ، بلفظ الترضي ، لا الصلاة ، ثم يذكر حمزة والعباس رضي الله
عنها ، ويذكر بقية العشرة المبشرة رضي الله عنهم بلفظ الترضي ، ثم يترضى
عن امهات المؤمنين إجمالاً وعن بقية الصحابة والتابعين إجمالاً .

فانظر الى جهله وجهل طائفته إن كانوا على اعتقاده ، في تقديم والده في
الخطبة على سيدنا ابي بكر وعمر وعثمان ، وبقية الصحابة رضوان الله عليهم
اجمعين ، هل هذا إلا جهل غليظ من جاهل فظ أحمق ؟

ثم يذكر مطهرا بالقباب الخلافة ، ويدعو له ، ثم يدعوا للمسلمين من الحجاج
والغزاة والمسافرين .

ويزيدون في اذانهم : (حي على خير العمل) على طريق أهل التشيع ولم
ترد به السنة الشريفة الغراء .

وشرط صحة الجمعة عندهم الإمام العادل .

وليت شعري : أين العدل من ذلك الظالم الجاهل ؟ ولكن هي عقول
أصلها بارها ، فأحدثت بدعاً شنيعة ، تخالف الشريعة النبوية وتنافيها ، والله
يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون .

وكان استلام مطهر لصنعاء في ثاني صفر ودخلها ثالث عشر صفر ، سنة
خمس وسبعين وتسعمائة .

فلما استقر مطهر بصنعاء أرسل بتسلم الحصون ، في خامس صفر ، فاعطى
حصن حب لأخيه علي بن الإمام ، واعطى ولده الهادي حصن التعكر ، واعطى
ولده لطف الله ، مملكة (بَعْدَان) واعطى ولده حفظ الله حصن خدد .

وأرسل علي بن الشويع إلى تعز وفيها الأمير قاسم الهلاي ، والأمير فائق
بك ، واستمر يحاصرهم ، وهم يقاتلونهم إلى أن وصل حسن باشا إلى زبيد ،
كما يأتي شرحه ان شاء الله تعالى .



الفصل الثاني والتراون

في وصول حسن باشا الى زبيد ، وما وقع في أيامه من الهول الشديد

لما استشهد مراد باشا كما تقدم ذكره ، صارت مملكة اليمن خالية من بكاربكيا ، وكان سنجق زبيد يومئذ محمد بك المعروف بشهلامي ، وكان جاويشا في الأصل ، إلى أن صار سنجقاً ، وأرسل إلى اليمن في أيام مراد باشا ، فاعطاه زبيدا ، وكان لا يخلو من كرم وشجاعة ، وصار ملجأ في زبيد لمن يرد اليه من العسكر المنكسر ، فكان يكسوهم ويركبهم ، ويكرمهم ويواسيهم ، وصار له اعتبار بين من بقي في زبيد من العساكر السلطانية .

وفي هذا الأثناء وصل حسن باشا في أواخر صفر سنة خمس وسبعين وتسعمائة ، وهو متولي نصف مملكة اليمن ، صنعاء وتوابعها ، وقد أخذها مطهر ، ولم يبق الا زبيد ، بيد شهلا محمد بك المذكور ، فجاء الى زبيد ، واستولى عليها ، ورأى توجه العسكر ، وميلهم الى شهلا بك ، وفهم شهلا بك منه ذلك ، وصار في غاية الحذر منه ، وسمع أهل تعز وصول حسن باشا ، الى زبيد ، فقوي قلبهم بذلك ، وظنوا انه يقوم بنصرهم ، وصاروا يرسلون اليه يستنجدونهم على العدو ، ويطلبون منه الوصول إما بنفسه أو يجهز لهم عسكرا وهو يتوانى في ذلك ويتساهل ، فقام شهلا بك في ديوانه ، وقال له : أهل تعز في ضنك ، ونخاف أن يأخذهم العدو ، فأرسلني لنصرتهم ، فأني أخرج من عهدة ذلك . فسبه وقال له : إجلس في حالك ، وان كنت رجلا

فاحفظ زبيد . فاحتال قاسم الهلالي في ارسال أحمد جاويش كخيبة الجاويشية ، من تعز الى حسن باشا يطلب منه النجدة ، فوصل الى ديوانه واغلظ عليه في تخلفه عن نصرة أهل تعز ، وذكر له ما هم فيه من الضنك والضيق ، ومحاصرة العدو ، فلم يلتفت الى كلامه ، بل أمر بضربه وحبسه ، وما أخرجه من الحبس الا بعد أن ايس من الحياة ، فاستولى ابن الشويبع على تعز ودخلها في ثالث عشر ربيع الثاني ، سنة خمس وسبعين وتسعمائة ، ونهب تعز وقلعتها ، واستصفى ما في الدار لنفسه ، وأرسل ما وجد في القاهرية الى مطهر كما كان وقع بينهما الاتفاق في ذلك ، وارسل الى مطهر الامير قاسم الهلالي ، وفائق بك ، مأسورين ، وأركبها على جمل واحد ، وفي أرجلها القيد ، فتوفي قاسم الهلالي في الطريق ، مغموماً مغموماً ، ووصل اليه فائق بك مع بقية الأسراء فوضعهم مطهر في الحبوس عنده .

وتوجه علي بن شويبع لأخذ عدن ، واستمر حسن باشا في زبيد ، خائفاً يترقب ، ولم يكن معه خزنة يصرفها على جوامك من بقي من العسكر ، فلزم من ذلك مد يده على أهل زبيد ، ومصادرة من بها من التجار والمتمولين ، وقدم لذلك شخصاً عوانياً يقال له الشيخ محمد البسكري ، كان والده رجلاً من أهل العلم بمكة ، يقال له الشيخ علي البسكري ، توفي بمكة ، وتربى هذا يتيماً ما وجد من يريه ، فعاشر من لا يصلح ، فتوجه الى مصر ، فحصل له معرفة بالأكابر ، وكان على سيرة قبيحة ، ففضى الى الباب العالي ، ورباه بعض من يعرف والده ، فأخذ له قضاء بندر الخا ، فجاء من مصر الى الحبشة ، وخدم عثمان باشا صاحب الحبشة إذ ذاك ، ووصل من الحبشة الى الخا في أيام هذه الفتنة ، ووصل الى حسن باشا ، فرأى له قابلية في الظلم والعوانية ، فقدمه لذلك ، فكان هذا الفعل من أكبر سيئات حسن باشا في اليمن ، فصادر الكبير والصغير ، وأخذ من الناس كلهم مبلغاً باسم القرض ، أخذ لنفسه شيئاً كثيراً ودفع الباقي الى حسن باشا ؛ فأطلق في زبيد ناراً ، وهدم للدين مناراً ، وجلا أهل زبيد الى أطراف البلاد ، وبذلوا الطارف والتلاد ، وكثر على أهل زبيد

بلاؤهم وأوصابهم ، ووهنوا لما أصابهم لما عظم مصابهم ، وصار كل من يظن به سعة في المال ، أو رأوه في معيشه منتظم الحال ، افتروا عليه بأنه يكاتب جماعة مطهر ، أو عنده سلاح يحتاج اليه المسكر ، أو في بيته طعام وافر مدخر ، الى غير ذلك من التهم الباطلة ، والأكاذيب الواهية السافلة ، فيجمعون على داره وينهبون أمواله ، ويهتكون عياله ؛ ثم يأمر الباشا بجبسه ، الى أن يأتي على ماله ونفسه .

ومن قتل في أيام حسن باشا عدوانا وظلالا ، وأخذت أمواله قهراً وغشياً ، الفقيه عبد الوهاب المحرقي ، وكان من أعيان الموقعين في بلاد اليمن ، وكانت له فضيلة متوسطة ، وكان من الموسرين في الدنيا ، فحسد على ذلك الحيا ، وأورث له زلزال الافتراء ورثاً ، واتهم بموالاته مطهر ومكاتبته ، وهو بريء من ذلك لحسن إسلامه وصحة عقيدته ، وأخذ من بين أهله وأصحابه ، وصلب على بابيه ، في ثاني عشرين ربيع الأول ، سنة خمس وسبعين وتسعمائة ، وترك أولاده فقراء لا يملكون نقيراً ولا قطميراً ، وتقدم على أخصامه الى الله تعالى وكان الله سميعاً بصيراً .

ومن أعظم الحوادث والفواحش ، التي أحدثها الزيدية في تعز ، أنهم نادوا في الاذان : (حي على خير العمل) ، كما هو مذهب الشيعة . والحال ان أهل تعز كلهم شافعيون ، وكان شرف الدين لما استولى على تعز في أيام (اللوند) ما تجرأ على هذه البدعة ، مداراة لأهل السنة ، واستجلاباً لخواطرهم ، مع فصله في مذهبه ، ودعواه الاجتهاد . وتجراً على ذلك علي بن شويح ، جهلاً منه وجرأة وإقداماً ، فعظمت هذه المصيبة على أهل تعز ، بل على كل من سمع ذلك من المسلمين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وفي أواخر شهر رمضان من السنة المذكورة ، وصل من الباب العالي
زهكير جي حسن آغا ، على يده مراسم سلطانية ، أن يستمر حسن باشا
بكلربكياً في التهام : زبيد وأعمالها ، عوضاً عن المرحوم مراد باشا ، وأن
يضبط العساكر السلطانية ، ويحفظ الممالك العثمانية ، إلى أن تصل العساكر
المنصورة الخاقانية ، مع الوزير المعظم مصطفى باشا اللالا ، ففرحت أهل
زبيد بذلك ، وصاروا ينتظرون فرج الله تعالى .



الفصل الثالث والتمرتون

في أخذ علي بن شويح لعدن ، وإيقاع نيران الفتن والمحن

لما رأى مطهر واتباعه ضعف من بقي من العسكر السلطاني بزبيد وعدم نجاتهم من مصر ، الى ان يشاء الله ويريد ، عظم بأسهم ، وكبرت انفاسهم ، وركب علي بن شويح في عسكر من الزيديين الى عدن ، وكان فيها دزدان اسمه مصطفى اغا ، ونحو المائتين من العسكر قد ضعفوا بانقطاع العلفات عنهم ، في ايام الفتن ، وضعفت علفاتهم بهذه الدراهم السكة التي صارت الفلوس النحاس خيراً منها ، وفقدوها مع ذلك من ايديهم ، فصاروا لا يجدونها وان فحصوا عنها ، وانقطع عنهم الجلب ، برأ وبجراً ، وحوصروا مع ذلك دهرا ، ومنعوا عن وصول شيء اليهم من البر وسائر الجهات ، بحيث أدام ذلك الى أكل الكلاب والميتات ، ومضغوا الجلود وهم محصورون ، ليس عندهم ما يأكلون ، ولا عندهم علفة ولا خزينة ، غير عيون باكية وقلوب حزينة .

فرأى السلطان بدر صاحب الشجر وحضرموت ضعف حال العسكر ، واستيلاء الزيديين عليهم ، وهو شافعي المذهب ، لا يحب الزيديين ، فأمر أهل الشجر أن يجلبوا عليهم الميرة ويدخلوا الى عدن من البحر ، سفائن الباعة والتجار مشحونة بالتمر ، وهو اكثر ما يوجد في بلاده ، وان يبيعوا

ما عندهم من المأكوت على العسكر ، المحصورين بعدن ليتقوا بذلك ويحفظوا البلاد .

فلما وردت عليهم الجلاب من الشجر مشحونة بالتمر الى عدن ، لم يكن عند العسكر نقد يشترون به التمر المجلوب اليهم ، فاستولوا عليه بدون ثمن وتوازعوه وتقووا به مدة ، وامتنع اهل الشجر من التردد اليهم ، وفرغ ما عندهم ، فجاجعوا ، وارسلوا الى من بقي في زبيد من العسكر يستنجدونهم على العدو ، ويطلبون منهم الطعام والمدد ، وكانوا هم عاجزون بانفسهم ، فما ورد اليهم جواب عن استصراخهم ، فاضطروا الى طلب الأمان ، وتسليم البلاد ، فاعطاهم علي بن شويح الأمان على أنفسهم ، فخرجوا في جلبه ، وتفرقوا في البلاد ، ومنهم من توجه الى الهند فاستولى ابن شويح على عدن ، ودخلها وضبطها واقام فيها نظامه ، وامر ببناء مدرسة في عدن الزيدية ؛ باسم مطهر صارت بعد ذلك مزبلة للكلاب ، بعد ان هدمت حجراً حجراً عند استيلاء العسكر السلطاني عليها ، كما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى .

ثم لما استولى علي بن شويح على عدن ، واحكمها ، جعل أخاه قاسم بن شويح حاكماً في عدن ، وترك عنده من عسكر الزيدية أهل الجبال عدة وعاد الى تعز ، وحدثته نفسه بأمور يصغر هو عندها ، ويحتقر دونها غير أنه اراد بذلك الارهاب والاعجاب ، وابداء العجب العجيب ، وما افاده ذلك غير فضيحتة ، وظهور جهله وجنونه ، وتبين حمقه وضعف عقله في سائر شؤونه .

منها أنه زف أطباقاً من الحرير ، في الاسواق على رؤوس خدامه ، ونادى عليها انها كسوة الكعبة الشريفة في أيامه ، واطهر انه قصد ان ينسج ابراداً حريراً يمانية ، يكسوها الكعبة الشريفة ، بيت الله الحرام ، كما كانت التسبابة تكسوها قبل الإسلام ، فضحك من ذلك الخاص والعام ، وعلّموا قلة عقله وجبرأته على الله تعالى وعلى الأنام ، وما افاده ذلك غير سبته وشتمه ، وما له الى خزيه وإثمه كما قيل :

وإذا بدتُ لِلسَّمَلِ أَجْنِحَةٌ حَقَّ يَطِيرُ فَقَدْ دَنَا عَطْبُهُ

وصدر منه من هذه المقولة من الجرآت المهلكة ، بل الخرافات المضحكة
والأمور الفاضحة المنهكة التي يضحك منها العاقل ، ولا يقدم عليها غير
السفيه الجاهل ، وهو معذور في ذلك لشدة سفاهته وجهله ، وكثرة حمقه
وانظفاه مشكاة عقله .

ولقد قيل :

ما وَهَبَ اللهُ لأمْرِئٍ هِبَةً أَشْرَفَ مِنْ عَقْلِهِ وَمِنْ أَدَبِهِ
هُمَا جَمَالُ الفَقِي ، فَإِنْ فُقدَا فَسَوَتْ ذَاكَ السَّفِيهَ أَجْمَلُ بِهِ



الفصل الرابع والثلاثون

في استيلاء علي بن شرف الدين علي حصن حب ،
الذي كان للمرحوم علي بن عبد الرحمن النظاري

لما استوفت الزيدية أخذ معظم بلاد اليمن وقلاعها وحصونها ، ومدنها ،
بالحيلة ، وبتجويع العسكر ، وقطع الميرة عنهم ، ما عدا زبيد فان الله
تعالى حرسها عنهم ، دبروا الحيلة في أخذ حصن حب ، وقد تقدم بيان
حصانتها ، ومكنة بنائها ومتانتها ، ولحوقها في الارتفاع والشهوق ، الى
مناطق الثريا ونياط العيوق ، فنزل علي بن شرف الدين ، وكان رجلاً سميناً
بديناً ، فظاً متيناً ، له فضل تام ، وفهم يباري به أصحاب الأفهام ، وكان
أبوه شرف الدين عهد اليه بالإمامة بعده ، والقى اليه حل زمامه وعقده ،
وكان هو سبب مشاجرة أخيه مطهر مع أبيه شرف الدين ، وعقوبه له ،
وخروجه عليه في بعض الأحيان ، وصار علي بعد والده حنيفياً ، وترك
مذهب الزيدية نسباً منسياً ، فنبتته غلاة الزيدية ، وتشبثت بمطهر مع جهله
وبخله ، لغلوه في مذهب الزيدية ، ورعاية نسبه أصله ، فحط علي المذكور
المحطات على حصن حب ، ومنع عنها الميرة من كل حدب ، واستولى
على إب وجبله وبعدان ، وجمع عليها قبائل العربان ، واستمر يحاربهم
مدة من الزمان ، الى ان نقد زاد العسكر السلطاني ، وكتل كل

واحد منهم ، وهو من تعب الحرب والجوع واني ، فاضطروا الى طلب الأمان بالاستسلام ، وسلموا الحصن الى علي ابن الامام ، وخرجوا طالبين النجاة بأنفسهم في البراري والقفار ، وفروا الى زبيد طلباً للقرار بالفرار ، فدخل علي ابن الإمام الى الحصن المذكور ، وتم له الانس والسرور ، وظن انه اعتم بحبل أقوى من الحديد ، وانه آوى الى ركن شديد ، وما علم أنه لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من عصم ، وان البغي والمدوان يصمي صاحبه ويصم ، وسيأتي بيان أخذه وهلاكه ، وانتشار عقد حياته وانقسام أسلاكه ، إن شاء الله تعالى .



الفصل الخامس والثلاثون

في أخذ علي بن شويح موزعاً ، وطمعه في أخذ زبيد ،
ووصوله إليها ، وانكساره ، وانهزامه عنها وهو طريد شريد

لما انتفخت أوداج علي بن شويح ، وفار تنثور فتنه وماع بنيрана أقوى
ميع ، حدثته نفسه الكاذبة بأخذ زبيد ، مستضعفاً أهلها الصيد الصناديد ،
وهي وإن خلت بحسب الظاهر فما خلت من أهل الباطن ، وإن تخلت جموعها
ومال عمودها فهي عمية بأسرار أهل البواطن ، كم فيها من ولي كبير ، وفاجر
للخصم فخرير ، ومزارات مباركة شريفة ، بها أرواح أولياء الله مطيفة .

ومن أوهى عقائد الزيدية ، وأدنى عثراتهم الردية ، إنكار كرامات أولياء
الله تعالى الصالحين ، وجحد ما يشاهد منهم بالحس من بركة أنوار اليقين ، نفعنا
الله بها وأحرمهم عامة بركاتها ، ومزقمهم كل ممزق بسيف حميتها .

ففي سابع عشر الحجة ، من سنة خمس وسبعين وتسعمائة ، استولى علي بن
شويح على موزع بعد أن صدر من الرعية قتل الكاشف خسرو ، لظلمه ، فأرسل
حسن باشا الأمير شهلا مي في رأس العسكر ، ومعه جمع من الامراء والاغوات
فانهزموا الى الخما ، وركب بعضهم إلى دهلك وزيلع .

وكان الأمير شهلا مي من انهزم وعزم الى دهلك ، وكذلك الاغا عبدالرحمن بن
يحيى المغربي ، فباع الامير شهلا خيله بدهلك ، وأخذ بها رقيقاً ، وعزم الى جدة .

ولما أخذ علي بن شويح موزعا قصد أخذ حنيس ، فأرسل حسن باشا يستحث العسكر بالوصول ، لحفظ زبيد ، فتراجع بعض العسكر ، منهم الأمير خضر وغيره .

ولما سمع القبطان بوصول علي بن شويح الى الخا أمر التجار وأهل البلد أن يعسوا ويحفظوا البلاد . ثم لما تحقق أنه لا قدرة لهم عليهم أمر التجار بتطليح حوائجهم في الجلاب والزعائم ، فيقال : ان البلاد خلت عدة ايام ، وما فيها أحد لا من الأروام ولا من الزيدية . ثم وصل إليها ابن الشويح ، وجعل أمرها الى الحاج محمد جلي ، فإنه كان ملتزما .

ولما أراد حسن باشا ان يقبضه ويحرمه هرب الى الزيدية ، وكان في خدمتهم ، فضبطها من قبل الزيدية ، ثم ان ابن الشويح صمم على أخذ حيس ، وأخذها في صفر ، وقتل من ظفر به من الترك ، ولو كان في الجورة ، فأخرج امر الله الكاشف ، وأحمد كيخيا من داخل تربة الشيخ عمر الخامري ، وأمر بقتلهم صبوا ، ثم قصد زبيداً ، وخيم في موضع يقال له تربة الخلفي ، وحط على زبيد المحروسة بحراسة الملك المين ، علي بن شويح ، وحسين بن شمس الدين ، وساقا إليها ما ينوف عن عشرين ألف مقاتل ، ما بين فارس ومبندق وراجل ، ولم يبق في زبيد إلا شردمة من العسكر المنصور السلطاني ، وفئة قليلة ما بين جريح وسليب وشيخ فاني ، لا يكادون يبلغون مائتي خيال ، هياؤوا أنفسهم للجلاد والقتال ، فأرسل علي بن شويح الى حسن باشا مندوباً ، يعرض له بأن يترك البلد ، وينجو بنفسه وماله ، وله الأمان ، فزجر حسن باشا ذلك المندوب ، فلما برز من عنده ، وعلم العسكر ما أتى بسبه ، مالوا عليه بالسيوف ، وقطعوه إرباً إرباً ، وأحرقوا جثته وذرروا في الهوى رماده ، استحقاراً به وبمن أندبه ، وخرجوا من زبيد ، على ظهور خيلهم ، طالبين الموت ، وحملوا حملة واحدة على علي بن شويح وجنوده ، وهجموا على كلابه وقروده ، وأروهم وجوه المنايا في مرايا غرر الجياد ، ونزعوا عنهم لباس المجلس لباس الجياد ، وفلقوا البيض

بالببيض ، وصدموا الحديد بالحديد ، وأشعلوا نار الحرب في ماء الوريد ،
 وصبروا وصابروا ، وجاهدوا وجاهروا ، وثبتوا للإسلام وناصروا ، وكم من
 فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، وكم من خميس عرمرم للخصم
 أرداه الغرور وأصماه ، وسمع كثير ممن حضر هذا القتال ، صوت
 المدافع الثقال ، يخرج من صوب تُرَبِّ الأولياء ، فتصيب عساكر الزيديين
 الأشقياء ، الى أن فُلتت جموعهم ، وخذت نيرانهم وشموعهم ، وثبت
 ذلك اليوم علي بن شويح وكابر ، وثابر على الثبات وصابر ، الى أن قتل
 حصانه ، وتزلزلت أركانه ، فقدم اليه عبده حصاناً آخر فوثب عليه ، والسهم
 كالطير قنثال عليه ، ورؤوس فرسانه تدحرج كالأكبر بين يديه ، وجرح عدة
 جراحات ، وأصيب من جميع الجهات ، ففر هارباً ، وذل حائباً ، ورجع
 حائباً ، وولى هو وجنوده مدبرين ، وخابوا وخسروا مكسورين صاغرين ،
 وصارت السيوف في أفقيتهم ، والسهم تغوص في صدورهم وأدمغتهم ، وهم ما
 بين هارب وربيط ، ومزمل بكلومه بدم عبيط ، (والله من ورائهم محيط)
 وغنم العسكر السلطاني زملهم وأوطاقهم ، وسلبوا نعيمهم ورواقهم ، ومزقتهم
 أيدي سبا ، وذهبوا جفاء لا يجدون ملجأ ولا سبيلاً ، وكانت هذه بحمد الله
 نوبة بغير نبوة ، وكرة بغير كبرة ، ووقعة أذنت بأوفر حظوة ، والحمد لله
 الذي نصر الدين بأهله ، وعجل بأنصاره جمع شمله ، وأسفر لمرتقي صباح
 النصر فجراً ، وجلا وجوه المؤمنين ببشير له نور وبشرى ، وأعظم لهم ثواباً
 وأجراً .



الفصل السادس والثلاثون

في ذكر وصول أخبار هذه الفتن الى باب السلطان

وبروز الأمر الشريف ، الى الوزير مصطفى باشا اللالا ، بدفع اللاواء

أول ما ظهر اختلال أحوال اليمن ، بتفريق الكلمة بها ، ونصب بكر بكين كان محمود باشا موجوداً ، وعلم انه أخطأ في عرض ذلك على الأبواب السلطانية ، وعلم انه يؤمر بدفع هذه الفتن ، بتوجهه بنفسه الى اليمن ، وكان يرسل كل قليل بعسكر الى اليمن ، ويخفي أحوال اليمن عن السلطنة الشريفة ، كيلا يلام على وقوع هذه الأحوال ، الى أن مات على الوجه الذي ذكرناه سابقاً ، فوجدت في خلفاته عروض ، وصلت اليه من أهل اليمن ، بابتداء وقوع هذه الفتن ، فجهزت العروض بعينها الى الابواب السلطانية ؛ فلما أحاطت السلطنة الشريفة علماً بذلك ، فار تنور غضبها ، وتوقدت نيران سخطها مشتعلة بلبهها ، وبرزت أوامرها الشريفة الى الباشا مصطفى اللالا ، أن يتوجه بنفسه الى بلاد اليمن ، ويظفيء بقاء سيفه البائر نيران الفتن ، ويقطع دابر مطهر ، وجاد رقه ، وينقض بأجنحة قهره عليه كما ينقض البازي علي فريسته ، فأراد اللالا أن يقول : لا ، لا ، ويبيدي أعذاراً وأعلالا ، لبعث الشقة ، وطول المسافة ، وارتكاب المشقة ، واحتمال المخافة ، فلم يجب في الباب العالي الى سؤاله ، وتكرر الأمر الشريف السلطاني إليه بالسفر والاخذ في اعماله ، فما امكنه غير القبول والاذعان ، لما شاهد ثوران غضب حضرة السلطان ، خليفة الزمان ، وما

وَسِعَهُ غير امتثال الأمر الشريف السلطاني ، من غير تخلف ولا تواني ، فشرع في أسباب ذلك وورد الى مصر ، وساق إليها أتباعه وجنوده من كل حكر ، وشرع في اتخاذ السفائن ، وسبك المدافع والفلائن ، وكتب عسكراً من جنود مصر وأمراؤها، وسناجقها وكبرائها، فصار جنود مصر وأمراؤها يتراكمون ، ويعتذرون ويبكون ، ويتملنون في السفر ويتضرعون ويشكون ، لأنهم ألفوا في هذه السنين الراحة والدعة ، وتنعموا في مصر بأنواع اللذات المتنوعة ، وأكثروا فيها النسب ، وتعلقوا فيها بكل سبب ، وكثرت أولادهم وأحفادهم ، فصار يكبو عند قصد السفر جوادهم، وصارت مصر وطناً لهم ودياراً ألفوها ، وألفوا أهلها دهرأ طويلاً ، والله تعالى يقول : (ولو أننا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليلاً) .

فلما شاهد الوزير مصطفى باشا هذه الأحوال ، ورأى تواني جند مصر في السفر عن الارتحال ، أرسل قصاده الى مطهر يطرق باب الصلح ، ويقبح له العصيان أعظم قبح، ويدعوه الى الطاعة ، والدخول في عداد السنّة والجماعة ، ولو فعل ذلك مطهر لصان دماء المسلمين وأموالها ، ونال من السعادة ما لم ينلها من قبل ولن ينالها ، ولكنه أبى واستكبر ، وعدل عن السعد ونفر ، وسعى بالفساد في الأرض ، وأهلك الحرث والنسل ، وكان ذلك في الكتاب مسطوراً (وكان أمر الله قدرأ مقدوراً) .

وعين الوزير ، مصطفى باشا لرسالة مطهر من جاووش مصر ، مصطفى جاووش ، وقولاق سليمان جاووش ، وأرسل معها كتاباً إلى مطهر ، يتضمن ما قدمناه من نصيحته واستدعائه إلى الطاعة السلطانية ، وإبداء الاعذار عنه بما وقع ، بانه إنما صدر من رعاع الرعايا ، وقبائل العربان الجهلة ، وانه لا يصدر من مثله عصيان السلطنة الشريفة لكمال عقله ، ووفور رأيه وبصيرته ، مغالطة بذلك ، وتلقيناً له بعذر في الظاهر ، اكتفاء به لصون دماء المسلمين ، ورضاء منه بهذا القدر من اظهار الطاعة كما قال القائل :

إقبل معاذير من يأتبك معتذرا إن برّ عندك ، فيما قال ، أوفجرا
فقد أجلك من يرضيك ظاهره وقد أطاعك من يعصيك مستترا

وهذا غاية اللطف من هذا الوزير المعظم ، لهذا المغرور الأبله الأبلم .

وأرسل حضرة الوزير المشار اليه ، مع الجاويشيين المذكورين ، كتاباً إلى
المقام العالي ، سيدنا ومولانا ، السيد الشريف ، الحسيب النسيب ، بدر
الدنيا والدين ، الحسن بن أبي نَمِيّ أدام الله سعدهما ، وأنجح قصدهما ، يلتمس
منه إرسال قاصد من قبله أيضاً إلى مطهر بمكتوب إليه من جانبه ، يتضمن
النصيحة له ، وتخويفه من عاقبة هذا الأمر ، لعله أن يهتدي .

فلما وصل مصطفى جاووش ، وسنان جاووش ، إلى بين يدي حضرة الشريفة
بمكة ، عيّن من جانبه من الترك الذين عنده ، عثمان آغا ، وأصبحه معها ،
وكتب معه إلى مطهر كتاباً صورته :

بسم الله الرحمن الرحيم :

العزة لله تعالى

محبته حسن بن أبي نمي

أما بعد إهداء سلام يهدي إلى السلامة والإرشاد ، ودعاء يدعو إلى الطاعة
والاعتصام والانقياد ، مرفوع من بلد الله الأمين ، وبيته المكرم الذي هو قبلة
العالمين ، ومعفر جباه الطائفين والعاكفين ، إلى الجناب العالي ، صاحب المفاخر
والمعالي ، السيد الجليل ، النبيه النبيل ، المثل الأصيل ، الاميريّ الكبير ،
المعظمي المكرم ، الأجددي الارشدي ، سلالة الأشراف ، وعنصر بني عبدمناف ،
سليل السادة الأكرمين ، الشريف مطهر بن الإمام شرف الدين ، ألهمه الله
طريق السداد ، وأرشده إلى الانقياد ، وترك العناد ، وأبعده عن الغي والبغي
والفساد ، فالذي نبديه لعله الكريم ، ونلقيه إلى محله الجسم ، انه لا يخفى
على العاقل اللبيب ، والظن المتيقظ الأريب ، ان الاتسام بسمّة العصيان ،
والخروج عن طاعة سلطان الزمان ، وخليفة الوقت والأوان ، من خدع

الشیطان ، وإن مخالفة ولي الأمر ، ومنايذة سلطان العصر ، من سمات أهل
الغرور ، وصفات كل غبي مغرور ، غير مشكور ، سياً مخالفة سلطان البسيطة ،
والملك الذي أوامره المطاعة بأطواق الآفاق محيطة ، صاحب العسكر الجرار
كالجراد المنتشر ، والجنود الغالبة والجیوش المنصورة التي لا تُعدُّ ولا تنحصر ،
فمثل هذه الوقائع الواقعة بديار اليمن لا تصدر عن عاقل ، ولا يتجرأ عليها
بالإقدام عليها أحد ظناً أن تنجيه الحصون والمعقل ، ونحن نبرؤكم أن يقع منكم
شيء من هذه الشوائع ، ونزهمكم عن أن يسند إليكم صدور هذه الشنائع ،
كيف وقد شملتكم العناية الشريفة السلطانية مراراً ، ودخلتم في رقبة الطاعة الخاقانية
كراراً ، وأنعمت عليكم السلطنة الشريفة باللواء الشريف السلطاني إكراماً لكم
وإكباراً ، وتقلبت في النعم السلطانية العالية ، وشملكم من السابق سوابغ
الألطف المتوالي ، فلا يليق بعد ذلك منكم الشقاق ، ولا يناسب مع ذلك
خلع ربة الطاعة والوفاق ، وقد قرن الله تعالى في كتابه المجيد ، الذي لا
الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، الأمر بطاعته وطاعة
رسوله ﷺ باطاعة ولاة الأمور ، وأبرزه في قالب الأمر العام الشامل لكافة
الجمهور ، فقال تعالى ، كما لا يغرب عنكم : (وأطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول
وأولي الأمر منكم) . وأمر الشارع ﷺ بقتل من خلع ربة الطاعة ، وخالف
الجماعة ، كما قال ﷺ ، وأمره لاحق بأمر القرآن : « من أراد أن يفرق
أمر هذه الأمة وهو جميع ، فاضربوه بالسيف كائناً من كان ، . وحيث كان
الأمر كذلك ، فاللائق منكم التبرؤ من هذه الفتن ، والتنصل عن صدور هذه
الشنائع ، وما ظهر منها وما بطن ، والظاهر ان هذه الفضائح ، والقبايح
الفواحش ، إنما صدرت عن غوغاء الأشقياء ، وغواة العربان ، ممن استغواهم
الشیطان ، واستخفهم البغي والطغيان ، وانكم لما رأيتم اختلال البلاد ، وسعي
المفسدين في الأرض بالفساد ، قصدتم حفظ المملكة الشريفة السلطانية والاستيلاء
عليها ، وصونها عن يريد الإفساد فيها ، بالتوجه إليها ، وحراسة أمراء
السناجق السلطانية وحفظهم من العربان ، والإبقاء على مهجهم عن جهة البدو

وأهل العصيان، ورضعتم يديكم على العُدَد والآلات والحصون والقلاع، حفظاً لها عن الضياع ، بتمزقها بأيدي الجهلة والرعا ع ، وصنتم جميع ذلك ، إلى أن يرد من يعتمد عليه من الحضرة الشريفة السلطانية ، ونواب أعتابها المنيفة الخاقانية ، فتسلمون جميع ما صنتموه اليه ، ودفعتم له كلما وضعت من ذلك يديكم عليه ، فبادروا بالعجل الى التنصل والاعتذار ، فالعذر مقبول عند الكرام الأخيار ، واغتنموا الفرصة في ذلك قبل الضنك والاضرار ، وقد برز الأمر الشريف السلطاني ، والحكم المنيف الخاقاني ، الى المقام الشريف العالي ، ناصب رايات الآراء الصائبة على مفارق الأيام والليالي، الوزير المعظم، والمشير المفخم المحفوف بصنوف الاجلال ، سعادة واقبالا ، حضرة مصطفى باشا اللالا ، لا زال نخيمه الشريف أمانا لكل خائف ، وملجأ يتشبت بملتزم مقامه كل طائف بان يكون رأس العساكر المنصورة، وسردار الجيوش الموفورة ، وان يصحب معه من خاصة عسكر الباب الشريف السلطاني ، خمسة آلاف ينكشاري ، وخمسة آلاف اصباهي غير واني ، وان يصحب معه عسكر قرمان ، وديار بكر وحلب ، وكذلك عسكر مصر ، ينسلون اليه من كل حدب ، ويسوق عسكر مصر وجنودها ، واثني عشر سنجقاً ترفرف عليه ألويتها وبنودها ، ويقدم قبله عثمان باشا بن ازدمر باشا ، وجنودا يتخذون اوراق الشجر غطاء ، والارض وطاء وفراشا ، وصحبتهم الوف من الخيول الصافنات ، والدروع السابغات ، والمدافع والمكاحل والضربنات ، والبارود والحديد والزردخانات ، وكلها يحتاجون اليه من الميرة والخزانة ، وسائر ما يلزمهم من المؤونة ثلاثة اعوام ، وان يتواصل العسكر السلطاني بتواصل الليالي والايام ، من آخر بلاد الروم ، الى اقصى حجر باليمن ، متصلا بدون انفصام ، ونحن ايضاً عازمون ، ومصممون على تشمير ساعد الجد والاجتهاد ، والمبادرة بالنفس والاولاد، والعسكر والأجناد، إمداداً للعساكر الشريفة السلطانية ، وقياماً بما يلزم من طاعة سدتها السنية ، ولا يخفى عليكم ما يترتب على هذه الأمور من دهك البلاد ، وهلاك الضعفاء من العباد، واتلاف

النفوس والأموال ، واختلاف الأمور والأحوال ، والله تعالى يقول في كتابه العزيز لمصون : (إن الملوك أدخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة ، وكذلك يفعلون) فإن تداركتم هذا الأمر العظيم ، والخطب الفادح الجسيم ، قبل ان يدهم ، وتلافيتم البلاء قبل ان ينزل فلا ينفع حينئذ الندم لمن يندم ، وصنتم انفسكم واموالكم واتباعكم واشياعكم ، فهذا دأب العقلاء الكاملين ، وشأن النبلاء العارفين ، فبادروا الى تسليم الحصون والقلاع ، والجهات والبقاع ، والاسلحة والالات ، والمدافع والمكاحل والضربنات ؛ ونحن نبادر حينئذ الى ارسال قصادنا الى الابواب الشريفة السلطانية ، والاعتاب المنيفة الخاقانية ، معتذرين عما اسند اليكم من هذه الشنائع ، مستعفين عما صدر من غوغاء الناس بغير اختياركم من هذه الوقائع البشائع ، فتفوزون بالخط الأوفر ، واللحظ الشريف السلطاني الاكبر ، الذي هو الإكسير الأحمر ، ويحصل لكم ما ترومون من الاعتاب الشريفة السلطانية ، من المطالب ، وتأملونه من الأبواب المنيفة الخاقانية من المآرب ، وينام الأنام في الامان ، وتشملهم عناية السلطان ، نصره الله تعالى مدى الأزمان ، وتستريح الرعايا في ظل الامن السلطاني ، وتسلم تلك الاقطار اليمينية مشمولة بمعدلة العطف الخاقاني ، ويأمن ضعفاء الرعية الذين هم ودائع الله عند حكام البرية من الدهك والفتك ، والقتل والاسر والسفك والهلك ، فإن أبيتم ونأيتم ، وخالفتم وعصيتم ، ظناً ان تنجيكم الجبال والحصون ، ومتون الحصون ، فهذا ظن واهي ، ورأي متناه في الغباوة غاية التناهي ، والأمر حينئذ عظيم ، والخطب جسيم ، ومن حذر فقد أنذر ، ومن أنذر فقد أعذر ، وليس الخبر كالعيان ، وما كل عيان يستوى في الحسبان ، وسيظهر لهذا البناء العظيم شأن وأي شأن ، يشيب منه الولدان ، وتهرم الشبان ، ومن سلم منه فقد أخبر عنه ولا ينبئك مثل خبير ، والله تعالى هو العلي الكبير ، والله تعالى يلهمكم رشدكم ، ويصونكم عن وقوع في الأمر الخطير ، وصلى الله على سيدنا محمد البشير النذير وعلى آله وصحبه المقررين لطرق الصواب أوضح تقرير ، والحمد لله رب العالمين .

حرر في يوم الخميس حادي عشر رمضان المعظم سنة خمس وسبعين وتسعمائة
وجهد السيد الشريف الى مطهر كتابه هذا مع مملوكه عثمان آغا، وارسله مع
مصطفى جاوش، وسان جاوش فتوجهوا الى اليمن، ووصلوا الى تعز، وفيها
يومئذ علي بن شويح من قبل مطهر، واخذ منه المكاتبات وجهازها الى صنعاء
الى مطهر، وأمر ان يكتب عن ذلك جواباً لا محصل له، ليس فيه إطاعة ولا
استمرار على عصيان .

وهذا صورة الكتاب الذي ارسله الى سيدنا ومولانا السيد الشريف ، بدر
الدنيا والدين حسن بن ابي نبي : -

الحمد لله على الهداية والرشاد ، ونعوذ بالله من البغي والعناد ، والصلاة
والسلام على نبيه المصطفى ، وآله وأصحابه الذين اجتباهم واصطفى ،
والسلام العاطر ، والدعاء المتواتر ، يهدي الى السيد الكبير ، العظيم الخطير ،
زبدة السادة الاكرمين ، وحامي حمى بلد الله الأمين ومدينة خاتم النبيين ،
بدر الدنيا والدين ، مولانا السيد حسن ، اسبغ الله نعمه عليه على الوجه
الأكمل الأحسن .

والذي يقرر لديه وينهي إليه وصول مثاله الكريم العالي ، المزري بعقود
الدر العظيم والآلي ، وعلم مضمونه وفهم مكنونه ، ونحيط علومكم الكريمة انا
منذ كنا لم نسع في الأرض بالفساد ، ولم يصدر منا شيء من البغي والعناد ،
وهكذا جرت الأقدار ، وجرت اليه سوابق المقدار ، ولا نبدي ولا نعبد
في ذلك عذرا ، ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرا ، والسلام عليكم ورحمة الله
وبركاته .

وكتب بيده اسمه في هامش الكتاب : (المطهر لطف الله به) وكتب جوابه
الى الوزير مصطفى باشا اللالا من هذه المقولة .

فعاد مصطفى جاوش ورفيقه الى مصر، ثم توجهوا الى الباب العالي بمضمون
جواب مطهر ، فبادر مصطفى باشا برسالة عثمان باشا .

الفصل السابع والثلاثين

في ذكر بروز عثمان باشا بما معه من العسكر والامراء ، من مصر بجرأ
ومرورهم بجدة المعمورة، وبمكة المشرفة ، ووصوله الى اليمن واخذه لتعز

لما اطلع الوزير مصطفى باشا على مكتوب مطهر ، المستمر على الظلم
والحيف ، علم تمكن الفساد من دماغه المحشو بالباطل والزيغ ، وانه لا يزيل
هذه السكرة من رأسه غير حد السيف ، أخذ في تدبير من يجهز عنه الى
اليمن ، ويسد في اصلاح هذا الخلل الذي ثبت وتمكن ، ويريجه من هذه
السفرة الشاقة ، ويتحمل عنه متاعب هذا المسير ومشاقه ، فبادر عثمان باشا
الى قبول تحمل هذه الاعباء لعلاقة سابقة لوالده بتلك المملكة مددا وحقبا ،
وحثه على ذلك كتخدا أبيه جقل احمد، ورغبه فيه اتباع والده باليمن، لما كان
ملجأ فيها يقصد ، وتوجه من مصر الى السويس ، وركب بجرا ، ومعه
عسكر جرار ، كأنهم قطعة نار ، وأشد حراً ايان سلكوا دهكوا وأيتاً ما
صادفوا سفكوا وفتكوا ، واذا صادفوا طحنوا واهلكوا .

وكان معه من امراء السناجق المشهورين ، وأصحاب الالوية السلطانية
المعروفين، قورت أوغلي خير الدين بك، وأمير الحاج سابقاً احمد بك، وسليمان
بك، وعلي بك، وأغوات البلوكات الأربعة، وطائفة من الجاوشية ، والمتفرقة
زهة ثلاثة آلاف نفس ، من العسكر النظيف ، غير الاتباع واللفيف .

ووصل الى جدة المعمورة في أربعة عشر غراباً ، وثلاث مسهارية ، مشحونة بخيله ورجله ، وما يحتاج اليه من يرقه وحمله ، ودخل الى جدة في موكب عظيم ، ونزل من الفريضة السلطانية ، وكان مولانا شيخ الاسلام ناظر المسجد الحرام ، رئيس مكة على الاطلاق ، بل رئيس العالم بالفضل والاستحقاق ، القاضي السيد حسين الحسيني ، يومئذ في جدة قصداً لملاقاته ، لما أحس بقدمه ، ومعه سيدنا ومولانا السيد حسين بن حسن بن أبي نمي ، والسيد عرار بن عجل ، وعدة من بني حسن ، والترك ، فلاقوه عند نزوله من القارب أمام الفريضة ، فالبسهم الخلع والتشريفات ، وأوصلوه الى محل عينوه لسكناه ، في بيوت المرحوم الخواجا الطاهر ، في شق اليمن ، ومد له سباط في ثاني يوم وصوله ، أمام محل نزوله ، قام بأعبائه الشرفي أبو القاسم بن قرقماص ، احد المتكلمين في جدة عن السيد الشريف ، يزيد على الفي صحن ، جلس عليه هو والأمراء وجميع العسكر وحملوا منه .

ثم استدعي يجمال يرحل عليها الى مكة للطواف ، فأخذوا له نحو مائتي حمل ، وتوجه الى مكة في فئة قليلة ، دون المائة ، من خواصه ومماليكه ، ونزل حدة - بالحاء المهملة - وتوجه منها الى مكة فلما جاوز بير شميس وكان بعد مضي ثلث الليل لاقاه سيدنا ومولانا المقام الشريف العالي ، بدر الدنيا والدين ، الحسن بن أبي نمي ، في موكب جميل ، ومعه اخوانه وأولاده ، وأكثر السادة الاشراف فانبسط بوصوله ، وفرح بملاقاته ، وتحدثا ساعة طويلة ، ثم توجه مولانا السيد الشريف الى ناحية عنه ، وترك ولده مولانا السيد مسعود يحدث عثمان باشا ، وينعشه بلطف مقاله انعاشاً ، الى ان طرقت طارقت النوم ، وغشيت بالوسن أعين القوم ، فتفارقا ، ونزل كل منهما ناحية ، وضرب على آذانهم سلطان المنام ، ولم يكن لهم من دونه واقية ، فاكتحل كل جفن بأتمد منامه ، الى أن ظهرت عساكر الصبح باعلامه ، وهزمت جيوش الليل فولى بظلامه ، فركب حضرة عثمان باشا ، ورتب موكبه ، وركب معه السيد الشريف وصحبه ، ودخلا بموكبها الى مكة ضحى ، واطمأن خاطر

الناس بذلك وصحا ، بعد رجة في الناس وضجة ، وهرجة بين الرعاع ومرجة ، ونزل مدرسة قايتباي ، ومدوا له سماطاً ، ونثروا عليه من درر الثناء عقوداً أسماطاً ، وعمل هو بالحرم الشريف مولداً شريفاً ، جمع فيه الأعيان ، وأوقد لهم السرج والشموع ، ومد لهم من الحلوى والسكر ألواناً بعد ألوان ، وخلع على قارىء المولد الشريف ، وأحسن الى كل فقير وضعيف ، وتصدق على بعض الفقهاء ، ونال من احسانه العلماء والصلحاء ، وكان معه حكم سلطاني ، وأمر شريف خاقاني ، بتوجه أمير السادة الأشراف معه ببعض عسكر ، من جهة مولانا السيد الشريف ، الى اليمن ، للمساعدة في دفع ما وقع بتلك الديار من الفتن ، وكان مولانا السيد الشريف قد عين بعض أولاده لهذه الخدمة ، وتهياً للامتثال للأمر السلطاني ، وشدّد لذلك عزمه وحزمه ، ووأى عثمان باشا أن الاعانة بالخييل والجمال ، أولى من الاعانة بالرجال ، فتكلم الوسائط في ذلك ، فحصل الاتفاق على أن يدفع السيد الشريف الى عثمان باشا مائة وخمسين حصاناً ، وألف جمل ، عوضاً عن توجه نجده السعيد ، ورأى كل واحد منهم أن ذلك هو الرأي السديد ، وان ذلك أنفع وأنجح ، وأولى للعساكر السلطانية وأصلح ، فسلم مولانا السيد الشريف ما وقع عليه الاتفاق ، فتسلمه عثمان باشا ووقع الرضا والوفاق ، فعاد عثمان باشا الى جدة وركب بجرأ ، وسابرته الخيل والجمال برأ ، واستمر كذلك الى أن نزل البقعة ، والحديدة ، من بنادر اليمن ، فلاقته الخيل والجمال ، فارتفق بها على الوجه الأتم الأحسن ، ودخل زبيدا ، وما لبث أن صعد الى تعز بعسكره ، وحاصرها وأقدم على من بها من الزيديين فهزمها وكسرها ، وقل جموعها وزلزل ربوعها ، وفتح تعزاً ودخلها ، وأقام ميدها وأزال خيلها ، وكان ذلك أول الفتوحات السلطانية ، ومبدأ انكسار الزيدية ، وفتنها الشيطانية .

وكان دخوله الى تعز في أواخر رجب ، سنة ست وسبعين وتسعمائة ، وبقي عليه أخذ القاهرية ، وهي من أعلى الحصون الشاغحات ، فاستمر في محاصرتها ، فأبت عليه ، وما ألفت زمام الانقياد اليه ، وصار باقدامه يقدم

عابها ، ويهجم بالمشكر السلطاني اليها ، فيصيبونهم من القاهرية بالمدافع الكبار ، ولا يصيبهم شيء من مدافع المشكر ذوات الحديد والأحجار ، الى أن فني كثير من المشكر السلطاني ، وقطعت عليهم الزيدية الميرة من الأطراف والحوالي ، وكادت أقدامهم أن تنزل ، وأشرفوا على أن يتبدد شملهم وينحل ، وحوطهم محطات من الزيديين ، فيها علي بن الشويح ، وأولاد المطهر وحسين بن شمس الدين ، وهم في كر وفر وشر وحر ، تارة يتوجهون الى قتال العدو ، وهؤلاء على حمية ، وتارة يحاصرون قلعة القاهرية ، إلى أن جاءهم : (نصر من الله وفتح قريب) وقوي قلبهم بوصول أخبار تسرّ المحب والحبيب ، وتخلع قلب العدو المريب ، وذلك خبر وصول حضرة الوزير المعظم ، والبحر الفطمم ، والليث الفشمشم ، سنان باشا ، طيب الله تعالى للمسلمين به معاشا ، وسقى بزلال أمنه ومعدلته اناساً في أودية المخاوف عطاشا .



الباب الثالث

في الفتح الثاني ، وعود الممالك اليمنية في سلك الملك العثماني ،
وهو المقصود بالذات من تأليف هذه المباني ، وترصيف درر
هذه الألفاظ في سلك عقود جواهر المعاني

وفيه ستون فصلاً

الفصل الاول

في ذكر عزل مصطفى باشا وتفويض ذلك الى حضرة سنان باشا ،
وبروز الأمر الشريف اليه ، بالتوجه بنفسه الى اليمن ،
وتشريفه بمنصب الوزارة ، ووصوله مكة بالعسكر المنصور

لما فهمت الحضرة السلطانية ، خلد الله تعالى خلافتها وأيد سلطنتها على
البرية ، تأخّر مصطفى باشا ببعض الامراء بمصر عن السفر الى اليمن بأنفسهم ،
عزل حضرة مصطفى باشا ، وولى سنان باشا الوزارة ، وأمر أن يكون
سرداراً على العساكر السلطانية إلى اليمن ، وأمر بقتل مصطفى بك أحد
أمراء السناجق بمصر ، والنجمي محمد بك أمير اللواء بمصر ، وأمر جميع
عسكر مصر أن يتوجهوا إلى اليمن ، وأمر بارسال الأحكام الشريفة السلطانية
في هذه المواد على يد قايحية الباب العالي ؛ فلم يشعر الناس إلا بوصولهم إلى
مصر ، فارتجت لهم البلاد ، وطلعوا إلى حضرة سنان باشا في ديوان مصر ،
وأوصلوه الأحكام الشريفة السلطانية ، فأجاب بالسمع والطاعة ، وانه يبذل
ماله ونفسه في الرضا الشريف السلطاني ، ولا يترك شاذة ولا فاذة في إنفاذ
الأمر الشريف الخاقاني . وطلب الاميرين مصطفى بك ومحمد بك وسلمهما الى
القايحية ، فنفذوا فيها الأمر السلطاني ، وخنقا بالوتر ، وسلم جسدتهما إلى
أهلها فدفنا ، وضُبطت خلفاتها للديوان .

وتوجه من حينه مصطفى باشا إلى الابواب الشريفة السلطانية ، خائفاً
يترقب ، إلى أن وصل إلى الباب ، وتشبث بأذيال العواطف السلطانية ،
والخِدم السالفة لتلك الحضرة الخاقانية ، فأعيد إلى الوزارة ، وقوبل بالعمفو
والصلح ، وبسط القول في ذلك الذيل والشرح .

وأما حضرة الوزير سنان باشا فشمرو عن ساعد العزم ، وتقلد سيف الحزم ،
وشرع في الحال ، إلى الإذعان والامتثال ، وبادرت عسكر مصر كلها إلى
القبول ، والإذعان بعد أن شاهدت ذلك الأمر المهول ، وصار كل من لا يتصور
خروجه من مصر ، يسابق إلى طلب السفر ، وبادر كل يعرض نفسه في
الديوان السلطاني ، ووقف لذلك وحضر ، إلى أن كتب غالب عسكر مصر
من الأقوياء والتمولين ، والكُشّاف ، والمتفرقة والبلوكات ، والمتجوّهين ، ولم
يبقى بمصر إلا نفل ، كشيخ هرم وطفل ، أو نحو ذلك وخرج من مصر بهذه
العساكر ، من طريق البر ، بالخييل والجمال ، والبنغال ، وأرسل الأثقال من
البحر ، وأخذ من الزاد والمؤونة ما فوق الكفاية ، وتوكل على الله تعالى القوي
القدير ، وشرع في السفر وأخذ في المسير .

وكان بروزه من محروسة مصر في سابع عشر رجب سنة ست وسبعين
وتسعمائة .

ووصل ركابه الشريف إلى ينبع في ثاني عشر شعبان من السنة المذكورة ،
وقام بخدمته وخدمة العسكر المنصورة ، ونقل المحول والأثقال من ينبع
الساحل إلى ينبع على ظهور الجمال السيد نور الدين علي بن دراج بن هجار
الحسني ، وكان شيخ الحرم الشريف المكي مولانا شيخ الاسلام ، ملك العلماء
الأعلام ، صفوة السادة الكرام قاضي القضاة ببلد الله الحرام ، مولانا القاضي
السيد حسين المالكي ، برز من قبل ذلك إلى ملاقة حضرة الوزير المشار اليه ،
وتوجه إلى المدينة ، وكنت في صحبته فلما شاع خبر وصوله ، برزنا للملاقاة ،
ففاتنا ادراكه في منزلة بدر ، وكان رحل عنها ، ونزلنا بها ، فتبعتها

فادر كناه في خَبْتِ كَلْبِيَّةَ ، بعد العشاء ، سابع عشر شعبان ، سنة ست وسبعين وتسعمائة ، وحصل منه الاقبال التام ، على مولانا شيخ الاسلام ، ولاطفه وحادثه ، واستمر معه إلى أن وصلنا رابع ، فمدَّ حضرة الوزير سباطاً عظيماً جميلاً ، وطلب مولانا ناظر الحرم الشريف وخلع عليه خلعة عظيمة فاخرة ، وصحبه إلى أن دخل إلى مكة وأرسل مولانا الشريف بدر الدنيا والدين الحسن بن ابي ثَمَّيَّ ، دامت دولته ، لملاقاة حضرة الوزير ولده الأكبر ، مولانا السيد حسين في خيل ورجل ، فوصل اليه بعد بروزه من عُسْفان ، وخلع عليه خلعة سنوية ، فلما وصل إلى العمرة ، دخل ليلة الاربعاء ثاني عشري شعبان إلى مكة ، وطاف وسمى ، ولاقاه افندي مكة عند الطواف ، ثم عاد إلى العمرة ودخل بمكة صباح يوم الاربعاء .

ولما وصل إلى سبيل الجَوْخِي وصل لملاقاته قاضي مكة المشرفة يومئذ مولانا الأفندي عبد الرحمن بن سيدي علي ، قاضي عسكر روملي سابقاً ، وأمر أن يُنصَبَ رِطَاقُه في بركة ماجن ، وخرج أهل مكة عامة للفرجة ، فرأوا من العساكر السلطانية ما لم يروه ، ولم يسمعوا بمثله في هذه الأقطار الشريفة ، مع الزينة التامة ، واليراق العظيم ، والخيول المسومة المذهبة ، وركب الذهب والفضة والأسلحة والدروع والخوذ .

وأخبرني من عد الفرسان في ذلك الموكب فكانوا بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف ، وانه عد الجمال فقاربت عشرين ألف جل .

وكان موكباً أدهش النواظر ، وملاً العيون والخواطر ، وبهر الأبصار ، وعظم في اللواحق والأنظار .

وكان قبل وصول حضرة الوزير نصره الله تعالى حصل في مكة أراجيف ومساوىء ارتجت لها البلاد ، واضطرب لها الفؤاد ، ودفن كل أحد ما يعز عليه من الذخائر ، وخافوا من النواهب والغواير ، فسلم الله تعالى من ذلك جميعه ، بحسن تدبير حضرة الوزير ، وضبطه وحفظه لهذا المسكر الكبير ، وكثرة

إحسانه الى الفقراء ، وتوقيره للأعيان والكبراء ، واستمر في نخبه النصور،
درن بركة ماجن ، ودخول ذلك الجند الكثير المعروف بالمحسن ، وأكبر
الامراء الذين معه يومئذ الامير حمزة ، وبعده الامير مامبي ثم بئيه الامراء
السناجق ، وهم : كوله محمود بك وعلي بك ، وكرد محمود بك . ومن أمراء
عرب مصر : الامير سلامة بن الحبير ، ومعه الاغوات والكشاف والمتفرقة
وكثير من البلوكات والجاوشية .

وبالجملة فكان ديوان مصر بجميع عساكره انتقل إلى مكة ، مع ما أضيف
إلى ذلك من عسكر الشام ، وحلب ، وقرمان ، وآمد ، ومرعش ، وغير
ذلك من الممالك الشريفة السلطانية بحيث لم يسمع مثل ذلك في عم سابق ؛
فسبحان مالك الملك والملوك ، وتعالى الله ذي العزة والعظمة والجبروت .
ثم ان مولانا السيد الشريف - أدام الله تعالى عزه - توجه بنفسه النفيسة
الى جدة المعهورة . للأمر بنقل أحمال حضرة الوزير والعسكر إلى مكة ، بما
وصل اليها بحراً ولأداء جميع الخدمة الشريفة السلطانية ، ولم يعتمد في ذلك
على مقدميه وخدامه ، لاحتمال القصور منهم ، وأمر أن يُمدَّ بمكة لحضرة
الوزير سماط كبير ، يليق بشأنه العالي ؛ فهدوا بين يديه ذلك . وكان حضرة
الوزير يتوقع وصول حضرة السيد الشريف بنفسه اليه ، فلما تأخر عن الحضور
بنفسه ، حصل من العامة أنواع من القيل والقال ، وتغيرت خواطر حضرة
الوزير نوع التغير ، وأراد أن يمتنع من تناول طعام السيد الشريف لما مُدَّ
بين يديه ، فاعتذر عنه مولانا شيخ الاسلام ، القاضي السيد حسين ، بأن حضرة
السيد الشريف لما رأى احتياجكم إلى وصول الأمتعة الواصلة لكم من البحر ،
توهم انه إذا وكل هذا الامر الى خدامه ، ربما يقصرون في المبادرة إلى الامتثال ،
توجه بذاته الكريمة لأجل أداء هذه الخامة لكونها أهم من وصوله إلى بين
يديكم لشدة احتياجكم إلى ذلك ، فإن البلد ليس بها ما يكفي هذا العسكر
الكثير ، وربما يقع القحط فيتضرر العسكر والناس ، إلى غير ذلك من
الاعذار . فقبل حضرة الوزير ذلك العذر ، وتناول بيده الشريفة من الطعام ،

وأمر بتفريقه على العسكر ، مجابرة وتلطفاً ، وألبس الخواجا كال الدين أبي الفضل بن أبي علي خلعة لكونه هو الذي تعاطى مد السباط ، من قبل مولانا السيد الشريف ، وحصل بذلك والله الحمد كال الإلتئام والمودة .

وأرسل السيد الشريف اليه نحو مائة من الخيل ، وألف بعير، إلى غير ذلك من التحف والهدايا اللائقة ، وانسجم بينها الود الأكيد ، وفرح الناس بذلك ، وأمنت البلاد ، واطمأنت العباد ، والله الحمد والمنّة على ذلك . وبالجملة كانت جميع حركات حضرة الوزير سعيدة ، وأفعاله مشكورة حميدة ، ورأيه صائب ، ونظره ثاقب ، وتدبيره في غاية الاتقان والاحكام ، وفكره سديد محكم في جميع النقض والابرام ، زاده الله عزة وجلالاً ، وضاعف له بسعادة واقبالاً ، وبلغه أعلى مراتب العز حتى يقول محبوه : هكذا ، هكذا وإلا فللا .

وفي أثناء هذه الاقامة توجه إلى المفجر للكشف على عمل عين عرفات المأمور باجرائها إلى مكة المشرفة ، وأمينها يومئذ قاسم بك سنجق جدة ، أميراً خور ، المرحوم علي باشا الوزير ، فخرج في موكب عظيم من الامراء والفرسان ، وصاروا يطردون الخيل أمامه ، وحوله في ذهابه وعوده ، وظهرت للناس فروسياتهم وكأهلهم فيها ، ومد لهم في المفجر الامير قاسم ، سباطاً عظيماً ، بلغ فيه مقدوره وجهده ، وقدم اليه ثلاثة روس من الخيل مكلة بعدتها من السيف والدبوس والدرع والخوذة ، والسرج والمذهب ، واللجام والركاب من فضة ، وأخلع هو على الأمير قاسم خلعة سراسر ، وأعطى للمعمارية الترقيات من عثمانين ، إلى خمسة عثمانية ، وعاد في موكبه إلى أوطاقه ، بغاية العزة والعظمة ، والأمور كلها بحمد الله تعالى منتظمة .

ثم دخل عليه شهر رمضان ، الكثير الخير والفيضان ، وهو بوطاقه المعظم ، في عسكره المحبور ، وجيشه المنصور المنظم ، وهم مضبوطون بضبطه ، مربوطون بربطه ، لا يقدر أحدهم أن يظلم حبة خردل ، ولا يؤخذ شيء من

أحد من السوقه دون أن يعطى مراده ويبذل ، فأقام أربع ليال من رمضان أقام فيها نظامها ، ومد سماطها ، وأطعم طعامها ، مع البذل والاحسان للعلماء ، وتقرير الوظائف والصلوات للفقهاء ، والفقراء ، بحيث قرر لكثير من الفقهاء المجاورين من الخزائن السلطانية ، ما يوجب له التحسين ، ولم يقدم على ذلك غيره من الوزراء القادمين ، مستجلباً بذلك خالص الدعاء من أهل الحرمين ، بنصرة سلطان الاسلام في المشرقين والمغربين ، مستكثراً من جنود الدعاء ما يفوق جنود القتال ، ومن عسكر الضراعة في الأسحار ، بين يدي الكريم المتعال ما يفوق على عسكر الجلاذ والجدال ، فإن سهام دعاء هؤلاء يصيب ، وتأثير أسلحتهم تظهر في الحضرة والمغيب ، إلى أن رحل مع عسكره السديد الشديد ، مصحوباً ان شاء الله تعالى بالنصر والتأييد .



الفصل الثاني

في ذكر ارتحال حضرة الوزير المشار اليه من مكة براً الى اليمن الأيمن

لما كان رابع رمضان ، عزم حضرة الوزير على المسير ، وأمر الجند بالسفر من غير تأخير ، فكثر الريح والعجيج ، وتزايد الصخب والضجيج ، وتسابق الجند يلمون شتاتهم ، ويقوضون خيمهم وأبياتهم ، ويرفعون بندااء بعضهم بعضاً أصواتهم ، وزعق النفير فكان كنفخ الصور ، وانتشرت العساكر فشاهد يوم الحشر في البعث والنشور ، وعلم حضرة الوزير بفكره المنير ، أن أطراف العسكر عند الرحيل ربما خبطوا وفعلوا ما أرادوا من الأفاعيل ، فتقدم هو بنفسه في أول العسكر وضبطهم ضبط الراعي غنمه اذا توحش واستنفر ، فتوجه في عسكره ، وأبيضه وأسمره ، ولامته ومغفره ، وبيارقه ويلبه ، وبوارق بيضه وسجبه ، ورماحه وقواضيه ، وقعانبه وسلاهبه ، وقد زُين ليل النقع من أسنة العوامل بكواكبه ، بسيل خيل ترد دأماء الدماء ، وغمام سهام تنسكب على أهل ثلا وكوكبان من الأرض والسماء .

وأمر الأمير حمزة أحد الأمراء الكبار ، ذو البطش والأيد والاقنتدار أن يتأخر بمكة ، ويمنع العسكر من العبث والعينث ، ويسوقهم اذا تأخروا عن اللبث والرئث ، فكان ذلك رأياً صائباً . وفكراً صحيحاً ثاقباً ، فلولا هذا الفكر والتدبير ، لدمر من بقي من الفوغاء أشد تدمير ، فسلم الله تعالى

من العطب ، واستراح كل أحد من النصب والتعب ، فمضى مشكوراً ، وتوجه مظفراً ، ان شاء الله تعالى مؤيداً منصوراً .

وكان رحيله المبارك يوم الاثنين ، رابع شهر رمضان المبارك ، سنة ست وسبعين وتسعمائة ، فلما زُمت الزمول ، وزفت المحول ، وسيقت الركائب ، وقيدت الجنائب ، تأخر عن العسكر المنصور من أبق من أرقائهم ، وتأخر من آثر الهروب على التوجه معهم ، فافراً من لقاءهم ، فجمعهم صوباشي السيد الشريف بمكة ، القائد محمد بن عقبة ، وأرسلهم خلف حضرة الوزير ليلحقوه به في أول منزل ، فلحقوه في منزل السعدية ، وقد أقام بذلك المنهل ، ليستريح به العسكر وينزل ، فشكر سمي القائد ، وألبس رسوله قفطاناً ، وسله بعض العبيد ، الذين هربوا من مكة صحبة عسكره ، بعد أن جذبهم منهم ، وأمر الرسول أن يوصلهم الى أصحابهم ، وأكرمه وأحسن إليه ، وأعادته إلى مرسله ، وشكر الناس صنيع حضرة الوزير فيما فعل ، وأصحبوه دعاءهم الجميل حينما حل وارتحل ، واستمر يُطمئن العربان في المنازل والمناهل ، ويحسن إليهم ويكسومهم في جميع المراحل ، ويطوى المنازل طياً ، ويفري أديم المهامه والمفاوز فرياً ، ويرفق بمساكره في أثناء ذلك ، ويتأنسى بهم في المسير في بعض المسالك ، ويصونهم بحسن نظره ، ولطف تدبيره من المضار والمهالك ، إلى أن قطعوا البطاح والرمال ، وسلكوا الفجاج والجبال ، وأضنوا ظهور الخيل والجمال ، وحثوا الخيل والبغال ، وزرعوا رمم الدواب في طول طريقهم زرعاً ، ودهكوا ما وجدوا في عرض الأرض من هشيم ومرعى .



الفصل الثالث

في ذكر وصول حضرة الوزير بعساكره المنصورة الى
جازان ، وأخذها ، وترتيب الرتبة بها

لما قرب حضرة الوزير المعظم من جازان ، فرّ من كان بها
من داعية العصيان ، وتركوها خاوية على عروشها ، خالية ما بين عتودها
وبئسها ، وكان السراج ، نقيب من أعوان مطهر ، هو الذي استولى عليها
فيما مرّ ، فهرب على وجهه الى البر ، وفي عينه التراب وفي رأسه الحجر ،
فوصل حضرة الوزير إلى جازان ، في آخر شهر رمضان ، ولحقه عيد شوال ،
وقد نصب نخيمه الكبير في ذلك المكان ، ودقّت له بها البشائر ، فكانت
للناس عيدان ، ونادى لهم بالأمن والأمان ، فازداد لهم المسرة والاطمئنان .
وهذا اول فتح حصل على يديه دون قتال ولا ترهيب ، فاستبشرت العساكر
المنصورة له بالفتح والنصر القريب .

وفي إقامة حضرة الوزير بذلك المقام ، أقبلت عليه العربان من خلف
وأمام ، يطلبون الطاعة ، ويبدلون الاستطاعة ، فمنهم أهل صَبِيًا قدموا
عليه ، وألقوا أزمّة الطاعة اليه ، وامتثلوا أوامره وتمثلوا بين يديه ، فأكرمهم
وخلع عليهم ، وكساهم وأحسن إليهم ، فرجعوا شاكرين لِقاه ، حامدين
لطفه في مواجهته وَمَلقاه ، وأقبلت عليه عربان اليمن أرسلًا ، وأقبلوا إليه
إقبالًا ، وبدلوا الطاعة طالبين الامان ، مستسلمين مسلمين بغاية الاستسلام

والإذعان ، وارتجت بخبر وصوله جبال اليمن وقلاعها ، وتزلزلت حصونها
ويفاعها وبقاعها ، واضطربت لوصول هذه العساكر أصقاعها .

وكان عثمان باشا لما وصل الى زبيد ، وشاهد ما فعله حسن باشا من مصادرة
أهل زبيد ، وأخذ أموالهم ، ووضعهم في الحبوس ، أمر بالتفتيش على حسن
باشا ، فخلص منه كثيراً من حقوق الناس ، وردّها على أصحابها ، وفرحت
أهل زبيد بذلك ، وضاق حسن باشا ذرعاً بما حصل عليه من التفتيش وغرامة
المال ، وصار يستغيث فلا يُغاث ، ثم انه أراد العود الى مصر ، وركب غراباً
ليتوجه الى كمران ، فلما بلغه وصول حضرة الوزير الى جازان ، وصل اليه ،
وتشبت بأذنيه ، واستجار به ، فقابله حضرة الوزير بالقبول ، واغتفر له ما
فعله فيما مضى أيام الفترة من الاختلال ، وصار ملازماً للخدمة ، فأقبل عليه
الوزير غاية الاقبال ، وعامله بالترحيب والاجلال ، وصار يندبه في الأمور
المهمة ، ويستخدمه في المهمات من الخدمة .

وفي الحقيقة فنظر الكبير يفعل ما لا يفعله الإكسير ، ولو لم يفعل حسن
باشا ذلك . لما سلم من هذه المهالك . والله عاقبة الامور .



الفصل الرابع

ذكر توجه حضرة الوزير من جازان ، الى تعز
لدفع المضايقة عن عثمان باشا

لما فرغ حضرة الوزير من ضبط جازان ، وإحكام أمرها ، أسرع في التوجه بالعساكر المنصورة إلى تعز لما بلغه ان عثمان باشا ومن معه من العسكر السلطاني ، في مضايقة شديدة في تعز ، بسبب قطع عرب الجبال عليهم الميرة من كل جانب ، وحصل عندهم القحط ، وعدموا علف الدواب وعليقها ، وصاروا في غاية الحيرة ، لا يمكنهم العود إلى زبيد ، ولا يمكنهم استكمال أخذ ما حوالي تعز ، فإن قلعة القاهرية صعب أخذها ، وهي حوالة على تعز وعلى باب تعز ، فلا يتركون أحداً من الترك يدخل إلى تعز أو يخرج منها إلا ضربه بالمدافع من أعلى القلعة ، وقتل كثير من شجعان العسكر السلطاني ، منهم حسين آغا ، رئيس الطائفة الكوكلية بمصر ، وعدة من شجعانهم ، وضعفوا بسبب ذلك ، وهم منتظرون الفرج القريب ، من الله عز وجل ، حتى سمعوا بوصول حضرة الوزير ، فعادت أرواحهم إلى الاجساد ، ودبّ في أجسادهم دبيب الحياة بعد الهلاك والانكساد ، وتخوفت العربان العصاة ، وأخذ كل منهم للهروب نعله وعصاه ، فقطع حضرة الوزير بغاية السرعة والمجلة طوي المراحل ، وطوى البيد طي السجل للكتاب معرضاً عن المنازل والمنازل ، الى أن خفقت بالنصر آياته ، وظهرت للعين آياته ، وطلع عليهم طلوع الفجر

في غسق الليل الدامس ، وسطع نور وجهه فضحك ثمر الزمان العابس ،
وفرح المؤمنون بنصر الله عند قدومه الميمون ، وصار بعد ذلك الفزع لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون ، فنزل بجيوشه في ذلك الفضا ، وعين الله ناظرة إليه
ناظرة إليه بغاية الرضا ، فدكت عساكره المنصورة جبال تعز ومهادها ،
وملأت جنوده المجبورة أغوارها وأنجادها ، وقد سترت بسواد عددها بياض
النهار ، ولمعت ببوارق بيضها وبيضا سواطع الانوار ، وُضرب الخيم الكريم ،
والوطاق المكرّم العظيم ، في تلك المهامه الفيج ، والبرّ الواسع الفسيح ، فكان
السبع الطباق أحد قبابه ، وحبال الشمس والقمر من بعض خيوط أطنابه ،
وبروج السماء داخلة في زوايا خزائن مضاربه ، وخيام السحاب سحابة من
بعض سحائبه .

فلما شاهد الزيدون هذا الخميس العرمم ، ونظروا إلى تلاطم أمواج هذا
البحر الفطمم ، آووا إلى جبل يعصمهم من الماء ، واتخذوا إلى التحصن جبل
الأغبر سلماً ، وما علموا ان الفرار الى الجبل الأغبر لا يعصم ، ولا عاصم
اليوم من أمر الله إلا من عصم .

وكان سبب اجتماعهم في جبل الأغبر ، وعدم فرارهم بالكلية إلى البر ،
انهم أرادوا أن يقوى قلب أهل القاهرية ، بروية ثباتهم للعساكر السلطانية ،
فلا يسهون القلعة طمعاً في المظاهرة والمناصرة ، والمعاضدة والمكاثرة . ومن
عادة أولئك العربان ، إيقاد النيران ، ليكونوا بمرأى من أهل القلاع ، وكذلك
أهل القلاع ، توقد النيران لأهل البقاع واليفاع ، لإعلامهم بحصول العلم لهم
بذلك الاطلاع ، فأوقد الطائفتان كل منها شعل النار ، ليقوى كل منها
برؤيتها على القرار ، وعدم الفرار ، كأنهم لما استبطأوا جهنم بادروا إليها أشد البدار
واستمروا كذلك إلى أن طلع النهار ، وهم يتخاطبون على البُعْدِ بلسان أهل
النار ، وبئس القرار .



الفصل الخامس

في ذكر بروز أمر حضرة الوزير لجمع من الأمراء، بمحاربة أهل جبل الأغبر، وأمره لعثمان باشا أن يتوجه معهم رأساً عليهم

لما استقر نَحْمٌ حضرة الوزير فيما بين تعزّ وجبل الأغبر، وانحازت طوائف الزيديين إلى الجبل المذكور، أراد حضرة الوزير أن يترك محطته في محلها، ويأخذ من يختار من شجعان العسكر، ويصبح مغيراً على الزيديين في جبل الأغبر، ويأخذهم على غرة وهم لا يشعرون، وصمم ذلك في ضميره المنير، وأخذ يشرع في أسباب ذلك المسير، إذ خطر بخاطره الخطير، أن يعقد مجلساً مع الأمراء، يأخذ رأيهم في ذلك ويستشير، عملاً بقوله تعالى: (وشاورهم في الأمر). ولقد قيل:

الرأيُّ قبلَ شجاعة الشجعان هو أولٌ، وهي المحلُّ الثاني
فإذا ما اجتمعا لنفسٍ مرةً بلغت من العلياء كلَّ مكان
لولا العقولُ لكان أدنى ضيغٍ أدنى إلى شرف من الانسان

وقيل أيضاً:

أقرن برأيك رأى غيرك واستشر فالحق لا يخفى على رأيين
المرءُ مرآة تری وجهه ويرى قفاهُ يجمع مرأتين

وقيل أيضاً :

شاور سواك إذا نابتك نائبة يوما، وان كنت من أهل المشورات
فالعين تلقى كفاحاً ما نأى ودنى ولا ترى نفسها إلا بمرآة

فطلب الأمراء والأغوات ، ممن يعتمد عليهم في حسن الرأي والثبات ، واستشارهم فيما خطر بباله ، وأراهم صورة نقش ضميره في مرآة مقاله ، وتفاوضوا في ذلك وتفاوضوا ، إلى أن اتفقت الآراء أن يستمر حضرة الوزير في محطته ، ويستقر في مخيمه لحفظ رتبته ، ويمين لهذه الخدمة من شجعان أمرائه وجماعته ، من يعتمد على إقدامه وشجاعته ، واستصوبوا هذا الرأي التام ، وعولوا عليه بعد تمام الاهتمام ، واختاروا لذلك الأمير حمزة ، الكاشف سابقاً بمصر ، والأمير محمود المعروف بكوله ، وهما يومئذ من أشجع الفرسان ، وأعرفهم بمكائد الحرب والطعان ، فخرجوا في نحو خمسمائة فارس ، مكلمين بآلات الحرب والخيول اللوابس ، يهدون الجبال هدأً ، ويدكون الأرض دكاً ممتدأً ، لا يعرفون القرار ، ولا يدبرون خيف السيف والنار .

وأرسل إلى عثمان باشا ليكون سرداراً عليهم ، فإنه بكلاربيكي اليمن ، وأمير الأمراء بتلك الأقطار ، وقد سبق له ولوالده محاربات مع أولئك الزيدية الفجار ، والعسكر لا بد لهم من رأس ترجع إليه ، وكبير تدب حوله ، وتقاتل بين يديه ، ورأى حضرة الوزير أنه أولى بهذه المقدمة من غيره ، متيمناً بحسن طالعهم ويمن طيره ، فامثل عثمان باشا أمر حضرة الوزير ، وركب بمن معه جواد العزم ، وشرع في المسير ، وسبق الأميران ، مع من ركب معها إلى جبل الأغبر بالعاديات ضبجها ، وأغاروا على الزيدية بالمغيرات صبحا ، ورشقوهم بالبنادق الموريات قدحا ، وأثاروا من دخان البارود ، وسنابك الخيل ، نقعا صيّر النهار في ظلمة الليل ، وكان أمراء عسكر الزيديين : الهادي ولطف الله ابنسي مطهر ، وعلى بن شويح ،

وحسين بن شمس الدين ، وهؤلاء أركان الفتنة والفساد ، ومنشأ العصيان
والبغي والعناد ، ومعهم زهاء خمسين ألف مقاتل ، ما بين فارس وراجل ،
ومبندق وتابل ، وسواد كثروا به سواد الباطل ، وكان العسكر السلطاني ،
والجيش المخبور الخاقاني ، زهاء ألف مجالد مجادل ، يحطم بعزمه ضم
الجنادل ، صادق في عزمه ، جازم في حزمه ، وكم من فئة قليلة غلبت فئة
كثيرة باذن الله ، والحق يعلو ولا يُعلى ، والباطل تهتق قواه .



الفصل السادس

في ذكر انهزام الزيديين ، وانتصار عسكر أهل السنة الموحدين

لما رأى الزيدون كثرة عددهم وعددهم ، وتمكنهم من جبل الأغبر وتواصل مددهم ، وقلة العسكر السلطاني المقدمين عليهم ، وانهم كالشامة البيضاء في الثور الأسود بالنسبة اليهم ، نزلوا من الجبل إلى ذيله ، مستعدين للقتال ، شارعين اليهم أسنة الجلابد والجدال ، ومع كل فارس منهم عدة من رماة البندق مشاة ، يحمون ذلك الفارس من أمامه وقفاه ، فما يقدم على فارسهم إلا ورماهم بالبندق أولئك المشاة ، فلا يصل الفارس اليهم إلا وقد صرع بتلك البنادق ، ولا يقرب أحد اليهم ولو كان جواده أقوى سابق ، وهذا دأبهم في القتال وشأنهم في مقاتلة أبطال الرجال .

فلما رأى العسكر المنصور السلطاني نزولهم عن الجبل ، توقفوا ليكمل نزولهم ، ويتم عليهم المكر والحيل ، فما استكمل نزول بعضهم إلى السفح ، إلا وأطلقوا عنان جيادهم لهبوب النفع ، وهجم عليهم كل خواض للغمرات ، نهاض بالعزمات ، رواءض بالجامحات ، على صواهل ينقلن الاطواد على صهواتها ، ويقذفن الزبد كالحمام من لهواتها ، ويكشفن ظلام النقع بكوكب غرة جبهاتها ، ويعانقن بيض الصفائح بسود ذوائب صفحاتها ، وطبور السهام تقصد من الأحداق أوكارها ، والأوتار تطلب من الفئة الباغية أوتارها ، والحديد قد سد على النبال المنافذ ، والنصال تكسرت على النصال فكأنهم قنفاذ ، وتثلت

الصفاح ، وتحطمت الرماح ، وانهارت أنهار الجراح ، وذهبت الأنفس والارواح ،
وحال بين العسكر السلطاني والعدو حجاب الليل ، فانهزم العدو على جرائد
الخيال ، ونادوا بعد الحرب بالحرب والويل ، وطلعوا الى الجبل وولوا
مدبرين ، وتركوا أوطاقهم وتولوا هاربين ، وقد خرجت رؤوس قتلاهم كالأكر
في تلك الميادين ، فظفر العسكر المنصور برحالهم ، وغنموا كافة أحمالهم
وأثقالهم ، وارتفقوا بما وجدوا من اللباس والرياش ، وتوسعوا بتلك الغنائم
بعد القحط وضيق المعاش ، ورجعوا الى حضرة الوزير سالمين غانمين ، حامدين
لله شاكرين ، وملاؤوا الفضاء بما ظفروا من البارود والسلاح ، والسيوف
والرماح ، والدروع والصفاح ، وحصل من حضرة الوزير إنعام عام ، لجميع
العسكر السلطاني في ذلك المقام ، ورقى كل واحد من العسكر بانفراده ، ما يليق
به ويناسبه من الترقي ، فأقل ما حصل لآحاد العسكر عثماني واحد ، ولم يحرم
أحداً منهم شيئاً من فيض الإنعام ، ونالوا أجمعين ما أرادوا من المرام .

وخلع حضرة الوزير على عثمان باشا خلعتين فاخرتين ، من أغلى السراسر
الخاص من السمور ، وحصل كمال الفرحة والسرور ، وتمايم البهجة والحبور ، في
نخم العسكر المنصور ، ورجع العدو بالويل والثبور ، ودقت البشائر ، ونصبت
الاشائر ، ورفعت الستائر ، وزينت البلاد ، وفرحت العباد ، وسكن
الفؤاد . وكان هذا الفتح الميمون في يوم السبت ثالث عشر ذي القعدة سنة
ست وسبعين وتسعمائة .



الفصل السابع

في ذكر فتح حصن القاهرة ، بالأراء الشريفة الآصفية^(١)
وطلب أهلها الأمان ، عند مشاهدة الموت بالعيان

حصن القاهرة من أحكم القلاع ، وأطولها في العلو والارتفاع ، مع كمال
الاتقان والإحكام ، وتمام المكنة والاستحكام ، لا يخلق عليها الطير إلا النسران ،
ولا تصل إليه السهام ولو طارت بأجنحة الريش أشدّ طيران ، وفيه من
المدافع والمكاحل ، ما لا يمكن من القرب إليه الواصل ، وفيه من الرماة
من يرمي على الحدق ، ويحرّر فلا يخطيء من الدروع الخلق ، وكان حضرة
الوزير ، لما جهز العسكر إلى جبل الأغبر ، قام بالليل وحده ، منفرداً عن
الخدم والحشم والعسكر ، ودار حول القاهرة ، ولاحظها بالفكر والنظر ،
وتفكر من أي موضع يمكن أن تؤخذ ، ودبر في تحصيل الطريق إليها
والمنفذ ، فرأى موضعاً تصل منه المدافع إلى بيوت القلعة ، ومكانها ،
ومواضع مكشوفة من أماكنها ، يمكن أن يُصوّب بالمدفع من يلوح فيها ،
ويهدم عليه جوانب من ذروة القلعة وأعاليتها ، وأمر بالليل أن تحمل المدافع
الكبار ، على أعناق الرجال الأحرار ، وتوضع في تلك الخالس بالليل إذ لا
يمكنهم ذلك بالنهار ، لأن مدافع القاهرة حوالة عليهم وأحجار رماتها
تصل إليهم ، فحوّلت ليلاً إلى هنالك ، وعمل لها حجاب من الصخور يمنعهم

(١) نسبة إلى آصف بن برخيا ، مستشار سليمان النبي - كما في أخبار بني إسرائيل - .

من المهالك ، وهياً فيها رجالاً يحررون على أهل القاهرية بالمدافع ، ويضربونهم بها فلا يلوح منهم أحد في تلك المطالع ، ورأى أهل القاهرية انهزام عسكر الزيدية ، وانطفاء نيرانهم بماء السيوف الهندية ، فخابوا وخاروا ، وخافوا وחרاروا ، وزلزلت المدافع السلطانية من تلك الأماكن المذكورة حصونهم ، وخربت دورهم ، وهدمت أماكن أهل القاهرية ، فصارت بيوتهم قبورهم ، وتوجهت العساكر السلطانية بعد فتح جبل الأغبر لقهر القاهرية ، وحطوا حولها عدة محطات ، وصارت كل محطة أعظم قرية ، وكان حافظ القاهرية شخصاً من الدعاة الهمدانيين ، يقال له الصلاح ، سلب منه اتباعه لمظهر معنى الصلاح والفلاح ، فتركه اسماً بلا مسمى ، ولفظاً مهملاً بلا معنى ، وبنو جلدته من الدعاة الهمدانيين ، من أكبر أعداء طوائف الزيديين ، ومن أعظم المطيعين للسلطنة كالجعفريين ، وما أوقعه في اطاعة مطهر غير عداوة الأهل وحسد العشيرة ، ونافس قومه ونابذهم ، حيث لم يكن ذا رأي وبصيرة ، ففرح مطهر باتباعه ، وأدخله في خواص أتباعه ، وندبه إلى مهامه الضرورية ، ووكل اليه حفظ القاهرية ، وكان أيضاً من أكبر أسباب التجاء الصلاح إلى مطهر ما رآه من جفاء بركبية اليمن ، وطمعهم فيه ، وطلبهم ما لا يقدر عليه ، وعجزه عن ارضائهم بالمال ، فاضطر إلى خدمة مطهر ، وأظهر الاختصاص به ، والصدقة له ، والرضا لأن الضرورة ألجأته إلى ذلك ، وللضروريات أحكام تلجىء إلى ما لا يرضى ، ولقد قيل :

وعند الضرورة يؤتى الكنيفُ ولولا الضرورة لم آتِه

وقيل أيضاً :

لولا الضروراتُ ما جئنا بأرجلنا إلى وجوهِ لها بالكفر إمامُ

وكان الأمير العفيف ، عبد الله الداعي الهمداني ، من أكبر أمراء الدعاة وكان له لواء سلطاني ، وسنجد شريف خاقاني ، وهو في غاية الصداقة للعسكر الشريف السلطاني ، إلا أن مطهر لما أخذ صنعاء بالأمان كان الشيخ

عبد الله الداعي من جملة الأمراء ، الذين أعطاهم مطهر الأمان ، بالعقد والأيمان ، ثم غدر بهم ، وحبس ومكر ، ولكنه لم يحبس عبد الله الداعي لزيادة اعتباره في قومه ، استجلاباً لخاطره ، واستمالة له أن يصادقه ، ويكون من خواص أمرائه ، وأنفت نفسُ عبد الله الداعي من ذلك ، ولم يستأمنه ، وصار يتربص الفرصة للهروب منه ، ويعطيه من ظاهره المحبة ، ويطمعه في أنه صار من أكبر محبيه ، ومطهر فرحان بذلك ، مجتهد في تطيب خاطره ، لكنه جعل عليه حرساً يحرسونه ، ورسم عليه من بُعدٍ ، ترسيم حشمة ، وعرف عبد الله ذلك ، وهو يدبر الحيلة في الهروب إلى أن استحضر تحت جدار صنعاء حصاناً جيداً سبقاً ، يدرك لمح البصر ويسبق في اللحظة بروقا ، تتلمب باعطافه نشوة الصبا ، ويلتفت في انعطافه رحمة للصبا :

مَكْرٍ مَفْرٍ ، مُقْبِلٍ مَدْبِرٍ مَعَا كَجَلُودِ صَخْرٍ حَطَّ السَّيْلُ مِنْ عَلٍ

ربطه في محل خاص يعرفه ، وتدل في الليل من الحصن في حبل إلى أن نزل إلى الأرض ، وركب حصانه ، وفر عليه طول ليلته ، فقطع مسافة بعيدة ، وأصبح حراسه لم يروه ، وعرفوا انه هرب ، فأعلموا مطهراً بذلك ، فعرف انه فات ، وانه لم يمكن أن يلحقه أحد ، فندم على عدم حبسه ، وصار يقول : بخلنا على عبد الله الداعي بعشرة أرطال حديد . يعني تركناه بلا قيد ، وصار بعض الظالم على يديه ويتأسف غاية الأسف عليه ، وشدد حينئذ على بقية الأمراء المحبوسين ، وفرقهم في الحصون ، وثقل قيودهم ، فصار قيد كل أمير نصف قنطار من الحديد الموزون ، ومنع عنهم خدامهم ، ومن يجتمع بهم ، وزاد في ظلمهم ، والتضييق عليهم (وسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) .

واستمر الشيخ عبد الله الداعي مختفياً من قرية إلى قرية ، مغيراً هيأته وصورته ، إلى أن دخل بلاد الجعفرين ، وهم طائفة كبيرة ، مطيعون للسلطنة ، ما عهد منهم العصيان ، وما أطاعوا المطهر في تلك الفتنة ، أيام البغي

والطغيان ، وهم شافعيون سُنيون لا يعرفون الإلحاد ، ولا يميلون إلى البغي والفساد ، وأميرهم يومئذ الشيخ أبو بكر الجعفري ، وكان وقع أخوه وولده في أسر مطهر ، فقال لهما مطهر : ارسلا الى الشيخ أبي بكر ليطيعني ، وأنا أرفع قدره ، وأعلي شأنه ، وأضيف اليه بعض البلاد ، وأسعده غاية الإسعاد ، فواعداه أنها سيكتبان اليه بذلك ، فكتبنا الى الشيخ أبي بكر : تحصن في قلاعك ، ولا تطع المطهر ، ودعه يقتلنا ، ويسلخ جلودنا ، فقد وهبنا أنفسنا في سبيل الله تعالى . وعجز مطهر أن يرغبهم ، ويدخلهم في حوزته ؛ فلما لجأ الشيخ عبد الله الداعي إلى الشيخ أبي بكر الجعفري أكرمه ، وقام بما ينبغي له ، وأرسله الى حسن باشا بزبيد ، ففرح أهل زبيد وجميع من بقى بها من العساكر السلطانية ، بوصول الشيخ عبد الله الداعي اليهم ، وخرجوا إلى لقائه ، وأدخلوه الى حسن باشا ، فأكرمه وألبسه خلعة شريفة سلطانية ، وقوي جأش أهل زبيد به ، إلى أن وصل حضرة الوزير -أيده الله تعالى - فكان في خدمته ، وتحت طاعته ، ويستشيرهما في الأمور المهمة ، ويستضيء برأيهما في كشف ظلم المشكلات المدهمة ، فاستشارهما في أخذ القاهرية ، فاستأذنا منه أن يطلعا الى الصلاح برسم الإصلاح ، فأذن لهما ، فطلعا بالإذن الى قلعة القاهرية وبذلا النصح للصلاح ، وأخبراه بأنه يجب عليه التسليم والانقياد ، وطلب الأمان من حضرة الوزير وإلا يؤخذ أخذاً ذريعاً ، ولا يفيدته تحصنه ، ولا تمنعه قلعته وحصنه ، إذ كل محاصر مأخوذ ، وان مطهراً لا يمنع نفسه ، الآن ، فكيف يمنع أتباعه ، وانه لا خير في إتباعه ، إلى غير ذلك من الكلمات . قرأى ان ذلك هو الصواب ، وانه لا فائدة في ذلك المكابرة والعناد ، فقال الى ذلك ، فاستوثقا له في بذل الأمان من الوزير ، فأعطاه العهود والمواثيق . وكان من أحسن خصال الوزير الوفاء بعهده ، والوقوف عند كلامه ووعده .

فنزلا به الى الوزير فقبّل أقدامه ، وأظهر إطاعته واستسلامه ، وسلمه مفاتيح القاهرية ، وتبرأ عما تقدم من الماجرية ، فعاتبه الوزير على ما تقدم منه

من العناد ، وعلى سلوك طريق العصيان والفساد ، وعلى التسبب في إتلاف
الأنفس والأموال من الجانبين ، وعلى عضته بالنواجذ على الباطل ، وقبضه
عليه باليدين ، فأجاب باعتذارات عدة أجلها : ظلم البكربكية له ولطائفه ،
وشدة طمعهم وتكليفهم له بما لا يطيقه ، وعدد من ذلك أموراً عديدة
محصلا : انهم هم الذين أُلجأوا الى التشبث بالغير ، والخروج الى شر العصيان
عن الطاعة التي هي محض الخير ، وانه إنما بذل الطاعة الآن لما سمع عن حضرة
الوزير بذل اللطف والعدالة ، وخلوه عن الجور في الحكم والإيالة ، فأحبه
بقلبه ، وتمسك بولائه وحبه ، وإلا فعنده في قلعة القاهرة من السلاح والآلات
والعدد العديدة ، ومن الطعام والرجال ما يكفيه مدة مديدة ، مع حصانة
القلعة وامتناعها ، وشهوقها في السماء وارتفاعها ، وانه الآن قد بذل جميع
ذلك محبة للوزير ، وإيثارا لطاعته من المخالفة والتكدير ، وتمسكا بحسن
عهده ، والتزاماً بصدق وعده . فقبل منه الوزير تلك الأعدار ، وقابله بالإكرام
والاعتذار ، وأعطاه الامان هو وجميع من في القلعة ، وألبس منهم من كان
يستحق إلباس الخلعة ، وكانوا زهاء خمسمائة نفر ، فأحضر الجميع وأنعم عليهم
وكساهم ، وخلع على الصلاح خلعة فاخرة ، وكتب له ولهم علوفات تناسبهم ،
وصار يحاسبهم ويخاطبهم ، وأدخلهم في عداد العسكر المنصور السلطاني ،
وكثر بهم سواد الجيش المؤيد الخاقاني ، واستلم المواقع ، فوجد بها من المدافع ،
وآلات الحرب ، والطعام ، والبارود ، أضعاف ما كان يظن فيه ، وتخلصت
حينئذ تعز وأطرافها وجوانبها وحصونها وقلعها ، وجبالها ووهادها وبقاعها ،
وعادت الى الممالك المحروسة السلطانية ، وانضافت كما كانت الى الاقاليم المأنوسة
العثمانية ، وفرح المسلمون بهذا النصر العظيم ، واطمأنت الرعايا في ظل عدالة
السلطان الأعظم ، بحسن آراء هذا الوزير المعظم المكرم .

وكان ذلك الفتح المبارك في صبح يوم الاربعاء سابع عشر ذي القعدة الحرام ،
سنة ست وسبعين وتسعمائة .

الفصل الثامن

في ذكر ارسال حضرة الوزير الامير خير الدين القبطان من البحر
والأمير حسين من البر ، لأخذ عدن من قاسم بن شويح
ومن به من الزيدية

قد تقدم كيفية أخذ علي بن شويح لعدن ، أيام الفتنة ، وإقامته شعائر
الزيدية بها ، وإثابة أخيه قاسم بن شويح فيها عن المطهر .
وكانت الحضرة الشريفة السلطانية - خلد الله تعالى ظلال سلطنتها ، ونصر
جيوشها وأعوانها - لما بلغها أخذ الزيديين لعدن ، تكدر خاطره الشريف
لذلك ، خشية أن يستولي عليها الفرنج اللعين ، فان ثغرها في غاية الامتناع
والتحصين ، وبها من العدد وآلات الحرب والمدافع والمكاحل ما يفوق العد
والحصر ، وانها إذا وقعت في أيدي الفرنج الملاعين يصعب استردادها منهم ،
لمعرفتهم برمي المدافع والمكاحل ، وحفظ الثغور والقلاع ، بخلاف العرب ،
حيث لا معرفة لهم بها ، كما ينبغي لها ، وان الفرنج الملاعين إذا تمكنوا من
هذا الثغر الحصين ، أضروا المسلمين ، ومنعوا سفائن الهند من الوصول إلى
بنادر الحرمين الشريفين ، وربما طمعوا في أخذ جدة ونواحيها ، وأضروا

بتلك البقاع الشريفة وضواحيها ، فأكد على حضرة الوزير أشد تأكيد ، أن يبلغ الجهد الجهد ، والسعي الشديد ، ويبادر أشد المبادرة إلى أخذ عدن ، واستنقاذها من الزيديين ، قبل أن يصل إليها الفرنج الملاعين . وذكرت له الحضرة الشريفة السلطانية ان استردادنا لمملكة اليمن ، وإن كان ذلك بما يتعين علينا ، لأنها ميراث ابينا المرحوم المقدس ، ولكن 'جل' قصدنا من ذلك انما هو حفظ ثغر عدن ، صونا للحرمين الشريفين ، عن الكفار الملاعين ، وملاحدة الزيديين ، وحفظ عامة المسلمين عن الملحدين في الدين ، فكان ذلك الكلام المتين ، الذي هو أعلى وأعلى من الدر الثمين ، شنفًا في اذن حضرة الوزير الكريم ، وقسراً معلقاً في سمعه المكرم العظيم .

فأول ما وصلت ركائبه الكريمة إلى موزع ، وهو متوجه إلى تعز ، عدل إلى بندر الخا وجهز ما فيها من الأغربة ، وشحنها بالآلات والعدد والعسكر ، وأرسلها بجرأ إلى عدن ، وجعل رأس العسكر الأمير خير الدين القبطان ، المعروف بقورت أوغلي ، وهو ذو بأس شديد ، ومعرفة ورأي سديد ، سيما في أحوال البحر وحروبه ، وطريق أخذ الحصون وضروبه ، وكانت له تجارب في ذلك وبصائر ، وله مع الفرنج حروب وكسائر ، ووجهه وبدنه ملآن من الكلوم ، وشجاعته معروفة وإقدامه معلوم ، وأسر عند الفرنج مراراً ، وتخلص ، وأسر منهم رؤوساً وكباراً ، فتوجه في تلك الأغربة إلى عدن ، وخرج من بندر الخا ، في يوم السبت الثامن والعشرين من شهر شوال سنة ست وسبعين وتسعائة ، وعاد حضرة الوزير بعد تجهيز القبطان إلى عدن ، نحو معسكره المنصور ، إلى موزع ، واشتغل بقتال أهل جبل الأغب ، وافتتح القاهرية ، وبعد الفراغ من ذلك جهز عسكراً من البر إلى عدن أيضاً ، لإعانة القبطان ، وعين لذلك من شجمان الفرسان أهل الحرب والطعان ، طائفة معروفين بهذا الشأن ، وجعل رأسهم الأمير تمي ، وكان شجاعاً فاتكاً ، مريقاً للدماء سافكاً ، اشتهر أيام كشوفيته بصر بين العربان

العصاة بالحزم والشجاعة ، والبأس الشديد على تلك الجماعة ، بحيث دوخ تلك البلاد ، وقطع جادرة أهل الفساد ، ويستهنون قتل النفس على شرب الماء ، ولا يتلذذ إلا بالقتل وسفك الدماء ، قتل الوفا من النفوس ، وشهد حروباً أعظم من حرب البسوس ، فامثل الأمير ممي الأمر المطاع ، وحلّ عقد رايته ، وركب بخيله ورجله وجماعته ، وتوجه برّاً إلى ناحية عدن ، لأخذها من العدو الممتن ، وكان بروزه من عند الوزير في يوم السبت العشرين من ذي العقدة ، سنة ست وسبعين وتسعمائة .



الفصل التاسع

في ذكر عزم حضرة الوزير الى جانب صنعاء واستشارته مع
الامراء في ذلك

لما قرر حضرة الوزير أمر تعين " ، والقاهرة ، وحواليها ، ومهد أحوالها
وعين فيها من يعتمد عليه من الأمراء والنوبتجية ، ركب جواد العزم ،
وتدرع بدروع الحزم ، وقصد التوجه إلى أخذ صنعاء ، فإنها أم البلاد ،
ومحل الجيوش والأجناد ، قد أتاخ عليها مطهر بكلكله ، وحصنها بعربانه
وأهل جبله ، وأكثر في صورها من مكره وحيله ، واجتمعت عليه الزيدية الهاربون
من جبل الأغبر ، وانضاف اليه من شفاليه الجبال كل معشر ، بحيث لا
يحصيهم العاد ، ولا يضبط عددهم العداد ، ومعهم من السلاح الكثير ما نهبوا
أيام الفساد ، ومن المدافع والمكاحل ما تهد الأطواد ، لكن كثرة الغنم لا
تهول الجزار ، وقلاندها وان كانت نفيسة فهي زيادة في الغنيمه عند أهل
الاعتبار ، فجمع حضرة الوزير أمراء اللواء الشريف السلطاني ، وكبراء
الجيش المنصور العثماني ، ومن يعتمد عليه من أهل البلاد ، العارفين بالطرق
المتعددة ، وما يوجد بها [من الماء] والزاد ، وما فيها من سهل واورار ،
وانجاد ، وأغوار ، ومكان ونخالس ، ومهاوي ومحابس ، ومراحل ومنازل ،
ومناهج ومناهل ، فلما علم ذلك ، وتحقق أنواع المسالك ، استشارهم حضرة
الوزير في الطريق التي تختار ، لسلوك ذلك العسكر الجرار ، يوجد فيه علف

الحيوان ، ويمكن سلوكه للإنسان ، وتسلكه الأبقار بالمدافع الكبار ، فأحاط
علما بجميع الطرقات وما اشتملت عليه من الجهات .

وكان أشقّ الأمور على العسكر حمل المدافع الكبار ، على أرقابهم ،
[ونقلها على متون أصلابهم ، حيث] لا تسلك العجلة في المهاجر والتلال ،
فضلاً عن شواهد الجبال ، وطرقها كلها أوعار ، وأحجار عظيمة ، وصفار ،
وأطواد في الارتفاع والشهوق ، تكاد تلامس بذروتها العيوق ، ليس فيها
أنس ولا أنيس ، ولا يأويها إلا اليعافير والميس ، خلف كل صخرة سرب
من القروء ، أو سبع من ضواري السباع والأسود ، والقرى المعمورة في الطريق
أخربها مطهر ومزقها أشد تمزيق ، وفرق أهلها أقوي تقريق ، فلا يتعاوى
فيها إلا الذئاب ، ولا ينشق فيها غير البوم والغراب ، ولا يُرى فيها أثر
لحوافر الدواب .

فلما أحاط حضرة الوزير علماً بهذه الأحوال ، وعرف ما يلزم من مكابدة
العسكر المنصور لهذه الأحوال ، قال : الرأي أن نطلب عثمان باشا ، فإنه
بكلربكي اليمن ، ونستشيره في ركوب هذه الأخطار والمحن ، فربما يكون
له رأي سديد ، وحزم ثاقب في تهوين صعوبة هذا الخطب الشديد ، واستصوب
رأيه بقية الأمراء ، ووافقه أعيان العسكر المنصور والاعوات والكبراء ،
وباتوا على هذا الرأي القويم ، والفكر الموافق المستقيم .



الفصل العاشر

في استدعاء عثمان باشا للمشورة وتعنته وابائه عن المجيء

لما سَلَ ملك الأشباح صارمه الوضاح على جند الظلام ، وانتشر لواء الصبح الصادق من الأفق فأخذ جيش الظلمة في الانهزام ، وملأ الضياء والنور ممالك الآفاق ، ولم يبق من السواد غير شعور الكواعب الفيد وما اكتحلت به سود الاحداق ، جلس حضرة الوزير في صدر ديوانه العالي ، وأحضر الامراء والكبراء والاهالي ، وأمر جاويشين من جاواو يش الباب الشريف ، معروفين بالعقل والرزانة وحسن الأداء والتلطيف ، كل منها اسمه علي ، وقدره بيز طائفته علي ، وأمرهما أن يتوجها الى عثمان باشا ، ويبلغاه جزيل السلام ، وجميل التحية والاكرام ، وأن يستدعياه الى ديوان حضرة السلطان للمشاورة فيما يمكن الخوض فيه بحسب الامكان ، فإن الجميع عبيد حضرة السلطنة الشريفة ، متقيون ظلال نعمتها الوريفة ، مأمورون بدفع الفتنة والفساد ، عن ممالك أرض اليمن وتلك البلاد ، وإذا اجتمعت الآراء ظهر من بينها الخطأ من الصواب ، وتبين الأصوب فيها على اولى الالباب ، وفي الهيئة الاجتماعية ما ليس في الانفراد ، والمبدأ الفياض يفيض الخير على الجمع الكثير أكثر من الأحاد .

فتوجه الجاوشان الى تعز لأداء الرسالة ، ووصلا الى مقره قبل أن تأوي الشمس الى كناس الغزاة ، فلما تمثلا في باب عثمان باشا ، تنكر لهما وأظهر جفوة وإيجاشا ، وأوقفها ببابه زمانا مديدا ، ولم يسرع بالإذن لهما أنفة وتبعيدا ، وكان المشار اليه شديد الراس ، صعب المراس ، يعطس بأنف

شامخ ، ويطاول بترفعه على الاطواد الشوامخ ، لم يزل دأبه شدة الإعجاب ، ولم يبرح عليه من الزهو والتهيه رداء وجلباب ، مع كرم نفس أبية ، وبذل يصفر في عينه أعظم عطية ، وشجاعة وإقدام وفروسية ، وزينة عظيمة في ملبسه ومركبه ، وترتيب انيق في ديوانه وموكبه ، يملأ بذلك العيون والنواظر ، ويهظم وقعه في القلوب والخواطر .

فلما أذن للجاءوشين ووصلا اليه ، وعرضاً ما أرسله بسببه عليه ، وتلطفاً في العبارة ، وأحسننا في لطف الاشارة ، كان جوابه : الذي أعطاه الوزارة أعطاني البكاربكية ، وكما انه سردار على من وصل اليه من العساكر المصرية ، فأنا سردار على من وصل معي من العساكر السلطانية ، وليس من مقامي الوصول اليه ، ولا يليق بمثلي المثول بين يديه . فنصحته كل منها بأنواع النصيح المقبول ، فأبى إلا نفوراً ، وصمم على عدم القبول ، فعادا من عنده الى حضرة الوزير ، وأعادا له ما وقع من الجواب بالنقير والقطمير ، فتحلم حضرة الوزير ، وأوسع له صدرأ ، ومهد له فيما تفوه به عذراً ، وقال : كان علينا أن نقيم بتعز وجهاتها من يلم شعنها ويجمع شتاتها ، فليكن هو ذلك الذي نقيمه ، ويتم لنا باقامته ما نطلبه ونزومه ، فكيف وهو موسوم من قبل السلطنة بالبكاربكية ، وعنده الاقبال والهمه والحمية ، فليستمر على حاله في منصبه ، وليقم في تعز لحفظها بموكبه .

وشرع حضرة الوزير في أهبة السفر ، وترتيب الجيش والعسكر ، والتوجه إلى قتال المطهر ، فما شعر إلا وقد نصب عثمان باشا وطاقه في البر ، وضرب نخيمه في مقابله نخيم الوزير ، وزلف بموكبه إلى العسكر ، فرأى حضرة الوزير ان هذا العناد يؤدي إلى اختلال ، وربما يؤدي إلى ما لا خير فيه من الجدال ، ويتفرق العسكر عند تراكم هذه الأحوال ، إذ لا يصلح أسدان في غاب ، ولا سيفان صارمان في قراب ، ويسع الحصير الصغير مائة فقير ، ولا يسع ملكين اقليم واسع الرحاب ، ولا يزال الشقاق يحرك من ضغن القلوب عناداً وعنتاً ، و (لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدنا) .

الفصل الحادي عشر

في ذكر عزل حضرة الوزير لعثمان باشا واعادة حسن باشا
عوضه بـكلربكيا في اليمن

لما ضرب عثمان باشا وطاقه في مقابلة وطاق حضرة الوزير ، انضم اليه
ممالكيه وجماعته ، واتسع نخيمه وكبرت محطته ، وانضاف اليه بعض
العسكر ، والتتمت عليه جماعة من العربان ، وصار عثمان باشا يهدد من لا
يأتيه من عسكر اليمن ، وقبائل العرب ، وأظهر السخط على أهل القاهرية ،
الذين أعطاهم حضرة الوزير الأمان ، حيث لم يكن صلحهم على يديه ، ولم
يسلموا مفاتيح القلعة اليه ، وصار يقول : ان الوزير سيعرد إلى مصر ، وما
يقيم عنكم بـكلربكيا عليكم أحد غيري ، وأنا أذيقكم بعد ذلك وبال ما
صنعتموه ، وجزاء ما قدمتموه ، فيخاف العربان ، وبعض العساكر المقيمين
باليمن ، فيأتون سرأ إلى حضرة الوزير ، ويشكون حالهم عليه ، فيطمئن
خاطرهم ، ويسليهم ، ويعيدهم من عنده مجبورين مسرورين ، فلم يزدد هذا
الحال إلا فظاعة ، وحصل بسبب ذلك أنواع الفتور والشناعة ، وبلغ الأعداء
فسرأوا بذلك غاية السرور ، وفرحوا بتفريق كلمة المسلمين ، وأظهروا
بذلك كمال الابتهاج والخبور ، وكاد الأمر أن يختل ، وشرع في الانعقاد بعدما
تسهل وانحل ، وخشي حضرة الوزير أن يقع له ما وقع في غزوة (مالطة)
الواقعة في سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة .

وملخصها : ان المرحوم المقدس السلطان سليمان خان ، سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان ، وحف رياض تربته بالروح والريحان ، أرسل عمارة حافلة تفوق مائة غراب ، مشحونة بآلات الحرب ، مملوءة بأبطال الرجال ، لفتح بلاد (مالطة) واستخلاصها من النصارى ، وجعل سردار العساكر (درغود باشا) وأرسل معهم وزيره مصطفى باشا ابن اسفنديار ، فوقع بينها من الاختلاف ، وهم في بلاد العدو ، ما أدى الحال الى افتراق الكلمة ، فانتصرت النصارى بسبب ذلك على المسلمين ، ووجدوا فرصة أهلكوا فيها أمة من العسكر ، واستشهد (درغود باشا) ، وانكسر الباقون لعدم الوفاق ، ومجانبة الاتفاق ، وعادوا إلى اسطنبول مكسورين ، وذهب في ذلك الحرب من الاموال والخزائن ، والانفس والارواح ، ما لا يعد ولا يحصى ، وكانت تلك الهزيمة ثلثة في الاسلام ، ووبالا وغصة في صدر المرحوم المقدس ، الى أن توفي رحمه الله تعالى ، ومات المرحوم وصدره الشريف غاص بهذه الغصة ، وقلبه منكسر لوقوع هذه القصة ، بل صار قلب كل مسلم لذلك مجروحاً مكسوراً (وكان أمر الله قدرآ مقدوراً) ، ولو عاش رحمه الله تعالى لما ترك أهل مالطة ، وملكهم يختال في برود غروره ، ولغزاهم بنفسه وجنوده ، ولبذل في استئصالهم كل مقدوره ، وستنالهم السيوف العثمانية ، وسوف يؤخذون ولو بعد حين ، بسيوف آل عثمان الاساطين ، إن شاء الله تعالى .

عدنا الى ما كنا فيه : فلما رأى حضرة الوزير امتداد الحال ، وان مآل ذلك الى الاختلال والانحلال ، دبر برأيه الصائب ، وأمعن بفكره الدقيق الثاقب ، في تدارك ذلك قبل تمكنه ، ومعالجة هذا الخطر بأقرب علاج وأحسنه ، وبات يفكر في ذلك وهو ساهر ، ويروض خاطره الشريف ، ويستوعب ما يلوح له من الخواطر ، والعيون قد اكتحلت بكحل المنام ، إلا عيون الزهر فانها غير نيام ، فسبحان الحي الذي لا ينام .

فلما ركب أبيض الصباح ، أشبهه الواضح ، وطرده أدم الليل بعد طول الجراح ، ونادى منادي النجاح : حيا على الفلاح ، ونشر الصبح لواءه فطار غراب الليل 'مسود' الجناح ، نصب حضرة الوزير ديوانه ، وشرف يجلسه الشريف ايوانه ، واجتمعت الامراء لديه ، واصطفت العساكر المنصورة بين يديه ، ووقفت أعوان النصر مدعين اليه ، فأخرج من خزائنه العامرة كيساً من الحلل الفاخرة ، فيه مرسوم شريف سلطاني ، وحكم كريم خاقاني، وسلمه الى موقع الدست ، وأمر أن يقرأه على الجمع النفير ، ويرفع بقراءته صوته الجهير ، ويستوفي قراءته الى الآخر ، ويتأنى فيه حتى يتفهمه كل حاضر ، فامتثل أمره الكريم ، وقرأه حرفاً حرفاً في ذلك الجمع العظيم .

وكان محصل ذلك المرسوم الشريف ، والحكم السلطاني المنيف ، ان الحضرة الشريفة السلطانية ، خلد الله تعالى ظلال سلطنتها على البرية ، فوضت سائر أمور اليمن وأحوالها ، وتهااتها ، وجبالها ، إلى حضرة الوزير المعظم ، والمشير المفخم ، نظام العالم ، مدير أمور الجمهور بالرأي الصائب ، متمم مصالح الأنام بالفكر الثاقب ، وزير الدولة الشريفة العثمانية ، سنان باشا ، أخذت وزارته ، وأيدت إيمانه ، واقامته وكيلاً عن ذاتها الشريفة ، وسرداراً على العساكر المنصورة المنيفة ، يعزل من شاء ، ويولي من شاء ، ويعطي من شاء ، ويرقي من شاء ، لا يشاركه في ذلك أحد من الآحاد ، ولا يدخل معه في أموره فرد من الأفراد ، وان حكمه من حكم السلطنة الشريفة ، وأمره من أمرها ، والحذر كل الحذر من مخالفته ومجانفته ، ومن حذر فقد أنذر ، والعلامة الشريفة أعلاه ، للاعتماد على العمل بفحواه ، وهو من الأحكام التي كتبت بأمر السلطنة الشريفة باسطنبول ، لا من العلامات التي أعطيت للوزير ، ليكتب فيها ما أراد عند الاحتياج إلى ذلك .

فلما استوفى الموقع قراءة هذا الحكم الشريف في الديوان ، وعلم الحاضرون فحواه ، سأل الوزير من حضر مجلسه . فقال : من هو سرداركم ؟ فقالوا : أنت . فقال : هل يجب عليكم بمقتضى ذلك امتثال ما أمر به ؟ قالوا :

نعم ا قال : هل لأحد يمين باليمن من بكربكي أو أمير أو غيره أن يخالفني ؟ فقالوا : لا . فأشار إلى أحد أعيان السناجق السلطانية ، وهو أحمد بك ، وكان أمير الحج المصري ، وأحد الأمراء المأمورين بمحافظة مصر ، ثم أمر أن يتوجه مع العسكر ، ويقال له كوجك أحمد لقصر قامته ، فقال له حضرة الوزير : نحن لو أردنا عزل عثمان باشا كان لنا ذلك ، ولكن السلطان نصره الله تعالى قد عزله قبل الآن ، وعندنا حكم سلطاني كتب في الباب العالي بعزله ، وطلبه إلى الباب ، وما أخرنا ذلك الحكم إلا طمعاً في اعانته ، وتقوية للعسكر ، وتكثير السواد به ، فحيث لم يحصل منه غير الضرر للعسكر [وتفربق كلمتهم] ، لزم علينا اظهار ذلك وأمر باخراج حكم شريف سلطاني في كيس مهور ، بمر حضرة الوزير الأعظم ، محمد باشا خلد الله تعالى دولته ، وأيد وزارته ، عليه اسم عثمان باشا ، وسلمه إلى أحمد بك ، وقال له : اذهب بهذا الحكم إلى عثمان باشا ، واعطه له ، وقل له : ان كان مطيعاً لأمر السلطان نصره الله تعالى ، فليتوجه الآن ، ولا يقيم ساعة ، ويترك جميع العساكر السلطانية ، ولا يأخذ معه أحدا منهم . فمضى أحمد بك بالحكم اليه ، وسلمه بيده ، فامتثل الأمر الشريف في الحال ، وشد وطاقه ، وأظهر الفرح والسرور بذلك ، وعزم إلى زبيد ، ليتوجه منها إلى مكة ، ثم إلى الأبواب السلطانية ، وعاد أحمد بك إلى حضرة الوزير ، وأخبره بامتثال الأمر واطاعته وانه ارتحل ، وتمزق خدامه كل ممزق ، فطلب حضرة الوزير البكربكي السابق ، وهو حسن باشا ، وألبسه قفطاناً ، وأعادته إلى منصبه ، عوضاً عن عثمان باشا . وكانت الرعايا نافرة من حسن باشا ، حيث قرّب في أيام دولته (عوانياً) يقال له البسكري ، وولاه قضاء زبيد ، أيام الفتنة ، ومديده إلى أموال الرعية ، وصادرهم ، ولكن على يد المذكور بالظلم والجور ، لأن الضرورة حملته على ذلك ، للصرف على العسكر ، ولكن ما جعله حضرة الوزير بكربكياً إلا صورة كالصفر الحافظ للمرتبة ، ولم يمكنه من التصرف ، لما عرف أحواله وطباعه ، واستجاب الله تعالى دعاء

المظلومين، في حق البسكري ، فانقصف عود شبابه، وسيق إلى الحكم العدل، ليكون بين يديه حاصلُ جوابه ، ولا يفلح الظالمون (وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون) وقبل أن يهلك بالقوت ، ويفترسه سبع الموت ، كان حسن باشا قد ندم على تقديمه وتقريبه ، وقبض عليه وحبسه ، وصادره وبالغ في تأديبه ، ورد من مظالمه ما قدر عليه ، وتدارك بعض ما قدسه بين يديه ، وأضر ما على الرعية قرب الأشرار ، من الحكام والأخيار ، ويعود ضرره على الملك ، وعلى نفس الحكام ، ويخرب المملكة بعد العمار ، ولهم في الدنيا البوار ، وخراب الديار ، وفي الآخرة عذاب النار وبئس القرار .

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب الأردى فتدعى مع الردى
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي
وكثيراً ما يستشهد ظرفاء النشأة بهذه الأبيات :

عليك بأرباب الصدور فمن غدا مضافاً لأرباب الصدور تصدراً
واياك أن ترضى صحابة ناقص فتنحط قدراً عن علاك وتحقراً
فرفع أبو من ثم خفض مزمل تبين قولاً مغرباً ومحدراً

وقيل :

وجالس إذا جالست حراً فإنما يزين ، ويؤزى بالفتى قرناؤه

وقيل أيضاً :

طبع الفقى يسرق من طبع من يصحبه ، فانظر لمن تصحب
وكان حضرة الوزير بلغه بعض الأوضاع الردية ، عند اختلال الممالك
اليمنية ، في أيام حسن باشا ، فلما قرر اعادته الى البكر بكية طلبه ، وبالغ
في نصحه ، وبيّن له ما فيه خسارته من ربحه ، وقال له : انت تربية السراى
الشريف السلطاني ، وزبدة عبيد الباب الخاقاني ، وغيرك من عبيد السلطنة
تربية الأمراء من بعيد ، لم يتشرفوا بما فزت به من القرب الى ذلك المحل
السعيد ، كنت بمرأى من حضرة السلطان ومسمع ، تشاهد شمس أسرة

وجهه المشرق حين تطلع ، ليس لغيرك هذه المزية ، ولا بلغ كل احد الى هذه المرتبة العلية ، فقليل خطائك كثير ، وصغير عيبك قبيح كبير ، فالواجب عليك ان تتصف بالكمال ومن أكملها : لزوم جادة الاعتدال ، والتبري من الحيف والجور ، والفكر في العاقبة وبعد الغور ، والتنزه عن الظلم والعدوان ، والبعد عن التمدي على شيء من الحيوان ، فضلا عن بنى نوع الانسان ، وأكثر عليه تلاوة آيات هذه النصائح ، وعدد عليه ما في مخالفة ذلك من الشنايع والفضائح ، ولقد اسمع من كان ذا اذن واعية ، وشفق الاسماع بدرر النصائح الغالية ، ولعلها تكون كافية شافية ، ناجحة وافية ، ان شاء الله تعالى .

وأما عثمان باشا فبمجرد ما غاب عن محطة الوزير تأنى في السير وتثبط في المسير ، والرسل من حضرة الوزير تترى اليه ، تحته في العزم وتحض عليه ، ولا يزيد ذلك الا توانيا ، ولا يؤثر فيه الحث الا تأنيا وتراخيا ، إلى أن مكث الزمان المديد ، ثم وصل إلى زبيد ، فلم يمكن من الدخول اليها ، وضرب نخمه خلرج زبيد حواليا ، وصار يرغي ويذيد ، وينغور في الأفكار وينجد ، والرسل تتكرر بالوصول اليه ، وترد مكاتبات حضرة الوزير عليه ، فيها الأمر بالارتحال ، والتخويف من العاقبة والمآل ، وهو لا يلتفت الى ذلك .

وكان قد أرسل جاوش باشا الى الباب العالي ، لما افتتح تعز ثم اتبعه بجاوش آخر ، لما عزله حضرة الوزير ، وصار ينتظر ما يرد عليه الباب العالي ، ويسوف الرسل في الارتحال ، الى ان يصل اليه الجواب ، فلتطول المسافة لزم مكثه ، وزيادة تربصه ، ولبثه ، فجاء اليه الجواب ، يطلبه الى الباب ، وبولاية بهرام باشا ابن مصطفى باشا بكربكية اليمن فتعين على عثمان باشا حينئذ امتثال الاوامر السلطانية ، وتوجه الى الأبواب العلية ، فأخذ في أهبة السفر من البر ، وحمل اثقاله في الجلاب ، وأرسلها من البحر ، وشرع في الارتحال ، على ظهور الخيال والبغال والهجن والجمال ، بما خف من الأحمال .

وتوجه من زبيد الى جازان ، ثم الى مكة .

فلما وصل الى السعدية ، خرج لملاقاته مولانا شيخ الاسلام ، ناظر المسجد الحرام ، السيد القاضي حسين المالكي ، ومعه مولانا السيد حسين بن مولانا السيد حسن شريف مكة ، أيده الله تعالى وادام عزه ، ومعه عدة فرسان ، من اشرف بني حسن ، منهم السيد عرار بن عجل النموي ، وعدة أفراس من الترك نحو مائة فارس ، الى منزل ملكان ، يوم الخميس ثالث رمضان سنة سبع وسبعين وتسعمائة ، فوجدوا وطاق عثمان باشا منصوباً ، وهو على وصول ، فاستمروا على خيلهم إلى أن لاقوه ، وساروا معه الى مخيمه ، واستأنس بهم ، وشكى ما لاقى في اليمن ، من الاتعاب والمحن ، وحمد الله تعالى على خلاصه ، واخلع عليهم خلعاً عظيماً من السراسر ، والشيب ، وأقام يومه هناك ثم ارتحل ليلاً .

ودخل مكة ضحى يوم الجمعة رابع رمضان ، ودخل في موكب عظيم ، وزينة عظيمة ، وكان خيله نحو المائتين ، وجماله نحو الاربعمائة ، إلا انها منقطعة عجزت وضعفت ودخل من أسفل مكة وخرج من أعلاها الى وطاقه ، وكان منصوباً بالمعلاة ، ثم اختار النزول في (مدرسة قابتباي) فاخليت له ، وكان يتردد اليها ، ويتصدق كثيراً على الفقراء ، وأقام بمكة الى ان عيد بها ، وعمل سباطاً عظيماً في الحسينية بالمعلاة ، ووردت عليه الأعيان والأكابر أفواجا أفواجا .

وسافر يوم السبت ثامن شوال الى المدينة الشريفة ، وزار النبي ﷺ ، وتصدق بها كثيراً ، أظنه في بركة تلك الصدقات فان الصدقات تدفع البليات .

ثم عاد الى اليمن ، وتوجه الى مصر ، ثم الى الباب العالي ، وبذل هدايا عظيمة وسلم من العقاب ، واستمر ملازماً في الأبواب ، طالبا حسن المآب .



الفصل الثاني عشر

في ذكر أحوال حضرة الوزير بعد انفصال عثمان باشا عن حضرته

لما انتقل عثمان باشا الى السفر عن الخيم المنصور ، وانفرد حضرة الوزير في معسكره ، واستقل بالأمور ، واندفع عنه خشية تفريق الكلمة ، وعرفت المعسكر مرجعها في الأمور المعظمة ، شرع حضرة الوزير في تدبير المسير ، وجمع أمراء دولته يستعرض آراءهم ويستشير ، فاجمع آراؤهم علي البروز من تعز ، وضرب الوطاق المنصور في موضع يقال له القاعدة ، وهي على مرحلتين من تعز ، فقدم أمامه حسن باشا بجميع عسكر اليمن ، وعين نوبتجية في تعز ، وفي القاهرية ، وتوجه بمن معه من العسكر المنصور ، والجنود التي تموج موج البحور ، وهي تدك الأرض دكاً ، وتصك بعزمها قلل الجبال صكاً ، من كل بطل يزهدق عنده الباطل ، وباسل يهتز لخوفه العدو اذا هز أطراف الدوابل ارتحل عن تعز ، وقد جند الجنود والكتائب ، وعقد الأولوية والذوائب ، وزم الاحمال والركائب ، وجنب أمامه الخيول الجنائب ، واستمر الى ان وصل الى القاعدة ، في الرحلة الثانية ، وقد نصبت خيامه العالية ، وفرشت قبابه السامية ، وزينوها ورتبوها ، وسحبوا المدافع والمكاحل ونصبوها ، وكان وصوله اليها من تعز يوم السبت ، لثلاث بقين من ذي العقدة ، سنة ست وسبعين وتسعمائة ، وأقام بها أياماً ، ليختار طريقاً يسلك فيها الى صنعاء وأخذ الزيدية في سد الطرقات وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، فجعلوا

بعضها مخاضة بتسليط الانهار ، وبعضها وحلا بالمياه الجارية بالأراضي الرخوة من تلك الديار ، وسدوا بعض الشعاب بالصخور الكبار ، ودحرجوا الى بعض المسالك عظيم الأحجار ، وأخلوا تلك المسافة من القرى والخطار ، وتركوها قاعا صفصفا ، ومحاجر مملوءة بالصفاء، خالية من الصفاء، وهل يرد السيل العرم نسج العناكب ، أو يوقف الخيس العرمم نفس اذتاب الثعالب والأرانب .

فأقام حضرة الوزير في القاعدة ، وهو يسبر الطرقات ، وتعرض عليه المسالك والمسافات ، فتحرر عنده ثلاث طرقات واضحات ، يمكن السلوك فيها إلى تلك الجهات :

الطريق الأول : نقييل أحمر ، وهو فج بين جبال شواحق ، لا يطرق اليه لصعوبته طارق ، ولا يسمع فيه ناعق أو ناهق ، ذو هبوط وصعود ، وتهايم ونجود ، لا يأويه إلا القرود ، ولا يألفه غير الوحوش والأسود ، يصعب فيه سلوك المدافع والمكاحل ، ويثقل حملها فيه على الأعناق والكواهل ، فهو وإن كان قريبا ، لكنه لكثرة متاعبه بعيد ، وحيث كان ذلك الفج صعبا شديدا فافتحاه غير سديد .

الطريق الثانية : وادي سحبان تلتوي التواء الثعبان ، ويمج على سالكه من آفات مهالكه سموم الأفعوان ، كثير المخاضات والأوحال ، عسير سلوك الأحمال والأثقال ، يخوض فيها الفرس الى البطان والركاب ، في أثنائها هضاب تلامس ذروة السحاب ، وعقاب يقاسي سالكها العقاب، وثنايا ليست بالعذاب بل العذاب ، وهذه الطريق مثل الأولى في القرب ، وأكثر منها في الأتعاب، فيتعين العدول عنها والاجتناب .

الطريق الثالث : تسمى عندهم مَيْشَم ، أظنها بالمثلثة من وثم أي دق ، يقال : خف ميم أي شديد الوطء ، يثم الأرض ، أي يدقها ، وهي طريق مستطيبة ، فيها وعور وسهولة ، يخف على العسكر سلوكها وإن طالت ، وتسلك فيها المدافع وإن بعدت واستطالت ، ومع ذلك كانت سالمة من توغير

الزيدية لها بدحرجة الأشجار ، وسدّ مسالكها بتقليب الصخار ، من ذرى
الأطواد الكبار ، ولم يسلطوا عليها لتحويلها مياه الأنهار ، ولم يجعلوها
مخاضات يتوقف عن خوضها العسكر الجرار ، فانهم استبعدوا أن يختاروا
تلك الطريق ، وأن يعمدوا إلى ذلك المكان السحيق .

فصم حضرة الوزير على التوجه من ميثم ، وتم بذلك على أعداء الدين
ما تمّ ، ومن جملة سعد حضرة الوزير وقاله الحسن ، ورود البشير إليه بفتح
عدن ، فتمنّ بذلك المكان ، وظهر مرور المسلمين وزالت الأكدار والأحزان ،
والله المستعان وعليه التكلان .



الفصل الثالث عشر

في ذكر وصول بشارة فتح عدن ، وحمود ما توقد بها
من نيران الفتن

لما جهز حضرة الوزير لأخذ عدن من البحر ، الأمير خير الدين القبطان ،
وأخاه الأمير سنان ، ومن البر الأمير مامي ، مع جمع من الفرسان ، وطوائف
من الشجعان ، بقي خاطره العاطر ، متعلقاً بتلك العساكر ، وصار قلبه
الشريف مشغولاً بسماع أخبارهم من كل وارد وصادر .

وكان قاسم بن شويح مولى في عدن من قبل مطهر الأعرج ، فأظهر برأيه
المعوج ، شعار الزيدية وافتخر بذلك وتبهرج ، وخرج من الطريق المستقيم إلى
العوج ، فكرهته أهل عدن لأنهم شافعيون ، ثابتون على الكتاب والسنة
والسنة سننهم ، وشرع في بناء مدرسة باسم مطهر ، يدرس فيها بعض
الزيدية ذلك المذهب المنكر ، وكان عنده من الجبالية الزيدية ألف نفر ، منهم
أربعمائة حرّاب ، وستمئة بندقي ، ومع ذلك لم يطمئن بذلك الجمع ، وعرف
انه مأخوذ ، فالتجأ إلى الفرنج ، واستدعاهم إلى عدن ، فوصل منهم غراب
صغير ، فيه نحو عشرين إفرنجي ، ظن ان ذلك يسعده وينجي ، فأطلعهم إلى
القلعة ، وأراهم ما فيها من العدد والآلات والمنعة ، وأعطاهم المدافع العظام ،
ووافقهم على أن يعطيهم جهة البحر فيحمون البلد من الأروام ، ويكون البر

للزيدية وطائفتهم ، وجهة البحر للنصارى وشيعتهم ، ووافقهم الإفرنج على ذلك ، وتوجهوا ليأتوه بمسكر الإفرنج من ('كوه') وأرسل يُبَيِّنُ مطهراً بما فعل ، فاستحسن رأيه ، وشكره على ذلك وأكرمه ، وأعلى مقامه ، وعرف له حسن تدبيره في ذلك الرأي الذي بقي وصمة عليه وعلى ذويه إلى يوم القيامة ، خذل الله تعالى قاسم بن شويح ، ورد كيده في نحره ، وقلب عليه وعلى عسكره فساد فكره ، وأخذ الله تعالى أخذ عزيز مقتدر ، وأذاقه في الدنيا الهوان ، وفي الآخرة النكال ، فليعتبر بذلك كل معتبر .

فكان من قضاء الله وقدره أن خير الدين بك القبطان سبق إلى عدن ، فلما أشرف عليها رأى على بعد ، في وسط البحر عشرين شراعاً لعشرين غراباً من أغربة الإفرنج ، قاصدين عدن ، فلما تحقق القبطان ذلك ، توجه بأغربته اليهم وكانت اثني عشر غراباً ، ففهم الإفرنج أن هذه أغربة القبطان ، وكانوا قد علموا خبره ، فولوا هاربين ، وساق خلفهم يوماً كاملاً ، ففاتوه ، وخاف أن يتجوون في البحر فيفوته أخذ عدن ، ففكر راجعاً إلى عدن ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وهرب نصارى الفرقتال ، وأبقوا للزيديين الوبال والنكال ، وذلك من عجائب لطف الله بالمؤمنين ، وكال كرمه بعامه المسلمين ، فلو سبق الفرقتال اللعين ، ودخلوا حصن عدن الحصين ، لأعز الله الكفر ، وأذل الدين ، ويأبى الله إلا نصرة الدين المتين ، والله العزيز ولرسوله وللمؤمنين .

ذكر كيفية أخذ عدن من الزيديين ، وانهمزاهم بسيف المجاهدين

لما وصل الأمير خير الدين إلى ساحل عدن ، واستقر به ، ونزل مدافعه وتطلب مواضع الحوالة على قلعة عدن ، من جانب البحر ، كان منتظراً وصول العسكر من البر ، لتتم الاحاطة على عدن ، ففاجأتهم السناجق ، ولاحت لهم الأرماع والبيارق ، وإذ بالأمير ميمي ، ممن وصل من البر ، بعسكر نظيف ، وفرسان تحمل أبطالاً من العسكر السلطاني الشريف ، فأحاطوا بعدن من كل جانب ، وصاروا يقربون من أسوار عدن في ظلام الغياهب ، يتطلبون موضعاً يمكن أن ينصب فيه سلم التسلق ، ومصعداً يمكن الصعود منه ويليق ، فاذا بأسوارها أبعد من الثريا ، وطراز حصونها يستعير من الجوزاء حلياً ، كأن الغمامة لها عمامة ، والهلل من أظفر انملتها قلامة ، تناطح في العلو والشهوق ، قرني الشمس عند الشروق ، رتقوت الرعود والبروق ، فوت السها والعَيَوق ، لا ينفذ فيها سهام الحدان ، ولا يطمئ عذرة قلاعها إنس ولا جان ، ومن جملة الطائفين حول تلك القلاع ، والواقفين في يفاع تلك البقاع ، الرئيس شكر كد ، خدا ، المرحوم صفر بك ، قبطان اليمن ، فيما سبق من الزمن ، وهو متفكر في خرق يتسع ولو كجُحر اليربوع ، أو نفق يتوصل منه إلى تلك الربوع ، فنام في فكرته ، وطرق النوم أجفان مقلته ، فرأى في منامه السيد الشريف ، العارف بالله تعالى الشيخ أبا بكر العيدروس ، عليه رحمة الملك القدوس ، وهو من الأولياء ببلاد اليمن ، ومستقره في عدن ، مشهور بالكرامات الظاهرة ، والبركات الزاهية الباهرة ، كأنه أخذ بيده وأتى به إلى قلعة من قلاع عدن ، يقال لها (شمسان) ليس لها نظير في العلو إلا القمران ، وأراه مسلماً وقال

له : اطلع من ههنا ، تبلى ما أردت من المنى والهنا . فاستيقظ شكر ، وشكر هذا المنام ، وسمي راقياً من المنام ، وسمي راقياً من الهل الذي أشار إليه ذلك الهام ، واصتحب معه من الشجعان كل مقدام ، وصعد بسلام التسليق والناس نيام ، ووجد في (شمسان) ثلاثة من العربان ، قفل النوم اجفان عيونهم ، وضرب الوسن آذانهم وجفونهم ، فصاروا باستيلاء السبات ، من عداد أجساد الأموات ، فما استيقظوا الا وأخذتهم السيوف ، ونالتهم الحتوف ، وصرفتهم الصروف ، وتكامل الرجال ، وتصاعدت الأبطال ونصب السنجق السلطاني ، ورفع اللواء المنصور الخاقاني ، وكبر الجيش المؤيد العثماني ، وطلع شمس الفتح من ناحية (شمسان) ، وحل باعداء الدين الخزي والخذلان ، وفزع قاسم بن شويح الى حصانه ، وجال مع عصبته في ميدانه وقاتل مكانه بحسب إمكانه ، واذا بالفتح قد ترادف ايضاً من جانب البحر ، فإن الأمير خير الدين يجمع عسكره من جانب البحر ، والأمير ممي من جانب البر ، الهمو ان يهجموا على عدن ، من جميع نواحيها ، الهاما من الله تعالى ، وصموا وعزموا وحزموا وجزموا ، وكان بمساعدة إلهية ، وتأيدات ربانية ، صادف فيها التقدير الرباني ، نصره الجيش العثماني ، ودخل الى عدن من كل صوب العسكر السلطاني ، بالغلبة والقهر ، من جانب البر والبحر ، فلما رأى ابن شويح ذلك اخذته الحيرة والاضطراب ، وتحصن في دار خراب ، وصاح يطلب الامان ، ويستغيث فلا يفاث الا بالخبية والحرمان ، وحل به الهوان ، والبؤس ، والتجأت عربانه الى تربة الشيخ العيدروس ، وطلبوا الامان على مجرد النفوس ، فلما رأى الأمير خير الدين عجزهم عطف عليهم ، ومال بجنوه اليهم ، واعطاهم الامان ، ورفع عنهم السيف والسنان ، وجاؤوا اليه بquam بن شويح وولده وذويه ، ومن ينتمي اليه ويرغب فيه ، واذا بشخص منهم (فداوي) كمين ، تقدم ليقبل يد الأمير خير الدين ، فضربه بخنجر في بطنه ، فلم يصادف مقتله بطعنه ، الا انه جرح جراحة مشخنة ، وطعنه طعنة متقنة ، فتداركه خدامه وجذبه ، وهبوه بالسيوف وسحبوه ،

وتقدم الامير ميمى وقطع رأس قاسم بن شويح لاتهامه بهذه الخيانة ، و اراد قتل ولده وجميع اتباعه فمنعه الامير خير الدين عن ذلك ، وأمر مجبسهم ، وان لا يقتل احد من عسكر الزيديين ، وان يوضعوا في الأغرابة ، وان يستخدموا في المقاذيف ، واستمر يعالج نفسه الى ان برىء باذن الله تعالى ، وكان لا يخلو موضع في بدنه من جراحة لكثرة حروبه مع النصارى وأسر عندهم مرارا ، وهو يخلص كل مرة .

وكان فتح عدن هذه النوبة في يوم السبت المبارك ، لليلتين بقيتا من شهر ذي القعدة الحرام ، سنة ست وسبعين وتسعمائة ، وارسلو المبشر الى حضرة الوزير ، وهو في منزلة القاعدة، يبشرونه بفتح عدن ، و جهزوا معه ولدقاسم بن شويح، ورأس قاسم، ورؤوس اعيان جماعته المقتولين، بسيوف السلطنة القاهرة ومن معهم من أسارهم ، فوصل اليه الخبر السار ، وهو في غاية الترقب والانتظار ، وكان وصول خبر هذا الفتح المبارك الى حضرة الوزير المعظم ، في غرة شهر ذي الحجة الحرام ، وذلك بعد ثلاثة أيام ، من وقوع هذه الحادثة ، ثم ترادفت اليه وصول الاسارى والرؤوس ، ففرحت العسكر بذلك فرحاً عظيماً ، وزينوا لذلك بلد زبيد وتمز وسائر الممالك السلطانية ، وقوي جاش العسكر المنصور ، وانخذل العدو المنذول المكسور ، وساعد المقدور ، ودام لحضرة الوزير ومن معه الفرح والسرور ، والابتهاج والحبور ، والحمد لله الكريم الشكور ، العزيز الغفور .

عبدالله بن محمد بن شويح

الفصل الرابع عشر

في ذكر تعيين حضرة الوزير ، لنيابة عدن ، الامير حسن ،
وبعض العسكر ، وطلب الامير مامي ، والامير خير الدين ، وباقي
العسكر الى عنده ، وارسال خبر البشارة الى الباب العالي

لما قر عين حضرة الوزير بهذا الفتح والتأييد ، وقر عين المسلمين بما أنعم الله
به عليهم من النصر المشيد ، تعين عرض ذلك على الابواب السلطانية ،
والاعتاب الشريفة العثمانية ، فإن خواطر السلطنة الشريفة كانت في غاية
التوجه والاهتمام ، ولحضرة الشريفة رغبة عظيمة الى ذلك وميل تام ، وكان
ذلك خلاصة المقصود من إرسال هذا العسكر المنصور ، ولتب المراد من بذل
هذه الخزائن على الوجه المذكور ، فجهز لذلك من جاويشية الباب العالي علي
جاووش ، وعلى يده مكاتبات ، إلى من يمر عليه من حكام البلاد ، يبشرهم
بوصول المراد ، ليفرح المؤمنون بنصر الله ، ويضعوا بين يدي الله تعالى على
الارض لأداء الشكر حرّ الوجوه والجباه ؛ فوصل إلينا علي جاووش ، بمكة
في أواسط محرم الحرام ، سنة سبع وسبعين وتسعمائة ، وأخلع عليه سيدنا
ومولانا السيد الشريف ، أدام الله تعالى عزه الوريث ، وأمر بتزيين الحرمين
الشريفين ، لذلك ، وفرح أهل الحرمين فرحاً عظيماً ، وكذلك سائر أهل
المالك ، فزيّنت البلاد سبعة أيام ، والله الحمد على هذا اللطف والإنعام .

ثم عيّنَ حضرة الوزير إيالة عدن ، واضبطها وحفظها على الوجه الحسن ،
الأميرَ المعظم ، والليث المكرم ، والشجاع المفخم ، ولد اخته الأمير حسين
وعقد له لواء شريفاً سلطانياً ، وعلماً منيفاً خاقانياً ، وكتب معه نحو المائتين
من العسكر ، ورُقسي جميع العسكر الذين فتحوا عدن ، وأنعم عليهم بأنواع
اللطف والمنن ، واستدعاهم الى حضرته ، وشملهم بحسن عنايته ومرحمته ،
وولى قاضياً بمنشور سلطاني في عدن ، وأمره باجراء الاوامر الشرعية على
الوجه الامكن الاحسن ، فتوجهوا إلى تلك البلاد ، وبلغوا فيها المراد ،
وجعلوا مدرسة مطهر سباطة للقاذورات ، وكناسة تلقى فيها النجاسات ، وما
كملت بعد ، ولا قام جدرانها ، ولم تستقم حيطانها وأركانها .

والعجب ان حضرة الشيخ الكاشف ، المسلك العارف ، السيد العيدروس ،
نفع الله به ، وبأسلافه الكرام ، وأدخلنا في زميرتهم الى دار السلام ، مرّة
في عدن بالمدرسة هذه وقاسم بن شويح يحفر اساسها ، فقال للشيخ : كيف
ترى هذه المدرسة يا شيخ ؟! فقال : تؤخذ إذا وصلت الى الركبة . فما بلغت
الى ركبة الواقف حتى صارت من المزابيل ، وهكذا أساس كل باطل ، وما
مكن الله تعالى للباطل أساساً ولا عروقاً (ان الباطل كان زهوقاً) .



الفصل الخامس عشر

في ذكر توجه حضرة الوزير مع العسكر المنصور من طريق ميثم
الى صنعاء

كانت الزيدية تظن ان حضرة الوزير يختار سلوك طريق نقييل احمر ، أو طريق وادي سحبان ، لقربها إلى صنعاء ، وفكروا أن العسكر المنصور إذا صار وسط شعاب تلك الجبال ، سدوا المضيق الذي أمامه ، والمضيق الذي خلفه ، وتسلطوا على العسكر من قتل الجبال ، برمي الحجارة والصغار ، فلا يمكنهم أن يجولوا بخيلهم ، ولا يُعملوا المدافع والبنادق ، فيستأصلونهم على هذا الوجه ، كما فعلوا بالمرحوم مراد باشا في وادي خبان ، وصاروا مستعدين لذلك بألوف مؤلفة من العربان ، أعدوهم في رؤوس الجبال كالغربان ، فرد الله كيدهم في نحرهم ، وخاب فاسد رأيهم وفكرهم ، واختار حضرة الوزير طريق وادي ميثم ، وسلّكه بذلك الخميس العرمرم ، والجيش الغمطم ، لأنه وادي للخيل فيه مجال ، وللأبطال فيه جولان وأعمال ، تسلك فيه المدافع والمكاحل ، ويعمل فيه الراكب والراجل ، وهو وإن كان طويل المسافة ، فهو قليل الآفة والخفاة ، والسفر وإن طال فعمره قصير ، وإقدام الأقدام تطوي المسافات البعيدة طي الحصير ، وكان سلوك هذا الطريق رأياً سديداً من حضرة الوزير ، وفكراً ثاقباً لا يصل إليه رأي المشير والمستشير ، ولكن الله تعالى الهمة الصواب ، وعلمد في هذا الباب ما يعجز عنه أولو

الألباب ، فرحل حضرة الوزير من القاعدة يوم عرفة ، لتسع مضين من ذي الحجة ، وتبعه العسكر المنصور ، وزعق النفير فكان كيوم نفتح الصور ، فنزلوا ضحى في محل يقال له العليق ، ينتظرون وصول المدافع الكبار ، وُعدّها من البارود والأحجار ، فكانت الحجاج في يوم عرفة يضرعون إلى الله ، وحضرة الوزير مع ذلك العسكر الكبير متوجه إلى الجهاد في سبيل الله .

ثم رحلوا فساروا طول نهارهم وليلهم ، وسلكوا الطريق برجلهم وخيلهم ، وشمروا عن ساق الجد أطراف ذيلهم ، وتمنطقوا بالخزم في حطهم وشيلهم ، إلى أن أصبحوا في واد فسيح ، معتدل الهواء والريح ، واسع الاكناف ، متسع الأطراف ، فأقاموا فيه لعيد الأضحى ، وبكّر كل واحد إلى إقامة العيد به وأضحى ، واستكلت العساكر هنالك ، وحرسهم الله تعالى من الآفات والمهالك ، ثم رحلوا أول أيام التشريق ، وسلكوا جادة الطريق ، وكانت المدافع الكبار تعوقهم بعض التعويق ، فيتربصون إلى وصولها ، ويتوقفون حتى يشرفوا على حصولها ، فيحصل بسبب ذلك بعض المكث ، ويتعاقب لديهم الريث واللبث ، إلى أن وصلوا إلى محل يقال له مسجد القاعدة ، فنزلوا حوله وحلوا نادية وبقاعه ، وذلك في منتصف ذي الحجة من آخر السنة المذكورة ، وتبركوا هناك بمزار يزار ، وتربة لصحابي من الأنصار ، وهو جابر بن عبد الله الانصاري رضي الله عنه ، وهو من أصحاب رسول الله ﷺ وله مناقب ومآثر ، وبركة ظاهرة وفيض ظاهر ، وله أخبار ينقلها الأكابر كبراً عن كابر ، قال : في (مروج الذهب) قدم جابر بن عبد الله الشام ، ووفد على معاوية فحجب عنه ، ثم أذن له ، فقال : يا معاوية أما سمعت النبي ﷺ يقول : « من حَجَبَ ذا فاقة وحاجة حجبه الله يوم فاقته وحاجته » ؟ فغضب معاوية رضي الله عنه ، وقال له : وأنت سمعته يقول : « إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض » أفلا صبرت ؟ قال في النهاية : الأثرة بفتح الهمزة والثاء المثناة الاسم من أثر يؤثر ، إثارة إذا أعطى ، يريد

انه يستأثر بعمكم على بعض ، في نصيبه من الغنيمة والفيء فقال جابر :
ذكرتني يا معاوية ما أنسانيه الدهر ، فخرج من عنده ، وركب راحلته ،
وعاد إلى المدينة ، فتذكره معاوية فأرسل اليه بستائة دينار ذهباً ، فردّها
وكتب اليه يقول :

واني لأختار القنوع على الغنى إذا اجتمعا ، والماء بالبارد المحض
وأقضي على نفسي إذا الأمر نابني وفي الناس من يُقضى عليه ولا يقضي
وألبس أثواب الحياء وقد أرى مكان الغنى ان لا أهين به عرضي

قلت : وهذا ليس جابر بن عبد الله الانصاري ، أحد الكثيرين عن
رسول الله ﷺ ، وإن اشترك معه في اسمه واسم أبيه ونسبته ، فان ذلك
معمّر عاش أربعاً وتسعين سنة ، وتوفي سنة سبع وسبعين من الهجرة في أيام
الحجاج ، وأوصى أن لا يصلي عليه الحجاج ، وهذا صحابي أنصاري آخر ،
ذكره أبو الفتح اليعمري في السيرة النبوية فيمن ردّه النبي ﷺ يوم أحد لصغر
سنّه ، قال : وليس هو الذي يروى عنه الحديث ، وفي ذيل ابن فتحون
وبسنده إلى الامام ابي يوسف ، عن عثمان بن عبد الله بن يزيد بن حارثة ، عن
عمه عمر بن يزيد ، عن حارثة عن أبيه قال : استصغر رسول الله ﷺ يوم
أحد عبد الله بن عمر ، وزيد بن أرقم ، وأبا سعيد ، وجابر بن عبد الله ،
وليس بالذي يروى عنه الحديث ، وسعد بن حبنه حكاه الطبري عن ابن سعد.



الفصل السادس عشر

في ذكر محاربة وقعت مع بعض طوائف العربان الفواجر ، وانهزامهم
بين يدي أبطال العساكر

لما استقر استطراق العسكر المنصور من طريق مَيْثَم ، وعدلوا عن
طريق نقييل أحمر ، ووادي سَحْبَان ، خاب سعى الزيديين فيما عملوا في ذلك
المسلكين ، وذهب عملهم سدى فصاروا يتبعون العسكر المنصور من جانبيه ،
من رؤوس الجبال ، ويتراون لهم مثل الخيال ، ترهيباً وتخويفاً .

فلما نزل العسكر المنصور بقرب مسجد القاعة واستقروا بذلك المقام ،
وصاروا يلاحظون الأقوام من خلف وأمام ، وتراءت لهم بعض العربان
كالغربان ، ورموا بنادق وصاحوا صياح الثعلبان ، يظنون انهم يرهبون
بذلك عسكر السلطان ، ويتشكلون بأشكال القردة ومردة الشيطان ، يكاد
يفزع لذلك بعض الأطفال ، الأساورة الأبطال ، وانما تعدُّ الرجال تلك
الحركات والأفعال نوعاً من الخيال وضرباً من الخيال ، فتربصت العساكر
السلطانية ، وتصبرت عن المبادرة إلى القتال ، طمعاً في نزولهم إلى الوادي
من قلال تلك الجبال ، فيتمكن الفارس من الجولان ، ويُمكن عمل السيف
والسنان ، في الضرب والطعان ، فلما نزل بعضهم إلى سفح الجبل ، ودلام
الشيطان بجبل الغرور والحيل ، وصارت الأعادي في بطن الوادي ، طارت

اليهم الخيول زرافات ووحداناً ، وحملت عليهم أفراد من العسكر مشاة
وركاباً ، فما ثبتت الزيدية لمحة الا وتفرقوا ، وذهبوا شذر مذر وتمزقوا ،
ودُحرجت رؤوسهم ، وخذت أنفاسهم ونفوسهم ، وانهمز من نجا منهم إلى
قلل الجبال ، وتستروا بالصخار العظيمة في تلك الحال ، فصار لا يصل اليهم
الخيال ، ولا تنالهم المدافع والمكاحل الطوال ، فعادت تلك العساكر إلى
حضرة الوزير برؤوس القتلى ، ونثروها بين يديه فسحقا لها وخيبة وذلاً ،
وضربت طبول الأفراح ، ومرحت خيول المرح في ذلك المراح ، وباتوا ليلتهم
إلى الصباح ، ولاح لهم نجم السعادة من أفق الفلاح وأداروا من سلاف دم
الأعداء كؤوس الاغتباق والاصطباح ، وتهيأوا للمسير عند انشقاق الصبح
الصادق ، ونصب كل من الأمراء لواء الشريف السلطاني الذي هو في الخافقين
بالنصر خافق ، وركبت العساكر والأبطال كل جواد سابق ، يطير بركابه
إلى الهيجاء ويسابق .

ذكر افتراق الطريق من ميثم ، واختيار اطولها لسلوك الجيش المعظم

لما رحل العسكر المنصور ، في خدمة حضرة الوزير الدستور ، مقدار مرحلتين ، وقطعوا منزلتين ، نزلوا في ثامن عشر الحجة في واد فسيح ، يفوح فيه نثر الرند والشيخ ، يسمى ذلك الوادي حقيقة وادي الميثم ، ويطلق ذلك الاسم على جميع الطريق مجازاً من باب اطلاق اسم الجزء على الكل ، ومنه تفترق الطريق إلى طريق كله مزارع ، بين جبلين مستطيلين ، وطربق بعيد فيه دورات ولفئات ، وينتهي الطريقان إلى (حصن التّعكر) وكان الطريق القريب كله أوحال وأطيان ، يفرق فيه الفرس إلى الركاب والبطان ، والبعير إلى قرب فخذه والماشي إلى نصف قامة الانسان ، وقد أطلقت الزيدية المياه في ذلك الطريق القريب لتزداد فيه الأوحال ، وترصدوا في قلل الجبال ، لأن يرموا على العسكر السلطاني بالأحجار والمقاليع من تلك الجبال ، ليحصل عليهم الوهن والانفعال ، ويعوقهم عن المجال في تلك المجال ، فاختر حضرة الوزير المعظم ، ورأى برأيه السيد أن يسلك بالعسكر من الطريق البعيد ، لخلوه من الأوحال ، وخلوصه من كثرة الجبال الطوال ، والقلاع العوال ، وامكان جولان الخيل فيه بالأبطال من الرجال ، فلما اختار حضرة الوزير سلوك هذا الطريق الطويل للمسير وسلك فيه مع ذلك الجيش الكبير ، وزمت الاحمال للترحال ، وزعق النفير وقد شق الفجر عموده ، وهزم جند الليل جيوش الصباح وجنوده ، ونثرت الانجم دراهمها لما بدت ألوية الصبح وبنوده ، حصل في ذلك الميدان ، تمقّب من أهل الطّغيان ، باؤوا فيه بالخزى والخسران ، ونصر الله تعالى جنود أهل الايمان ، على حزب الشيطان ، كما نذكره بأوضح بيان إن شاء الله الرحمن .

الفصل السابع عشر

في ذكر مقابلة ومقاتلة ومجاردة ، ومجادلة من الفئة الباطلة

كان من عادة الوزير المعظم في مسيره ارخاء العنان في الزام الجند بالتحفظ في المواضع التي لا خوف بها من العدو ، فيتقدم من أراد التقدم ، ويتأخر من أراد التأخر ، وتبقى بعض الاحمال في المنزل الأول الى أن تعود لها الجمال من المنزل وتحملها الى المحطة ، وانما يفعل ذلك رفقا بالعسكر لطول الطريق ، وهلاك أكثر الجمال ، بطول الترحال ، وثقل الأحمال ، فلما رحلوا من هذا المنزل صباح يوم الجمعة ، لعشر ليال بقين من ذي الحجة سنة ست وسبعين وتسعمائة التفت حضرة الوزير المعظم فرأى المنزل الذي رحلوا منه فيه احمال كثيرة ، من البارود والنفط والزردخانة ، ورأى نحو مائتي فارس راجل من العسكر المنصور ، تخلفوا لحفظ تلك الاحمال ، وكان مع حضرة الوزير المعظم نحو خمسين فارساً ، فتوقف هو ومن معه عن المسير ، رفقا بمن تخلف ، وقد سار جميع العسكر المنصور وزلف ، واذا قد تحدر من الجبل عربان كالجراد المنتشر ، وملؤوا الوادي بسحاب من الجيش منهمر ، يوازي سوادهم في التخمين عشرة آلاف مقاتل ، ما بين فارس وراجل ، ومبندق ونابل ، دلام الشيطان بفرور ، فقصدوا من تخلف بالمنزل من العسكر المنصور ، فتحركت من الوزير المعظم غيرة الغضب ، واشتعل لاعج الحمية في جأشه والتهب ، وأراد أن يحمل بشرذمته القليلة ، على تلك الجيوش الهائلة الثقيلة ، فمنعه من

حوله من الأعيان ، والزموه بالثبات تحت سنجق السلطان وكان معهم ثلاث ضربانات تخلفت عن المدافع الكبار ، فحشيت بالبارود ، واطلق فيها النار ، ورمى به أولئك الفجار ، فأصاب ما أصاب من القوم الأشرار ، وحملت الفرسان على عسكر الشيطان ، وأديرت كؤوس الضرب والطعان في ذلك الميدان ، ودارت رحى الحرب أى دوران ، فطحنت العربان طحناً ، ودهكتهم بالسيوف والرماح ضرباً وطعناً ، واستمر القتال والجلاد ، والحرب والجهاد بغاية الجد والاجتهاد ، من شروق الشمس الى زوالها ، ومن أول النهار الى ان احرقت الشمس الوجوه باشتعالها ، فكانما أورت الجحيم لورود أولئك الفجار نارها واوصلت بوصول أولئك الأشرار شرارها ، وأورت لهم من زند حصباء جهنم اوارها وكاد الباسل يخب ، والباطل يحسن ، وحضرة الوزير قوي الجنان روى الايمان ، صاف يقينه ، واف اعتقاده ودينه ، وشاف نصحه ، كاف نجحه ، مسفر لعين الاسلام صبحه ، مسرف في قلب الملاحدة جرحه ، متوكل على ربه في نصره دينه متوسل اليه في تأييده وتمكينه ، بوجه كلعع البرق في ضيائه ، وصدر كمتن العضب في مضائه ، الى ان اشرق جبين النصر واسفر ، وولى الباطل وادبر ، وانهزمت جيوش الأباطيل ، واخذت البنادق ترميهم بمجارة من سجيل ، وهزم هذا العسكر القليل الوفا مؤلفة من ذلك الجبل ، وولوا ادبارهم هاربين الى الجبال والفلا ، وكم من فئة قليلة غلبة فئة كثيرة باذن الله .

وكان حضرة الوزير قبل أن تحمى حومة القتال ، أرسل جماعة من الرجال الابطال ، كمنوا ببنادقهم في الجبال ، كيلا تنسحب طائفة من أولئك العربان ، فيلحقوا من تقدم من عساكر السلطان ، فتفجأهم الأعراب بالإرعاب ، وتوقعهم في التخيل والاضطراب ، وكان ذلك رأياً سديداً ، وفكراً حسناً سعيداً ، فان العربان لما انكسروا أرادوا أن يعودوا وأن يسلكوا من ذلك الجبل الى من تقدم من العسكر السلطاني ، فبادرهم الكين بالبنادق ، فهربوا ثانياً ناكسين

على أعقابهم ، والسيوف نازلة على أرقابهم ، إلى أن قتل منهم من لا يحصى ،
وسيق منهم إلى الجحيم أعداد كالحصى ، ونصر الله الاسلام ، وارغم أنف
الباطل بالرغام ، والله الحمد على جزيل الانعام .

ذكر من استشهد في هذا الحرب

كان كدوك فرهاد الكاشف بمصر من الشجعان المدودة ، والفرسان الذين
أيديهم لم تزل إلى الأعداء والاصدقاء ممدودة ، طالما باشر كل بؤس عبوس ،
وقتل وقطع الرؤوس ، مشهور بالشجاعة والنجدة ، معروف بالبأس له
والحدة ، قتل في ذلك الميدان ، عدة من العربان ، وا قدم على نقيب كبير
من نقباء العرب ، وعمه بالسيف والضرب ، ونزل عن فرسه ليقطع رأسه ،
فأصابته بندقية أخذت أنفاسه ، فتوافق هو والنقيب في الحمام واتفقا، ولكنها
على طريق الجنة والنار افترقا ، فارتوى فرهاد الشهيد بماء النعم ، وصلي
النقيب البليد بنار الجحيم ، فمضى فرهاد حميدا ، وشهد مقامه في الجنة شهيدا،
وعاش رغيداً ، وقضى سعيداً .

واستشهد نحو العشرة أنفار من العسكر ، ومضوا كرماء المحشر ، ندماء
الكوثر ، حلفاء الذكر الجميل عظماء المفخر .

وأما من قتل بسيف الحق من جنود الفجار ، وسيقوا إلى جهنم وبئس
القرار ، فلا يدخلون تحت الحساب ، ولا يضبطهم دفتر ولا كتاب ، وهل
يعتني احد بعد الكلاب أو الذئاب ، وهل يمكن حصر البعوض أو الذباب ،
أو يحصي حاسب عدد الرمل والحصى والتراب ؟ .

ذكر انعام حضرة الوزير على من حضر من العسكر والتوجه الى أخذ حصن التعكر

لما شاهد حضرة الوزير ما فعله هذا العسكر القليل ، من الإقدام والشجاعة والتهويل ، قوي قلبه بهم فقوى قلوبهم بمزيد الانعام ، وألان لهم القول وبسط لهم الكلام ، وعاملهم باللطف والاكرام ، فرقى جميع الحاضرين معه في ذلك المقام كل واحد عثمانيا في علوفته ، بالانعام العام ، غير ما وهب لاكابرهم واعيانهم ، وفرسانهم وشجعانهم ، من الخيول المسومة والسيوف المسقطة المطعمة ، والخلع الفاخرة المعظمة ، واقام بقية ذلك اليوم في ذلك المنزل ، واستراح هو ومن معه ، وارتقوا من ذلك المنهل . وركبوا ظهر البيداء في ظلام الليل ، والمحدروا للمسير المحدار السيل ، ولحقوا بالعسكر المنصور السلطاني ، وادركوا الجيش المؤيد الخاقاني ، واقر الله بنصرتهم العميون ، وسكنت القلوب وحسنت في الله الظنون ، والله تعالى يقول في محكم كتابه المصون : (وان جندنا لهم الغالبون) ثم ارتحل حضرة الوزير مع العسكر المنصور ، من المحل المذكور ، وساروا مرحلة الى ان ضرب وطاقه العالي ، ورواقه السامي المتعالي ، مع الامراء والاعالي ، في محل بين جبلة وحصن التعكر ، واقام هنالك لتدبير الممالك والعسكر ، وقد حفت ركائبه جنود النصر والاقبال ، وتطأطأت للثم تراب اقدامه جباه الاقبال ، واحدقت باطناب خيمه الكماة والابطال .



الفصل الثامن عشر

في اطاعة اهل جبلة وافتتاح حصن التعكر ؛ واستسلام
أولئك القبائل ، واخذ قلعة بجرانة وهدمها بالمعاول

لما استقر مخيم الوزير المعظم فيما بين جبلة وحصن التعكر ، انقسمت العربان
قسمين : فبعضهم اختار طلب الامان والانقياد والاذعان ، واقبل على الوزير
داخلا تحت اذيال لطفه ، واستمطر سحائب فضله وعطفه ، واتى بالرهائن
الموثوقة ، واكد الايمان والعهود الوثيقة ، فقابله الوزير بالقبول ، وشمله بنظره
الكريم اكرم شمول ، والبسه العمايم والتشارييف ، وخلع على كل واحد منهم
بما يليق به من التشريف ، واعطاهم الامان على اولادهم وطمنهم على اموالهم
وبلادهم ، ونادى بين اولئك العربان ببناء الأمن والأمان ، ومنع المساكر والجنود
من الظلم والغشم على الرعية ، واقام من جانبه في الاسواق والطرقات رجالا
من (اليساقجية) وامر ان لا يأخذ واحد من العسكر شيئا من الرعية الا
بأوفى الاثمان ، ولا يتناول عسكري متاعا من السوق الا بعد دفع الثمن اذا
رضي المتبايعان ، ومن خالف وظلم ، وتعدى وغشم ، وضرب ضرباً وبيلا ،
وحبس حبساً طويلاً ، ومنهم من يقصى ويحجب ، وبنار الغضب يصلي ويصلب ،
فاطاعت أهل جبلة وبعض عربان النواحي ، واطمأنت تلك الجوانب والضواحي .

وأما أهل الفساد من عصاة تلك البلاد فاجتمعوا في حصن التعكر ، وحالفوا

المفسدين ، وخالفوا العسكر ، وظنوا انهم مانعتهم حصونهم ، وصار الى قلة
جبل التعكر ركونهم ، فحط حضرة الوزير محطته المنصورة على جبل التعكر ،
واحاط به من كل مدخل ومعبر ، واذا به من أعلى الجبال تنقطع دونه مطامع
الآمال ، ولا يصل الى ذروته الامن علت همته من الرجال ، وكان في أرجائه
ثلاثة أبراج متهدمة على جبال شاهقة ، تصلح ان تكون حوالة على حصن
التعكر فأنفذ اليها حضرة الوزير بالليل رجالاً أبطالا ، ومدافع كبار ثقالا ،
وامرهم ان يرموا على أهل التعكر من هناك ، ليمنعهم عن يقاتلهم من اسفل
الحصن ، وأمر بالأخشاب الطوال فجيء بها وعمل منها سلام ، وتعلق فيها
الرجال والابطال ، صاعدين الى نحو العدو ، واشتغل العدو عن مدافعهم ،
بما ادهام من المدافع التي نصبت عليهم من تلك الأبراج المتهدمة ، فشاهدوا
الموت عيانا ، وعلموا انهم مأخوذون ، فطلبوا الأمان على أنفسهم ، فأشارت
الامراء الى حضرة الوزير ، بعدم قبول ضراعتهم ، واستئصالهم وقطع جادرتهم
فغلبت مراحم حضرة الوزير عليهم ، واعطاهم الأمان ، وكف عنهم القتال ،
وأرسل من خواصه من تسلم باب الحصن ، وأمر باخراجهم واحدا بعد واحد
بدون سلاح ولا متاع ، واطلقهم ليمضوا أين شاؤوا ، وهذا كمال المرحمة
واللطف بهم ، وقل ان يفعل ذلك غيره ، خصوصا بعد الاستيلاء التام ،
ولكن مقصده جميل ، في ابقاء حياة النفوس ، ونيته جميلة مع الله تعالى ،
وافعاله مشكورة عند الله وعند الناس .

وكان هذا الفتح المبارك في يوم السبت ، السادس والعشرين من ذي الحجة
سنة ست وسبعين وتسعمائة .

وكانت مدة الحصار خمسة ايام ، والحمد لله على هذه الفتوحات العظام ، وله
الشكر على انتصار عساكر الاسلام ، وانهزام الملاحدة والعصاة واللثام .

ثم ان حضرة الوزير عين في قلعة التعكر (دزدارا) و(نوبتجيه) وحصنها
بالمدافع والسلاح والذخيرة وتوجه لفتح بلاد إدريس الأعور ، لتنظيف تلك

الطرقات من العصاة والبغاة ، ويكمل انتظام الرعية تحت ظلال الحضرة السلطانية ، بغاية الأمن والرفاهية .

وقاعدة بلاد ادريس الأعور قلعة بجرانة .

وكان وقع من ادريس المذكور خيانة في العسكر السلطاني فإن حضرة الوزير لما نزل (القاعدة) في أول بروزه من (تعيز) أرسل قريبا من مائة وخمسين (تفكجيا) لأخذ (قلعة بجرانة) فلما قربوا اليها التجأ هو بلطف الله بن مطهر ، واتي من عنده بعسكر ، فوافوا العسكر السلطاني ليلا ، وهم غارون آمنون ببعض القرى ، في الطريق فهجم عليهم ، وقتل منهم نحو الخمسين ، وفر الباقيون ، واسند هذه الفعلة الى ولد مطهر المذكور ، ولكنه كان بموافقته فكانت هذه ضغينة في قلب العسكر له ، مع ما وقع منه في ايام الفتنة من اطاعة الزيديين ، والقيام باجراء أحكامهم .

فأرسل حضرة الوزير الى (قلعة بجرانة) من يحيط بها ويقتل من وجد بها ففر ادريس الأعور ، وجميع اتباعه ، وتركوا (بجرانة) على ضواحيها خاوية على عروشها ، فدخلها العسكر السلطاني ، في افتتاح محرم الحرام سنة سبع وسبعين وتسعمائة ، واستبشر حضرة الوزير بهذا الفتح الواقع في أول العام وتفاءل الناس أن يكون جميع السنة تتواتر له أنواع الفتوحات والإنعام ، ولما كانت (قلعة بجرانة) قليلة الجدوى عديدة النفع ، مع احتمال ضرر العدوى ، أمر حضرة الوزير بهدمها ونقض اركانها ، وقلع اساسها وجدرانها ، فتركت قاعا صفصفا ، ومر عليها نسيم الخراب والعفاء ، كأن لم يكن بهاديئار ، ولم يمر بها مار ، وصارت البوم تأوى اليها ، والعناكب تسدى فيها ، والطيور تعشش عليها ، وكذلك ديار الظالمين خراب ، لا يسكنها غير البوم والغراب .



الفصل التاسع عشر

في ارسال عبد الله الداعي لأخذ (حصن خدد) وتعرض ولد مطهر له وانكساره ونصره الداعي وأخذة للبلد

كان (حصن خدد) من الحصون المحكمة وقد جعلها مطهر في أيام الفتنة لولده لطف الله ، لا لطف الله به .

وكان عبد الله الداعي له اليد البيضاء في معاضدة العساكر السلطانية ، مقبلاً على ذلك بقلبه ويده واتباعه ، فوقف لدى حضرة الوزير ، وعرض عليه انه يريد اداء خدمة يظهر بها مصادقته للسلطنة الشريفة ، وقال له : انا عندي من (الدعاة) نحو الأربعمائة مقاتل ، وأريد ان ترسلوني الى (جبل الحبيش) و(حصن خدد) لاخذهما بسماحتكم واعانتكم ؛ فاستحسن حضرة الوزير كلمته ، وقبل خدمته ، وخصه بالمنائح ، وتلا عليه آيات من النصائح ، خصوصاً من متعلقات الحرب والتكمين ، وما يتعلق فيه من الحزم والرأي والتمكين ، وعدم الخفة ، ولزوم الثبات عند الصدمة ، الى غير ذلك من آداب القتال ، وما أورده الرجال من ذلك في الامثال ، وعقد له لواء شريفاً من الوية السلطان ، وضم اليه العربان الذين طلبوا الأمان لما افتتحت (قلعة تعز) فانعم عليهم بالجوامك السلطانية ، وصاروا من الجند اهل العلوفة ، اختار منهم مائة رجل وكتبهم معه ، فصار معه خمسمائة مقاتل ، وتوجه بهم مستعيناً بالله تعالى الى (جبل الحبيش) .

فلما سمع لطف الله بن مطهر بذلك ابرق وأرعد ، وأرغى وأزبد ، وقال :
ما يقاتلنا الا عبد الله الداعي ؟ وكيف تحركت له هذه الدواعي ، سنذيقه حر
السيوف الصوارم ، ونضرب منه القفا واللهازم ، وسنأخذنه اسيرا ، ونعيده
الى الحبس ليلا حقيرا .

فلما بلغ الداعي كلام ذلك الولد، زأر زأرة الاسد، ونفخ الشوارب واللبد،
وهدد الوالد وما ولد وأنشد شعراً :

لأَجْرٍ دَنِّ العُضْبِ أَوْ قَظِ حَدِّهِ مِنْ جَفْنِهِ ، مِنْ بَعْدِ طُولِ مَنَامِ
حَقِّ قَبِيدِ قَبَائِلِ قَبَائِلِ وَيَعِضُ كُلِّ مَثْقَفِ بِالْهَامِ
وَيَقْمُنَ رَبَاتِ الخُدُورِ حَوَاسِرَ يَمَسْحَنَ عَرُضَ ذَوَائِبِ الأَيْتَامِ

وتوجه من فوره الى أخذود (خدد) ورتب جيشه للجلاد ، وأبدى ما
عنده للجلد ، وكان معه زهاء خمسمائة مقاتل ، أربعمائة منهم يُعتمد عليهم في
أمثال هذه المداخل ، ومائة ليس له عليهم اعتماد ، بل يتوهم منهم الفدر
والفساد ، وقابله ولد مطهر بألفي رجل من خاصة عسكر أبيه ، يختار كل
منهم لمثل هذا اليوم وينتقيه ، فثبت عبد الله الداعي ، وشكرت منه المساعي ،
وجعل الأربعمائة نفر الذين يعتمدون حوله ، عن يمينه ويساره ، وأمامه وخلفه ،
وقدم المائة الذين يتوهم منهم ، وجعلهم مقدمة عسكره ، فاذا بالمائة المذكورين
بمجرد أن لاقوا مقدمة جيش ولد مطهر ، انحازوا اليهم ، وصاروا من حزب
ولد مطهر ، وخانوا ، فأرسلهم ولد مطهر الى والده ، فعتبهم على تسليم
(القاهرية) ، وطلب الأمان من حضرة الوزير ، وقبول العلوقة منه ، فاعتذروا
اليه بأعذار فما قبلها ، فصاروا مردودين عنده وعند الله وعند الناس ، وما
اكتسبوا غير سواد الوجه والخزي والانعكاس ، وصار كل واحد منهم يُعدُّ
خائناً سفيهاً ، وذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً .

واستمر يقاتل عبد الله الداعي ومن معه من جنده ، ويضرب هامة الإلحاد
بقائم حدِّه ، ويشبعهم طعناً وضرباً ، ويضايقهم نكالا وحرباً ، الى أن زهق

الباطل وولى مدبرا ، وهرب الزيديون وولوا دبرا ، والرماح والسيوف تعمل في أقيمتهم وهم مدبرون ، فيتصور من وقعها صور الحواجب والعيون ، وهو ينشد في تلك الغضون ، بيت :

خرقنا بأطراف القنا في ظهورهم عيوناً لها وقع السيوف حواجب
وما وقف ولد مطهر إلا على أبيه ، لأن يصونه من الداعي ويحميه ،
وذهبت عساكره شذر مذر ، وتفرقوا بيد الاصائل والبكر ، فلما ولوا فرارا
وأدبروا إدباراً ، أخذ عبد الله الداعي (قلعة خدد) و (جبل الحبيش) ،
وتمكن فيها بما عنده من الجيش ، وأرسل الى حضرة الوزير يخبره بما افتتح ،
وما من الله تعالى به من جزيل المنح ، واستشاره فيما يفعل بقلعة (خدد)
وما فيها من الآلات والعُدُد ، فرأى حضرة الوزير أن يهدم أركانها ، وينقض
جدرانها ، ويقلع سيسانها ، ويخرب بنيانها ، لأن صونها لا يخلو عن الإشكال ،
لاحتياجها الى جند أبطال ، يصونونها عن الاختلال ، والاحتياج الى الرجال
أكثر من حفظ قلعة من تلك الجبال ، فلم يجد بدأ من نقض اسوارها ، وفض
سوارها ، وتعفية آثارها ، وتطفية نارها .

فأرسل إلى الداعي يأمره بذلك ، وأن يعفى من آثارها المسالك ، فسمع
غناء المعاول في مغانيها ، وتليت سورة الزلزلة على أسوار مبانيها ، ومسحتها
المساحي ، وناح الصدى في أطراف تلك النواحي ، وسقتها السواني ، وعفتها
العواني .

ورجع الداعي إلى حضرة الوزير مظفراً منصوراً ، وكان سعيه في هذه
الواقعة مشكوراً ، ويمينه صادقاً مبروراً ، فافرج على كاهله خلعة فاخرة ،
وحمدت أياديه الزاهرة ، وشكرت أفعاله الباهرة ، وفاز بأنواع الترتي
والانعام ، ونال من مطلبه أقصى مرام ، وصار مذكوراً في السنة الخاص
والعام ، وعرفت مرتبته العلية بين اولئك الأقوام ، وحاز مجدداً لا يبلى بين
الأنام ، على اختلاف الليالي والأيام .

وكان انهزام ولد مطهر في ثالث محرم الحرام سنة سبع وسبعين وتسعمائة .

الفصل العشرون

في توجه حضرة الوزير الى فتح (إب) و (بعدان) وحصن (هران)
وما وقع في ذلك من اعمال السيف والسنان

لما قضى حضرة الوزير أرباً من حصن (مُخَدَد) ، وانهزم العدو وسكن
وبرد ، عاد الى أخذ إب ، وهي بلدة ذات بيوت عوالي ، تطاول في
ارتفاع بنائها السمر العوالي ، وهي واقعة في ذيل جبل (بعدان) جبل ذروته
السمك والنسران ، لا يعلوه الا النيران ، ولا يسمو قلته الا القمران ، وفي
سفحه واد فسيح ، ذو هواء صحبج ، وعرف يعرف منه الرند والشيخ ،
يدخل اليه من مضيق ، كأنه عنق ابريق ، محفوف بزهر الشقيق ، مفروش
بفرش العقيق ، يحوي جنة عالية ، فطوفها دائية ، يسمى ذلك الوادي
(الشبكة) لأنها كالشبكة ، أشجارها مشتبكة وأزهارها محتبكة ، وانهارها
مرتبكة فضرب الوزير نخيمه بذلك الوادي ، وملاً بعسكره المنصور ذلك
النادي ، ووجه الى الاعادي اسوده العوادي ، وجنوده العوادي ، قد برزت
الفئة الباطلة والعصبة المتحاملة الخاملة ان يأخذوا المضيق على العسكر المنصور ،
ويركبوا عليهم جبل (بعدان) بالأحجار والصخور ، فلا يجد العسكر
السلطاني مجالاً للقتال ، وينفذ زادم في طول المجال ، فيتم لهم ما تصوروه
من الخيال المحال .

فركب ولد مطهر ، الذي هرب من الداعي ، وابن عمه محمد ابن شمس
الدين ، وعلي بن شويح ، وأمدهم مطهر بما قدر عليه من الجنود ، وعقد لهم

الألوية والبنود ، فكان سوادهم عشرين ألفاً أو يزيدون ، وركبوا الصهوات والمتون ، وأقبلوا إلى مقصدهم يَزفون ، وأرسلوا إلى العربان الذين دخلوا تحت الطاعة ، وشملهم الأمان بالدخول في سلك السنة والجماعة ، يفرونهم بتزويق الكلام ، ويفسدون عليهم ما تم لهم من الانتظام ، فقالوا لهم : نحن لا نطلب منكم أن تقاتلوا معنا ، ولا تكشفوا وجهكم بمخالفة الأروام اقامة وظعنا ، بل إذا رأيتمونا غالبين ، وصار الأروام منهزمين ، أبرزوا المكتوم ، واقتلوا المهزوم ، واكشفوا المُنْظا ، ولا تبغوا منهم رهطاً ، وان انهزمتنا فانتهم على أمانكم باقون ، ومعهم كما كنتم ملاقون .

ثم عطفوا بالليل على (إب) واخلوها من الرعية ، ووضعوا فيها الف رام بالبندقية ، وصعد باقيهم جبل (بعدات) وسد بعضهم طريق المضيق بفرسان حافلة من العربان ، وشرعوا في ايقاد النيران ، والرمي بالمقالع والصوان .

فلما شاهد حضرة الوزير ، ذلك الجمع الكثير ، والتجاؤهم بذلك الجبل الكبير ، توجه بنفسه النفيسة الى قتالهم ، ولم يبال باعتصامهم بجبالهم ، ولا تشبثهم بواهي خيالهم ، ولا تصورهم باطل خيالهم ، ووجه عليهم البندقيات . وكان يوم عاشورا المبارك ، لعشر ليال مضين من محرم الحرام ، سنة سبع وسبعين وتسعمائة .

فلما رأى العسكر توجه حضرة الوزير إلى القتال ، وبروزه وركوبه إلى أولئك الجهال ، توجهوا بأجمعهم بالأحجار والنبال ، والمدافع الثقال ، ورموا أعداءهم عن قوس واحد ، وهجموا كالأسود والأسود ، على أولئك الملاحد ، واستمر القتال من أول النهار إلى آخره ، وكل جفن السيف من مفارقة بواتره ، وحجز الليل بين الفريقين ، وستر الظلام سواد كل واحد من الرفيقين ، وكل منها على حذر شديد ، وفزع يشيب منه الوليد ، ودخان البارود قد طبق الجو ظلاماً ، وألبس الليل الحالك جلباباً يزداد به اظلاماً ، لا ينيره

غير خفق البرق من فتايل البنادق ، فيضيء به الأفق كما يضيء بلع البارق ،
ويحذرون من الموت فيجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق ، ويتبع ذلك
صوت رعد هائل ، ترتعد منه الأركان والمهاجر ، وتذوب له القلوب والحناجر ،
حتى صمّت بها الآذان ، وصمّت لها صوت داعي الأذان ، إلى أن تقنع الليل
رداء الصباح ، وابتسم الدجي عن ثغر الأقاح ، ونادى منادى الصفاح : حي
على الرماح ، مكان حي الفلاح ، واستمرت نار الحرب تشب وتضطرم ،
وفوارس الهيجاء تضطرب وتصطدم ، ومتون الصفاح تصافح الأعناق وتلتطم ،
وما زال بينهم حملات وركضات ، وضربات ونفضات ، ولجند الاسلام في كل
دفعة من العدو قلايع ، ولأهل الألحاد في كل كرة على الأرض مصارع ،
والعساكر المنصورة ظاهرون ، وبالمراد ظافرون .

واستشهد جماعة من الشجعان ، استحلوا طعام الطعام ، وشاقهم جنا
الجنان ، فمضوا بالروح والريحان ، رغمرتهم الرحمة والغفران ، وقتل كثير من
أهل الألحاد ، يعجز أن يعدّهم العاد ، إلى أن قتل منهم نقيب كبير ، كان
يذكر باقدام كثير ، يقال له (أبو النصر) أصيب بسوط القهر ، وانكب
على اليدين والنحر ، وصار إلى السعير ، وبش المصير ، فهرب لذلك الزيديون ،
وأنحازوا إلى جبل (بمدان) وأخلوا بلدة (إب) فدخلها عسكر السلطان ،
وحازوا ذلك المكان ، وباءت الفئة الباغية بالخسران ، فكان فتحاً يعقبه
الفتوحات ، ونصرة يفوح بها من جانب الحق نفحات .

وكان الفتح المبارك في يوم عاشورا ، عاشر محرم الحرام ، سنة سبع
وسبعين وتسعمائة .

ورجع حضرة الوزير إلى محطته ، والآراء تزاومت بفكرته ، ليقطع دابر
الطائفة الفاجرة ، ويقطع أشلاءهم بالسيوف الباترة ، فأجمع رأي الشريف ،
وصمم حزمه المنيف ، أن يطلع بعسكره الى جبل (بمدان) ، ويهجم على
حزب الشيطان ، ولم يفكر فيما بيدهم من البنادق والأحجار ، ولم يبالي بمديدهم

الكامنين خلف الصخار ، واختار ستة آلاف مقاتل ، وأعطى حسن باشا ألف بطل يدحسون الباطل ، ونادى في العسكر أن لا يتخلف أحد في المذكورين ، عن الصعود من الجبل الى الزيديين ، وبين لهم ست طرق إلى محطتهم بين الصخار ، وأمرهم أن يصعدوا إلى أولئك الفجار ، واختار هو طريقا منها ، وسلكتها وما نكب عنها ، وسبق العسكر اليهم ، ومال بأسنته عليهم ، فلما رأى العسكر هذا الإقدام من حضرة الوزير ، وشاهدوا جرأته في الجبل كأنه يطير ، تسابقوا إلى الصعود ، وساعدهم اليمن والسعود ، ولم تصدق تلك الفئة الباغية الفاجرة ، أن يقدم العسكر هذا الإقدام ، ويبادر أحدهم هذه المبادرة ، فرموا أول طلق بما معهم من البنادق ، وأطلقوا ما قدروا عليه من الضربزانات الصواعق ، فسلم الله تعالى من كتب له طول الحياة ، وذهب إلى الله تعالى من قدر له الشهادة في الممات ، ووصل العسكر في الأثر ، وكبسوا الملاحدة بالسيوف والخنجر ، واعتنقت الكماة الأبطال ، وأذاقت الرجال جند الظلال شديد النكال ، واعملوا السيف فصرح بالكلم وما ورئى ، وروئى السهم كبس قوسه الحرئى ، فتزلزل الأعداء وارتابوا وارتاعوا ، وراموا الثبات فما استطاعوا ، وولوا هاربين ، وصاروا كالقردة طافرين ، والعساكر المنصورة ظافرين ، وتركوا خيمهم ومراحهم ، وأزوادهم وسلاحهم ، وانتشر الأتراك لنيل الغنيمة ، وانهمزت الزيدية أشنع هزيمة ، فتمت مرحلتهم ، وعمت مقتلهم ، وتثلثت الصفاح ، وتحطمت الرماح ، وأخذ لواء محمد بن شمس الدين ولبوساته ، ومزاميره وكوساته ، وهرب بمفرده ، وسلم تجملاته بيده ، ونجا ابن شويح ، على جرائد الخيل ، وما كاد أن ينجو ، ولا بلغ في ضميره ما يرجو ، وأدرك ولد مطهر فرمى درعه وخوذته ، وسلاحه وجعبته ، ثم نزل عن فرسه ، وعدا على رجله ، ثم خلع ثيابه ونضاها ، ونبذ صحيفته ورماتها ؛ بيت :

ألقي الصحيفة كي يخفف ثقله والثوب حتى نعله القاهما

وكان الذي يطرد وراءه يلتهي باخذ ما يلقاه ، ويطرح ما يشناه ، فلما لم يبق شيء يلقيه خلع سراويله ، وولى دبره متخذاً سبيله ، وكشف استه القبيح ، وهو يسيح ويصيح ، في تلك القفار الفيح ، الى ان لقيه خادم له بحصان ، فركب متنه وارخى العنان ، ونجى من حد السيف والسنان ، وقد ركبه من الخزي ألوان ، ورجع الذي طرد وراءه بسلاحه وسراويله وردائه ، يفرج عليها العسكر ، ويتحدثون عنه بأن هذا دأبه إذا ولى وأدبر ، وهذا أعجب ما يروى عنه ويؤثر ، ويتحدث عنه في الحقب ويذكر .

والذي قطع من رؤوس الأعداء ستمائة رأس ، حصرها اليراع والقرطاس ، غير المجروحين من المهزومين ، ومن لا يلتفت إلى ضبطه من المقتولين ، وملك جبل (بعدان) وأخذ (حصن هران) في يوم واحد والله المستعان .
وكانت هذه الواقعة في ثاني عشر محرم سنة سبع وسبعين وتسعمائة .



الفصل الحادي والعشرون

في انعام حضرة الوزير على العسكر بالترقي في العلوة ،
والانعام من ماله بما يليق بكل واحد منهم

لما حصلت النصره للعسكر المنصور السلطاني ، وانكسر جيش الباطل من
الجند الشيطاني ، بتدبير حضرة الوزير ، وإقدامه ، ورأيه المضيء المنير ، حمد
الله سبحانه وتعالى على نعمه ، وتضرع اليه شكراً لبعض إحسانه وكرمه ،
واعترف بأنه عاجز في ذاته ، مقصر في آرائه وأدواته ، وان ذلك كله
بتقدير العزيز العليم ، وان النصر بيد الله يؤتية من يشاء من عباده ، والله ذو
الفضل العظيم .

وتأمل ما قاساه رجال العسكر ، من معاناة البرد والحر ، ومقاساة الحرب
والضرب في البحر والبر ، وبذلهم للأرواح والنفوس ، واستلذاذهم طعم الموت
في قيام الناموس ، واستهانتهم في حب سلطانهم ببذل الأموال والرؤوس ،
علم انهم مستحقون لجزيل الإكرام ، ومتأهلون لجميل الفضل والإنعام العام ،
فرقتى كل واحد من العسكر عثمانيين في علوفته ، وعين له في تذكركه ، زيادة
في الإدرات السلطانية ، والجوامك الشريفة العثمانية ، يأكلها طول عمره ،
ويشيد بها مباني فخره ، وأخرج ذلك من زوائد الخزائن السلطانية ، التي
حصلها هو ، زيادة على من قبله من (البكربكية) بحيث لم ينقص بذلك شيء
من الخزائن الشريفة العامرة ، بل يزيد فائضها مستمرة دائمة .

ووجه ذلك ان المال كان يحمل من محصول اليمن كل عام ، الى خزانة
حضرة سلطان الاسلام ، في أيام مصطفى باشا قره شاهين ، إلى أن أخذت
مملكة اليمن في الاختلال والتوهين ، خمسون ألف دينار ذهباً جديداً ، من
ثم البهار المحمول من اليمن إلى مصر ، برسم الخزانة الشريفة العامرة ، فضبط
على هذا الوجه أعواماً وسنين متواترة ، وقد تضاعف ذلك في أيام حضرة
الوزير ، إلى أن وصل إلى مئتي ألف ذهب جديد من الدنانير ، وذلك فضل
كثير ، ومال كبير ، ولا يزال إلى النمو والتكثير ، بإذن الله القدير .

وما اكتفى حضرة الوزير بهذا الانعام العام ، والاحسان
الجزيل التام ، حتى أضاف إلى ذلك من نفس ماله ألوفاً من الدنانير ،
قسمها بين هذا الجيش الكثير ، عم بها الكبير والصغير ، والمأمور والأمير ،
فجعل لكل نفس ما بين مائة دينار ، إلى خمسين وعشرة ، بحسب المرتبة
والمقدار ، إلى دينارين لكل رأس ، من آحاد الناس ، فرضي عنه الجميع ،
وشكروا فضله الواسع ، وعرفوا لطفه البديع ، وبذلوا له الادعية الصالحة ،
ونثرو عليه لآلئ الأثنية الفاتحة ، وازدادوا فيه محبة وودادا ، وصدقوا
في اخلاصه مودة واعتقادا ، فكان كما قيل ، من احكم قيل ، (بيت :)

يسقط الطير حيث يلتقط الحـب وتُغشي منازل الكرماء

ومما عكس على (مطهر) مراده ، ونفر عنه اجناده ، بخله الشديد ، وتقديره
الذي ما عليه مزيد ، فانه يحسب على جواريه بيض الدجاج ، ولا يأخذ غير
الدجاجة البياضة في الخراج ، ويجمع نوى التمر عنده في الجربان والخراج ،
ولم تسمع له هبة جلت أو قلت ، ولا نقل عنه حديث صلة في محلها أو غير
محلها حلت (شعر) :

إذا ملك لم يكن ذا هبته فدعه فدولته ذاهبه

فكيف بن لا يكون ملكاً ولا ابن ملك ، ولا هو في سلك ادنى الملوك
منسلك ، بل هو عاص من العصاة ، خرج عن الأمر وشق عصاة .

ولقد سمعت انه ورد عليه في أيام هدنته ، وأوقات سلمه واطاعته ،
جاوش عظيم بخلمة معظمة سلطانية ، فانعم عليه بخمسين ديناراً ، فلما وقف
أهل طبله وزمره على الجاوش ، بذل لهم الخمسين ديناراً ، فلما ارتحل الجاوش
من عنده جمع الطبالين والزمارين ، واستعاد منهم الخمسين ديناراً ، وأعادها
الى خزينته .

وهذا أقوى ما يكون في السفالة ، والشح المفرط والرزالة ، ولكنه يجمع
هذه الكنوز للغير ، وهو بالنسبة اليها خازن لا غير (شعر) .

إذا المال لم ينفعك إلا بخزنه فبره بلاد الله مالك ، والبحر

وقيل ايضاً

مالك للحادثات نهبٌ أو للذي حازه وراثه
أولك ان تفنه عطاءً فلا تكن أعجز الثلاثة

واصل هذا اثر وارد عن ابي الدرداء ، أو عن علي رضي الله عنها وهو :
مالك إمّا لك ، أو للحاجة ، أو للوراثه ، فلا تكن أعجز الثلاثة .

ونظمه بعضهم فقال :

اسعد بمالك في الحياة فإنما يبقى وراءك مُصلح أو مُفسدٌ
فإذا تركت لمفسد لم يُبقه وأخو الصلاح قليله يتزيد
فان استطعت فكن لنفسك وارثاً ان المورث نفسه لمُسدّد



الفصل الثاني والعشرون

في تعيين محمود بك الكردي وبرويز بك لمحاصرة (حصن حب)
واعانتها من المال والعسكر بما لزم ووجب

قد تقدم بيان (حصن حب) وحصانته وكيف أخذها محمود باشا من
النظاري ، وهو قاعدة مملكة (بعدان) ومرجع تلك الأراضي والبلدان .
وكان علي بن شرف الدين في (حصن ذمرمر) فحسن له مطهر أن يستقل
بحصن (حب) ويتحصن فيه ويكون حاكماً على (بعدان) ونواحيه ،
وقصد مطهر أن يخلو له (حصن ذمرمر) ويبعد عنه أخوه علي في (بعدان)
وكان أخذها أيام الفتنة ، واستقل بها .

فلما أخذ حضرة الوزير مملكة (بعدان) بقي علي محصوراً في حصن
(حب) وكان أخذ حصن حب لا يخلو عن صعوبة ، والأهم أخذ (ذمار)
و (صنعاء) ولا يمكن إخلاء (بعدان) ، والتوجه إلى أخذ (ذمار)
و (صنعاء) لأن علياً ينزل من (حصن حب) ويستعيد أخذ مملكة
(بعدان) ويضيع تعب العسكر السلطاني سدى .

فرأى حضرة الوزير أن يعين أميرين من الأمراء ، معروفين بالنجدة والبأس
ويأمرهما بمحاصرة (حصن حب) ويتوجه هو إلى افتتاح باقي البلاد ، ثم
يوخذ (حصن حب) على طول ، فمیں لذلك محمود بك الكردي ، وكان كاشفاً

في مصر ، شجاعاً مقداماً معروفاً بالجرأة والفتك ، فأعطاه سنجقاً سلطانياً .
وصحبه معه إلى فتح اليمن ، والثاني برويز بك وهو من أمراء السناجق
قديماً بمالك اليمن ، وله شجاعة معروفة ، واقدام واهتمام ، وشهرة بين عربان
تلك النواحي ، وعنده كرم نفس ، وولي أمير الحاج اليمني ، وله معرفة
بالحروب ، وناصيته سعيدة .

وكان عند علي بن شرف الدين في (حصن حب) نحو السبعمائة نفر من
المحافظين فأمر حضرة الوزير الأميرين الكبيرين أن يأخذوا نحو مائتي فارس
ويحاصروا (حصن حب) ويحفظوا إلباً ، و (جبلة) و (هران) وسائر
مملكة (بعدان) وهي مملكة واسعة كثيرة الخير ، فايضة المير ، وقد دخل
غالب عربانها تحت الطاعة إلا أنهم لم يعتمد عليهم بمد ، فظاھرم الاطاعة ،
ما دامت القوة للعساكر السلطانية والاستطاعة ، وإلا رجعوا في ساعة
وخانوا الجماعة ، وتسببوا للخوف والمجاعة .

فتقدم الأميران المذكوران لهذه الخدمة ، وأوصاهما الوزير بكيفية الحصار ،
بعد أن دار بنفسه حول (حصن حب) ورأى مخالسا ومداخلها ، ولاحظ
أعالها وأسافلها ، وامرهما بما ينبغي مراعاته في أمر الحصار ، وأعطاهما من
المال والمنال القدر الذي يحتاج إليه ، ومن المدافع والمكاحل ما يلزم ويعول
عليه ، وكان في مملكة (بعدان) بقرب (حصن حب) قلعتان ليس فيهما
كبير فائدة ، بل يحتمل حصول الضرر منها ، وهما قلعة (قند) وقلعة
(المدورة) فأمر بهدمها فهدهما إلى الأرض ، وتركا خراباً يباباً ، وضرب
الأميران مضاربها وأوطاقها ورواقها تحت (حصن حب) واستمرا على ما
أمر به من المحاصرة والمحافظة ، ووادعها حضرة الوزير ، وتوجه هو وباقي
العسكر السلطاني المنصور إلى المسير ، لافتتاح باقي أعالي مملكة اليمن ،
مصحوباً بالنصر والتأييد ، من الله العزيز الحميد ، محفوفاً بالعزيز المشيد
والمجد المزيد .

الفصل الثالث والعشرون

في توجه حضرة الوزير الى بلدة (ذمار) واخذها من الغزاة الفجّار

لما فرغ حضرة الوزير من أخذ مملكة (بعدان) والأمر بمحاصرة (حصن حب) لزم من ذلك تربصه أياماً ، إلى أن فرغ من هذه المصالح .

ثم توجه إلى (ذمار) في تاسع عشر محرم الحرام سنة سبع وسبعين وتسعمائة ، ونزل مع الجيش والأمراء ، وباقي الأعيان والكبراء ، في موضع يقال له (وادي سهيل) متيمناً بتسهيل الأمور ، وسهولة الطريق إلى المقصد الميسور ، ان شاء الله تعالى ، وأقاموا فيه اليوم المكمل عشرين .

ورحلوا منه في اليوم الحادي والعشرين من محرم الحرام ، ونزلوا في ذيل (نقيل سمار) وهو واد فسيح ، يحيط به جبال شاهقان من أعالي جبال اليمن ، يتصل طرفاهما ، وبينهما الطريق في غاية الوعورة ، ولولا ان الله تعالى القي الذعر والخوف في قلوب أولئك الطائفة الباغية لوقفوا في فجاج هذين الجبلين ، ومنعوا من الصعود اليهما ، والسلوك فيما بينهما ، ولكنهم لما شاهدوا وقعة جبل (بعدان) ذابت قلوبهم من الذعر والخشية ، وعلوا انهم لا طاقة لهم بالجيش المنصور ، وليس لهم ثبات جنان ولا أركان ، على الوجه المشروح المذكور ، فأخلوا الطرقات كلها من صحيحهم ومريضهم ، واجتمعوا على مطهر في صنعاء بقضهم وقضيضهم ، فسلك العسكر السلطاني (نقيل سمار) في غاية الأمن من الأخطار ، وطرقوه على مهل ، من غير مزاحمة ولا عجل .

وأقام حضرة اوزير يوماً كاملاً في أسفل الوادي ، حتى زلف الجيش جميعه كالأسود العوادي ، وخرجوا من المضيق إلى أعلى (سمار) ونزلوا في سطحه ، وقطعوا تلك الأوعار ، ووجدوا في رأس ذلك (الدريند) قلعة في غاية الاستحكام ، والثبات ، ترمي مدافعها إلى سائر الجهات ، وتحفظ الطريق بالمكاحل والضربونات ، فعين فيها حضر الوزير دزداراً ، ونوبتجيه ، وحصنها ببعض المدافع ، وأودع عندهم السلاح التام ، وآلات الحرب والبارود ذو الطعام ، وغير ذلك مما يحتاج اليه .

ثم ارتحل إلى (وادي يريم) فيه ماء جاري ومرعى كثير ، وهو محل لطيف جداً ، فأقاموا فيه ستة أيام ، لأن المدافع الكبار ، كانت تخلفت في (نقيل سمار) ، فأقاموا الى وصلت واستراحت دوابهم ، وكانت فيه قلعة تسمى (الدوران) رأى حضرة الوزير أن لا فائدة من إبقائها، فهدمت حجراً حجراً ، ولم يبقوا لها أثراً .

وفي هذه الاثناء وصل أهل (ذمار) لاستقبال حضرة الوزير ، وبذلوا الطاعة ، وأتوا بأبقار كثيرة ، ذبحوها إكراماً للعسكر المنصور ، وتقسم بعض العسكر لحومها ، وقابلهم حضرة الوزير بحسن القبول ، وشملهم بالنظر الكريم أحسن شمول .

وهي بلدة كثيرة الفواكه ، طيبة الماء والهواء ، من أحسن بلدان الجبال ، فيها قلعة محكمة ، وبساتين معظمة .

ثم انتقل حضرة الوزير ، والعسكر المنصور ، إلى فضاء في فناء (ذمار) وجعل في قلعتها (دزداراً) ونوبتجيه ، وأمن أهل (ذمار) وأحسن اليهم ، وبلغه ان مطهراً في (صنعاء) فأراد حضرة الوزير أن يركب ، ويركب معه من أبطال العسكر جماعة ، على جرائد الخيل ، ويتوجه الى (صنعاء) على وجه الابتدار ، جريدة يطردون بالليل والنهار .

الفصل الرابع والعشرون

في توجه حضرة الوزير الى أخذ (صنعاء)

وهروب مطهر وفويه الى (جبل ثلا)

لما بلغ حضرة الوزير ان مطهراً حط خارج (صنعاء) ، وحوله أعوانه وأحفاده ، وأقاربه وأولاده ، خطر بباله أن ينتقي ألف فارس ، ويركب معهم على جرائد الخيل ، فيقطع مسافة ستة أيام من (ذمار) الى (صنعاء) في يوم وليلة ، ويكبس على مطهر في محطته ، فبينما هو في هذا الفكر ، وهو متهيئ الى أخذ أهفته ، إذ بلغ مطهراً هذا الخبر من الجواسيس ، فهرب في ليلته ، مع جميع حلتته وأهل محطته ، ونسائه وعبيده ، وكهله ووليدته ، وطارقه وتليده ، وطلع الى (جبل ثلا) وتحصن بها ، وترك لهم الدار والديار ، وأخذ معه أعيان أهل صنعاء من الكبار والصغار .

وفي ثاني يوم رحيله ، وصل خبر هروبه الى حضرة الوزير ، فرجع عن ذلك التدبير ، وأخذ في أهبة المسير ، وارتحل مع العسكر السلطاني ، والجيش المظفر الخاقاني ، من (ذمار) فوصل بعد ثالث مرحلة ، الى محل يقال له (ذراع الكلب) ، وعَثْرُ صَعْب ، في غاية الوعورة ، والشدة^٥ والذعورة ، وهو (دَرَبَنْد) بين جبلين شاهقين هما مأوى المفسدين ، وقطاع الطرق من الزيديين ، فرتب حضرة الوزير هناك مُقَدِّمَةً وساقية ، وجعل على

اليمن والشمال من يحفظ السبيل ، ورُستاقه ، وعين في كل موضع ما يليق ، ورتب فجاج الطريق ، بالرأي الوثيق ، والفكر العميق ، وانقطع ذلك اليوم كثير من الجمال ، وسقط في الطريق كثير من الاحمال ، وتعب فيه العسكر تعباً شديداً ، ولاقوا نصباً زائداً عديداً ، وسلمهم الله تعالى ، وله الحمد على لطفه ، الذي تواتر وتوالى ، وتأيدته الذي انزل اليهم أمداداً إمداده ارسالا ، وبعد المرحلة الثالثة من ذراع الكلب وصل حضرة الوزير ، وجميع العسكر المنصور الى (صنعاء) في يوم الاثنين المبارك حادي عشر شهر صفر الخير سنة سبع وسبعين وتسعمائة .

وصنعاء مدينة كثيرة الخيرات ، متصلة العمارات ، ليس في بلاد اليمن أقدم عهداً ، ولا اكبر قطراً منها ، قال في الروض المعطار ، في خبر الاقطار : الذي اسس غمدان وابتدأ بنيانه ، واحتقر بثره الذي هو اليوم سقاية لمسجد جامع صنعاء ، سام بن نوح عليه السلام ، لأنه سار يطلب موضعاً معتدل الحر والبرد فلم يجد اعدل من هذا الموضع ، في صحة الهواء ، ورأى الشمس تسامتها في السنة مرتين ، في ثماني درجات من الثور ، وثلاث وعشرين من الأسد ، فاتخذها بلداً ، وسكنها ، وهي قاعدة بلاد اليمن ، ينزل بها ملوك اليمن قاطبة وهي على نهر صغير يأتي اليها من جبل في شهاها فيمر بها نازلاً الى مدينة (ذمار) .

وذكر محمد بن اسحق ، في خبر سيف بن ذي يزن ، من ادواء ملوك اليمن أنه وفد على كسرى يستنصره على الحبشة المتغلبين على اليمن ، وان كسرى جهز معه ثمانمائة رجل واستعمل عليهم (وهرز) وخرج في ثمان سفائن غرقت منها سفينتان ، ووصل منها ست سفائن الى عدن ، فجمع سيف من استطاع من قومه ومعه (وهرز) وتصافوا مع مسروق بن ابرهة ملك الحبشة فرماه (وهرز) بسهم فلم يخطئه ، وانهمزمت جموع الحبشة واقبل (وهرز) ليدخل صنعاء حتى إذا اتى بابها رآه لا تدخل منه الراية اللامنكسة ، فأمر يهدم الباب ، فهدم ، ثم دخل ناصباً رايته ، قال : وتعمل بصنعاء الخبرات من القطن لا تعمل في غيرها ، والاردية الملمعة في أحسن الوشي ، قال : وصنعا

لا تمطر الا في حزيران وتموز وآب، وبعض ايلول ، ولا تمطر الا بعد الزوال ،
فيلقى الرجل صاحبه نصف النهار والسماء مصحية ، فيقول : عجل قبل نزول
المطر . لأنهم قد علموا انه لا بد من المطر في ذلك الوقت .

ولما ظهر الأسود العنسي الكذاب بصنعاء بعث رسول الله ﷺ في أمره
رجلا من الأزدي أو من خزاعة ، فنزل على (داذويه) الأبنوي ، فأخفاه
عنده ، فتحرك في قتل الأسود (داذويه) وفيروز الديلمي ، وكانت زوجته
قد أبغضته ، إذ كان قد تزوجها قسراً ، فوعدتهم موعداً ، وقد سقته الخمر ،
حتى سكر فسقط نائماً ، فدخل عليه فيروز ونفر ، فوجدوه على فراشٍ عظيم
من ريش ، فقطعوا رأسه ورُمي به الى أتباعه ، فانفضوا عنه ، وألقي عليهم
الحزبي والذل ، وأتى الخبر الى النبي ﷺ في مرضه الذي توفي فيه فقال عليه
الصلاة والسلام - وذكر الاسود : « قتلَهُ الرجل الصالح فيروز وداذويه »
إلى آخر ما ذكر من قصته .

وصنعاء كثيرة البساتين ، كثيرة الفواكه ، بعيدة عن الجبال ، في صحصح
من الأرض ، عليها سور دائر قديم ، فاقتتحتها حضرة الوزير ، فعادت كما كانت
من الممالك المحروسة العثمانية ، والأمصار المصونة السلطانية ، وخطب باسم
حضرة السلطان الأعظم ، سلطان سلاطين العالم ، سليم خان بن سليمان خان ،
نصره الله تعالى وخلص ملكه ، وجعل بساط البسيطة ملكه ، وصارت محطة
العسكر المنصور على باب صنعاء ، وكانوا كل قليل يغير منهم طائفة على جماعة
(مطهر) في قراه ممن لم يدخل تحت الطاعة السلطانية .



الفصل الخامس والمشرون

في ارسال سرية على (قطران) وتخريب حصنه المدعو خولان

كان (قطران) من أكبر نقباء مطهر، وله عسكر وقدرة وقوة، وكان يمشي قدامه سبعمائة بندقاني، وحوله غيرهم ما ينوف عن ألف مقاتل، بحيث يكون مجموع جنده ألفي نفر، وهو كثير الفساد، شديد الاذى للعساكر السلطانية، يتعقبهم، وينفرد بمن انفرد منهم، ويقطع الطريق على الميرة المجلوبة اليهم، الى غير ذلك من الحركات المعكوسة. وبيد (قطران) المذكور كثير من نواحي صنعاء، وله حصن حصين، وموضع متحكم متين، يقال له (خولان) في غاية الإحكام والإتقان، هو مقر شياطينه، ومستقر ملاعينه، ووقع الاتفاق بينه وبين مطهر أن العسكر السلطاني إذا توجه مع حضرة الوزير الى ناحية (ثلا) يكون (قطران) هذا في عقبهم، يقطع الطريق على القوافل، وعلى الميرة الواصلة الى المحطة من الاطراف والجهات والمنازل، فيضيق على العسكر السلطاني أمر الزاد والعليق، ويضطربون لذلك ويقعون في الضنك والضيق، مع كبسه أحياناً على صنعاء، ومن تخلف بها وبغيرها في الحصون والقلاع، وإرعاب من أقامه حضرة الوزير في تلك البقاع والاصقاع، هذا كان مقصد (قطران) ومطهر، ووقع اتفاقها على ذلك، فاطلع حضرة الوزير على هذه الاتفاقات الفاسدة، والآراء المظلمة الكاسدة، فتوجه برأيه المنير، وضميره الثاقب المستنير، إلى دفع هذا الفاسد، وقطع مادة هذا المفسد المعاند، وعين لذلك الأمير (تمّي) أحد السناجق الشجعان، وواحد الفروسية

وأوحى الفرسان، وعين معه طائفة من الأبطال ، وشرذمة من صناديد الرجال، أهل الضرب والطمان ، والسيف والسنان، فتوجه الأمير (ممي) هو وأبطاله، وأتباعه ورجاله ، الى حصن خولان ، وقد تحصن به (قطران) ، وهو حصن في غاية الإحكام ، مستحکم نهاية الاستحكام ، وأمامه خندق عميق، يمنع من يريد اليه الطريق ، وهو مشحون بالبنادق والمكاحل ، والمطاعم والمآكل ، فقصد الأمير (ممي) المهجوم عليهم في الحال، والدخول عليهم بالرجال والأبطال، فنفضوهم نفضة واحدة من الحصن بالبنادق والمكاحل ، ومنعوم من الوصول الى داخل ، فسقط من العسكر احد وعشرون رجلاً ، قضى الله تعالى لهم بالشهادة ، وختم لهم بالخير والسعادة ، فمضوا الى الجنان ، واستقبلتهم الحور والولدان ، وغشيهن العفو والرضوان .

ثم اعد لهم العسكر السلطاني المدافع ، وضربوهم بالنيران والمقالع ، فأوا انهم لا يطيقون المقام ، ولا يثبتون على الموت الزؤام ، فخرجوا من الحصن مظهرين انهم يريدون القتال ، ففرحت بهم الرجال الابطال ، وفسحوا لهم ميدانا يمكن فيه المجال ، واذا بهم هربوا في الجبال ، وتركوا الحصن بما فيه من السلاح والفلال ، فتعقبهم بعض الفرسان ، وادركوا منهم بعضهم، وقتلوا منهم من امكنهم ، وفر الباقون الى جبل (ثلا) ورجعوا الى مطهر بالخرزي والبلا .

وعاد الامير (ممي) الى حصن خولان ، فوجده مشحونا بالسلاح والطعام، والفلال، فقسم ذلك بين العسكر، وهدم الحصن حجراً بعد حجر، الى ان قلع اسامه واطفا نبراسه، واخذ انفاسه ، وتركه قاعاً من القيमान، لا يججبه بناء ولا جدران ، وصار يقال : كان في هذا المكان ، حصن يقال له خولان .

وعاد الامير (ممي) الى حضرة الوزير مظفرا منصوراً ، فائزاً بالغنيمة من الاعداء فرحاً مسروراً، فالبسه حضرة الوزير خلعة فاخرة ، وشمله بنظرة الكريم وعنايته الزاهرة .

وكان الفتح المبارك في مستهل شهر ربيع الاول سنة سبع وسبعين وتسعمائة

الفصل السادس والعشرون

في اغارة حسن باشا على (وادي السر) ووضع السيف
في طوايف العدو المنكسر

من جملة الحصون التي بقرب صنعاء (حصن ذمرمر) وهو للطف الله بن مطهر ، وحوله قرى كثيرة في واد عظيم يقال له (وادي السر) فيها خلق كثير من غلاة الزيدية ، اتباع مطهر لا يحصل منهم غير الضرر، وقطع الطريق على القوافل ، فعين حضرة الوزير طائفة من المسكر السلطاني ، وأمر عليهم حسن باشا ، وأمره ان يغير على القرى ، وينهب ما يجد فيها من الغلال ، والنساء والرجال، والولدان والأطفال ، وأمره ان لا يقتل احداً منهم ، بل يستأسرهم ، ويضعهم مع (الكوركجية) يسحبون المقاذيف في البحر ، مع الاحتياج العظيم الى (الكوركجية) وكان من طبعه الكريم ان لا يريد اراقة الدماء ، وما عهدمنه القتل لمن استحق ذلك الا قليلا جدا، بل يدفع بالتي هي احسن ، هذا دأبه دائما من أول أمره الى الآخر ، وهذا من محاسن الخصال ، ومن أحسن الشيم الفواضل .

وقد جرت عادة الله تعالى في الملوك والأمراء (والبكربكية) ، وغيرهم ان السفاك لا يعمر، وورد في الاثر: بشر القاتل بالقتل ولو بعد حين. وملاحظة احوال الملوك السلاطين ، يغنى عن ذكرهم وعدم للحاذق الفطين .

فامتثل حسن باشا أمر حضرة الوزير بالسمع والطاعة ، وبذل في ذلك مقدور الجهد والاستطاعة ، وأغار مع الذين عينهم حضرة الوزير ، على (وادي السر) واسر من وجد فيها من النساء والرجال ، والولدان والأطفال ، والحبوب الغلال ، ولم يقتل منهم الا من باشر القتال ، فقتل في الحرب والجدال ، فاغتم غنيمة متوافرة ، وحصل الأموال الوافرة المتكاثرة ، فحمل منها ما أمكنه حمله ، وترك ما أجهده ثقله ، وأضرم فيه النار ، وما تركه لاؤلئك الفجار ، وتتبع تلك القرى والنواحي ، واستوعب بسيفه هاتيك الضواحي ، وأقام على ذلك أياماً ، يجول بخيله يميناً وشمالاً ، وخلفاً وأماماً ، يهجم عليهم الكرة ، ويذيقهم المرة المرة ، ويكسرهم كسرة بعد كسرة ، قد تركهم كأنهم اعجاز نخل خاوية ، وهي هاوية الى الهاوية (وما ادراك ماهية . نار حامية - فهل ترى لهم من باقية) ؟ .

وعاد الى حضرة الوزير مظفراً منصوراً ، وجلب عليه ميرة كثيرة وغنا كبيراً ، واسارى من الرجال ، والصغار والأطفال ، فرقمهم في العسكر للاستخدام ، وجهاز كبارهم الى السفائن كالخدام ، يستخدمونهم الرئيساً ، في البحر على الدوام ، وسارت بها البشائر ، فسرت البعيد والقريب ، وخصت من جداها بالخصب الجديب ، وعمرت بمعانيها المغاني ، وعمت بمسرتها الأقصي والأداني ، وصح منها للإسلام نصره ، وللإحاد هزيمة وكسرة ، ولاهل الايمان هناء ومسرة ، وامتلات الايادي بالاسلاب والاكساب ، ودخل الدفتر من عدد الاسرى ما لم يكن في الحساب ، وقام بهوان الاحاد قاطع البرهان ، وليس الخبر في ذلك كالعيان .



الفصل السابع و المشرون

في عزم حضرة الوزير على الدخول الى بلاد مطهر ، وفتح (قلعة شبام) من حصون ذلك المغتر المعثر

لما كان رابع ربيع الأول المبارك ، سنة سبع وسبعين وتسعمائة قوض حضرة الوزير وطاقه وحمل مضاربه ورواقه ، وكمل للسفر الميمون يراقه ، وجنب جنابه وركب خيله وبراقه ، وقد ستر بسواد عديده النهار ، وأفاض ببياض جديده الأنوار ، في جيش يصادم مناكب الأطواد ، مواكبه ، وتملأ الوهاد والآكام ، وطوالعه وغواربه كأنما قدحت لإذكاء نار الحرب كتائبه ، وعبرت فاعربت عن مناقبه مقانبه ، وقد صرفت فرسانه أعنة خيلها إلى الجلال الثانية ، وعلمت الوقايح انها لثمراته اليانعة من ورق الحديد الأخضر جانية ، فاستمر يسير في جحظه الكبير ، إلى أن نزل حول (قلعة المقتب) فضرب وطاقه هناك وطنب ، وهذه القلعة هي نهاية حد مملكة صنعاء ، وهي لطائفة الدعاة المطيعين للسلطنة أصلاً وفرعاً .

وأقام حضرة الوزير بهذا المقام ، لاستكمال وصول المدافع ثلاثة أيام ، لصعوبة نقلها في تلك الأغوار والانجاد ، وعدم سلوكها بالهون في الآكام والوهاد ، فلما تكامل وصولها وقرب حصولها ، ارتحل حضرة الوزير في تاسع ربيع الأول ، وانتقل بعساكره المنصورة وتحول ، وخيم في فناء (مدينة شبام) وضرب حوله الوطاق والحيام .

وهي مدينة واسعة ذات أندية شاسعة ، يحيط بها من الجوانب الثلاث جبال شاذة في الهواء ، راسخة في حضيض الماء ، لا يمكن الوصول اليها من تلك الجوانب ، ولا يرقاها غير الثعالب والأرانب ، والجانب الرابع المستقبل للفضاء ، محصن بجدر شاهق البناء ، مبني باللبن الشديد ، المنسبك كالحديد ، طوله خمسة آلاف ذراع ، وعرضه خمسة عشر شبراً ، وفي جانبيه قلعتان يحفظانها من طوارق العدوان ، فيها مدافع ورماة ، لا يقربون إلى ذلك الحصن من اراده ورماه ، احدى القلعتين اسمها (قصر العرصة) والثانية تسمى (اللبّاحة) مشحونتان بآلات السلاح من المدافع وغيرها .

قال في « الروض المعطار » : شبام بكسر أوله وقد يفتح ، جبل لهمدان باليمن ، ومن مدينة شبام إلى حضرموت أربع مراحل ، وهو حصن منيع جامع أهل ، في قنة جبل منيع لا يرقى أعلاه إلا بعد جهد ، وفي أعلاه قرى كثيرة عامرة ، ومزارع ومياه جارية ، وغلات وافرة . قال : ولما وقعت الزلزلة باليمن انهدمت شبام جميعاً إلا دار ابراهيم ابن الصباح ، وكان كثير الصدقة ، فقيل : انه سلم من البلاء لكثرة صدقته انتهى .

وقلعة (كوكبان) حوالة على من يريد أخذ شبام ، كالقاهرة بالنسبة إلى (تعز) وكوكبان قلعة عالية في قلعة جبل عال ، لا يصعده غير الأوعال ، ولا يرقاه غير نسيم الصبا والشمال ، هي مقر محمد بن شمس الدين ، مسلطة على شبام ، ترمي عليه من خلف وأمام ، ووراء وقدام ، فصمم رأي حضرة الوزير على أخذ شبام ، ووجه اليها بعض الأوقام ، فجاسوا خلالها ، وتأملوا قلاها ، فوجدوا مجرى الماء من داخلها إلى الخارج ، يمكن أن يدخل منه واحد ، فكمن هناك جماعة بالليل ، ودخلوا من ذلك المجرى دخول السيل ، وأتوا إلى باب الحصن وهو من حديد ، وحوله حرس فضربوهم بالسيوف ، وفتحوا باب القلعة ، ورأى العسكر السلطاني باب القلعة مفتوحاً ، فهجموا منه ، ودخلوا البلد وملكوها ، وثار ضرب السيف ، وتفرق العسكر

في أزقتها ، وقتلوا من وجدوا منهم ، وسلك بعضهم إلى أعلى قنة الجبل ، وكثر عليهم العربان ، فقاتلوا وهم منفردون عن أصحابهم ، فمنهم من استشهد ، ومنهم من رمى نفسه من أعلى الجبل فتكسر ، ومنهم من نزل على حمية إلى أن اجتمعوا ببقية العسكر ، واشتد الحرب بينهم ، فرأى حضرة الوزير ذلك فهجم بنفسه ، مع طائفة من شجمان عسكره إلى داخل شبام ، وشجع العسكر ، فصار الرمي يأتيهم من حصن (قصر العرضة) ومن حصن (اللباخة) فعين حضرة الوزير لأخذ (قصر العرضة) حسن باشا ، وعين معه جماعة ، ثم عين آخرين (لحصن اللباخة) فأخذنا ، وهرب من فيها .

وكان في حصن (قصر العرضة) نحو مائة أسير ، من طائفة الاروام ، ومعهم عم الشيخ عبد الله الداعي ، وهو يعرف الموضع الذي هم به محبسون ، فتوجه سريعا إلى محل الحبس ، وأخرج عمه ومن معه من المأسورين ، فكأنهم عادوا إلى الحياة الدنيا ، وتوجهوا إلى حضرة الوزير ، فلاطفهم ، وعين لهم الجوامك ، واستمر الحرب ، إلى أن حجز بين الفريقين سواد الليل ، وغنمت العساكر السلطانية شيئا كثيرا مما وجدوه مخزوناً في (شبام) ، وعاد حضرة الوزير إلى محطته ، واستشار الأمراء في أمر (شبام) فاجمع رأيهم على ان تخريبه أولى من ابقائه ، لأنه لا يمكن تملكه إلا بعد أخذ (قلعة كوكبان) لأنها حوالة عليه ، فأمرهم بهدم شبام ، إذا أصبح الصباح ، فلما أشرفت الشمس توجه العسكر إلى شبام ، وأحرقوا ما يمكن احراقه ، وهدموا ما يمكن هدمه وقلعوا أبواب بيوته ، وأخشاب شقوقه ، وجعلوه حطبا في المحطة لقلعة الحطب ، في ذلك المكان ، وأخربوا بقدر الاستطاعة والامكان .

ومن أحسن ما قيل في تواريخ (شبام) : دخل شبام . وكذلك أيضاً : إنا فتحنا أبوابك يا شبام . وكان أخذه وأخذ العرضة واللباخة وهدمها وتخريبها في حادي عشر ربيع الأول سنة سبع وسبعين وتسعمائة .



الفصل الثامن والعشرون

في نقل حضرة الوزير من محطته من شبام ، إلى تحت جبل (ثلا) ،
وكوكبان وطلب عبد الله الداعي الإذن في التوجه إلى بلاده ليجمع
من قبائله وغيرهم ممن يساعد عسكر السلطان

لما فرغ حضرة الوزير من أمر شبام ، نقل محطته بين ثلا وكوكبان
واستدعى الأمراء والعقلاء الكبراء ، يستشيرهم فيما يفعله في ذلك المكان ،
فكل واحد من (ثلا) وكوكبان ، في غاية العلو والتحصين ، وقلاعها في
أعلى درجات الاستحكام والتمكين ، وهما من احصن قلاع الزيديين ، وأقوى
ما بأيديهم من المكان الحصين ، فاجمع رأيهم الى أن أخذ مثل هذه القلاع يحتاج
الى مصاولة ، والى نخاتله ونخادعة ، وكثرة علاج ومزاولة ، وان الاحتياج
شديد الى علف الدواب ، والى ما يطبخ به من الأحطاب ، وكلاهما من
الضروريات ، وكذلك العليق ، وسائر المؤونات .

فاستأذن الشيخ عبد الله في أن يتوجه الى (المنقب) وسائر بلاده ، ويطلب
جميع قبائله واتباعه ، ليحلبوا على العسكر أنواع الميرة ، وما يحتاجون اليه
من المنافع الكثيرة ، ووعدهم بأن يطلب لهم العربان ، ويستجلبهم باعطاء الأمان ،
ويأخذ منهم الرهائن ، على عادة أهل تلك الأماكن ، وانه اذا جمع طائفة
مطبعة من العربان ، توجه من خلف (حصن كوكبان) ليشغلهم بالقتال في

ذلك المكان ، وتقاتلهم عساكر السلطان ، من جهة المحطة بالمدافع والنيران ، فلعلمهم ينتصرون ، ويأخذون (كوكبان) ويغلبون .

ف رأى حضرة الوزير كلامه صوابا ، وارتمى ان يفتح الله عليه من ذلك ابوابا ، ورضي له بذلك ، ووافق ان يأذن له في سلك تلك المسالك ، وجعل غاية غيبته الى اوبته عشرين يوماً ، فوافق على ذلك ، فحصل الاذن الكريم ، فتوجه الى قومه مصحوباً بالتكريم .

واستمر حضرة الوزير في ذلك المقام ، يجيشه وأعوانه في الاوطاق والحيام ، فاحتاجوا الى العلف والخطب ، والى بعض ما لزم من الضروريات ووجب ، فسأل عما هناك من القرى والمزارع ، التي يوجد بها تلك المعاش والمنافع ، فذكروا له قرية اسمها (حبابة) فيها من النعم والخيرات صبابة ، والزرع فيها قائم على سوقه ، غير أن الزيدية يتظاهرون على خيلهم فوق الآكام ، ويبدون سوادهم من بعد لعسكر الاسلام ، فركب حضرة الوزير بنفسه في نفر قليل ، وأخذ معه ثلاث مدافع على عجل بالتعجيل ، وساق نحوهم ورماهم ، فغابوا كأن الله قد أرماهم فأصمهم ، فأمر الغلمان فمضوا إلى (حبابة) وقطعوا من الزرع ما أرادوا ، وقلعوا من الأبواب وأخشاب السقوف ما قدروا عليه وأصابوا في ذلك وأجادوا ، ورجعوا إلى المحطة ، وحطوا أحماهم حطة ، وارتفقوا بذلك أياماً ، واتسعوا طعاماً واطعاماً ، ثم احتاجوا إلى مثل ذلك ، فتوجه الأمير محمود مع بعض الفرسان ، وخرج بطائفة من الخدم والغلمان ، وأرسلهم إلى المزارع المعهودة ، على الوجه المعهود ، وكمن هو ومن معه من اللوث والأسود ، في موضع خفي عن العيون ، يصلح للاستتار والكمون ، وذلك في وقت السحر ، حيث لم تنفتح فيه عيون الزهر ، في السادس والعشرين من ربيع الأول سنة سبع وسبعين وتسعمائة .

فما وصل الغلمان الى المزارع ، إلا وظهر من صوب الجبل لوابس ، ملفوفة في مقانع وملابس ، وأغاروا الى صوب الغلمان ، يحسبون انهم منفردون في

ذلك المكان ، وإذا بالأمير محمود ظهر لهم من الكمين بالفرسان ، وحمل عليهم هو وفرسانه بالسيف والسنان ، كأنهم صف مرصوص البنيان ، وثبت الزيديون بعض الثبات ، ثم وثبوا للفرار أشد وثبات ، وقطع منهم عدة رؤوس ، وأسرت نفوس ، ورجع الغلمان غانمين بالأسرى واللبوس ، والامير محمود ورجاله سالمين من البؤس ، فدخلوا الاوطاق وطافوا بالرؤوس على الرماح ، وغرسوها في جنب البطاح ، وتوسعوا فيما أتوا به من العليق والعلف ، وصانوا الدواب من الجوع والتلف ، وطال عليهم غيبة عبد الله الداعي ، ومضى مواعده ، ولم يصل بما وعد به من المساعي ، وضاق حال العسكر في الإقامة ، وكره كل واحد منهم في ذلك المقام مقامه ، غير ان حضرة الوزير ، أمعن في الفكر والتدبير ، وهو يأخذ رأي كل واحد ويستشير ، ويتلطف بهم في الموارد والمصادر ، ويبسط لهم القول في المعاذر ، ويتضرع إلى الله العزيز الحميد ، ويطلب منه الاعانة والتسديد ، انه كريم مجيد ، فعال لما يريد .



الفصل التاسع والعشرون

في أريحية ظهرت من الصلاح الداعي ، حققت له انه للصدق مراعي

كان الصلاح الداعي الهمداني (دزادار القاهرية) من جهة مطهر ، لما وصل في الطاعة ، ووافق الجماعة ولبس تشریف الإذعان والإطاعة ، وتابذ المطهر وأتباعه ، وقطع منه ومن طائفته أطباعه ، قصد أن يظهر خدمة ونصحا ، ويبدي صداقة ونجحا ، ليستمر ما مضى له من العُوار ، ويفصل عنه ما دنسه من عور العار ، وكان قبل ذلك في أيام اتباعه للمطهر ، جملة حاكما على (وادي بون) وفيه قرية عظيمة ، تسمى (الحائط) فلما تابذه وخالفه ، جعلها لغيره ، وكان للصلاح إدلال سابق على أهل ذلك الوادي ، وإحسان متقدم وأيادي ، وخبرة واطلاع على أحوال ذلك النادي ، طمع في الاستيلاء عليهم ، والانتفاع بما لديهم .

ولما رضي عنه حضرة الوزير ، جعله أميراً على طائفة (الشفاليت) وهم طائفة من العرب ملفقين من كل قبيلة ، يأكلون العلوقة السلطانية ويخدمون العسكر سراً وحضراً ، ويربون شعورهم ، ويسمى الواحد منهم (شفلوتاً) .

فالتمس من حضرة الوزير أن يأخذ طائفة من (الشفاليت) والخدام ، ويغير بهم على (وادي بون) وقرية (الحائط) في الظلام ، ويأتي منها بما يجد من الذخيرة والطعام ، فأذن له حضرة الوزير في ذلك ، فأخذ طائفة من (الشفاليت) ، وسلك فجاج السباريت ، وركب مع من يعز عليه ، ويعرف

طاعته وانقياده اليه ، وأغار على ذلك المكان ، وهو يعرفه ساساً وغراساً ،
ولا يخفى عليه مخالسه ومخائسه ، ولم يخش من أهله بأساً ، فوجد هناك جمعاً
قليلاً من الزيديين ، ولفيفهم من العربان المذبذبين ، فقاتلهم وقتل منهم عدة ،
وقطع منهم رؤوساً ، وأسر منهم جملة أنفار ، واستاق ألف رأس غنم وغنم ،
وحمل ما قدر من الغنم وسلم ، ونهب أبقاراً ، وآب قاراً ، وقدم جميع
ذلك لحضرة الوزير ، فقابله بالشكر الكثير ، والخير الكبير ، وتحقق نصحه
وصداقته ، وعلم وثوقه واستقامته .

وفي الحقيقة فإن طائفة (الدعاة) بتلك الأقطار ، من أكبر أعداء
الزيدية الأشرار ، ولا يوالونهم إلا بحسب الظاهر لأجل الاضطراب ، ولا
يقيمون لهم شيئاً من القدر والاعتبار ، وعداوتهم مستمرة راسخة القرار ،
يثير آثارها قرب الجوار ، وتشب نيرانها ملاصقة الدار ، وهكذا جرت
عادة الله بينهم قديماً وحديثاً ، ولا زال بأسهم بينهم حديثاً .



الفصل الثلاثون

في بعض الحروب الجزئية ، بين بعض السرايا
وطائفه من الزيدية

وفي اليوم الرابع من ربيع الثاني، سنة سبع وسبعين وتسعمائة ، خرجت مقدمة من الجيش المنصور السلطاني ، والجند المخبور الخاقاني ، ما بين شبان وكهول ، على سلاح وخيول ، تطير إلى المنايا كالنبال ، يختالون في سفح (ثلا) طلباً للمبارزة والقتال ، ويتخطفون ما وجدوا في ذلك السفح من الحيوان والمال والرجال ، فلما لم يتراءى لهم أحد ، ولم يقع نظرهم على من نحا إليهم وقصد ، نزلوا آمنين ، وأطلقوا دوابهم للرعى كأمينين ، وأخرجوا اللجم عن أفواه الجياد ، ومنهم من قيد حصانه بالقيد المعتاد ، وإذا بالكمين هجم عليهم من الزيديين على غفلة ، فوثب من قدر على حصانه وثوب الأُسَد عند الجفلة ، وحمل على العدو قبل أن يتكامل الفرسان ، وأخذوا في الضرب والطعان، وانتشرت فرسان الزيدية ، وكانوا أضعاف مقدمة جيش السلطان، وأدركوا من قيد حصانه وهو يريد أن يفك قيد الحصان ، وما تمكن من ظهر حصانه ولا لجمه بفضل العنان ، ف وقعت عركة أي عركة ، واشتبكت السيوف والارماح بينهم أي شبكة، فانتشب الحرب، واشتجر الطعن والضرب، وكثرت الجراحات وعظم الكرب ، وقتل من الزيدية جماعة ، أسرع بهم مالك إلى النيران ، واستشهد اثنان من عسكر السلطان ، تسلمها رضوان إلى

الجنان ، وما زالت رجوم البنادق تنقض ، وأبكار الدروع بحمد الذكور
تقتض ، إلى أن افترق الفريقان ، وتراجع الجمعان ، وعادت الفرسان ببعض
رؤوس الأعداء الى الديوان ، وطيف بها في الميدان ، وأوقد أهل (ثلا)
و (كوكبان) شعل النيران ، لإعلام العربان انهم قتلوا اثنين من عسكر
السلطان ، ولم يحتفلوا بما قطع من روس الزيدية التي لا يحيط بها الحسبان ،
فتفرح العرب بذلك الفرح الزور ، ويقوى قلبهم على إيفار الصدور ، فباتوا
في اشتغال بالاشتغال ، يورون شعل النيران في قلل الجبال .

فلما كان وقت السحر ركبت المقدمة كرة أخرى للكر ، وهي ترجو على
العدو الظفر ، فأغاروا على سفح جبل (ثلا) فلم يجدوا فيه رجلا ، فنزلوا
عن ظهور الخيل ، وأراحوها بقية آخر الليل ، فلما سل جيش الصبح قواضيه ،
وأظهر قرن الشمس حاجبه ، وانهمز سواد الليل وقوض سحائبه ، وهجم
بياض النهار وطنب مضاربه ، نزلت فرسان من الجبل تريد القتال ، وأقدمت
على الهبوط إلى ذلك المجال ، وانتشروا ممتدين ، فنطحهم من تلك المقدمة كل
خفيف على ظهر حصانه ، معتقل بعطف مرانه ، مشتمل بمشرفيه وسانه ،
بيست :

نقال إذا عادوا ، اخفاف إذا عدوا كثير إذا لاقوا ، قليل إذا عدوا

فطحنوا العدو طحنا ، وأشبعوهم ضرباً وطعنا ، وطال القتال ، وطارت
النبال ، وحاضت الذكور ، وحامت حول القتلى المقبان والنسور ، وأين
بارزوا العدو فالمنون له بارزة ، والعزائم له مناجزة ، والفرسان زاحفة اليه
حافزة ، وهم يسكبون في نار الوغا سبائك الظبا ، ويحصدون بحدود الشفار
سنايك الطثلي ، إلى أن حجز بين الفريقين حر النهار ، ورجع عسكر
السلطان بعد انهزام جند الشيطان إلى الدمار ، وقد رويت السيوف من
الدماء ، وسالت الحتوف الدأما ، وأتوا إلى حضرة الوزير برؤوس القتلى ، وارتعد
لذلك فرائض أهل كوكبان و (ثلا) .

الفصل الحادي والثلاثون

في تجهيز حسن باشا الى خلف (كوكبان) واستدعاء الداعي الى اعانته في ذلك المكان

لما طال ابطاء عبد الله الداعي ، ومضى مواعده ولم يصل بعربانه إلى المحطة ، كما سبق وعده بذلك المساعي ، علم حضرة الوزير فتور عزم عربانه الأندال ، عن الوصول معه للقتال ، وإيثارهم الراحة على الجلال والجدال ، وانهم يحتاجون إلى محرك يثير عزمهم الساكن ، ويسوقهم الى تلك الأماكن والمكان ، وكان حسن باشا ، له اسم حسن بين الناس بأنه (بكربكي) اليمن ، وانه ممتاز عن سائر أمراء السناجق بالهيكل والاسم الحسن ، وانه أعطي بسطة في الجسم ، وبركة ولطفاً في الاسم ، أمره أن يأخذ جميع عسكر اليمن مع جميع متفرقة مصر القاهرة ، أهل الجوامك الكثيرة الوافرة ، ويأخذ معه محمود بك ، صاحب اللواء الشريف السلطاني ، ويتوجه إلى بلاد الداعي ، ويستصعبه مع جميع عربانه ، ومن دخل تحت الطاعة ، من القبائل والعربان ، ويتوجه بهم خلف (حصن كوكبان) ويحاصرهم من هناك ليتوجه حضرة الوزير ، لمحاصرتهم ومقاتلتهم من الجهة التي هو فيها ، فيقوى يجند الأروام ، قلب عبد الله الداعي ، وطائفته الداخلين تحت الطاعة والاستسلام ، فاجتمع على حسن باشا من عسكر اليمن وعسكر مصر الف وخمسمائة نفر ، ما بين فارس وراجل ، وتوجه في خامس ربيع الثاني سنة سبع وسبعين

وتسمائة ؛ فلما فارق حسن باشا وطاق حضرة الوزير ، ومحطته ، دار حول جبل كوكبان بنفسه ، ونظر زواياه وخبائاه ، وتأمل ظاهره وخفائاه ، وفكر بنظره هل يمكن أن يدخل منه إلى الحصن ، وهو متفكر في ذلك ، إذ فارقه آغا (الينكجيرية) الواردين من مصر ، وآغا (الينكجيرية) الواردين من الباب ومعهم نحو الخمسة عشر نفرأ من (الينكجيرية) وتوجهوا إلى الجبل ، إلى أن وصلوا إلى أعلاه ، قريباً من (حصن كوكبان) وقد بعدوا جداً عن حسن باشا ، ومن معه من العسكر ، فخرج عليهم من (حصن كوكبان) خيل ورجل بكثرة ، وانفردوا بالأغايين المذكورين ومن معها ، وكثروا عليهم ، فعلموا أنهم انقطع عنهم المدد ، وبعدوا عن العسكر جدا ، وشاهدوا الموت عياناً فثبتوا للعدو ، وقالوا: نقاتل فنقتل ونقتل لثلاثي هدراً، وصدقوا في القتال فقتلوا عدة عديدة من الأعداء، إلى أن كثرت العدو عليهم ، فقتلوا في سبيل الله ، ورزقهم الله تعالى الشهادة ، وفازوا بالجنان ، ومضوا تحفهم الرحمة والرضوان، وقد غروا بأنفسهم فيما فعلوا رحمهم الله تعالى.

وقد قيل : ليس المغزى بمحمود وان سلما .

فلما وصل خبر ذلك إلى حسن باشا تكدر لذلك، وأرسل إلى حضرة الوزير يعرض عليه ما وقع ، وفرحت الزيدية لذلك ، وأوقدوا له النيران ، إظهاراً للسرور ، واردة للغلبة ، ويأبى الله إلى ما أراد ، والله رؤوف بالعباد .

ولم يكثر في الظاهر حسن باشا بذهاب هذه الفتیان حيث أقدموا على الهلاك بأنفسهم ، من غير استشارة من أحد العقلاء ، ولا استئذان منه في القائم أنفسهم بأيديهم إلى التهلكة ، ولا يقدم عاقل على مثل هذه التهلكة التهلكة .

وتوجه حسن باشا إلى بلد الداعي يستنهضه في ما أمره به حضرة الوزير .

وسياتي بيان ما وقع في ذلك المسير ، ان شاء الله تعالى .



الفصل الثاني والثمانون

في ركوب حضرة الوزير الى (ذيل كوكبان) لملاحظة طريق
أخذه ، واغتنام مطهر غيبته ، واقدامه على المحطة وانكساره وخيبته

لما جهز حضرة الوزير من جهز من العسكر مع حسن باشا ، خطر بباله
أن يركب إلى سفح (كوكبان) ليتأمل مخالسه وجوانبه ، وطرقه
ومساربه ، ليختار ما هو الأهون منها لصعود العسكر السلطاني ، واقتتاحه
والاستيلاء عليه ، فبرز مع جمع من الفرسان ، الأساررة الشجعان ، وطاف
بسفح (جبل كوكبان) وعلم ذلك محمد بن شمس الدين وابتدر إلى حفظ
الحصن والخندق ، ونبه أهل الحصن وحذرهم وأنذرهم ، ورمي بالمدافع
الكبار ، وأوقد النار لإعلام مطهر في (ثلا) بان الوزير وصل إلى ذيل
كوكبان ، وان محطته خلت منه ، فعلمه يغير عليها ، وكان ذلك مرموزاً
بينها ، فأكب على مطهر نقباؤه وأمرأؤه ، وجرؤوه على النزول الى محطة
الوزير ، ورأوا أن ذلك فرصة لا يقع لها نظير ، وانهم يبذلون مجهودهم ،
لينالوا مقصودهم ، وعمالوا له رجلا من حديد ، وقلباً كالبولاد الشديد ، وما
ذلك له بعادة ، بل كان الفرار [وعدم القرار] فيه معتادة ، فجمع أولاده
وبنيه ، وأتباعه ونقباؤه وذويه ، وأسلحته التي يظن انها تحميه ، وأراد
النزول الى ذيل جبل (ثلا) وركب حماراً كما هو مألوفه أولاً ، فانه لمرجه

لا يقدر على ركوب الخيل ، ويخاف أن يميل به الحمار أيضاً بعض الميل ، بل يسكه نقباؤه وهو على الحمار ، خوفاً من الكبوة والعثار .

فلما خرج من داره ، واستولى على حماره ، شرط الحمار فاتخذة فالاً لانكساره ، وعلامة على هزيمته ونفاره ، فتقهقر ورجع وأدركه الجبن والهلح ، وأرعد الخوف والفرع ، وظن انه إذا خرج من جحره لا يعود اليها ، وإذا برز من نافقائه لم يقدر بعد ذلك عليها ، فاعتذر الى العسكر بعض الأعدار منها التفاؤل بضرط الحمار ، وصار كلما شجعه أصحابه ، وقوى قلبه أحبابه ، نكص على عقبه الى ورا ، ورجع بحماره القهقري ، وأحجم وما أقدم ، وعزم على النكوص وصمم ، غير انه اختار من فرسانه ، وخاصة أعوانه وشياطينه الملقين اليه بطغيانه ، المحسنين لبغيه وعصيانه ، المشاركين له في إلحاده وعدوانه ، مائة فارس ، وثلاثائة راجل ، وقوى زعيمهم بزعمهم الباطل ، وقال لهم : اغيروا على الوطاق ، وأظهروا شقاشق لا تطاق ، فإن أصبتم المحل خالياً غنمتم ، وإن وجدتم من يحمي المحطة ففروا كما وهنتم ، وكفاكم شائعة الاغارة على الوطاق السلطاني ، وأراجيف الناس أنكم أغرتم على المحطة ، وفزتم بنيل الأمانى . بيت :

مُنَى ان تَكُنْ كَذِباً فَقَدْ طابَ كَذِبُهَا وَإِنْ صَدَقَتْ يَوْمًا تَضَاعَفَ طَيِّبُهَا
فانظر إلى هذا الملك الضليل ، الذي يرده وجيشه ضرطة حمار ضئيل ، وأعجب منه ومن رأيه الكليل ، وقناعته من المنا بالأباطيل ، مع هذا الادعاء العريض الطويل ، والأنف الشامخ إلى ذرى الاكليل ، وخذ من دهرك عجباً فانه أبو الأعاجيب :

والليالي كما علمت حبالى مَثَقَلاتٍ يَلْدُنَ كلَّ عَجِيبِ

ولما انفصلت السرية ، وهبطت بخيلها ورجلها ، إلى سفح الجبل على حية ، وظنت أن محطة الوزير أجمّة من الأسد خلية ، وحملت الخيل جملة واحدة ، والرجال في أثرهم متواعدة ، إذ برز لهم شيخ عربان الجيزة ،

وعزيز مصر نجلى الامراء العزيزة :

متفرع من دوحه عربية هي والشجاعة جساءتا من عنصر
مثل الحسام جلا الصياقل ممتنه حتى ترقرق فيه ماء الجوهر

الأمير الكبير، الزيني حماد بن خير، وكان مع فرسانه متخلفاً في الوطاق،
عن حضرة الوزير، وكان متيقظاً للحفظ والدرك، متهيئاً للدخول في حومة
المعترك، فلما رأى الزيديين مقبلين، والى الاغارة على طرف الوطاق
مسترسلين، ركب في ترك أنجاب، وعرب على عراب، وفرسان من سماتها
الطعان والضراب، بأكباد غلاظ على العدى، ورقاق حداد على الطلا،
ورماح لدن عسالة، وسيوف أحكم صيقلها الصقالة، فاختلط أحزاب
الشیطان بابطال الايمان، ونزع السيف ما في صدورهم من غل فاعتنقوا
كالاخوان، وتعانقت الرقاق والرقاب، وتقطعت بهم الأسباب، فأيقنت
فرقة الاحاد بالدمار، وصممت على الانهزام والفرار، وعرفت أن البلايا
عليهم متصلة غير منفصلة، وان قواهم لما لقوه من النكاية غير محتملة،
ففرروا إلى جبل ما عصمهم، ولقوا في منصرفهم ما حطمهم وقصمهم،
ورجعوا وقد كسروا، وخسروا، وقتل منهم عدة وأسروا،
وأرغمت منهم معاطس، وفرست منهم فوارس، وفرشت بالعراء أشلاءهم
اللوابس، وعاد الامير حماد إلى الوطاق، ومعه منهم عدة اسرى
مشدودين بالوثاق، ورؤوس على رماح حاق بهم ما حاق، وقتل من
الزيدية طائفة من أعيان نقباء مطهر، الأعرج الأبتى، واقتلع خيلهم وهي
من أحسن الخيل، وعليها وسم مطهر، واقتلع عدة من خيول آخر، وعادوا
الى الوطاق المنصور، وأخذت الشمس في الأفول كما تدخل الخدورات الى
الخدور، وترخي جلباب الستور، وأقبل الوزير عائداً الى أوطاقه المعمور،
فلما تقدم اليه حماد، وأعلمه بما وقع من الحرب والجهاد، ونثر بين يدي

حصانه رؤوس القتلى ، وقدم اليه الأسرى يرسفون في قيودهم هوانا وذلا ،
فحمد الله تعالى على هذه النصره ، وشكر لطف ربه إذ لم يتمكن الاعداء أن
يأخذوا وطاقه على غرة ، واعترف بمعجزه عن شكر خالقه الكبير المتعال ،
وقوي جأشه بما شاهد من لطف الله تعالى به في جميع الأحوال ، وكان ذلك
في العشرين من ربيع الآخر ، سنة سبع وسبعين وتسعمائة .



الفصل الثالث والتمراتون

في ركوب حضرة الوزير على معتاده الى ذيل (كوكبان)
وارسال مطهر نقيبته فرحان ، مع طائفة من الزيدية الى المحطة ،
ووقوع القتال ، وقتل فرحان وغالب عسكر الدجال

كان الوزير المعظم في كل يوم ، يركب إلى ذيل (كوكبان) ويأخذ معه
بعض أهل الرأي والتدبير من الأمراء والفرسان ، متأملاً في أطراف ذلك
الجبل وجوانبه ، متوخياً محلاً يمكن الهجوم منه اليه من كواه ومساربه ،
وجعل ذلك ديدنه في حركاته ، ودأبه وهجيره في سائر أوقاته ،
والجواسيس تحفظ جميع أحواله ، وتنقل الى الاعرج ما تجدد من حاله .

فلما كانت الليلة التي يسفر صباحها عن ثالث عشري ربيع الآخر ، برز على
عادته ، والنصر ملازم ركاب سعادته ، وخلف في الوطاق السعيد ، لدفع
مكر الزيدية فان مكرهم لشديد، ابن اخيه الفارس المقدام ، الاسد الضرغام ،
افتخار الأمراء العظام ، الامير مصطفى ، أعلى الله شأنه ، ومكن من صدور
الأعداء رعه وسانه ، والبطل الفارس الشجاع الكبير ، المداوس الامير
(قيت آغا) وطائفة من الجراكسة اللوابس ، وشيخ عريان مصر بالجيزة
الامير الكبير ، الزيني ، المتقدم ذكره قبل هذا التقرير ، حماد
بن خبير، وأوصام بحفظ الوطاق المعظم، ومضى إلى ما توجه بصدده وتقدم.

فلما نشر الصبح خافق لوائه ، وطرده جيش الظلام بصمصام ضيائه ، وطبق الأرض ضياء ونوراً ، وانهزم جيش سواد الليل مكسوراً ، قوى جأش الأعرج بغيبة حضرة الوزير المعظم ، وأرسل طائفة من عُواته للهجوم على الخيم ، وجعل قائدهم وأميرهم ، وسفيرهم ومشيرهم عبده النقيب (فرحان) وضم اليه ما ينوف على المائة من الفرسان ، ونحو الخمسمائة من الرماة ، فنزلوا إلى سفح (ثلا) من أعلاه ، وقصدوا الوطاق ، بالعزم والاتفاق .

وكان الأمراء المحافظون كمنوا في ذيل الجبل ، حيث لا يشعر بهم الزيديون ، فاستمروا في كتم الخفا الى أن زلقت الزيدية عنهم زلفاً ، وتوسطوا بينهم وبين الوضاق السعيد ، وأحاطوا بهم احاطة السوار باليد والطوق بالوريد ، فحطمتهم الخيول من جانب الكمين ، وبرز لهم من الوطاق أسود العرين ، فجاؤوم فجاءة ، وقطعوا من كل منهم رجاءه ، وبفتوا فبُهِتوا ، وطلبوا أن يفلتوا فما فلتوا ، فحبطت أعمالهم ، وخابت آمالهم ، وضلوا في سعيهم وتورطوا في بغيهم ، وسقط في أيديهم ، وحق مكرهم بهم ، وكيدوا بكيدهم . وزحف أهل السنة على الملاحدة بالصوارم الملمعة والأسنة المشرعة والأعنة المسرعة ، فانكسرت الملاحدة كسرة ، فرشتهم على الأرض ، وذكرتهم الواقعة بوقوعهم في النار يوم العرض ، وركبت أهل السنة وجوههم وأكتافهم ، وقلوا فيهم أسيافهم ، وعقروهم وعرقوم ويحوم وبمعجوم ، وحكموا في الرقاب الرقاق ، وضربوا بالسيوف الأعناق ، فصاروا كاعجاز نخل خاوية ، وهوت أرواحهم هاوية الى الهاوية ، فكم جثة بلا رأس وبنية بلا أساس ، ونخر قد نخر ، ونهر دم قد أنهر ، وعنق قد قطع ، وأنف قد جُدع ، ونقب ظهر النقيب وصدره باطراف المران ، وبدل بالترح فرح (فرحان) وقطع رأسه ، وخمدت أنفاسه ، وانكسر به ظهر (الأعرج) وعضده ، كما انكسر قبل ذلك رجله ويده ، ودعا على نفسه بالويل والثبور ، وانكسر جند الباطل ، وهو في كل وقت مكسور ، فوضعوا رأسه مع رؤوس القتلى على الرماح المثقفات ، وداروا به تلك الجهات ، وكان له علو بل عتو في الحياة

فصار علوه فوق الرمح بعد الممات ، وكللوا الرماح برؤوس كثير من القتلى ،
وطافوا بها وذلك جزاء من تولى .

فلما عاد حضرة الوزير المعظم ، وقارب وصوله إلى الخيم المكرم ، تلقته
الأمراء المزبورون ، وهم يرمون تحت سنابك الخيل برؤوس الأعداء وينثرون ،
ويحمدون الله تعالى ويشكرون ، فسجد الوزير شكر الله تعالى ، فاعترف بما
أولاه ربه تعالى من النعم ووالى ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وله الحمد
والشكر في الآخرة والأولى .



الفصل الرابع والتلاتون

في اعتزاز (مطهر) وإرسال ولديه (الهادي) و (لطف الله) مع جماعة من الفرسان ، إلى قتال الوزير ، وبروزه معها إلى ذيل الجبل وقتل (الهادي) وانهزام الباقي قبل النزول إلى ذيل الجبل .

لما شاع بين العربان ، ما اعترى الأعرج من الفشل والحذلان ، وتحقق عندهم أنه خوار خوفاً جباناً ، أراد أن يظهر من نفسه شيئاً من البسالة ، ويحقق عند الزيدية بروزه ولو مرة واحدة إلى الميدان مع الخيالة ، فطلب ولديه (الهادي) الضال ، و (لطف الله) المضل ، وهما اجريا من عنده من الجيش المبطل ، فانها وصلا مع (علي بن شويح) وجمعه الشريد ، في الفترة السابقة ، أيام حسن باشا إلى حافة (زبيد) وانكسروا بها كسرة شنيعة ، وانهزموا وهربوا هزيمة فظيعة بشيعة ، ولكن عدوا الوصول إلى ذلك المحل مع الانكسار والهزيمة إقداماً تاماً ، وصاروا يفتخرون بذلك على العربان افتخاراً عاماً ، فاخترهما الأعرج جناحين ، ولم يدر أن كلا منها لنفسه جناحين ، فجعل الهادي على يمينته ، ولطف الله على يسرقته ، وبين يديهم كفاة المصاع وحماة القراع ، ورماة الحدق ، وكلاب السلقي ، وصفاة الحتف ، وسعاة العسف ، من كل سرحان ، لا ينظر إلا من جلد أرقم ، وشيطان ، لا يقتحم من نار الحرب إلا جهنم ، وهم هائجون للنار ، ثائرون للهباء مائجون في دماء الدما ، مثابرون إلى اللقاء .

وخرج الأعرج من عُشه خروج الخائف المرتعش ، وجعل نصب عينيه
انه بهذا الخروج ينتعش أو ينتعش ، وبالغ في كثرة وقود النيران ، وبرز من
كهفه ذاكرة بتلك الواقعة يوم المحشر من كثرة الدخان . وأطلقوا على
العسكر السلطاني ما عنده من المدافع والبنادق ، وأكثروا من رفع الألوية
والرايات والبيارق ، وجعلوا خلف كل حجر من يرمي بالبنادق ، وهياوا
المدافع الطوال ، وزلزلوا الأرض والرمال ، ونسفوا القلاع والجبال ،
وأشعلوا نار الحرب ، وأقدموا على الطعن والضرب ، وأصموا الأذان
بأصوات كصواعق ، تهلك بالصعق ، أو كصيب من السماء فيه ظلمات
ورعد وبرق ، وقامت القيامة وما آن أوانها ، ووقعت الواقعة وما حان
زمانها ، ولكن ظهر للعيون عيانها ، وبهر الأبصار برهانها .

فتوجه حضرة الوزير بنفسه النفيسة ، ودس في كل سرب من الكفاءة
دسيئة ، وظن ان الزيدية الحسيئة يحسرون على النزول الى القاع ، ويقدمون
هذه المرة وما كل اقدام يستطاع ، فرآهم وقفوا في أثناء الجبل
وكنوا خلف الصخار ، وهم يرمون بالمدافع والبنادق والاحجار ، فاطلقوا
عليهم طلقاً من النار ، وأراهم كواكب الليل في منتصف النهار ، وضربهم
بالضرايبات الكبار ، والمدافع التي تهد الجبال وتنسف الصخار ، فاراهم الزلزال
كيف يكون ، والنفوس والأرواح كيف تبذل وتهون ، وكيف تنشب في
فرائس الفرسان اظفار ريب المنون ، فكم من بنيان عمر تهدم ، وكم من طفل
تيم ، وكم من امرأة أرملت ، وكم من حبل القت ما فيها وتخلت ، وكم
من جثت تهللت ، ورؤس تجدلت ، وانشد الوزير المعظم سنان ، وهو في
حومة الميدان ، يحول مع الفرسان :

لأجردن العضب أوقظ حده	من جفنه ، من بعد طول منام
حتى تبديد قبائل فقبايل	ويعض كل مثقف بالهام
ويقمن ربّات الخدور حواسرا	يمسحن عرض ذوائب الأيتام

فهنالك اطفأ نيران الحق نيران الباطل ، وظهر أهل السنة ، وأصيب أهل
الاحقاد المقاتل ، وقتل كثير من رجال الزيدية وأبطالها ، وبطل باطلها وهلك
فرسانها ورجالها ، وأصيب (الهادي) بمدفع فهدأت انفاسه ، وانطفأ نبراسه
وانحك من صحيفة الوجود نقشه ، ومحيت أنفاسه ، وهرب الأعرج على حماره
الى حصنه ، وهرب بعده ولده (لطف الله) بحصانه وهو على متنه يركض مع
من ادبر من فرسانه ، وانهمز بقية السيف وبقايا النار من جنده العولاء ،
ودخلوا في ذلة وقلة الى الحصار في قلة جبل (ثلا) ، ونادى خلف الأعرج
من أهل المدافع كل فارس بهمة ، (لينبذن في الحطمة ، وما ادراك ما الحطمة
نار الله الموقدة ، التي تطلع على الأفئدة) وتلى عليه وعلى اتباعه عساكر أهل
السنة الموثدة . (اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة) وخفقت
الوية النصر وهبت رياحها ، وانفجر فجر الغلبة وطلع مصباحها ، ونادى
منادى الفلاح : الا ان جند الله هم الغالبون ، وظهرت اسرار (الم غلبت
الروم في ادنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون) فقلبوا بحمد الله وسلبوا ،
واختطفوا أسلاب الأعداد ونهبوا ، وحال الليل بينهم فلبس الجو جلاب
الظلام ، وانقض حكم البيضة وتسلمت على الأجفان سلطان المنام ، فعاد
حضرة الوزير الى وطاقة مظفراً منصوراً ، ورجع الأعرج المكسور الى وكره
محطاً مدحوراً :

ولما أبى الاعداء الا تمردا أبى الله الا ان يكون لنا النصر
وكم زجرتهم من سطانا مواعظ فما نفع الوعظ المنبه والزجر
ابى الله إلا أن يموتوا أذلة وفروا ، وسيان المنية والفرة

وخمدت والله الحمد نيران الباطل ، وانطففت وانكسفت ، وظهرت أنوار
الحق وبهرت وانكشفت ، وقام أهل السنة بنصرة الدين المتين ، وكان آخر
دعواهم ان الحمد لله رب العالمين .



الفصل الخامس والتراون

في افتتاح حضرة الوزير حصن (حب العروس) ،
وطمع الاعرج لغيبته في الاوطاق المحروس ،
وانكساره وهو مخذول منكوس

كان من جملة قلاع الأعرج وحصونه ، وأبراجه التي أعدها لأيام غبونه ،
ثلاث قلاع ، متقاربة الأصقاع ، متدانية البقاع ، تمد إحداها الاخرى ضراً
وشراً ، وأهلها يقطعون الطريق على العسكر سراً وجهرأ .

إحداها (حصن العروس) ويلبها (حب العروس) وبعدها حصن
(الظفر) المكوس ، مصطفة صفأ واحداً . بعد مسافة إحداها من الأخرى
بقدر وصول المدفع الكبير جاهدأ .

وكان أراد حضرة الوزير أخذها لما مر بها ، فأظهروا له العجز والانقياد ،
ورأوا من أنفسهم الضعف وتسليم القياد ، وقالوا له : إذا أخذتم (كوكبان)
فنحن تابعون ومطيعون ، ولنشر أعلام الطاعة مديعون ، وليس عندنا تعرض
لكم ولطائفكم ، ولا تجدون منا ضرراً ولا ضرورة لعامتكم وخاصتكم ، ولكن
لا يمكننا الآن تسليم هذه القلاع لكم ، لثلاث نسب الى العبث والغدر ، وأما
إذا أخذتم (كوكبان) فما بقي لنا في تسليمها اليكم عذر ، فصدق حضرة
الوزير كلامهم ، بعدم ميله الى إراقة الدماء ، وبغضه لازهاق الانفس ، كما

هو شأن الرحاء ، وقال : إذا أخذنا (كوكبان) و (ثلا) فما حساب هؤلاء ، ولا بد حينئذ أن يطيعوا قسراً ، ويدخلوا تحت الألوية السلطانية قهراً ، فتركهم بشروط : ألا يضرروا أحداً ، ولا يقطعوا الطريق ، ولا يكونوا لمطهر الأعرج مدداً ، ثم لما أقدم على قتالي أهل كوكبان وثلا ، وأقام سوق الحرب على ساقها ودعى اليها الجفلى ، بلغه ان اهل هذه القلاع يسمعون في الارض فساداً ، ويقطعون الميرة على العساكر السلطانية بغياً وعناداً ، وينضمون الى جيش الاعرج ، ويكثرون له سواداً ، فظهر لهم انهم خانوا عهوده ، وقصدوا بالاضرار جيوشه وجنوده ، وانه حل له بذلك دمهم ، وانه تعين قتلهم وعدمهم ، دفعاً للصائل ، ورفعاً للضرر المتواصل من أولئك القبائل ، فتوجه بعض (الضربزات) على عجل ، وصبحهم صباح الويل والوجل ، فانهم صاروا عوناً للباطل ، وغوثاً لزمرة الأباطل ، ورأى ان أخذ القلعة الوسطى أقرب الى تشييت جمعهم ، وأشد في كسر وسطهم وقصم ظهرهم وشفعهم ، فتوجه اليها ، وحط بعسكره المنصور عليها :

وأمو الحصن ، وطافوا به	وأحدقوا كالغفل* ، لا كالسوار
وانهرم الاعداء اذ ابصروا	بَحْرَ وَغَا تفرق ، فيه البحار
وعذرهم ، إذ هربوا ، واضح	هل يثبت الليل أمام النهار ؟

فتعلقت الرجال الأبطال يجدار الحصن وتصاعدوا الى أعلاه ، وهم لا يبالون بالنار ورمي الاحجار ، من أولئك البغاة ، ويتلقى كل واحد ذلك بوجهه لا بقفاه ، وبصدره لا بصلاه ، ويتطايرون الى ذلك ويتظافرون ، ولا يبالون بصدمة ريب المنون ، ويعدون الى طرق الموت وهم له مستعدون ، الى أن نصبوا السنجق السلطاني في أعلى (حب العروس) وحل بأهل القلعة النعمة والبؤس ، وخربت دارهم وديارهم ، ومحيت من لوح الوجود آثارهم ، وصاروا كحصيد تذرره الرياح ، وخلت من أرواحهم الأشباح ، كما خلى منها النجاح والفلاح ، واستؤصلوا بببيض الصفاح وسمير الرماح ، جزاء بما كانوا

يعملون ، ووفاء بما كانوا يجهلون ، ولكن أكثرهم لا يعقلون ، فهم في طغيانهم يعمهون .

ثم ان طوائف العسكر نهبوا ما فيه من الغلال ، ونهبوا منه الاجمال والأبنغال ، ووجدوا فيه حطباً كثيراً ، كانوا محتاجين اليه ، ومثابرين عليه ، فحملوه نساء الزيدية ، إلى المحطة العلية ، فكانت كل واحدة حمالة الحطب ، في جيدها حبل من مسد ، وكان ذلك أمرٌ ما مرّ عليهم واصعبه وأشدّه ووجدوا في الحصن صهريجاً مملوءاً من الماء فخرقوه من أسفله في النادي ، فسال الماء في ذلك الوادي ، وبطل كيد الأعادي ، وفرح الموالي وحزن المعادي .

ثم إن حضرة الوزير أمر بقلع هذه القلعة حجراً حجراً ، وهدمها إلى أن تصير رواية وخبراً ، وأراد بذلك أن يدفع عن العساكر السلطانية ضرراً ، وان لا يترك للأعداء هناك مدداً ولا أثراً ، فما أسرع من أن صارت ربوعها دوارس ، ورسومها طوامس ، وأعاليتها إلى أسافلها نواكس ، وكانت المصلحة في تخريبها ، والرأي الصواب في تدميرها وتنقيتها ، واكتفى بذلك شر أهل الحصنين الآخرين ، فانها لا يوصل من أحدهما إلى الآخر لبعده المسافة والبين .

وعاد حضرة الوزير إلى مخيمه الشريف كعادته ، والنصر والفتح محتفان بركاب سعادته ، وإذا قد وقع في غيبته أمر عجيب ، وشأن عند العقلاء أغرب من كل غريب ، وذلك أن أهل (كوكبان) لما شعروا ، لقرهيم من اللطاق ، بتوجه حضرة الوزير بالليل ، وأحسوا بخلو الخيم الكريم عن جرائد الخيل ، رموا بالمدافع من أعلا (كوكبان) وأوقدوا النيران ، ليشعروا أهل (ثلا) بخروج الوزير عن مخيمه بالفرسان ، من أهل الضرب والطعان ، وهذه علامة كانت بين أهل (كوكبان) و (ثلا) على خروج الوزير عن أوطاقه ، ومفارقتة عن مخيمه ورواقه ، ففرح الأهمرج بهذه الغيبة ، وجمع بقية السيوف من عربانه ، وأهل فسادة وطغيانه ، وظن أن هذه فرصة تغتم ونادى : هذا أوانُ الحربِ فاشتدّي زَيْمٌ ، وقصد الهجوم وقت الصباح

على الوطاق السلطاني ، وجمع شياطينه المردة طامعاً في بلوغ تلك الاماني ،
وأعانهم على ذلك قوم آخرون ، وظنوا انهم على ذلك قادرون ، فلما أحس
بهم أهل الوطاق ، وكانوا على حذر من مثل هذه المشاق ، جردوا سيوفهم
وركبوا خيولهم ، وقدموا فرسانهم وفحولهم ، فلقيتهم الأعراب على العراب ،
وهجمت على العربات والأطناب ، فركبت اليهم من الخيام ، أسودت قتلقى
بصدورها الحمام ، فزحفت الزحوف ، وتداخلت الصفوف ، وتفللت السيوف ،
ودنا من ورق الحديد الاخضر القطوف ، فأجهد الخيول الجهاد ، وأنضأها
الطراد ، وفرى جلودها الجهاد ، وكلت حدود البيض الحداد ، وأثخن
الصوارم في أجساد العدو الجروح ، وفرقت السهام بين الاجسام والروح ،
فولت العرب أدبارها ، وحققت انهزامها وإدبارها ، وعادت تعتم بالجليل ، وأهل
السنة تضرب أقيمتهم بالسيوف والأسل ، وتصور في ظهورهم وجوهاً لها
بالضرب والطمع حواجب وعيون ، وجباهاً لها منها أساري وعضون ، واقتلعوا
منهم أفراساً جديدة ، وقطعوا منهم رؤوس رؤساء عديدة ، وهرب الباقون
مع الاعرج المفتون ، الى عش قلعة (ثلا) بعد مقاساة أنواع الفتك والبلا .

ولما قدم حضرة الوزير عائداً من فتح (حب العروس) تلقاه أهل الخيم
بالخيول المقتلعة ، والارماح عليها الروس ، فنثروها بين يديه تحت سنابك
فرسه ، وقدم كل أسد بمفرسه ، ففرح المؤمنون بما شاهدوه من النصر الذي
اتفق وصادف ، وقرت أعينهم بالفتح والظفر المضاعف .

وكان ذلك في الخامس والعشرين من ربيع الاخير سنة سبع وسبعين
وتسعمائة .



الفصل السادس والثلاثون

في صعود العسكر السلطاني الى قلعة (بيت العز) من (كوكبان)
وانهزامهم أولاً ، ثم صعودهم ثانياً في يوم واعدوا حسن باشا ومن
معه أن يصعدوا من جانب آخر ، وتخلفهم عن ذلك ، وحصول المقصود ،
ووصول خبر فتح قلعة (درام) في ناحية (وادي خبان) في أثناء ذلك

لما كان يوم الجمعة السادس والعشرون من ربيع الآخر ، رأى حضرة الوزير
أن يتوجه مع بعض العسكر المنصور الى ناحية (كوكبان) ليصعد بهم إلى
قلعة (بيت العز) ويفتحها بالسيف والسنان ، وجبل (كوكبان)
هذا مع ارتفاعه وشوقه ، وصعوبة مسالكه ، وتوعر طريقه ،
وامتناع طروقه ، أعلاه مُسَطَّح فيه عدة قلاع ، متباعدة المسافة ،
محكمة الأوضاع ، من أحكم القلاع في سائر البقاع ، وهذه القلعة أقرب قلاع
(كوكبان) إلى (ثلا) وأنفعها لأولئك الملا ، فعين حضرة الوزير جماعة
انتقام ، وتخبرهم لخدمته وابتغام ، واختارهم للركوب معه من الليل ، ليميلوا
إلى أخذ هذه القلعة كل الميل ، وأخذ معه عدة ضربزئات وعدة قوية وآلات ،
وتوجه ليلة الجمعة سابع عشري ربيع الآخر ، فوصل ليلاً إلى ذيل (كوكبان)
ولم يرفيه غير نجوم الثور والسرطان ، وقدم المشاة ، ثم الحياالة الثقاة ،
ثم عجلات الضربزئات والآلات ، وصعدوا في الجبل بقدر ما أمكنهم في

ذلك المكان ، وتعلموا بأسباب بجد الامكان ، إلى أن لم تجد الخيل مصعداً في التسيار ، فنزل الرجال عنها وتشبثوا بالأحجار ، وصعدوا في أثناء الجبل بين الصخار ، إلى أن لم يجدوا طريقاً للصعود لغلبة الظلام ، وما أمكنهم إيقاد المشاعل كيلا يتيقظ لذلك أهل القلعة من المنام ، فصبوا إلى أن أصبح الصباح ، ونادى منادي الفجر : حي على الفلاح ، واسفرت الوجوه الصباح ، ودارت رحى الحرب دوران كؤوس الراح عند الاصطباح ، وفطن لهم أهل القلعة ، وعلموا ، وشاهدوا ما فوجؤا به ودهموا ، فبرزوا من قلعته ، وتظاهروا بمنعته ، وملكوا سطح الجبل ، وانتشروا خلف الصخار كالتنافس والجمل ، وصاروا يدحرجون الصخار ، ويدفعون الأحجار الكبار ، على من تحتهم من العسكر الكرار ، وصار الحجر الواحد يدحرج معه عدة من الأحجار ، فتحطم ما تصادف من الخيل والرجال ، وتطحن ما تمر عليه من العسكر الأبطال ، ولم تجد العسكر محلاً يمكن الصعود فيه ، وما وجدوا مسلكاً إلى الجبل ولا طريقاً إلى مراقبه ، فذهبت تحت الحجارة نحو عشرة أنفس من الكهامة الأبطال ، ونحو السبعة من الخيل والبغال ، فأمر حضرة الوزير أن يرمي بالضربزئات على من في سطح الجبل ، ممن يدحرج الصخار ، وان يشغلهم بأنفسهم ، ويشعلوا عليهم بذات لهب ترمي بشرر كالقصر ، ليذوقوا عذاب النار ، فأطلقوا عليهم طلقاً ، واحرقوا بنار الله حرقاً ، وزادهم فرقاً ، وقتلوا منهم ثلاثين رجلاً ، ورموهم بالمجمل ، فأوردوهم بالنار إلى النار عجلاً .

وكان ممن سبق منهم إلى السعير ، وصار إلى جهنم وبئس المصير ، (قاسم) دزدار قلعة (بيت العز) المأخوذ ، والسيد (بهال) وزير الأعرج المنبوذ ، والنقيب (جابر بن عامر) وزير (محمد بن شمس الدين) ، وغيرهم من طوائف الزيديين نقلوا من (بيت العز) إلى دار الهوان في سجّين ، وتمزقت أشلاؤهم ، وهوت إلى أسفل سافلين .

فتراجع العسكر المنصور ، ولواء السلامة على رؤوسهم منشور ، ورجعوا مع حضرة الوزير المعظم إلى الخيم المكرم ، وحمدوا الله تعالى السلامة وهي رأس كل مغنم .

وكان أبطأ على حضرة الوزير خبر حسن باشا ، بعدما جهز معه مقدار ألف من العسكر ، وما علم ما وقع له في غيبته ، فجاءه الخبر انه دار خلف (كوكبان) ونزل في سفحه ، وانه اتفق مع الداعي أن يطلعوا الى جبل (كوكبان) من خلفه .

فراى حضرة الوزير ان يرسل الخبر الى حسن باشا، ومن معه من العسكر السلطاني ، وعسكر الداعي ، حيث وصلوا وراء جبل (كوكبان) أن يصعدوا من ذلك الجانب ، الى قلعة (بيت العز) في يوم معين ، ليصعد الوزير مع بعض من معه من العسكر السلطاني من هذا الجانب الى أهل القلعة المذكورة ، ليتحير أهل القلعة ، ويحصل لهم الوهج ، فتوخذ القلعة من أحد الجانبين ، أو منها ، واستصوبت الأمراء هذا الرأي ، واجمعوا عليه ، فأرسل حضرة الى حسن باشا مكتوباً ، ذكر فيه : انا نتكلف الصعود من جانبنا الى جهة قلعة (بيت العز) في ليلة الاثنين ، رابع عشر شهر جمادى الأولى ، لنوقع الحرب على أهل القلعة صباحاً ، فاصعد انت ، ومن معك من العسكر ، في تلك الليلة من جانبك ، وأوقع الحرب صباحاً ، على أهل القلعة ، ليمكننا افتتاح القلعة المذكورة في الوقت المذكور .

ولما كانت تلك الليلة ركب حضرة الوزير وأخذ معه من اختاره من مشاة العسكر ، فان الخيل لا عمل لها في الجبل ، وأخذ بعض ضربزعات ، وتوجه ليلا الى أن وصل الى ذيل الجبل ، وتعلق العسكر السلطاني ، وتشبثوا بالحجارة ، وتسلقوا الى أن قاربوا ذروة الجبل ، فوجدوا بعض الطرق التي كانوا يمهّدونها قبل في المرة الأولى قد سدت بالبناء وجعل عليها الحرس والمحافظون ، ففطنوا منهم ، فصاروا يدحرجون الاحجار من فوق ، وقد هيؤها على شفير ذروة الجبل ، بحيث لا يحتاج في دحرجتها إلى أسفل إلا إلى أدنى حركة ، فإذا دحرجوا الحجر الواحد من فوق دحرج معه عدة احجار ، بقدر ما يصادف ، فيتحطم من كان في ممرهبوطه ، كائناً من كان ، لكنهم لا يشخصون بالليل من يدحرجون عليه الصغار ، الا تخميناً ، ولا يرون ما يرمون عليه الاحجار

يساراً أو يمناً ، وكثرت في تلك الليلة الأصوات الهائلة ، أعظم من الرعود والصواعق النازلة ، نشأت عن دحرجة هذه الصخار ، ومن قدح الأحجار بالأحجار ، الى أن وضع النهار وصح الإسفار ، وتعارفت الوجوه والأبصار ، ونشر الصبح لواء الضياء المنشور ، وانهمز جيش الليل الأسود وولي دبره وهو مكسور ، وسل الفجر سيفاً مصقولاً مشرقاً ملاً الشرق والمغرب بفلايل النور ، وتناثرت جند الكواكب مهزومة لما شاهدت سيف سلطان الشمس وهو مشهور .

فلما تراءى الجمعان ، والتقى الفريقان ، وقع الحرب الشديد ، بينهم في ذلك اليوم المشهود ، وثبتت حضرة الوزير ومن معه من الجنود ، ولكنهم ما وجدوا طريقاً الى الصعود ، فاستمروا طول نهارهم في الجهاد ، وجاهدوا في سبيل الله حق جهاده بالجد والجلاد ، وصاروا يرمون من أسفل على الزيدية وهم في قلة الجبل بالضربونات ، وصارت الزيدية ترميهم من فوق بالأحجار والصخار المدحرجات ، فاذا أصابت أحداً في طريقها حطمته ، وإذا صدمت شيئاً وهي نازلة عليه كسرتة وطحنته ، والمدافع تصب على أهل الجبل من أسفل إلى فوق شعل النيران ، وتمج عليهم من أفواها شرر النار والدخان .

وتجلد حضرة الوزير ، وأنف من الانهزام ، وأناخ بمن معه في ذلك المقام ، مستلذين بوقع الحمام ، وأقدموا على شرب كؤوس المنية كالمياه ، وتلت السنتهم : (وما لنا الا نقاتل في سبيل الله) وابطأ عليهم موعد حسن باشا ، وهم في الانتظار ، وما زالوا صابرين متجلدين الى آخر النهار ، ولم يقترن بحركتهم هذه حصول المراد ، وما حصلوا على طائل في هذا الجلاد ، واستشهد منهم تحت الصخار ، نحو عشرة أنفس من الأبرار ، نقلهم الله تعالى الى الجنة دار القرار ، وأسكنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ، وقتل من الملاحدة الفجار ، الأبالسة الأشرار ، عدة كثيرة ودفعتهم النار الى النار ، وأدخلوا إلى جهنم وبئس عقبى الدار .

فلما ولى النهار يجنوده ، وأقبل الليل يجيوشه وبنوده ، وتعممت بعائم
السواد روس المهاد والوهاد ، واكتحلت الأعين بأئمة الرقاد عن السهاد ،
عاد حضرة الوزير بن معه الى الخيم الكريم ، وأراحهم بالاستراحة في ذلك
الليل البهيم ، بعد التعب طول النهار، بمقاساة الحرب التي هي أشد من العذاب
الآليم ، مترجياً من الله الفتح والنصر بكرمه العميم .

ولما تكرر على حضرة الوزير هذا التكدير ، فوض أمره الى الله السميع
البصير ، وانتظر الفرح لصدق النية وصفاء الضمير ، وتوقع الجبر والخير من
الله تعالى وهو على كل شيء قدير .

فلم يلبث أن جاءه البشير ، وبشره بافتتاح بقاع كثيرة ، وحصن كبير ،
فسرى عنه ما كان يجد من الحزن الكثير ، وسلم الأمر الى الله العلي الكبير
فانه نعم المولى ونعم النصير (شعر) :

ألم ترَ أن الصبر للشكر توأم وانها ذخران ، في اليسر والعسر
فشكراً اذا اوتيت فاضل نعمة وصبراً اذا نابتك نائبة الدهر
فلم أر مثل الشكر حافظ نعمة ولا ناصراً عند الكريهة كالصبر
وما طاب نشر الروض الا لأنه شكور لما أسدى اليه يد القطر
وما فضّل الابريز الا لأنه صبور اذا ما مسه وهج الحجر

ومحصل هذه البشارة في وادي (خبان) وهو الموضع الذي انكسر
فيه المرحوم مراد باشا وتمزقت عساكره قلعة اسمها (درام) منيعة حصينة،
شديدة رصينة ، محكمة مكينة ، وهي بيد شخص من أتباع مطهر اسمه
(محمد بن سعيد) جبار عنيد ، شقي طريد ، من أهل قرية (مدل) من
نواحي وادي (خبان) ولاء مطهر حاكماً في (درام) ، ورئيساً في ذلك المقام
على الاقوام ، ولم يواجه أمير اللواء السلطاني بذلك النواحي ، واستمر هو
وطائفته على العصيان بتلك الضواحي .

وكان له رفيق بلدي من أهل قرية (مدل) اسمه الشيخ (منتصر المريسي)

كان مطيعاً للبكر بكية السابقين ، وكان من مشايخ العرب الطائعين الموافقين ، فلما كانت أيام الفتنة ، وتواتر البلاء والمحنة ، أيام خلو اليمن من البكر بكية ، وضعف أهل السنة السنية ، أمسك مطهر (الشيخ منتصر) المذكور ، بالخداع والمكر والزور ، وحبسه في قلعة (شبام) وطوقه بالغل طوق الحمام ، وقيدته في رجله بالحديد ، وكتب على قيده : مؤبد بالخليد . بيت :

والغل طوق الرجال حلياً والقيد خلخال كل فحل

فلما فتح الله (قلعة شبام) على يد حضرة الوزير ، وملكه الله دارهم وديارهم ، وهو على كل شيء قدير ، كان هذا من جملة الاسارى الذين أطلقهم من الحبوس ، وامن عليهم بالخلاص من النقم والبؤس ، فتقدم إلى حضرة الوزير ، وعرفه باستقامته ، وصدق إخلاصه ، وكال انتسابه الى الدولة العثمانية واختصاصه ، وطلب الاذن أن يجمع من يطيعه من الاقوام ، ويتوجه لمحاصرة قلعة (درام) ، فانه أدري بشعائها ومسارها ، وأعرف بطرق مطالعها ومغارها ، فأحسن له حضرة الوزير ، وأذن له في مراده ، وأمره بالتوجه الى بلاده ، والخوض في ذلك الوادي ووهاده ومهاده ، فتوجه الى بلده ووفى بما التزم من مواعده ، وجمع طائفة أطاعوه من العربان ، وزلزل أطراف وادي (خبان) وحاصر حصن (درام) ، سبعة وعشرين يوماً بالتام ، وهجم الحصن ودخله بقائم سيفه الصمصام ، وقتل (محمد بن سعيد المدائني) بقاضيه ، وقتل معه ولده ، واثني عشر شيخاً من أقاربه ، وأرسل برؤوسهم الى حضرة الوزير على رؤوس العيدان ، فأطاعته عربان وادي (خبان) ودخلوا تحت طاعة السلطان ، وأطاعوا أمير اللواء السلطاني المنسوب في ذلك المكان ، وكان وقوع هذا الفتح العظيم الشأن ، في السابع والعشرين من ربيع الثاني ، سنة سبع وسبعين وتسعمائة .



الفصل السابع والثلاثون

في أحوال (الشيخ عبد الله الداعي)

وما ظهر منه في مدة غيابه من المساعي

تقدم في الفصل الثامن والعشرين أن حضرة الوزير ، لما حط أرطاقه المعظم على جبل (ثلا) و (كوكبان) لافتتاحها بالسيف والسنان ، والمدافع والضبزان ، طلب منه الشيخ (عبد الله الداعي) أمير الدعاة الهمدانية ، ان يتوجه إلى بلاده (المنقب) ويدعوا قبائل العربان ، إلى إطاعة السلطان ، ويجمع عسكرياً من العرب من أهل الطاعة والاذعان ، ويتوجه بهم الى خلف (جبل كوكبان) ويشرع في مقاتلتهم في ذلك المكان ، ويقاتلهم العساكر السلطانية من هذا الجانب ، ليسهل فتح الجبل ، واستمهل لذلك ستة أيام لا لا غير ، فتمعجب حضرة من سرعة وعده بالعودة وأمهله عشرين يوماً ، وانه توجه من أوائل ربيع الأول ، وانه لما طالت غيبته وأبطأ خبره ، أرسل حضرة الوزير عسكرياً من عنده ، مع حسن باشا ليدور خلف (جبل كوكبان) وينظر إلى الداعي وما فعله في هذه المدة ، ويتقوى به ، وبمن يجمعه من العربان .

وكان توجه حسن باشا مع العسكر المزبور ، في خامس ربيع الثاني ، كما تقدم شرحه .

وكان الداعي قد وعد حضرة الوزير بوعود كثيرة ، من جميع الجنود
العديدة ، وإطاعة العربان ، وأخذ البلدان ، فأبطأ وكثر منه البطالة ،
وارتكب في دعواه السرعة أمراً شططاً ، وسبب بطئه انه وجد سائر العربان
ينظرون إلى حال المحارب ، وينتظرون لمن تكون الغلبة فيتبعون الغالب ،
فهم بين هؤلاء وهؤلاء مذبذبون ، لا يصدقون في دعوى الصداقة بل
يكذبون ، وأطاعه بعد زمان منهم شرذمة قليلون ، ومع ذلك يخشى أن لا
يشتوا ، ويميلوا مع الذين يميلون .

ومحصل خبر الداعي أنه لما فارق الخيم السلطاني المنصور ، في سادس
ربيع الأول ، نزل في قرية (اللؤلؤة) وهي من بلاد الداعي ، ثم انتقل إلى
قصة له أيضاً اسمها (الحضور) ما فيها شيء من الحضور ، كما يسمى الأسمر
بالكافور .

ثم في ثامن ربيع الأول وصل إلى ناحية يقال لها (الحيمة) فيها عدة قلاع ،
أكبرها قلعة اسمها (يناع) فجاء أهل (يناع) ودخلوا في طاعة السلطان ،
وتابعوا إلى الله تعالى ورجعوا عن العصيان ، وأطاع باطاعتهم عربان نواحي
(الحيمة) من غير حرب ولا هزيمة .

ثم ارتحل من (الحيمة) ووصل إلى (همدان الحراز) وأهلها تابعون له ،
وحصل منهم نحو ثلاثمائة نفر يرمون بالبندق .

ثم في حادي عشر ربيع الأول وصل إلى جبل حصين ، اسمه (آنس)
فلما دعا أهل هذا الجبل من قبل حضرة الوزير إلى الدخول إلى طاعة السلطان
قبلوا أمره ، وقابلوه بالاذعان ، ورجعوا عن طاعة الشيطان ، وتابوا وأتابوا
ودخلوا مع أهل الايمان ، والله سبحانه وتعالى الحمد والشكران .

ثم ارتحل إلى بلاد (ابن اسمعيل) وهم جيئل في جبل أكبر من شامة
وطفيل ، ولهم حصنان حصينان ، كانا من جملة مملكة المرحوم السلطان سليمان
تفعمده الله تعالى بالرحمة والرضوان ، وسقى عهده صوب الكرم والغفران ،

بناهما من قديم الزمان ، رجلان من طوائف العربان ، اسمهما (شام) و(سباعة) سمي بهما الحصنان ، ودخل اهلها في ايام الفتنة والعدوان ، في اطاعة الزيدية من أهل الغدر والعصيان .

فلما دعاهم الداعي الى اطاعة السلطان اجابوا داعيه ، واعتذروا بانه لم يكن لهم في العصيان داعية ، فقبل حضرة الوزير عذرهم ، وشفع فيهم داعيه وشكر مساعيه ، واقبلت تلك القبيلة لهذا القبول بأذان سامعة وقلوب واعية ، وتمّ هذا المرام ، وحمدوا الله على الاتمام .

ثم توجه الداعي الى قبائل نواحي (سارع) وسارع الى تلك المسارع ، واناخ بفناء تلك المواضع ، وهو واد فسيح ، يشتمل على مهامه فيح ، فيها قبائل من العربان ، يسكنون ذلك المكان ، ما دخلوا قبل الآن في طاعة السلطان ولا لبسوا رداء التسليم والاذعان ، بل كانت حكاهم من الزيديين ، واطاعتهم سابقاً لاؤلئك المفسدين ، وهم ثمان قبائل : بنو الأزرق ، وبنو الشديد ، وبنو محمد ، وبنو الوليد ، وبنو العوادي ، والدحادحة ، والجعافرة ، والمجاديل ، فأرسل اليهم الداعي ، ودعاهم الى الطاعة ، وبذل لهم في ذلك نصحه حسب الاستطاعة ، وذكر لهم ان حضرة الوزير يؤمنهم على بلادهم ، ويطنهم على اموالهم وانفسهم واولادهم ، ويترك لهم خراج عامين ، من غير خلاف ولا مئّن ، وانه يحسن الى محسنهم ويعفو عن مسيئتهم ، ويقابلهم بالبشر والتكريم في اقبالهم ومجيشهم ، ويخلع عليهم خلعاً سنوية فاخرة ، وينعم عليهم نعماً بهية زاخرة ، فرأوا ان اغتنام السلامة أحرى وأولى ، ودخولهم في ظلال الأمن السلطاني اجدى وانجاء ، وانهم يسلمون بذلك من القتل والأسر ، ويأمنون به من الفتك والقهر والقسر ، فاطاعوا واذعنوا واستأمنوا فأمنوا ، وناموا في ظلال الأمان ، ودخلوا في طاعة السلطان .

وكان في قريتهم حصن شديد ، ذو عماد عميد ، قديم البناء ، وسيع الفناء يقال له (قرن المسجد) بقي أهله المكاراة وينجد ، فدخل اهله أيضاً مع

القبائل في الطاعة ووافقوا الجماعة ، واذعنوا للاطاعة فقبولوا بالقبول، وامنوا
من الدخول ، وبلغوا المأمول .

فلما قضى الداعي المرام، من اولئك الاقوام ، وادخلهم في طاعة سلطان
الاسلام ، وشملهم بالسلامة والسلام ، اقام في قرية قريبة من جبل (التيس)
يقال لها (سوق القفاف) مستجلباً عصاة العرب بالتقريب والائتلاف، ونصب
لهم شرك الاتفاق برفع الخلاف ، وجل قصده استجلاب عربان جبل (التيس)
إلى حضرة الوزير ، وتحذيرهم من الفساد والعصيان أشد تحذير ، فانقاد بعضهم
إليه ، ووفد من انقاد منهم عليه ، وهو يعمل الرأي والتدبير ، والأمر لله
العلي الكبير .



الفصل الثامن والثلاثون

في إطاعة أهل (جبل التيس) المحصور ، وما وقع لحسن باشا
ومن معه من العسكر المنصور

أما (جبل التيس) فهو من الجبال الشاهقة ، التي كادت أن تكون في
السمو بالسما بل السماك ملاصقة ، يسامي في العلو والشهوق ، كواكب الجوزاء
ويناجي نجم العتيق ، ويستصغر برجه برج الحمل ، لأنه تيس والتيس على
الحمل يفوق ،

مصنع إلى الجو أعلاه فان خفقت زهر الكواكب خلاها تخاطبه
كان أبراجها من كل ناحية أبراجه وسماكيها مناكبه

وفيه اعراب غلاظ شداد ، ورجال كالجبال والأطواد ، يختارون
الأصلاد على لين المهاد ، ويفترشون شوك القتاد لطيب الرقاد ، فلا زال
حضرة الوزير يستجلبهم بالالطاف ، ويتعطف اليهم بمكارم الأخلاق أكرم
انعطاف ، ويفمرهم باحسانه العامر ، ويأخذ قلوبهم بالكرم الوافر ، إلى أن
وفد عليه شيخهم وكبيرهم ، والمطاع فيهم وأميرهم ، وهو الشيخ (عبد
القادر النزيلي) وكانوا يرفعون شأنه وقدره ، ولا يخالفون إشارته وأمره ،
فقابله حضرة الوزير بالاكرام ، وأنعم عليه بجزيل الأنعام ، وألبسه خلعا
فاخرة سلطانية ، وأركبه خيولا بسروج سنية ، وغمره بانعام لم يخطر

بخطره ، ولا مرّ يوماً قبل ذلك في ضمائره ، والانسان بالاحسان يستعبد ،

ومن وجد الإحسان قيّداً تقيّداً .

بيت :

احسن إلى الناس ، تستعبد رقايبهم فطالما استعبد الانسان احساناً

فأدى ذلك الفعل الجميل ، والاحسان الزائد الجزيل ، إلى أن أطاع
حضرة الوزير الشيخ (عبد القادر) المزبور ، وأطاعت باطاعته قبائل جبل
(التيس) المذكور ، وصار جبل (التيس) رضواحيه ، وقراه ونواحيه ،
من مضافات الممالك الشريفة السلطانية ، وأقاليمها المحروسة الخاقانية ،
وخطب أهله للسلطان ، واستبدلوا حلل الطاعة عن اسمال الخيانة
والعصيان ، وتزفوهوا بالأمن ورفلوا في أردان الأمان ، ودخلوا في
الطاعة السلطانية مع أهل الايمان ، فانكسر لذلك ظهر (مطهر) وفتته
الباغية من العربان ، وتحطم كذلك أهل (كوكبان) ووهنوا وفشلوا ،
وتزعزعوا وتزلزلوا ، فان هذا الجبل يرمي على (كوكبان) ويهدم ما بها من
بنيان ، ويزلزل ما فيها من أركان ، وعد ذلك من الفتوحات الباهرة ،
والسعودات الزاهرة ، والنصرة المتواترة ، الصادرة عن آراء الوزير ، وأفكاره
الثاقبة الصائبة في التدبير .

وأما حسن باشا فانه كان توجه ، هو والأمير محمود بك ، أمير الأمراء
السلطاني ، في زهاء الف من العسكر المنصور ، لإعانة الداعي ، لما أبطأ
خبره ، كما تقدم في خامس ربيع الآخر ، ووصل إلى وادي (الحيمة) بالحاء
المهمة ، والمثناة التحتية ، في عاشر ربيع الآخر ، ففتح أربع قلاع ، من
حصون تلك البقاع ، في غاية الشدة والامتناع ، والعلو والارتفاع ، لا تناجي
إلا الثريا ، ولا تناجه إلا نجوم الجوزاء كأنها دعائم السماء ، تمسكها أن تقع
على الثرى .

- أحدها (المصنعة) لبني (الشقاق) .
 والثانية (قلعة ظفار) تضاف إلى (بني الأحبوب) .
 الثالثة (قلعة بني السودان) لشيخ (بني سويد) لسمره الوانهم .
 الرابعة (قلعة عتر) بالتشديد ، (لبني الأعضب) .

وكانت القلاع المذكورة داخلة في المملكة السلطانية قبل هذا وعصت أهلها أيام الفتنة ، وأطاعوا الأعرج لما عصى ، وهذى ، فمادت الآن تلك المسارب والمسالك إلى الطاعة السلطانية ، كما كانت قبل ذلك ، والله الحمد على ذلك ، وقوبل أهلها بالعفو عن جنائتهم ، والاعراض عن غدرهم وخيانتهم ، وعوملوا بالصفح الجميل ، شكراً لنعمة الله تعالى وإحسانه الجزيل ، وطلبوا لعفوه وغفرانه ، وفضله وكرمه وامتنانه .

من كان يرجو عفو من هو فوقه عن ذنبه فليعف عن دونه

وارتحل حسن باشا خامس عشر ربيع الآخر ، متوجهاً إلى جهات توجه إليها الشيخ (عبد الله الداعي) فاجتمعوا في قرية (دير رجم) بضم الراء المهمة ، وسكون الجيم آخرها ميم ، في رابع عشرين ربيع الآخر ، ورحلوا بعسكرهما إلى بلاد اسمها (سهل باقر) فيها قبائل عديدة من العربان ، وحصون محصنة متان ، على الأجناب حصان ، أطاع من أهلها أهل ثلاثة حصون ، لبسوا جلباب الأمن المصون ، الأول (الجالد) الكبير .

والثاني الجالد الصغير ، ويسميان الجالدين بالثنوية .

والثالث حصن (الكاهل) وكلها من حصون الزيدية أتباع الأعرج الباطل ، فأطاعت أهلها وانقادت ، واختارت الصلح على الحرب فعموت ربهه وأشادت ، وأقبلت بمفاتيح قلاعها إلى حسن باشا ، وسلمت ، والقت مقاليد الرضا والاذعان واستسلمت ، فقبولت بالقبول ، وشملت بالنظر إليها أوفى شمول ، واعدت

اليهم المفاتيح ، ففازوا بالمتجر الربيع ، وأبقوا في قلاعهم على الطاعة والانقياد، وبلغوا بسبب ذلك الأمن غاية المراد ، واطمأنت لهم القرى والبلاد ، وقرت منهم العين بذلك واستقر الفؤاد .

وتم ذلك لحسن باشا ، والداعي في آخر ربيع الآخر .

ثم انتقلوا الى قلعة اسمها (هبيني) من قلاع مطهر فوهبت نفسها لرجال العسكر، وصالح أهلها من غير جدال ولا جلاذ، ودخلوا في الطاعة والانقياد، وربح أهلها أنفسهم وأموالهم، وكفت عنهم العساكر السلطانية قتلهم وقتالهم، وقبلوا على وجه الصلح اقبالهم ، وصارت القلعة المذكورة من مضافات الممالك العثمانية المنصورة، وشملهم الأمن والأمان، واشتملوا على الاستقرار والاطمئنان، في ظلال معدلة حضرة السلطان ، وأمنوا روعة الخوف والعدوان ، والله ولي الاحسان ، وبه المستعان وعليه التكلان .

وكان ذلك في مستهل جمادى الأولى ، سنة سبع وسبعين وتسعمائة .



الفصل التاسع والتمردون

في محاربة محمد بن شمس الدين ، وعلي بن شويح ، ومحمد بن رضي الدين ، مع حسن باشا ، ومن معه من العسكر المنصور ، ومن خلف جبل كوكبان المحصور

لما فرغ حسن باشا ، والشيخ عبد الله الداعي من افتتاح ما تقدم ذكره من القلاع والقبائل ، التي آخرها قلعة (هُبيني) اقاما أياما للاستيثاق بالعربان الذين صالحوا ، ثم توجه عبد الله الداعي للفحص عن بقية تلك تلك العربان ، والولوج الى خلف (جبل كوكبان) ليصعدهو وحسن باشا من خلف الجبل ، ويغيروا على الزيدية وتم عليهم الخيل ، فاقام حسن باشا بذلك المكان ، وتوجه عبد الله الداعي إلى سفح (جبل كوكبان) ونزل في واد يقال له (ضيمان) فرأى جيشاً كثيفاً، وعرباناً ولفيفاً ، جمعهم (محمد بن شمس الدين) و (علي بن شويح) المهين ، و (محمد بن رضي الدين بن شرف الدين) واذا هم كالجراد المنتشر في ذلك المكان، قد استعدوا للقتال والطمان، وأوقدوا للحرب شعل النيران ، فلما أحس بهم الداعي ، أرسل الى حسن باشا أمرع ساعي ، يستحثه على الوصول ، ويخبره بما شاهد من الأمر المهول ، فاسرع والجمل ، وارعد ، واضرم ، وترك الأحمال والأثقال ، وأخذ الخيل والرجال ، وأغار بالالفار ، وطرد هو ومن معه جريدة في تلك القفار ، وأجابوا داعي الداعي

رجالاً وفرساناً، وطاروا اليه زرافات وركباناً، الى أن أصبحوا يوم الاثنين ،
 لعشرين ليلة خلت من جمادى الأولى ، وأقبلوا عليهم باخفاف وحوافر ،
 وسيوف بواتر ، واسود كواسر ، فما راعهم كثرة الأعداء كما لم ترع كثيرة
 الاغنام فؤاد الجازر ، ولا كثرة الجآذر قلب القانص الماهر ، فصدموا وهدموا ،
 وطحنوا وحطموا ، ومزقوا ومرقوا ، رفرقوا وما فرقوا ، وأعملوا السيوف
 والأرماح ، وحددوا حدود الصفاح ، وأرسلوا السهام كالرياح ، وقطعوا
 الجماجم والرؤوس ، ونزعوا الأرواح والنفوس ، وخاضوا دماء الدماء ، وما
 وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما . شعر :

قوم يبيت على الحشايا غيرهم ومبيتهم فوق الجياد الضمير
 وتظل تصبح في الدماء قبايهم فكأنهن سفائن في أبحر
 لا يأكل السرحان شلو طمينهم مما عليه من القنا المتكسر

وثبت الرجال للرجال ، وأسرع البطآء الى العجال ، واختلط أهل التقوى
 وأهل الفجور ، اختلاط النور بالديجور ، فأرغموا آنافهم ، ونفروا ألافهم ،
 وردوا إلى المثين آلافهم ، ورماة الحدق ، وكماة الفيلق ، ترمي شياطينهم
 بشهابها ، وتهوي إلى أوكار أفئدتهم بطير نشابها ، وهم يجنون من ثمر القنا ثمر
 الردى متشابها ، ويحتسون كؤوس الموت من علقمها وصابها ، وقتل من
 رؤوس الزيديين (محمد بن رضى الدين) وقطع رأسه ، وخمدت انفاسه ، وهلك
 في جرقه من كبار الزيديين كثيرون ، وجرح جراحت مثخنة آخرون ،
 رحل فوق الرماح نحو ثلاثين رأساً ، واقتلع من خيولهم عدة تراحم العشرين
 أفراساً ، ومن اللبوس واليلبب أعدادا ، ومن البغال والركاب أفرادا ،
 واستشهد من العسكر المنصور كاشفان ، ومن المشاة عشرة شجعان ، قد
 سبقوا الى الجنة باقتحام الظبأ والأسنة ، كما سبق اخصامهم الفجار ، إلى عذاب

النار ، وبشس القرار ، فطفق السيف مسحاً بالسوق والاعناق ، والرمح طعنأ
في الصدور والأحداق ، والنبل رشقأ في النحور والآماق ، ومد النقع على
الرؤوس اعظم رواق ، وضرب العثير في الجوا أوطاقأ سد به حجب الآفاق ،
فنقصت من طباق السبع أرضين طبقة ، وزادت في أطباق السماء واحدة من
الطباق ، واستمر القتل والفتك ، والسفح والسفك ، والهتم والهتك ، إلى أن
حال بين الفريقين حجاب الدجى ، وتلا لسان السماء على الأرض : (والليل إذا
سجى) وكل الكل من الطعن والضرب ، ومسال إلى الوسن جفن الحرب ،
فانحاز كل من الفريقين الى مقرهما ، متفكرين فيما آل اليه الحال من أمرهما ،
يعدد كل منهما على قتيله ويعدده في القتلى ، وينوح عليه ويبكي بكاء الشكلى ،
وإلى الله الرجعى ، ويبيده الخير والشر ضرأ ونقما ، وارتفع العسكر المنصور
السلطاني الى تل عالي ، مرتفع الوسط والحوالي ، ونصبوا حراسأ تحفظهم
بالنوبة ، يحرس كل واحد منهم صوبه ، لثلا يهجم عليهم العدو على حين
غفلة ، لغلبة النوم وشدة الاعياء والمهلة .

ثم رأى حسن باشا أن يرسل إلى حضرة الوزير بتفصيل هذه الواقعة ،
واستشار الكبراء من العسكر في ذلك ، فأشاروا عليه بطبق ما رأى ،
والتمسوا منه أن يطلب مع ذلك معونة ومددا ، وأن يكثرهم سوادأ وعددا ،
ليمكنهم الصعود إلى جبل (كوكبان) وإيقاع الحرب مع أهل الحصن من
ذلك الجانب بالبنادق والنيران ، فكتب مكتوبأ بضمون ذلك الحال ، وما
وقع لهم في تلك السهول والجبال ، وأعطاه لشخص اخفى من الليل إذا
عسعس ، يخوض به حدس الظلام الأطلس ، فاستمر سائراً سارياً ، وبعلامات
النجم مهتدياً مباردياً ، يسري في الليل ، ويكمن في النهار ، ويفري أديم
الأودية والقفار ، إلى أن ورد على حضرة الوزير ، وأدى الأمانة واعلم
بالمسير ، وفصل الأحوال ، وعدل إلى التفصيل عن الاجمال ، فأصفى الوزير
إلى مقاله ، واستخبره عن جميع أحواله ، وأحاط بالأحوال خبراً ، وفسح
لاستماع ذلك الخبر صدرأ ، وتلقى كلامه بقلبه وهو شهيد ، وتوجه إلى تدبّر

ذلك وتدبيره برأيه السديد ، وفكره السعيد ، وعين جماعة من الفرسان الشجعان ، أهل الضرب والطمان ، والسيف والسنان ، أن يتوجهوا على دفتين ، واحدة بعد واحدة ، ويصلوا اليهم فوجاً بعد فوج ، لتكرر حصول الفائدة ويشيع أولهم بوصول جنود اخرى متتابعة ، يظهر لهم في كل لحظة شائعة ، ليكون أربح للعدو ، وأفزع ، وأخوف لقلوبهم وأفزع .

فتوجهت الفرقة الأولى ، في ثامن جمادى الأولى ، وتوجهت الفرقة الثانية في تاسعها ، وتفرقوا في الأودية شاسعها وواسعها ، وأخذوا القلوب والأفئدة بجامعها ، واستمر حسن باشا ومن معه من العساكر المنصورة ، حافظين وطاقمهم ، وحارسين محطتهم المعمورة ، إلى أن وصل المدد من عند الوزير ، فقوي جأشهم ، وظهر بوصول المراد اليهم انعاشهم وانتعاشهم ، وكانوا قبل وصول المدد ، في خوف وفشل ونكد ، فانهم استكثروا سواد الأعداء ، وصاروا كالشامة البيضاء ، في جلد البقرة السوداء ، وخافوا أن يهجم العدو عليهم ، ويصلوا من كل جهة اليهم ، فيحتارون في حفظ المحطة ، والخيم المنصوبة والأثقال المنحطة ، فإنهم لكثرتهم لا يفنيهم السيف والنار ، ولا يقرهم إلا العزيز القهار ، فنصب حسن باشا الديوان ، وجمع كماء المسكر والشجعان ، واستشارهم فيما يفعل في هذا المكان ، ويكون صواباً بحسب الامكان ، فمنهم من أشار اليه باحراق الأثقال ، ونحر الجمال ، والتوجه دفعة واحدة إلى القتال ، فان كسروا العدو تعوضوا عن الذي أتلّفوه ، وحصلوا بدل ما أحرقوه ونسفوه ، وان قتلوا فازوا بمرتبة الشهادة ، وحازوا في الدار الآخرة مراتب السعادة ، ولم تبق للأعداء أثقالهم ولا ينتفع بها جهالهم وأسفالهم ، ولا يفرح بذلك سفهاؤهم وضلالهم ، وما وافق على هذا الرأي الباقون ، وقالوا : هذا من محض الجبن والجنون ، وهل هؤلاء العربان الا كأمثان الغربان يطرد الألف منهم بججر [واحد] في الميدان ، ولولا اعتصامهم بالجبال والصخار ، واكتنائهم خلف الصخور والأحجار ، لحصدناهم حصداً ، وما أحصينا لهم عدداً ،

والرأي أن نقاتلهم باحملنا وأثقالنا ، ولا نفارق دوابنا ولا جمالنا ، ويؤتى الله النصر لمن شاء ، والله لطيف بن يشاء ، واتفقوا على هذا الرأي ، ووافقوا على انه أحسن الآراء ، وأجمعوا على ذلك ، ونبذوا كل رأي خلافة بالمرء ، ووصل المدد في أثناء ذلك من الوزير ، وعلموا ان الله تعالى لطف بهم ، وهو على كل شيء قدير ، فارتفقوا واتفقوا ، وعاهدوا الله وصدقوا ، وتماهدوا أن يحملوا على العدو حملة رجل واحد ، وأن لا يولوا أديبارهم في تلك المشاهد ، وإذا حمى الوطيس وبلغت القلوب الحناجر ، ثبتوا وصبروا على حر السيوف والحناجر ، ومن نكص منهم على عقبيه بدأوا به فقتلوه ، قبل قتل العدو الفاجر ، وبذلوا أنفسهم وأموالهم في سبيل الله ، ونصر الدين الحنيفي وتأييد السنة ، وعلموا ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة ، وتعاهدوا على ذلك بالإيمان ، وتعاهدوا عليه بالجنان واللسان ، وتصادقوا بالبيان والبنان والأركان ، وتركوا المدافع الكبار مع الأمير محمود صاحب اللواء السلطاني ، في الوطاق ، وطاروا الى الحرب على ذلك العهد والميثاق ، وحملوا على العدو حملة رجل صادق في اللقا ، وتيقنوا ان البقا في هذا الدار هو الفناء ، وان القتال في سبيل الله هو البقاء ، وعلموا ان الموت على الفراش هو موت الجبناء المحقاء ، وداموا على حفظ ميثاقهم الذي واثقوا به في العموم والخصوص ، وقاموا يقاتلون في سبيل الله صفا كأنهم بنيان مرصوص ، ولو وجدوا للقتال ميداناً ، وأرضاً تجول فيها الخيل جولاناً ، لما حملهم العدو ساعة ، ولا آناً ، بل كانوا ينطحون بحوافر الخيل انطحاناً ، لكنهم كانوا في وعر لا تعمل فيه الخيول ، وصخار وأحجار يمتنع بسببها اليهم الوصول ، ومع ذلك فما صبر الاعداء على حملتهم ، ولا قدروا على دفع صولتهم ، بل هربوا وانهزموا بحملتهم ، وتشتتوا وتمزقوا ، وتبددوا وتفرقوا ، وذهبوا شذر مذر في البحر غرقوا ، وركبت العساكر السلطانية أديبارهم وأكتافهم ، وقتلوا منهم الجماء الغفير الى ان فللوا أسياقهم ، وربطوا منهم ربطاً شديداً أكتافهم ، وساقوهم سوق الغنم بيد القصاب ، وداوسوهم دوس الحصيد بأرجل

الدواب ، الى أن اوى الليل المهزومين الى قرية (تريادة) وبعثوا عن العسكر المنصور وعرفوا جهاده ، وفاز أهل الحسنى بالحسنى وزيادة ، ونالوا بصدق عزمهم أعلى درجات السعادة .

ورجع حسن باشا مع رفاقه من العسكر إلى أوطاقه ، وباتوا آمنين من غدر العدو الخذول ونفاقه ، وسلموا أمرهم الى الله العلي الكبير ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

وكان من كشاف مصر (أحمد بك) المدعو (جتر قيل) الكاشف قد أبلى بلاء حسناً ذلك اليوم ، في تلك المواقف ، ودخل جوف الأعداء وسلم ، وتجراً على الدخول اليهم وهو مشهر معلم ، وأظهر اليد البيضاء في ذلك الجو المظلم ، والفضاء الذي هو من وهج العثير مقتم ، فقدر الله تعالى له السلامة ، وثبته في ذلك الموقف وأقامه ، وعاد بعدة رؤوس وشكر الناس مقامه .

واستشهد ستة أنفس من العسكر المنصور ، خلصوا من دار الغرور إلى دار السرور، وتنعموا في جنات عدن تجري من تحتها الأنهار بالحبور والسرور، واستوفوا لذات قصور الجنة بلا قصور .

أما العدو المقهور ، فقتلاه عدد غير محصور ، وأساراه موثوقة بالقيود والسيور ، وإلى الله تصير الأمور .

فلما تجلى أفق الصباح ، ونادى منادي الصبوح حي على الاصطباح ، وأبدي الشمس بحاجبه علامة الطغراء السلطاني ، ونشر لواء الصبح رايته البيضاء على الأقصي والأداني ، وانهمز جند الليل مكسوراً ، وانتشر جيش النهار مظفراً على الظلماء منصوراً ، ركب حسن باشا وجنده الموصول ، لتتبع بقية السيوف من العدو الخذول ، وساروا في طلبهم يقطعون الأوعار والسهول ، إلى أن وصلوا الى قرية (تريادة) ففرحوا بالوصول ، وتهيأوا للقتال بطلب الدخول ، فأحس بهم أهل الحداد ، فأرادوا أن يثبتوا للجدال والجلاد ، وأقبلوا بالمتقفة الصعاد ، والمرهفات الحداد ، والمقاليع والأصلاد ، فما ثبتوا ولا نبتوا ، بل

تشتتوا وانفلتوا ، وتركوا في القرية أسبابهم وهربوا ، واتخذوا الفرار بدلا عن
القرار خشية أن يُجَنَّبوا ، ولم يقدم العسكر السلطاني على نهب القرية ، خوفاً
من المكيدة ، وخشية من شتات العسكر وعود العدو عليهم بجريسة ، بل
تركوا القرية للعربان ، فنهبوا في أسرع آن ، وأدخلوا في خبر كان ، واستلبوا
ما تركه العدو في ذلك المكان .

ومن عجيب الاتفاق ان العسكر السلطاني كان قد فرغ البارود من عندهم ،
فوجدوا من جملة ما تركه العدو وهرب ، خمسة أحمال من البارود ، فأخذوه
وقسموه على اصحاب المدافع ولم يتعرضوا لشيء غير البارود ، من الاسباب
التي هرب العدو عنها ، وتركها في القرية ، وهذا من المسدد الإلهي والله الحمد
على ذلك .

واستمر العسكر المنصور ، يطردون العسكر المكسور ، الى أن التجأ الى جبل
(ضلع) فأحاطوا بهم من جهة الوادي ، ورموهم بالمدافع والأسود العوادي ،
وقاتلهم طوال النهار ، إلى أن غابت الشمس عن الأبصار ، وأقبل الليل
وأظلم ، ونشر الظلام جناحه فاسود الجو وادلهم ، فهرب العدو إلى جبل
(سيان) فصحبهم فيه (عبد الله الداعي) ومن معه من الفرسان ،
فهمهم وهدمهم ، وكسرم وحطمهم ، فانهمز الأعداء وهربوا ،
وتشتتوا وما حاربوا ، ولا حربوا ، واستولى (عبد الله الداعي) على جبل
(سيان) واجتمع العسكر السلطاني في ذلك المكان ، ووصل اليهم محمود بك
بالأثقال والأحمال ، والأوطاق والحيم والزمال ، محمولة على الجمال والبغال ،
تحفها الأبطال والرجال ، فضربوا خيامهم في رأس جبل (سيان) ونصبوا
الوطاق بغاية الاتقان ، وفرحوا بالنصر عند الله العلي الكبير ، وحمدوا الله
على ما ساقه اليهم من النعم والخير الكثير ، وصاروا يعجبون ممن أشار منهم
بجرق الأسباب ، ويلومونهم على ذلك الرأي الذي تبين انه غير صواب ،
وما النصر إلا من عند الله العزيز الوهاب .



الفصل الرابعون

في صعود العسكر المنصور الى (جبل كوكبان) وهروب (محمد
ابن شمس الدين) الى داخل الحصن المحروق بالنيران ، وهروب
(علي بن شويح) الى (جبل ثلا) بالويل والخذلان ،
وافتح بعض الحصون والبلدان

لما قوى جاش العسكر المنصور ، بانهزام العدو المدحور ، وغابوا عن
النظر مغيب الظلام عند سطوع النور ، وعلموا أن لا طاقة لهم بهذا الجيش
الخبور ، وتفرقوا مع كثرتهم في قلل الجبال والصخور ، وصمم عسكر
الاسلام على قطع جادرتهم بجد الحسام ، وتبعهم في الجبال والآكام ، وعزموا
على صعود (كوكبان) ولو أنه مع الكوكب بان ، وعزموا على عروجه
ولو أنه السماكان ، أو انه أعلى من السماء كان ، فتظافروا تظافر الغزلان ،
وتظافروا على نصره الإيمان .

وتوجهوا خامس عشر جمادى الأولى ، مع الداعي (والأغا عبد الله
الهمداني) طريقاً تسمى (القلة) وسلك الأمير محمود ومن معه طريق (تربة)
وسلك حسن باشا وباقي العسكر الطريق الوسطى ، بين الطريقين المذكورين
وركبوا من نصف الليل ، وسلكوا تلك الطرق بالرجل والخيل ، ومالوا على

أهل الاحداد كل الميل ، ونادوا عليهم بالثبور والويل ، فوجدوا بعد المسير ،
والأخذ في التسيير ، طريق (التربة) والطريق الوسطى قد سددهما الزيديون
بالأحجار الكبار ، ودحرجوا اليها عظام الصخار ، فلم يُبْقُوا فيها طريقاً
للسلوك والتسيار .

فأما الداعي والاغا عبد الله الهمداني فسلكوا طريق (القلة) ووجدوا
بها مسلكاً واسعاً وسع الجملة ، فسلكوه وصعدوا أعلاه بلا تعبة ، ولا مهلة ،
ووصلوا الى موضع يقال له (رأس المخرف) والعسكر المنصور يقدم على
صعود الجبل ويزحف ، وعاد الأمير محمود وحسن باشا ومن معها من طريقها
المسدود الى هذا الطريق السالك ، وقد غفل الزيديون عن سد هذا المسلك
من بين تلك المسالك ، وكان ذلك لما قدره الله عليهم من المداهلك والمهالك ،
فلا يغنى التدبير عن التقدير ، واذا نزل القضاء عمى البصر وغفل البصير .

فلما تكامل العسكر المنصور في (رأس المخرف) واحتال كل واحد من
العسكر الى الصعود اليه وتكلف ، واجتمعوا هناك بالسلاح والعدد ، وأعانهم
الله تعالى بلطيف الاعانة والمدد، شعر بهم الزيديون عند فلق الصباح، وأحسوا
بالعسكر السلطاني معهم في الجبل وهو شاكى السلاح ، فكان الفجر أول من
شهر سيفه صباحاً ، وعدت عليهم عوادي الخيل والعاديات ضبحاً ، ورمت
عليهم المدافع والمكاحل ناراً فهي الموريات قدحاً ، ودارت رحى الحرب الى
ان وضع النهار واضحى ، ففر الزيديون فراراً ، ولم يطبقوا ثباتاً ولا قراراً ،
واوى (محمد بن شمس الدين) الى حصن (كوكبان) وهرب (علي بن
شويح) الى جبل (ثلا) ووصل الى (مطهر) بالخزي والخذلان ، وقتل في
أثناء ذلك خلق لا يحصون ، وكانت الدائرة على الزيدية وما حفرهم عون ،
ولا صون، ولما وصل الخبر الى حضرة الوزير ، بهذا النصر الكبير ، وانكسار
العدو الكسير ، حمد الله تعالى على انعامه بالنصر والتأييد ، وبالغ في شكر
المنعم الكريم يستمري بذلك خلف الزيد ، ومرغ وجهه في الأرض تعظيماً

لله ، وما النصر إلا من عند الله ، واعترف بتواتر الاء الله وتوالي نعماءه ،
 وتحقق عجزه عن ذلك لولا نصرته مولاه ، وركب في الحال مسارعا الى صعود
 (جبل كوكبان) من جانبه الذي يليه ، وتوجه بغاية الاستعجال ولم
 يكن شيء عن ذلك يليه ، وصار من عينه للمسير معه يتتابعون خلفه ،
 ويتلاحقون به في عجلة وسرعة وخفة ، وساروا من أول الليل فما أصبح
 عليهم الصباح ونشر طائره الميمون أبيض جناح ، الا وهم محاصرون
 قلعة حصينة ، من قلاع كوكبان المهينة ، تسمى (بيت العز) وهو بيت
 الذل والهوان ومحل البغي والظنيان ، فلم يدر أهل القلعة الا وقد احيط بهم
 احاطة الخاتم بالأصبع ، ولم يجدوا مفرأ ولا ملجأ مما نزل بهم من العذاب ولا
 مفرج ، فما زال أهل الاحاد يجادلون ويقاتلون ، ويقابلون ويقاتلون ،
 ويقومون ، ويعقدون ، ويتصبرون ويتجددون ، الى ان عجزوا عن الكفاح وصاروا
 غرضاً للسهام والرماح ، وثلم عليهم السور ، وهجم عليهم ، ففر منهم من
 أمكنه الفرار ، وسيق باقيهم إلى عذاب النار ، وقتلوا قتلاً ذريعاً إلى آخر
 النهار ، بحيث ملت السيوف وكلت ، وانثلت الصوارم وانفلت ، وطلع
 السنجق السلطاني على السور ، وأشرق الموضع بعد اعتكاره بالاحاد من سنا
 الاسلام والسنة بالنور ، والله عاقبة الأمور ، وله الحمد في العاقبة والأولى ،
 واليه النشور ، وذلك في سادس عشر جمادى الاولى ، ووافق هذا اليوم
 صعود حسن باشا ، بمن معه من الجانب الذي هو فيه إلى قلعة اخرى حصينة ،
 وقلعة مسورة متينة ، تسمى (حجر الركائين) من أوثق حصون أهل كوكبان
 فأحاط بهم حسن باشا ، وقاتل أهلها أشد قتال ، ورمى عليهم بالمدافع
 الثقال ، وشن عليهم الفارات ، ودهكهم بالبنادق والضبزبات ، وتسور
 الرجال أعلى السور ، وأطلعوا السنجق السلطاني المنصور ، ووضعوا السيف
 في أهل القلعة ، وقلعوا منها أشد قلعة ، وهرب منهم من أعانه طول العمر
 ليقتل ثانياً فيما بعد ، وصدق الله المؤمنين بنصره المتوالي ما سبق لهم من
 الوعد ، وكان يوماً شديداً على أهل الاحاد ، بأخذ هذه القلاع الشداد ،
 وبذهاب الملك من أيديهم والبلاد ، وانكسر بذلك ظهر الأعرج المهين ،

وظهر (محمد بن شمس الدين) ونزل (علي بن شويح) إلى أسفل سافلين ،
ودعوا على أنفسهم بالويل والثبور ، وقالت عليهم الخمول والكسور ،
وتحققوا أن جيش الالحاد متهور ومكسور ، وجند أهل السنة بتأييد الله
تعالى مظفر منصور ، وسيف السلطنة الشريفة العثمانية طويل مشهور ،
وسنانها المثقف يزرى بالسيوف اليمانية إذا طعن في النحور ، ولا يعدها
ماضية بالنسبة إلى عزمه يوم بأسه المهدور .



الفصل الحادي والرابعون

في تعيين حسن باشا لمحاصرة «كوكبان» وتطليع المدافع الكبار الى أعلى الجبل المذكور ، بالجبال والأرسان ، وفتح حصن (شمات) وتخریب ذلك البنيان ، وخلص الأمراء المحبوسين في (كوكبان) في ذلك الزمان

لما من الله سبحانه على حضرة الوزير العظيم الشأن ، الرفيع المكان ، بفتح هذه القلاع في أعلى (كوكبان) حمد الله تعالى على انعامه بنصرة أهل السنة وخذلان الملاحدة وأهل العصيان ، وتوجه حينئذ إلى أخذ قلعة (كوكبان) وهي في غاية الإحصان والاتقان ، ونهاية القوة والمتانة والامكان ، يحيط به خندق عميق عتيق ، لا يركبه جسر لطول عرضه ولا إليه طريق ، ولأهل القلعة نقب ينزلون منه إلى عمق هذا الخندق ، ولهم طريق واحد من أعلاه ، لا يسلك لغيرهم ولا يطرق ، يضعون فيه بعض الأخشاب المجهولة لذلك عند الاحتياج ، ثم يرفعونها فلا يوجد إليها مسلك ولا منهاج ، فإذا قصد طم ذلك الخندق بالأحجار ، نزل أهل القلعة إليها من النقب ورفعوها فلا تمتلي بتلك الصغار ، وعندما من المدافع الكبار ما

يرمون بها من يقرب من الخندق ، فلا يكاد أحد يقرب من طرق الخندق الا ليلاً وهو خائف يفرق .

فمىن حضرة الوزير لمحاصرة هذه القلعة جماعة من الفتيان الشجعان ، وجعل حسن باشا سرداراً عليهم في ذلك المكان، وعاد هو الى الخيم الكريم ، ليطلع اليهم المدافع الكبار بالليل الليل البهيم ، وكان من أصعب الامور تطليع هذه المكاحل العظيمة بين تلك الصخور ، ولكن همة الرجال تقلع الجبال ، ولا شيء على الهمة العالية بمحال ، وعلو الهمة أعلا وأغلا صفات الرجال ، ورحم الله من قال (بيت) :

له هم لا منتهى لكبارها وممته الصغرى أجل من الدهر

فأحسن حضرة الوزير الى العسكر غاية الاحسان ، وجلب قلوبهم اليه يميزيل البذل والمكارم الحسان ، ونثر عليهم أكياساً من الذهب والعقيان ، وأمرهم بتطليع المدافع الكبار الى أعلا (كوكبان) فحملتها الرجال على الاعناق فهانت في الحملان ، فحملوها على الرقاب في تلك النقاب ، وأطلعوها بأنواع الصنایع والدولاب ، وتساعدوا على ذلك ، والتعاون يهون الامور الصعاب .

اذا الحمل الثقيل توازعته أكف القوم هان على الرقاب

وكان في اقامة حضرة الوزير في أوطاقه المظفر ، أنواع الرفق بالعسكر ، وتطمين سكان البر ، فلا ينال أحد بشرّاً أحداً من البشر ، وفي ذلك تسليك الطرقات ، والأمن من السرقات ، وورود القوافل بالمعاش والمؤونات ، وتقوية جأش العساكر المتفرقة بالبلدان ، وتقوية جنان حسن باشا ومن معه في علو (كوكبان) ، بتواتر ارسال المسدد ، وتكثير سوادهم وسلاحهم بتلاحق العدد والعدد ، الى غير ذلك من الفوائد التي لا يحصرها عدد، وكانت في ممرهم بالمدافع قلعة تسمى (شماط) عالية المناط ، معدة للقتال والرباط ، خاف أهلها ورتاعوا ، وشاهدوا من هيبة العسكر ما ذابوا لأجله من الفرق

وانماعوا ، فسلموا القلعة لحضرة الوزير وأطاعوا ، فألبسهم خلع الامان ، وعاملهم باللطف والاحسان ، ونقلهم الى أحسن مكان ، وأجرى عليهم بالجرایات والنفقات الحسان ، فخرجوا بقضهم وقضیضهم ، ونزلوا من ذروتهم الى حضيضهم ، وتركوا الدار خالية تنعي من بناها ، وتبغى بسكانها بدلاً سواها ، فأمر حضرة الوزير بهدمها ونقض أسوارها ، وتخلية معصمها من تحلية سوارها ، ورفع أساسها وخفض جدارها ، وأعمل المعاول في أحجارها ، فعادت لاتعد من الحصن ، وصارت كأنها لم تكن ، وإنما أمر الوزير لذلك خشية أن يعود أهلها الى العصيان ، اذا أضلهم الشيطان عن طاعة السلطان ، فتكون معقلاً ، تصونهم بعد زمان ، ورأى الأمر يفضى الى آخر فصير آخره أولاً ، ولما حصل للعسكر المنصور هذا الفتح العظيم متعاقباً للفتوحات السابقة ، وتواتر انكسار العدو المخذول بتواتر النكبات المتلاحقة ، وتوالت نعم الله تعالى على أهل السنة بتوالي نعمائه والآئه المتناسقة ، حمدوا الله تعالى على نعمه الجمة ، وشكروا إنعامه ولطفه والتوفيق على شكر النعمة أجل نعمة ، وعلّموا أن النصر بيد الله تعالى يؤتیه من يشاء من عباده ، حسب ما سبق من التقدير ، وان الملك لله وحده لا شريك له ، يحيي ويميت بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير .

ولما تحقق (محمد بن شمس الدين) وأهل (كوكبان) ومن انضم اليهم من العصاة وأهل العدوان ، ان العسكر السلطاني اطلع المدافع والمكاحل الى أعلى الجبل ، سقطوا في أيديهم وبطل منهم جميع المكر والحيل ، وتيقنوا انهم مأخوذون ، وعلّموا أنهم سيدوقون عذاب عذاب الهون ، جزاء بما كانوا يعملون ، واضطربوا غاية الاضطراب ، وقرعوا باب الصلح وتعلقوا بالأسباب ، وكان عندهم من أمراء السناجق الكبار ، ستة من الأمراء محبوبين عندهم في الآبار ، استولوا عليهم أيام الفتنة والعدوان ، وأخذوهم بعد اعطاء الأمان ، وغدروا بهم وربطوهم ، وقيدوهم بالحديد وضبطوهم ، وذلك في أيام استيلائهم على صنعاء ، وغيرها من البلاد ، واشتعال نيران الفتنة والفساد ، فبعد غيبتهم

في غيابة الجب سنين ، ولبثهم في السجن مع المسجونين ، ومقاساتهم فيه العذاب المهين ، أخرجوهم الآن من الجبوس ، وفكوا قيودهم من الأرجل والأغلال من الأعناق والرؤوس ، وقرروا معهم أن يشفعوا لهم عند الوزير في رفع القتال ، وكف هذا الجلاذ والجدال ، والابقاء على ما بقي من الأنفس والأموال ، فكسوهم وطيبوا خواطرهم بليتن المقال ، وجهزوهم بالليل خفية مع بعض الرجال ، وأطلقوهم بقرب محطة الوزير وفارقوهم فارين الى الجبال ، فأقبل الأمراء المشار اليهم على الوطاق ، وصاروا يرفعون أصواتهم باللسان التركي ، كيلا يظنهم الحرس من الزيدية ، فيرمون عليهم بالبندقيات والسهام ونحو ذلك فاستأنس بهم الحرس ، وسألوهم : من أنتم ؟ فعرفوهم بأنفسهم ، فتقربوا اليهم ، وقدموا بهم في ذلك الليل على حضرة الوزير ، فاستبشر بهم ، وفرح بخلصهم ، من أيدي الزيديين وأجلسهم بحضرته ، وحادثهم وحادثوه ، وهم ستة أنفس من أمراء السناجق .

الأول : دفتر دار اليمن وناظر أموالها محمود بك ، ابن أخت المرحوم بكركي اليمن سابقاً قره مصطفى باشا رحمه الله تعالى .

الثاني : من قدماء أمراء اليمن شاه علي بك ، ويقال له شيخ علي بك .

الثالث أيضاً : من قدماء أمراء اليمن قزلباش محمد بك أخو أحمد بك الذي استشهد أيام المرحوم مراد باشا ، وإنما قيل لها (قزلباش) لأنها من أمراء المعجم وكانا من الشجعان المعروفين بضرب السيف .

الرابع أيضاً : من قدماء أمراء السناجق باليمن ، يقال له أريق حسن بك ، كان مقداماً متهوراً ، شاع ذكره بالبسالة في ديار اليمن .

الخامس أيضاً : من قدماء الأمراء باليمن ، يقال له (قره كوز بك) كان له ثروة واسعة بين الأمراء ، أخذها (مطهر) ولم يترك معه شيئاً .

السادس : 'كدنخدا المرحوم مراد باشا ، اسمه حسين بك ، عرض له

المرحوم مراد باشا أن يكون سنجقاً ، فجاءه من الباب العالي سنجق سلطاني ،
فلما قتل المرحوم مراد باشا أسر هذا من جملة من أسر ، وقدر الله تعالى
خلاصه مع من ذكر ، وكان ذلك في الكتاب قد سطر ، وفي علم الله تعالى
قد قدر .

فقربهم حضرة الوزير ، وأنسهم بالحديث وحسن التقرير ، وأنعم عليهم
بالخيل والسلاح ، وبيض النقود وسمير الرماح ، وأراحهم كمال الارتياح ،
وأضافهم وأكرم مثوam ، وأذهب من أفكارهم أيام محنتهم وأنسام ، وذلك
من فضل الله تعالى عليهم ، وتواتر لطفه وحسن نظره اليهم ، وهكذا الشدائد
تؤول الى الانفراج ، والحزن يتبعه السرور والابتهاج ، ولا قدوم شدة ولا
أحزان ، وهذا دأب الدهر وشأن الزمان .

لا تسأل الدهر في ضراء يكشفها فلو سألت دوام البؤس لم يدُم
وكان خلاص الأمراء المذكورين ، من حبس محمد بن شمس الدين ، في سابع
عشر جمادى الأولى من السنة المذكورة ، كما زبر ذلك في الزبر المزبورة .

وباقى الامراء محبوسون عند مطهر في (ثلا) ، يسر الله تعالى خلاصهم
من البلا ، إن شاء الله عز وعل .



الفصل الثاني والرابعون

في محاربة بين أهل (ثلا) المأخوذ ، والعساكر السلطانية ، واطاعة بعض أهل الحصون اختياراً ، وبعضها قسراً واضطراباً ، وهدم ما رأى حضرة الوزير هدمه من الحصون بدفع ذلك ضراً واضراراً :

في العشرين من جمادى الأولى ، أمر حضرة الوزير ، بتقريب وطاقه إلى ذيل (كوكبان) الحصين حصاراً ، فصارت محطته المنصورة بنصر الله العزيز للقهار ، قريبة من الخندق ، لتملاء العسكر بالأحجار ، ويتعدى عليه بالمرور إلى حصن (كوكبان) للحصار .

وفي اليوم الحادي والعشرين من جمادى الأولى ، جاء أهل قلعة (براش) غربي (كوكبان) من بلاد (الطويلة) إلى حضرة الوزير يطلبون الصلح والالتئام ، وهي قلعة في غاية الأحكام ، ونهاية المكنة والاستحكام ، وهي من جملة قلاع (جبل التيس) لم يصلح أهلها لما صالح أهل جبل (التيس) وحصل من أهلها سوء أدب بالنسبة إلى عسكر السلطان ، عند المرور عليهم في ذلك الزمان ، فاعتذروا بما وقع منهم قبل الآن ، وطلبوا الاستئمان ، فقبل حضرة الوزير عذرهم وأعطاهم الأمان ، ودخلوا في الطاعة ، ورجعوا عن الخلاف والشناعة ، وتشفعوا ببعض الأمراء فقبلت منه الشفاعة ، لكن كانت هذه

القلعة على طريق من يريد الصعود الى (كوكبان) فأمر حضرة الوزير بهدمها ونقضها ، وتصييرها خاوية بعضها على بعضها ، خوفاً من ضررها في المآل ، واحتمال عصيان أهلها في ثاني الحال ، فاقتضى الحال هدمها ، خصوصاً اذ حفت قرائن تدل على الفتنة ووصمها (شعر) :

تمثل ذو اللب في نفسه نوائبه قبل ان تنزلا
فان نزلت بفتنة لم ترعه ، لما كان في نفسه مثلاً
رأى الأمر يفضي الى آخره فصير آخره أولاً

وفي الثاني والعشرين من جمادى الاولى ، وقعت محاربة شديدة بين أهل (ثلا) وبين العسكر المنصور ، الذين في الخيم الشريف ، بالمحطة السعيدة .

وسبب ذلك انه لما كثر افتتاح القلاع والحصون الحصان ، بعضها بالقهر وبعضها بطلب أهلها بالأمان ، ضاق صدر الأعرج لذلك جداً ، ولم يجد لدفع ذلك بدأ ، فاراد ان يشغل العسكر السلطاني بالأوهام والخيالات ويظهر لهم انه يأتي بمحركات ، يخيل بها ان في قدرته القتال ، وجمع الرجال ، وأنه يغير على الأبطال ، وذلك خيال باطل من أوهن الخيال أو اختلال عقل أو خيال ، فجمع الذين معه من الزيدية في جبل (ثلا) وضم لفيها آخر اليهم من حول الجبل ، وأمرهم أن يكمنوا من الليل ، تحت جبل (ثلا) وأن يصبحوا العسكر صباحاً في هذا اليوم ، اظهاراً للقوة ، وعدم الاكتراث بما أخذه حضرة الوزير من القلاع العديدة في الزمن اليسير ، ففعلوا ما أمرهم به ، وكمنوا خلف صغار الجبل ، مما يوالي السهل ، وهم زهاء مائتي خيال ، والف من المشاة الرجال ، شاكين السلاح ، متوشحين بالسيوف والرماح ، فلما تعرّى الفجر عن ثوب الغلس ، وتنفس الصبح من جانب الشرق أوضح نفس ، وسل الصباح سيفه الصارم على جند الظلام ، فانهمز الليل إلى جانب الغرب أشد انهزام ، حملوا على جانب من الخيم السلطاني ، ظناً منهم غافلون ، وانهم بائس المنام بعد مكتحلون ، وما علموا انهم أحذر من

غراب ، وأيقظ من عقاب ، وأسرع من السهم المنساب . (بيت) :
ينام باحدى مقلتيه ويتقي بأخرى الرزايا فهو يقظان نائم

فما كان بأسرع من أن ركب الجند السلطاني ، وتهيأوا لقتال العدو الجاني ،
وصبوا عليهم مطر النبل ، فكان أغزر من الطل والوبل ، وجالت الفرسان
في الميدان ، واعملت السيوف والسنان ، والسهمية والمران ، وحمي الوطيس ،
وارتج بالضراغم الخميس ، واقتحم الخميس في الخميس ، وكان الوزير بنفسه
النفيسة حاضراً في الخيم النفيس . (شعر) :

الخائض الغمرات في وهج الوغا والحرب حاسرة بغير قناع
بمطهم نهد كأن طرادُه سيلٌ تحدر من متون قلاع
ومهند يبدو على صفحاته ماءٌ تفرق فوق نمل ، ساعي
ومثقف إن رام مهجة فارس لم تحمها مسرودة الأذراع
يجنان مضاء العزائم رأيه في الحرب غير الكاسد الضعضاع
فكأنما يختال في غمراتها والنقع قد ستر الضحى بليفاع
ليث الشرى ، في متن أجدل كاسر يسطو بنصل ، في ثياب شجاع

فركب حضرة الوزير حصانه ، واعتقل سيفه وسانه ، وجال في الميدان
مع الفرسان ، وقتل عدة من الزيدية بالضرب والطمان ، فانهمزوا في الحال
إلى جبلهم ، وما أغنى عنهم ما تقدم ، من مكرم وحيلهم ، وصاروا يثبون
في جبل (ثلا) أمثال القروود ، ويرميهم المسكر السلطاني بالبندق والنار ذات
الوقود ، إلى أن قتل منهم خلق كثير غير معدود .

ورجع حضرة الوزير من الميدان ، وقدامه عشرة من رؤوس الأعداء على
الميدان ، وهو يحمد الله ويشكره ، ويستزيده من نعمه ويستنصره ، وفرح
هو والمؤمنين بنصر الله ، والله تعالى يؤيده بنصره وعلاه ، ويهلك بأيديهم
الملاحدة من أعداءه .

وفي الثالث والعشرين من جمادى الأولى ، وصل من ناحية (حراز) أهل قلعة (شبام) وهو (شبام اليعافر) ويقال له (شبام حراز) من بلاد الداعي أحد الخدام ، إلى مخيم الوزير ، المحفوف بالعز والنصر والاكرام ، يطلبون منه الأمان من حد السنان ، والدخول في إطاعة حضرة السلطان ، فأجابهم إلى سؤالهم ، وعقد لهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ، وقابلهم باكرامهم واجلالهم ، ورجحوا بذلك انتظام أحوالهم ، وسلامتهم في حالهم ، ونجاح آمالهم .

وفي غرة جمادى الآخرة وفد قوم يقال لهم (بنو قوي) على حضرة الوزير الآصفي ، وطلبوا الأمان على حصنهم ، ورجوا الاحسان اليهم باعطاء أمنهم ، ويقال لحصنهم المذكور (حداد بني قوي) من بلاد (الحيمة) والله تعالى هو العزيز القوي ، فقابلهم حضرة الوزير بالاقبال والقبول ، وشملهم بنظره الشريف أكرم شمول ، وبلغهم بما أملوه كل مأمول ، وأفرغ على كواهلهم حلال الاكرام ، وزين اعطافهم بخلع التكريم والاحترام ، ولم يؤاخذ أحداً منهم بما اقترف ، سواء أنكر إساءته أو اعترف ، وتلى عليهم بلسان الصفح والعمو : عفا الله عما سلف ، استجلاباً لباقي العصاة من العرب ، واستعطافاً لخواطرم النافرة لما تقدم من سوء الأدب ، ودفعاً للسيئة التي هي أحسن ، وأبقى على الأنفس والأرواح من الهلاك والهن ، وهذا دأب العقلاء من أهل الحلم والفتن ، حيث يرتكبون الأهون فالأهون ، كما قيل :

تكفي اللبيب إشارة مرموزة وسواه يُدعى بالنداء العالي
وسواما بالزجر من دون العصا ثم العصا هي رابع الأحوال
ثم الحسام يهز تخويفاً به والفتك آخر حيلة المحتال
وقيل أيضاً :

وللمعادي رتّب في الحجا الكيد ، ثم الصلح ، ثم الكفاح

قد يغلب المرء بتدبيره الفأ ، ولا يغلبهم بالسلاح

فلما بلغ خبر ذلك الأمان مع الاكرام والاعزاز، إلى أهل قلعة (رومان) في بلاد (حراز) بادرُوا إلى الوصول إلى حضرة الوزير ، ووفد منهم إلى بابه الجاه الغفير ، وألقى سلاحه كل كبير منهم وصغير ، وطلبوا الأمان على رقابهم ، وعلى أولادهم ، وأموالهم ودوابهم ، فقابلهم حضرة الوزير بغاية الجميل ، وعاملهم بما هو شأنه من اللطف الجزيل ، وطيب خواطرهم بالبشر والتبجيل ، وأعادهم إلى قلعته فرحين مستبشرين ، آمنين على أنفسهم وأموالهم بالترفيه والتأمين ، داعين له بكل لسان ، شاكرين لما عاملهم به من اللطف والاحسان .

وكان ذلك في خامس جمادى الآخرة من ذلك العام ، أحسن الله له الختام .

ثم في تاسع جمادى الآخرة ، وفد على حضرة الوزير من بلاد (حراز) أهل (قلعة نهاد) بالنفس والأتباع والأولاد ، داخلين في الطاعة والانقياد ، تائبين عن العصيان والعناد ، فأكرمهم ورحب بهم ، ووافقهم على طلبهم وأرهبهم ، وشرط عليهم هدم قلعتهم ، لعدم الوثوق بتوبتهم وأوبتهم ، لأمر فهمه بجدسه ، وتحقيقه في هجسه ، فوافقوا على ذلك وأخذوا الأمان ، وشرعوا في تخريب القلعة وما بها من البنيان ، وانتقلوا عنها إلى أبعد مكان ، وكفى الله تعالى بذلك شرهم ، وآمن المسلمين مكرمهم وغدرهم .

ثم في بقية هذا الشهر حصل فتح عدة قلاع ، بطريق الصلح ، بطلب من أهلها ، فوافقهم حضرة الوزير على اعطاء الأمان ، بشرط هدم القلاع ، التي لا تؤمن غائلتها ، وإبقاء البعض الذي يؤمن غائلته منها .

فمن ذلك أربع قلاع :

الأولى : (حصن دعة) .

الثانية : (قلعة بنى العمران) .

الثالثة : (حصن مُعدِّعِد) .

الرابعة : قلعة (العقبة) .

حضر أهل هذه القلاع الاربعة ، ودخلوا تحت الطاعة ، وطلبوا الأمان منهم على أنفسهم وأولادهم ، وعبيدهم وأموالهم ، فأُنعِم عليهم الوزير بذلك ، فقدموا له التقدام النفيسة ، ولبسوا منه الخلع الفاخرة ، وتوجهوا بخاطر طيب وفؤاد مطمئن ، وصدر منشرح ، وأبقى عليهم حصونهم ، وأبقاها في أيديهم ، ولم يأمر بهدمها ولا تخريبها ، لاطمئنان خاطره الشريف من جانبهم .

ثم ورد عليه بعد ذلك أهل اثنتي عشرة قلعة في نواحي متفرقة يطلبون الأمان ، ويتوخون المكارم والاحسان ، وقدموا اليه الهدايا والتحف ، وكل ظريف ، من تالد وطريف ، استجلابا لخاطره الشريف ، وتقرباً من جنبه المكرم المنيف ، فوافقهم حضرة الوزير على إعطاء الأمان ، وشرط عليهم هدم قلاعهم التي بأيديهم ، واتخاذهم بدلها مكاناً آخر ، يكونون فيه كسائر رعايا السلطنة الشريفة ، نصرها الله تعالى ، لائذين بظله الممدود ، آمنين من القتل والأسر والقيود ، فقبلوا هذه الشروط وكتب عليهم العهود ، وعادوا الى حصونهم ، وهدموها كما برز به الأمر المهمود ، وذلك القلاع الاثنتي عشر:

أولها : حصن (ثنينة) كانت تابعة للعُدَيْن حوالي (جبلة) .

ثانيها : (حصن ظفران) في ناحية (أصاب) .

ثالثها : (حصن قبضان) .

رابعها : (حصن ريمان) وكلاهما في ناحية (يريم) .

خامسها : (حصن قبيلة) من توابع نواحي (صُهبان) .

سادسها : (حصن القفل) من توابع ناحية (مضرح) محل كان فيه
استشهاد المرحوم مراد (باشا) رحمه الله تعالى .

سابعها : (حصن شخب) وهو حصن منيع في نواحي بلاد (آل عمار) .

ثامنها : حصن (المقرانة) وهي من ناحية (رداع) .

تاسعها : (قلعة دمت) وهي أيضاً شرقي (رداع) .

عاشرها : (حصن سانه) في نواحي (وصاب) .

حادى عشرها : (حصن راجد) وهو أيضاً من قلاع نواحي (وصاب)
وهي ثلاث عشرة حصناً .

ثالث عشرها: (أريشة) عشر من الحصون المنيعة هدمها أهلها، واستأصلوها
امثالاً لأمر حضرة الوزير ، وتطيباً لخاطره الشريف الخطير ، ودخلوا في
رعايا السلطنة الشريفة، تحت طاعتها وأمنها وظلال سلطنتها الوريفة ، وذلك
مما هداه اليه عقلهم ودينهم ، وغفلت عنهم في ذلك الوقت شياطينهم ، والله
ولي الهداية والرشاد ، ومن يهد الله فما له من مضل ، ومن يضل الله فما له
من هاد .



الفصل الثالث والرابعون

في محاربة بين قراول حضرة الوزير الكبير ، وبين
عساكر الزيديين ، وخروج الفرسان عليهم من الكمين ،
وقتل (أبي داود بن الهادي) وسوقه إلى سجين

لما كان ثاني شهر رجب المرجب سنة سبع وسبعين وتسعمائة ، بلغ الأعرج
من جواسيسه ، وطواغيته الساعين في نكبته وتمكيسه ، الذين يضرونه
ويظنون نفعاً ، وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً ، ان حضرة الوزير المعظم ،
غاب عن نخيمه المكرم ، إلى ناحية (كوكبان) المحطم ، لتدبير الحرب ،
لأخذها ، وفتحها واقتلاع قلعتها وصرحها فظن الأعرج المخذول ، خلو
الخيم الشريف عن الفرسان الفحول ، فجمع طائفة من مخاذيله ، وأغواهم
بمكره وأباطيله ، وروى أن شيطانه رأى له في النجوم ، ان في هذا اليوم
يحصل له الظفر على عسكر الروم ، لأنال هذا المروم ، ولا وصل إلى ما
يروم ، وكان أشجع من عنده من نقبائه ، وأنجب من يعتمد عليه من نجبائه ،
صاحب الدرع المسرود ، والوسط المشدود ، النقيب (أبو داود) فلف اليه
جماعة من الفرسان والمشاة ، والحراة والرماة ، وقوي جأشهم كذباً وزوراً ،
ووعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا .

وكان حضرة الوزير قد علم بمكرهم ، وفطن إلى ما يحول في صدورهم ،
وأعد جماعة من الفرسان ، وأبطالاً من الشجعان ، وأمرهم أن يمضوا من نصف
الليل ، إلى ذيل (ثلا) ويكونوا تحت صغار هناك إلى وقت الصبح مثلاً ،
فاذا نزل من الجبل ناس صبروا حتى يصلوا الوطا ، ويدخلون إلى

الميدان فيكر هؤلا، من خلفهم ، ويسوقوهم داعي المنية إلى حتفهم ، فيحصدونهم حصيداً، ويمهدوا لهم الهلاك تمهيداً ، ويأتوا بالسيف على آخرهم ، ويقطعوا شأفة دابرم ، فامتثلوا أمر حضرة الوزير ، وكنوا من نصف الليل خلف كل صخر كبير ، فلما دعى داعي الصباح ، ونادى :حي على الفلاح ، وجرى الفجر صارمه الابيض ، ولبس الصبح ثوبه المشرق المبيض ، وانهمزت جيوش الظلام ، وانتشرت ببياض الصبح الرايات والاعلام ، نزل المفرورون من الزيدية ، وزلفوا إلى الميدان بالسيوف الهندية ، والرماح السمهرية ، مغيرين على الوطاق المظم ، غافلين عما خبيء لهم من سم الأرقم ، فماتوا في الميدان ، إلا وأعقبهم الفرسان ، وركب أكتافهم أهل الكمين بالسيف والسنان ، والبنادق التي تقذف بالنيران ، وخرج لهم من قدامهم رجال الخيم ، وأحاطوا بهم كما أحاط السوار بالمعصم ، وقتلوه قتلًا ذريعاً ، وقتلوا النقيب (أبا داود) ورموه بالعراء صريعاً ، وحملوا على الرمح رأسه رفيعاً، ورجعوا الى الوطاق بالنصر والظفر ، ورجع الزيدية بالخبية والخور ، وما سلم منهم إلا من كتب عليه القتل مرة اخرى ، فما سلم من الحسام إلا إلى الحمام قسراً وقهراً .

فلما رجع حضرة الوزير آخر النهار ، وعاد من ذيل (كوكبات) الى وطاقه المحفوف بالسكينة والوقار ، تلقاه الفرسان الذين كمنوا بأمره العالي ، وحملوا اليه رؤوس القتلى على الرماح العوالي، ثم دحرجوها تحت أرجل الخيل، وأذاقوا أصحابها في الدنيا الهوان ، وفي الآخرة الويل، واستمرت الزيدية في الوهن والكسر ، وتوالي القهر عليهم والقسر والأسر ، وما قصد الاعرج بهذا الاحتراس كل مرة ، وعدم الاحتراس من الذلة والكسرة الكرة بعد الكرة، إلا ليشيع عند العربان انه يقاتل، ويوم الأطراف والجوانب انه يجالديجادل، ويسلي طوائفه وأعوانه بأن الحرب سجال ، ويعدهم بأنه قرأ في الملقوم: ان له دولة في المال ، ويكذبه الله تعالى في المال والحال ، فبا توهمه وأومه من الأمر المحال ، والله شديد المحال .

الفصل الرابع والاربعون

في وصول خبر هلاك (حسين بن شمس الدين) وقتل أخيه (الهادي)
بالمدفع الرصين ، وقتل (البهال) من رؤوس القوم الباغين ،
ووصول السيد (ناصر بن الحسين الجوفي) بالامان ،
ودخوله في طاعة السلطان مع زمرة أهل الايمان

كان لشمس الدين بن ثمر الدين ثلاثة أولاد ، كلهم شطار ، كأنهم شعلة
نار ، يحبون الفتنة والفساد ، ويسعون في الأرض فسادا في كل بلاد .

فأما حسين فكان هو وعلي بن شويح أساس الخروج والعصيان ، ومدار
البنغي والطغيان ، وهما اللذان خرجا على احمد بك (القزلباش) ، وجمعوا عليه طائفة
من الانذال والأوباش ، حين أرسله المرحوم (مراد باشا) بالميرة الى صنعاء ،
وقطعا عليه الطريق في (ذراع الكلب) قطعا ، وقتلاه وأخذوا
الميرة ، وسعيا في الفساد سعيا ، وقد تقدم شرح ذلك في الفصل
السابع والعشرين ، فارجع اليه إن أردت عليه رجعا .

ولأخيه الهادي ضلال كبير ، وفساد لا يخفى على الكبير والصغير .
وأخوهما محمد يرجع إلى عقل وبصيرة ، ومرة ومريرة ، فلهذا رجع

بعد إلى الطاعة ، وخالف أولئك الجماعة ، كما يأتي بيانه ، ونشرح إن شاء الله تبيانه .

وكان حصل لحسين بن شمس الدين مرض طويل ، آل به إلى الاستسقاء ، فأهلكه ودق عنقه دقا ، وكان هلاكه في حادي عشر شعبان ، سنة سبع وسبعين وتسعمائة ، فكفى الله المسلمين شره ، ودفع عنهم كيدته وضره ، وصيّرته لأهل الاعتبار عبرة ، وساقه إلى عذاب النار ، وأورده جهنم وبئس القرار .

وأما أخوه الهادي الضال ، رئيس أهل الضلال ، وزعيم الملاحدة في الافساد والاختلال ، فأصابه مدفع كبير ، طير رأسه ، وأخذ أنفاسه ، وطفى نبراسه ، وسار من النار إلى النار ، ومن الدمار إلى البوار ، وحسبه جهنم وبئس القرار .

وكان مع صغره ركناً كبيراً في الفتنة ، وأساساً مشيداً في وقوع هذه الحنة ، فهدمه الله تعالى وأعدمه ، وأحرقه بالنار وأضرمه ، وكفى شره كافة عباده ، وأبطل صور أباطيله ، ومواد فساده ، وقرت بهلاكه عيون المسلمين ، وفرحوا بذلك إذ جاءهم النصر والفتح المبين .

وكان لمحمد بن شمس الدين صهر يعاضده في الضلال ، ويسعفه بالنفس والمآل ، ويمده بالأولاد والخدم والرجال ، اسمه (السيد البهال) ، معدود من الأبطال ، معروف بشدة الجلال والجدال ، كان لمحمد بن شمس الدين ظهراً ظهيرا ، وللأعرج المخدول عكازاً يعتمد عليه ونصيراً ، وكان ركناً من أركان (ثلا) و (كوكبان) وسيئة من مساوىء الدهر الخوان ، ورواغاً يروغ مكرراً وخديعة كالثعلب والثعلبان ، خرج في بعض الليالي من (كوكبان) قاصداً حصن (ثلا) ولم يدر ما جنى له في الغيب من تروول البلا ، فمر على طائفة من الحرس ، يطوفون حول العسكر ، من أول الليل إلى وقت الغلس ، ويتخطفون من يحدونه ، ويرتقبون العدو ويرصدونه ، فلما لحوا خيال

(البهال) عدوا عليه بالنبال والنصال ، وأدركوه بالسيوف والأسل الطوال ، وأذاقوه كأس الحمام ، وذبحوه كما تذبح الأغنام ، وساقوه إلى جهنم وبئس المصير ، وحملوا رأسه إلى حضرة الوزير ، ورموه تحت سنابك الخيل وحوافر البغال والحمير ، وكفى الله تعالى شر ذلك الشرير ، وفرح المؤمنون بنصر الله ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

وانكسرت بذلك شوكة محمد بن شمس الدين ، وانقضم ظهر الأعرج ، وانخذلت بقلته الملاحدة وكل أعوج معوج ، والله يؤيد بفضله الدين القويم ، ويطرده عن دينه الحق المستقيم ، أذى كل شيطان رجيم .

ومما اتفق في أثناء هذه الوقائع وصول (السيد ناصر بن الحسين) من شرفاء (الجوف) إلى حضرة الوزير ، داخلاً تحت الطاعة السلطانية ، مستظلاً بظل سلطنة الحضرة الخاقانية ، مستمسكاً بأذيال عفوها وصفحها ، ومستنشقاً من نفحات مراحمها العثمانية فوحات نفحها .

وهذا السيد مشهور بالشجاعة والبسالة ، معروف بالنخوة والفرورية والعتالة ، يكاد يصادم الألوف ، ويرمي نفسه على الحتوف ، رمية المهلوف ، بحيث يلقب بالمجنون ، لما يشاهدون منه في الحروب من الجنون ، وفي الحقيقة لا يسمح العاقل بنفسه ، ولا يتلقى السيوف بمجمعة رأسه ، ولا يختار المبادرة إلى حفرته ورمسه ، ولا يقدم على ذلك غير المتهور المجنون ، إذا غاب عن حسه ، وكان هذا معروفاً بذلك ،لقى نفسه في كثير من المهالك ، وفي ذلك يقول القائل ، من جنبنا القبائل . شعر :

ولو أن لي رأسين أدخر واحدا وألقى السيوف الموهفات بواحد
لأقدمت في الهيجاء إقدام باسل ولم أك رعيدياً ، زمان الشدائد
ولكن لي رأساً إذا ما فقدته فما أنا رأساً غير هذا بواجدي

وهذا هو ابن عم (علي بن شويح) وبينه وبين ابن عمه المذكور عداوة

مؤسسة ، يتمنى كل منها قتل الآخر ، ويود هلاكة بعدا وقربا ، كما هو شأن
عداوة ذوي القربى .

وكان حضرة وزير لما شم هذه الرائحة، وعلم ما بينها من المنافسة الواضحة،
دس اليه من عرض عليه الالتجاء الى حضرة الوزير ، والاستنصار به على ما
يرومه من كل أمر خطير ، وانه اذا سبق الي التثبيت بأذياله ، والتمسك
بجباله ، قبل أن يستولي حضرة الوزير على البلاد ، لنال منه أقصى المراد ،
وأما اذا صبر بعد استيلاء العساكر المنصورة ، على البلاد والحصون المشهورة،
فلا فائدة في ذلك الانقياد ، ولا عبرة بالطاعة بعد أخذ البلاد ، كما أن إيمان
اليأس غير مقبول ، واسلام الكفار بعد نزول العذاب منحول مدخول ،
فكذلك يكون ما يظهر من الاستسلام والاذعان بعد الآن لا يصادفه القبول.

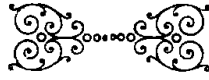
فرأى الشريف ناصر ان هذا الراي هو الصواب ، واستصوبه غاية
الاستصواب ، واقدم على القدوم على حضرة الوزير ، وأن يدوس بساط
السلطنة مستسلما الى الله العلي الكبير .

وأرسل الى حضرة الوزير يسأل فضله في بذل الامان، وفي العفو عما جرى
منه من جرائم العصيان، فقابل حضرة الوزير سؤاله بالقبول ، وبذلل له الأمان،
ووعده ببلوغ المأمول ، فاقبل الى حضرة الوزير وهو يحمر تارة من الخجل ،
ويصفر تارة من الهيبة والوجل ، فسكن حضرة الوزير روعه، وطمن خاطره
وأبسط ضمائره ، وقابله بالانشراح والانبساط، وأراه سنا ضاحكا عن نشاط،
وأفرغ على كاهله حلل الرضا ، وتلى عليه : عفى الله عما مضى ، وأهجه غاية
الابهاج ، وألبسه خلعاً من الزرياف والديباج ، وخلع على كل من معه على
مراتبهم ، وأحسن إلى حاضرهم وغائبهم ، ونثر عليهم الدنانير والدرهم ،
ونشر عليهم الوية اللطف والمراحم ، ثم أرسلهم إلى دار الضيافة ، ومد لهم
سماطاً عظيماً في غاية النفاسة واللاطافة، فأكلوا وشربوا وفرحوا وطربوا ، ثم
قدم له ولأعيان جماعته خيولاً مسومة ، بالسروج المذهبة المكرومة ، والركب

واللجم المفضضة ، ومن خالص التبر والفضة ، وقطفوا من شجر المودة ثمارها
الفضة ، وصاروا يعجبون من تلك النعم البيضاء والأيادي المبيضة ، ورجعوا
إلى مواطنهم آمنين فرحين ، وعادوا إلى أهلهم مطمئنين مستبشرين ، فكانوا
كما قيل :

فعادوا فائتوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقايب

فانكسر بذلك ظهر الاعرج ، كما انكسرت رجله ، وجزع وفزع هو
ونقباؤه وأهله ، وأقاموا لذلك مآتما ومصيبة ، وأصابهم من ذلك سهام كانت
في أفئدتهم وأحشائهم مصيبة ، وكل ذلك معدود من نصر الله وفتحته القريب ،
وتأييده لأهل السنة السنية على كل معتمد ومريب ، والحمد لله القريب الرقيب ،
السميع المجيب .



الفصل الخامس والاربعون

في كذب (مطهر) وحيلته وتلبيسه ، وترويج كذبه ودجله على زمرة
أباليسه ، واستدعاء أهل (الجوف) وأهل (صعدا^(١)) للقدوم عليه ،
وانخداعهم بمكره وتزويره ، ووصولهم اليه ، وبرزو حضرة الوزير للقتال ،
وهروبهم من بين يديه الى قلل الجبال

كان من دأب هذا الأعرج ، وعادته التي نشأ عليها طبعه المعوج ، الكذب
والتزوير والتلبيس ، والغوص في بحر الدجل والخوض فيه إلى التلبيس ،
بحيث لا يشك أنه أحد الدجالين ، ولا يرتاب نه أكبر أهل الخداع
والحيالين ، بيت :

اكسير كذب ، فلو ألقيت أيسره على الأنام ، لصاروا كلهم كذبة

وكان في مدة هذه الحروب ، وهو في جميعها مكسور منكوب ، مدحور
مغلوب ، لا يرى من نفسه عجزاً ولا انكساراً ، ولا يظهر وهناً ولا
اضطراباً ، بل يقتل من عسكره المِثون ، وهو يخفي ذلك عن العيون ،
ويكتم ذلك لئلا تسري اليه الظنون ، وإذا قتل جماعة واحداً من الأروام ،
أشهره بين العربان وسائر الأقسام .

وكان من عادة تلك الديار ، إذا وقع القتال ، أوقد الغالب من الفريقين

(١) كذا في الأصل : صعدا ، صوابه (صعدة) وفي (ف) : صنعا غلط .

النيران بأعلى الجبال ، إشعاراً بأنه الغالب ، وإظهاراً للفرح بذلك في تلك الجوانب .

وكان هذا الأعرج كلما انهزم وغلب ، وفي أي حرب انكسر وعطب ، يوقد في جبله ، نيراناً عظيمة من العشاء إلى الصباح ، ويظهر للعربان كمال السرور والانشراح ، ويوم انه الغالب ، والحال انه المكسور العاطب .

ومن جملة حيله ومكره ، وخدعه التي أبرزها من صدره ، انه أرسل إلى أهل (الجوف) وصعدا ، ومن حولهم من العربان البعدا ، وهو يقول لهم : ان العسكر الروم ضعفوا ووهنوا ، وأصيبوا بالنوائب ومحنوا ، وقتلت منهم مقتلة كبيرة ، وأخذنا منهم مغانم كثيرة ، وقد بقي منهم شرذمة قليلون ، وطائفة ذليلون ، لا يستطيعون القتال ، ولا يهتملون المبارزة والسنال ، فأقبلوا إلينا لنخصم بفنائهم واسلاهم ، ونبرك بما بقي من آلاتهم وأسبابهم ، فتغنموا تلك الغنائم ، وتملأوا جربانكم عوض حشيش الأعشاب وخسيس المطاعم ، من نفيس الجواهر اللطائم ، ولا أقل من الدنانير والدرام ، وملا اسماعهم من هذه الأباطيل ، وزوق عليهم سفاسف الاقاويل ، فانتفخت عروق اطماعهم ، وصدقوا بما طرقت من الباطل في اسماعهم ، فأجابوا دعاء الأعرج الكذوب ، وظنوا انه الصدوق الغلوب ، كما زعم في تلك الحروب ، وما فطنوا انه لو كان غالباً كما قال ، فما فائدته في استدعاءاتهم للمحال إلى تلك المحال ، وهل يترك احد فريسته لسواه ؟ وهل يدع الكلب صيده لغيره إذا تولاه ؟ لكنهم عربان حمقاء جهلاء ، ليسوا عقلاء بل غفلاء ، ينخدعون بالكلام الباطل ، ويصدقون بالموهات الأباطل ، فركبوا من عقولهم متن عمياء ، وخبطوا خبط عشواء ، ووصلوا إلى (ثلا) لمقاساة الهن والبلاء ، وساقوا من وجدوه في طريقهم ، وكثروا بذلك سواد فريقهم ، وهل يروع الجزار كثرة الغنم ؟ ، وهل يعد الراعي كثرة النعم إلا من النعم ، ورحم الله النابغة الذبياني (١) ، حيث قال :

(١) انظر حماسة ابي تمام .

وكنّا حسبنا كل بيضاء شحمة
إلى أن لقينا الحيّ بكر بن وائل
فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه
سقيناهم كأساً ، سقونا بمثله
وننكر يوم الروع الوان خيلنا
وليس بمعروف لنا أن زدها
غلبنا فلم نكشف قناعاً لحرّة
ولو اننا شئنا سوى ذلك أصبحت
ولا خير في جهل إذا لم يكن له
ولا خير في حلم إذا لم يكن له

وما تمكّنوا من العبور ، إلى مهاوي العثور ، ومهالك الغي والغرور ،
حق سلكوا الوهاد والآكام ، ومداحض الحجار والآجام ، وبُلّوا بكلكل من
الأهوال ، وهم في كل يوم في نقص من الأنفس والأموال ، فأذهب الله عنهم
البركة ، وصعبت عليهم الحركة ، فما صدقوا حين وصلوا إلى (ثلا) كيف
خلصوا من العدم إلى الوجود ، ومن السهر إلى الهجود ، ومن الضيق إلى
السعة ، ومن تعب إلى دعة ، فخرج الأعرج إلى لقائهم ، ورحب بهم وفرح ،
وتلقاهم بسن ضاحك وصدر منشرح ، وخاطر منفسح ، وأضافهم وأكرمهم ،
وقربهم إليه ونعمهم ، وتملق إليهم بغاية الملق ، وترفق لهم فحن غالبهم
ورق ، وأمرهم أن ينصبوا خيامهم في محجّر بنديل الجبل ، وقبالة نخيم الوزير ،
في موقع لا يمكن فيه جولان الخيل ، لانتشار الصخر الكثير ، ولا يصل إليه
المدفع الكبير ، وقد رسوا الصغار أمامهم ، وترسوا بالحجار الكبار
قدامهم ، فلا يهجم عليهم بالخيول المسومة ، ولا يوصل إليهم بالمدافع المحكمة ،
وإن تكلف لسلوك تلك التعاريج ، والمشى بين تلك الصغار والتعاريج ، وقد
هأوا خلف كل صخرة من يرمي بالبندقيات الصغار ، مخبوء خلف تلك
الصغار كخبوء النار في الأحجار ، يصيب الطير في الجو بين الأطيوار ، فما

يدري السالك إلا وقد أصيب بالنار، فلا يسلكها إلا الشطار، ولا يقحمها إلا كل متهور عيتار ، وبعد هذا التعب كله إذا صادفوا من دهمهم ، وأقدم عليهم وهجمهم ، هربوا مثل القروود إلى الجبل ، وتركوا المحطة والحلل ، وأببقوا من شدة الخوف والوجل ، وفروا ولهم حصاص كحصاص الشيطان ، عند سماع الآذان ، ونهاق كنهاق الحمير عند مشاهدة الضبع في الميدان ، ومع هذا الهروب إذا وصلوا إلى (ثلا) أوقدوا النيران ، وأظهروا انهم منصورون بالكذب والزور عند العربان ، فإذا شاهدتم أهل الجبال الأخرى أوقدوا أيضاً نيران بالزور، وصاحوا صياح القروود فوق الصخور، ويثبون وثوب العصفور، يظهرون الفرح والسرور ، وكل ذلك كذب وزور، والله علم بذات الصدور .

ثم ان حضرة الوزير ، لما بلغه وصول هذا الجيش الكبير ، واجتماع هذا الجمع الكثير ، عزم على مقاتلتهم ، وأجمع على مقابلتهم ، وركب من نخيمه العالي، واركب عسكريه جرائد الخيول الغوالي ، يهزون طوال المثقفات العوالي ، واستكمل الات السلاح ، فأرهمف البيض الصفاح ، وثقف متون المسالة الرماح ، وجند جنوده ، ونشر الويته وبنوده ، وكتب كتابه وهيح اسوده ، وصف عساكره بالميدان ، وأوقفهم في محل يمكن فيه جولان الفرسان ، ووقف في القلب واشرع الجناحين ، ورتب الخميس أزين ترتيب في العين ، ونشر الأعلام والرايات ، وضرب الطبول والكاسات ، فاشبه يوم الحشر يوم ينفخ في الصور ، وزلزلت الأرض زلزالها ، وكادت السماء ان تمور، والفرسان يلعبون بين يديه بالجريد ، ويقصدون بالادمان به ضرب العدو من الوريد، وقد اشتاقوا الى التصاف ، وتهيجو لملاقاة المصاف ، وهزوا المناكب والاعطاف ، وجردوا الصوارم والأسياف (شعر) :

حملوا قلوب الأسد بين ضلوعهم	ولوا عمائمهم على الأقسام
وتقلدوا يوم الوغا ، بصوارم	امضى اذا انتضيت من الأقدار
قوم اذا لبسوا الدروع حسبتهم	كسحاب غيث بمطر بنهار
ان خوفوك لقيت كل كريمة	أو آمنوك لقيت دار قرار

وأرسل حضرة الوزير الى أوثلثك الاجلاف، ليهزوا للاصطفاف، ويركبوا
صهوات الخيل صواف ، ودعاهم إلى الميدان ، ليظهر دعواهم بالامتحان ،
فيكرم المدعي أو يهان .

وتكرر في جانب الوزير طلب المبارزة من الفرسان ، واستدعاء القتال
والضرب والطعان ، فلم يفتس احد منهم ببنت شفة ، ولا اظهر برهانه على
دعاويه المزخرفة ، بل سكتوا خائفين ، ومن الرعب العظيم مرتجفين ، ولوا
هاربين من غير قتال ، وفروا الى قتل الجبال ، وأروا الى حصن (ثلا) ظنا
انه يعصمهم من البلاء ، وفي مثل ذلك يقول أبو الطيب المتنبي :

إذا ما سرت في آثار قوم	تخاذلت الجماجم والرقاب
رميتهم ببجر من حديد	له في البر خلفهم عباب
فصبحتهم وبسطهم حرير	ومسأم وبسطهم التراب
ومن في كفه منهم قناة	كمن في كفه منهم خضاب
كذافليس من طلب الأعادي	ومثل سراك فليكن الطلاب

واستمر حضرة الوزير ومن معه من المسكر إلى قريب المغرب ، واقفين
في الميدان ، ينتظرون وصول العدو اليهم للمحاربة والطعان ، فلما طال
الوقوف ، ومل طول الانتظار عرض تلك الصفوف ، وقرب هجوم المساء ،
وحصل اليأس من وصول العدو ، حتى (لعل) أو (عسا) وصل الخبر
بفرارهم قبل اللقاء ، وهروبهم عن المقابلة والملقى ، شعر :

ابى الله الا أن يموتوا أذلة	وفروا وسيان المنية والفر
ولو صبروا ماتوا كراماً أعزة	ولكن عند الحرب خانهم الصبر
وقد كان خيراً من حياتهم الردى	وأجدى عليهم من فرارهم الأسر
يعز على زُرُقِ الأسنة عودها	وما نهلت منهم ذوابلها السمر
تروعهم الأحلام في ساعة الكرى	ويفزعهم خوفاً إذا استيقظوا الفجر

طووا مكرهم تحت الضلوع خيانة فحاق بهم خبث الطوية ، والمكر
نبت بهم أوطانهم وتذكروا وحق لأوطان بنى أهلها النكر
لقد ركضت خيل المنايا وأوجفت بهم ، ولهم فيمن بقي منهم ذكر

ولما تحقق هروبهم حضرة الوزير المذكور ، مع العسكر المنصور ، عاد
مؤيداً الى وطاقه المعظم المعمور ، وبات في خفض ودعة وسرور ، وبات
عدوه المدحور ، وهو من خوفه حق في المنام مذعور ، بيت :
فإذا تنبه رعته واذا غفا سلت عليه سيفك الأحلام



الفصل السادس والرربعون

في ذكر مقدار من بقي مع حضرة الوزير من العسكر المنصور ،
ومن اجتمع على مطهر من الجيش المقهور ، واقدام الأعرج مرتين
على القتال والطعان ، في أوائل شهر رمضان ، وانكساره
ونكوسه بالخذلان والخسران

لما كان يوم الاثنين مستهل شهر رمضان ، سنة سبع وسبعين وتسع
مائة ، خطر في بال الأعرج الأعوج ومن على رأيه السقيم المعوج ، أن يقدم
على قتال حضرة الوزير ، ورأى انه تقوى بمن جاء من أهل (الجوف)
وصعدة من الجيش الكثير ، ورأى ان الغلبة بكثرة السواد ، وما علم انه
بشبات حصاة الفؤاد ، ولا اعتبار بمجرد الكثرة إذا احاط بالقلب الخوف
واحتواه ، وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، وخصوصاً من خان
سلطانه واتبع هواه ، من طوائف المبتدعة والطفاسة ، وزمرة الملاحدة
والعصاة ، وفرقة الخوارج والبنفاة ، وما النصر إلا من عند الله .

ولقد أحصى حضرة الوزير من بقي عنده من العساكر ، وحد من فضل معه
من ذلك الجيش الكاسر ، بعد قتل من استشهد منهم ، وغيبة من غاب ،
وموت من مات منهم بأجله المحتوم في ام الكتاب ، وتقريتي من فرقه لحفظ

البلاء التي افتنحتها ، وتجهيز من أرسله على القبائل العاصية ليغير عليها ويصبحها ، وغير من أحاطوا بحصن (كوكبان) ، للمحاصرة والمقاتلة في ذلك المكان ، فكان العسكر الذين حول الوزير في نخيمه المحروس ، ووطاقه المعظم الذي هو بالعز والسعادة مانوس ، ألفا ومائتي مقاتل ، ما بين فارس وراجل ، وأبطال أقامهم الله تعالى لإزاحة الباطل ، وهم في كل يوم يطلع نصفهم بالنوبة إلى (كوكبان) اعانة للعسكر المحاصرين المقيمين بذلك المكان ، وقصدهم بهذا الطلوع أن يتساعدوا على ملء الخندق ، يرمون فيه بالأحجار ، والصغار الكبار ، ليمتلئ فيسلك فيه ويطلق .

وفي اليوم الثاني يطلع النصف الآخر ويفعلون كذلك .

وعين حضرة الوزير لكل نصف أميراً من الاغوات ، يطلع بذلك العسكر ، ويعود به آخر النهار ، ويطلع فيما بين ذلك في أكثر الايام حضرة الوزير بنفسه ، وحفدته وماليكه لهذا الاستخدام .

وأما عسكر الزيدية اللثام ، ومن حول مطهر في جبل (ثلا) من الأقوام ، فهم ألف فارس وثمانية آلاف راجل ، منهم أربعة آلاف يرمون بالبنادق والمكاحل ، وثلاثة آلاف يقاتلون بالحراب والسلاح الكامل ، غير ان الله تعالى ألقى في قلوبهم الذلة ، ورماهم بالعجز والقلة ، وأعلمهم بكل مرض وعلة . (بيت) :

وما تنفع الخيل الكرام ولا القنا إذا لم يكن فوق الكرام كرام

فأكثر ما يستعملون من السلاح الصياح ، فاذا رأوا عين الجند ألقوا السلاح والسلاح ، وأبقيوا إلى الجبال ، وأبقوا الغبار في يد الرياح ، هذا شأنهم ودأبهم ، وقتلهم وضرايهم ، ليس لهم غير ذلك براح ، لكنهم معاندون مكابرون ، وعلى طرق الضلال مشابرون ، يعرفون الحق ولا يعترفون (ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا

يقترفون) فجمع زخرفه وأباطيله ، وجيشه المموه وحيده ، ورتبهم أفواجاً وانهبهم انهباً ، وأراهم في سلوك النفي منهاجاً ، وطلب طلبته وشجهم ، ونفت سحره واسمهم ، وعين لهم رأساً ، وحلف له أن يكون منصوراً ، ووعدهم وما يعدم الشيطان الا غرورا ، فشرعوا في النزول إلى الميدان ، وساقوا اليه وقد أرخو العنان ، وذلك في مستهل شهر رمضان .

فلما شاهد حضرة الوزير بعض اقدمهم ، وجراءتهم بانفسهم على حمامهم ، أمر عسكريه بالتثبط والتغافل ، والتأني عن المبادرة إلى التكاثر ، كي يشجع العدو الخذول ، فيستوفي النزول ، إلى الميدان والوصول ، فما أطاق العسكر المنصور صبراً ، وطاروا على ظهور الخيل يطفرون طفرأ ، ويوقدون لضرام الحرب جمرأ ، وركب في أثرهم حضرة الوزير ، بكبكبته الكبرى ، وضربوا له طبلاً وزمرأ ، وقد مثل العسكر بمشاهدة ذلك سكرأ ، كأنهم شربوا خمرأ ، ودارت رحى الحرب وقامت على ساقها ، وانتبهت عيون المنايا ، وادارت على القوم اقداحها باحداقها ، وحمي الوطيس ، واقتحم الخيس في الخيس ، واختلطت جنود الملائكة بجند ايليس ، بيت :

وابن اللبون إذا ما لز في قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس

واستمر الحرب والقتال ، من أول الفجر إلى ما بعد الزوال ، فقتل من لا يحصى من الزيديين ، واستشهد قليل من أنصار الدين ، واقتلعت خيول كثيرة ، وصرع كثير منها في الميدان ، وتثلت السيوف من الضراب ، وتحطمت متون المران ، وصارت تسيل بدماء القوم تلك الشعاب كما منهمر ، وترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل منقعر ، فلما جاء وقت العصر ، أتى أهل السنة النصر ، وانهمز الملحدون بالقتل والأسر ، وولى أديبارهم بالقهر والقسر :

ولزم الطراد إلى قتال أحد سلاحهم فيه الفرار
مضوا متسابقي الاعضاء فيه لأرؤسهم بأرجلهم عثار

إذا صرف النهار الضوء عنهم دجاليلان ، ليل ، والغبار
وان جنح الظلام انجاب عنهم أضاء المشرفية والنهار
إذا فاتوا الرماح تناولتهم بأرماح من العطش القفار
يرون الموت قداما وخلفا فيحتارون والموت اضطرار
ومن طلب الطعام فذا (سنان^(١)) وخيل الله ، والأسل الحرار

واستمرت الرماح تنفذ من ظهورهم الى صدورهم ، والسيوف تعمل في
اقفيتهم وظهورهم ، الى أن حال بينهم الليل ، واسدلت الظلماء على الجوف فضل
الذيل ، واكتحلت العيون بأسود الظلام من سواد الدجى ، وضرب بين
الأبصار والمبصرات حجاب حالك نسجه الليل إذا سجي ، فعاد العسكر
المنصور إلى تخيمه العالي ، ورياح النصر تخفق بعذبات اسنته العوالي ، ورجع
حضرة الوزير الى وطاقه المعظم ، والنصر والظفر يخفقان بركابه المكرم ،
ورؤوس الأعداء مجنوبة تساق اليه ، ووجوه النصر والسعادة والاقبال مقبلة
عليه ، فارسل بالرؤوس لتنصب قبالة حصن (كوكبان) ليرى أهل الحصن
ما اصحاب اعوانهم من الخزي والحذلان ، وهذا مما قدم لهم من عذاب الدنيا،
ولعذاب الآخرة أشد وأبقى .

وأقام حضرة الوزير في عزه وجلالته ، وامره النافذ وايلته ، يرسل
السرايا الى الأطراف، ويجهز الاجناد لضبط البلاد والاكناف ، ويعطي الامان
لمن ورد عليه من القبائل والاجلاف ، وقد أعطى كليته لأخذ (كوكبان)
وإذا فرغ من افتتاحه توجه لأخذ (ثلا) من كبير العرجان ودجال الزمان ،
هذا هو الذي يحدثه ضميره ، ويبيت كل ليلة هجيراه وسميره .

فلما كان يوم الجمعة ، خامس رمضان ، ترآى الجمعان ، والتقى الفريقان ،

(١) : يقصد امم من ألف له الكتاب . وقد تصرف بالشعر القديم .

ونزل من (ثلا) من كان به من العربان، يقدمهم الخذلان ، ويسوقهم الشيطان،
حق اصطفوا في الميدان ، فكانوا كما قيل :

لقد أقدموا لوصادفوا غير آخذ وقد هربوا لو صادفوا غير لاحق

فخرج اليهم حضرة الوزير ، بمن معه من عساكر السلطان ، وتسابقت
الخيال والفرسان، الى الطراد والجولان ، والبوارق الملتعمة ، والفيالق المجتمعة ،
بعزائم قوية سامية ، وصوارم للدماء ضامية ، ورتب حضرة الوزير رجاله في
اماكنها، واكمن ابطاله في مكانها، وعين لها مواقفها في مياسرها وميامنها ،
وتعاقد أولياء الله على قتال اعدائه ، وانتظروا نزول نصر الله من صوب
سمائه ، وأقبلوا على الضراب والطعان ، وقد التقت حلقتا البطان (شعر) :

فكان اثبت ما فيها جسومهم يسقطن في الأرض والارواح تنهزم
يسابق القتل فيهم كل حادثة فما يصيبهم موت ، ولا هرم

فكم من رؤوس تنثر، وأعمار تبتز ، ودماء تسكب ، وأرواح تنهب، حق
عادت سود الحصباء عقيقا ، وانبتت رمال البطحاء شقيقا ، وضرب النقع في
الجوّ طريقاً (بيت) :

وضاقت الأرض حق ان هاربهم اذا رأى غير شيء ظنه رجلا

وجالت الخيل، من الصبح الى الليل ، ومالت أهل السنة على أهل
البدعة كل الميل ، وقتلوا منهم مقتلة كبيرة ، وقطعوا من رؤوسهم كثيرة ،
فلو كان عددهم يقل بالقتل لتفانوا وما فانوا ، ولكنهم من الكثرة لا يظهر
فيهم القتل وإن قتلوا وهانوا . (شعر) :

لما تحمكت الأسنة فيهم جارت، وهن يجرن في الاحكام
فتركهنم خلل الغبار كأنما غضبت جماجمهم على الأجسام

جثت ترامت فوق أرض من دم ونجوم بيض في سماء قنم
وذراع كل (أبي فلان) كنية ، فصاحبها (أبو الأيتام)

وهرب بقية العربان ، وتفرقوا في الشعاب والغيران ، وطلع بعضهم إلى
(ثلا) وإلى (كوكبان) وأخبروا عما شاهدوا ، وليس الخبر كالعيان .

واستمر حضرة الوزير ثابت الجنان ، راكباً في صدور الميدان ، كأنه
الطود الأشم ، يحطم ولا يتحطم ، والبحر الخضم ، يدهك الخضم بمباب
تياره الأطم ، فلما عزم سلطان الشمس على المغيب ، واصفر لونه كلون
العاشق الكئيب ، وظهرت من جانب الغرب سود الغرابيب ، عاد حضرة
الوزير إلى نحيمة العالي ، وقد قطعت رؤوس الأعداء ورفعت على أسنته
العوالى ، وسيقت بين يديه مع الخيول المقلوعة ، والاسلاب المنزوعة ، والجماجم
المقطوعة ، فسجد لله تعالى شكراً ، وتضرع إليه سرأ وجهراً ، وتبرأ من
حوله وقونه ، واعترف أن ذلك بحول الله وقدرته ، وتفقد من العسكر من فقد ،
وحرر من قتل في سبيل الله واستشهد ، فكادوا يصلون إلى العشرين ،
درجوا إلى أعلى عليين ، وأما من ألقته ملائكة العذاب إلى سجين ، من الجند
الباغين ، واتباع الشياطين ، فقد جاوز المئين ، بمن قطع رأسه وخمدت
أنفاسه ، وانطقاً من قبس الحياة نبراسه ، ومن لم يعلم فأكثر من أن يحصى ،
وأوسع من أن يدخل حد الضبط والاستقصا ، غير أنهم لا يقلون بالقتل
والفتك ، ولا يعدمون بالسفح والسفك ، لأنهم من مقولة الحشرات ، وأنواع
العقارب والحيات ، ونفوسهم من أرذل النفوس ، ما بين منحوس ومنجوس ،
ومبخوس ومنخوس . (بيت) :

كلاب أرادت أن تقوم بدولة لمن تركت رعي الشويها والبههم؟



الفصل السابع والاربعون

في طلب الأعرج بتبديل محل القتال ، وجرأته على المبارزة والنزال ، وانكساره وانهزامه وهروبه وجيشه كالقروود إلى رؤوس الجبال .

لما كان منتصف شهر رمضان ، بلغ حضرة الوزير عن العربان ، انهم يقطعون الطريق شارعين في العصيان ، وانهم اغتتموا اشتغال حضرة الوزير بقتال أهل (ثلا) و (كوكبان) ورؤا أن ذلك من فرص الزمان ، وهذا شأن عربان تلك النواحي ، وعادات القبائل الجهال في تلك الضواحي ، فانهم إذا بعد عنهم حد السيف ، شرعوا في الفتنة والحيف ، ولا يحسبون العواقب ، ولا يرقبون ما يأتي به زمان المستقبل الغائب ، بل هم اسراء الحالة الراهنة ، 'عمي' صم عن الذي سيقع من الأهوال الكائنة ، فجهز الوزير جيشاً لضبط الطرقات ، وقطع رؤوس من خالف في تلك الجهات ، وتأديب من رام الغدر والخنبات ، وأرسل لهذه الخدمة أفرس من عنده من الفرسان ، وأشجع من حوله من الرجال الشجعان ، أهل الرأي الصائب ، والتدبير الثاقب ، فبلغ الأعرج هذا الخبر ، فانتفخ أوداجه بذلك واغتر ، وظن أن العساكر المنصورة قل عددهم ، وضعف لأجل غيبة هؤلاء مددهم ، فرأى أن قتالهم في هذا الحال فرصة ، وطمع ان البياذق تتفرزن إذا خلت من الرخاخ العرصة ، وطلب من حضرة الوزير تبديل ميدان القتال ، وعين من تلقاء نفسه مكاناً آخر لمبارزة الرجال ، لأنه تشاءم بالمكان الأول ، وظن انه يظهر

منه نتيجة إذا تبدل المكان وتحول ، وما عرف أن الأراضي والأمكنة لا تأثير لها في الكر والفر ، وان ذلك جميعه منوط بالقضاء والقدر ، وان القرار والفرار دائران على ما أودعه الله في حِصاة الحِشاء ، وان النصر بيد الله يؤتية من يشاء ، واختار الأعرج لحل الجلاذ ، ومكان الطراد ، محجراً كثير الأحجار والاصلاذ ، لا يتمكن من الجولان فيه الخيل الجياد ، ويختفي فيه خلف كل صخر عربي من العربان ، معه بندقية بالمرصاد ، يشاكل لون الأرض في الغبرة والسواد ، ولا يتميز شخصه للفارس لتحزره إذا أراد ، وذلك موضع حزن في سفح جبل فيه قلعة تسمى (الحضور) جمع فيه شياطين البدو والحضور ، وأحضرهم فيه فبادروا إلى الحضور ، واستدعى القبائل فجمع وأوعى ، ورتبهم في تلك الشعاب جمعاً فجماً ، حتى ضاقت بهم فجاج الأرض ذرعا ، وتوهمت الأودية والمهاد أنها حية تسمى ، فأجابه حضرة الوزير إلى سؤاله ، وماشاه على ما شاء من معوج خياله ، وتوجه بنفسه النفيسة ورجاله ، ورتب من بقي عنده من اطلابه وأبطاله ، وضرب مزاميره وكوس أطلاله ، ورفع الرايات ونشر الاعلام ، وفوق إلى نحور الأعداء نصول السيوف والسهام . (شعر) :

ورب جواب عن كتاب بعثته وعنوانه للناظرين قتام
تضييق به البيداء من قبل نشره وما 'فض' بالبيداء منه ختام
حروف هجاء الناس فيه ثلاثة جواد ، ورمح ذابل ، وحسام
وما زلت تفتني السمر ، وهي كثيرة وتفتني نفوس الجيش ، وهي هام

وفي صبح يوم الاثنين ، ثامن عشر رمضان ، تصادم الخيسان ، والتقى الجمعان ، واعدت العرب عادين ، وللمنايا الى نفوسهم منادين ، فردت عليهم فرسان أهل السنة ، وفوقت إليهم ألسنة الأسنة ، وأحاطت بهم من أمامهم وخلفهم ، وفتحت عليهم بشبا السيوف أبواب حتفهم ، وأرتهم وجوه المنايا في مرايا غرر الجياد ، ونزعت عنهم لباس الجلذ لباس الجلاذ ، وفلقوا

البَيْضُ بالبَيْضِ ، وفلحوا الحديد بالحديد ، وأشعلوا نار الظبا في ماء الوريد ، وفضوم بالفضاء ، وعروهم بالعراء ، وسلب الأعداء وملك سلبهم ، وتقطع بهم سببهم ، وما وصل إليهم أرببهم ، وجاء كثير من المماليك ، يقودون إلى الوزير سراة الاسارى ، ويتلون على كفاة الحرب : (وترى الناس سكارى وما هم بسكارى) ، واستمر القتل والقتال ، والفتك إلى أن نكص أهل الضلال ، وولوا الأدبار منزهمين الى الجبال ، وقتل منهم عدد الحصى والرمال ، واندكوا تحت سنابك الخيل وحوافر البغال ، وقتل ابن أخي الأعرج المخذول ، وهو أعظم فرسانه الفحول ، وأقوى من يقاتل بين يديه لإدراك الذحول (محمد بن عز الدين) وقد كان والده من أكمل أولاد شرف الدين ، وكان جامعاً بين الفضل المتين ، والعقل الرصين ، وكان أخذ وجهز به الى الباب العالي ، أيام مصطفى النشار ، لتسكين الفتنة في تلك الديار ، فلما وصلوا به إلى (الينبع) مرض فمات ، وآل عزه إلى الذل وفات ، فقطعوا رأسه بعد الفوات ، وجهازوه الى الابواب والعتبات ، ونشأ هذا على قدم أبيه ، وكان إليه أقرب شبيه ، مع البسالة والشجاعة ، وحسن العبارة والبراعة ، فكان يرميه في الدواهي العظام ، ويلقيه في مخالب المنية وأفواه الحسام الى أن قدر الله أجله المحتوم ، على الوجه المرقوم ، وقدم عليه الموت أقدم قدوم ، على يد أولئك القوم . واستشهد من هذا الجانب (سنجق دار حضرة الوزير) وكان قد قدم عليه بذلك نذير ، فانه رأى مناماً عبّره بهذا التعبير ، فبادر الى اقتحام مرتبة الشهادة ، وعلم انه إن شاء الله من أهل السعادة ، ومضى فائزاً بالرضوان ، حائزاً الروح والريحان ، جائزاً إلى أعلى الجنان ، وأنشد لحضرة الوزير لسان الحال ، وهو يعزیه بهذا المقال :

لا زلت تبقی ، ونُعزّيكا ولا نُعزّي أجداً فيكا

ثم رجع حضرة الوزير إلى وطاقه ، والظفر والتأييد في سياقه وسباقه ، والنصر قد مدّ على رأسه فاضل رواقه ، وترك الأسلاب والخيول لآخذها ،

ولم تطمح عينه لشيء من ذلك ، ولا رغب فيها ، وكان فيها
حُصْنٌ ، كأنها حصون ، وزرد دلاص موضون ، وخوذ منها مذهبة ومدهون ،
وسيوف ذكور يتوالد عنها المنون ، وملابس تحار فيها العيون ، وساق الأسرى
بين يديه مصفدين مغلولين بالاغلال ، ورؤوس القتلى على أعلى الرماح والاسل الطوال .

فلما وصل إلى مخيمه ، خرّ ساجداً لله تعالى ، وحمد الله على نعمه ، واعترف
بتقصيره في شكره على ما افاض الله عليه من لطفه وكرمه ، وعرف ان ذلك
انعام الله تعالى عليه ، وأوفر إحسانه الذي لم يزل يتوارد اليه ، عالماً بهجزه
التام وقصوره ، مفوضاً الى جناب الحق تبارك اسمه وتعالى عامة أموره ،
قائلاً بلسان قاله ، منشداً بصريح مقاله (بيت) :

فوض الى الله الأمور مسلماً فالعبد أحسن ما له التسليم



الفصل الثامن والأربعون

في بعض حيل الأعرج الدجال ، ومكره وكذبه الذي يكاد
تنفطر منه الجبال ، ومناماته الكاذبة الذي خدع بها النساء والرجال

قد تقدم في الفصل الخامس والأربعين نبذ من خدع هذا الأعرج الدجال ،
الفائق في دجله على الأعور الدجال ، وما هو منطو عليه من الكذب والزور ،
وما يشتمل عليه من المكر والخداع والغرور ، وذلك دأبه الذي نشأ عليه ،
وطبعه الذي يرجع في كل وقت إليه ، وعمله الذي لا ينفك عنه بل لا يزال
حاضراً بين يديه .

ولما ضاق ذرعه بتعدد الكسائر ، وقتل أكثر من كان يعضده من العساكر ،
وتشتت عليه ما جمعه من الأموال والذخائر ، وصار محصوراً في قلعة (ثلا)
في قلة وذلة وبلاء ، مترقباً ان تحتطفه مخالب المنايا ، متوقفاً ان تحطمه معاطب
الرزايا ، منتظراً أن تفتسه نوايب البلايا ، حار في امره وخار ، وغاص
بفكره ودار ، وشرع في أكذاب يخترعها ، وأنواع من الحيل والخداع
يبتدعها ، ليصون بذلك روحه من الهلاك ، ويحرك الجهال بالعصبية الجاهلية
أشد حراك ، فكتب الى طوائف البدوان ، ومشايخ العربان ، وقبائل
العدوان ، ومواد الفتن والعصيان ، والى أهل الوبر والمدر ، والبدو والحضر ،
كتاباً متفرقة ، ورسائل مزوقة ، مؤنقة ، يطلب منهم الاستنجاد ، ويستجيش

بهم مواد الفساد ، ويخيل الى عقولهم الضعيفة ، وأنظارهم الفاسدة السخيفة ،
انه من أهل الكرامة والولاية ، وان الله تعالى به غاية العناية ، وانه ممن
ينظر النبي ﷺ ، في المنام ، وانه يخاطبه ويوصيه على أمته في الأحلام ،
ويوجه اليه الكلام فيما يفعله بأهل الاسلام ، وحاشى جناب النبوة الشريفة من
هذه الأكذاب والأوهام ، وما أعظم هذه الجرأة على الله تعالى وعلى
نبيه عليه الصلاة والسلام ، فصنف من أكذابه انه رأى النبي ﷺ
في المنام ، وهو يبعث بالنعرة على الأروام ويأمره أن يستجيش
عليهم بالأقوام ، ويقول له : قد ولت دولتهم هذه الأيام ،
وانكسرت شوكتهم بين الانام ، وحاشاهم من هذا الزور والكذب
والأوهام ، فان دولتهم قائمة إلى يوم القيام ، وانه يجب على الأمة قتالهم ،
ويفترض عليهم اغتيالهم وصيالهم ، وبعد ذلك يعود الملك اليك ، والسلطنة
تلقى أزمته بيدك ، وامراء الممالك يطيعونك ويعولون عليك ، فإذا صرت
بهذه المرتبة العظمى ، ووصلت إلى عروج هذا المقام الأسمى ، فاستوص
بأمتي خيراً ، وادفع عنهم ضرراً وضيراً ، وارفق بأهل اليمن ، فان لي بهم
عناية ، ولهم عندي كرامة ورعاية ، فأول ما تعامل به رعاياهم ، أن ترفع
عنهم الخراج ثلاث سنوات ، وأن لا تؤاخذهم بما مضى لهم من الهفوات ،
وأن تسامحهم عما صدر منهم من اتباع غيرك فيما مضى ، وتسبل عليهم ذيل
العمو وتلبسهم حلل الرضا ، فقال الأعرج الكذاب - وحاشا مقام النبوة عن
هذه الاكذاب - : يا رسول الله كيف تصدقني أمتك في هذا المقال ؟ وكيف
يعلمون صدقي فيما أنقل اليهم عنك من هذه الاقوال ، ؟ فقال هذا الكاذب :
انه قال : علامة ذلك أن يكسف القمر في الليلة الرابعة عشر من شهر شوال ،
وهذه علامة ليس فيها ريب ولا اختلال ، فان وقع ذلك فلتعلم الأمة صدق
ذلك المنام ، فليبادروا إلى ما فرضت عليهم بالنفير العام ، فمن فعل ذلك
بعد مشاهدة العلامة فهو من أهل الاسلام ، والا فأنا بريء منه في الدنيا وفي
يوم القيام ، واستفاد الأعرج كسوف القمر في تلك الليلة من التقاويم ، فأبرزه
في هذا القالب السقيم ، وجعله علامة لهذا المهم العظيم ، وما خشي عار

الكذاب في ذلك لان العربان جهال ، وعقولهم في غاية الضلال ، يظنون أن ذلك من علم الغيب ، الذي استأثر الله تعالى بعلمه ، وأخبر بذلك نبيه ﷺ ، وان البشر لا يمكنه الاطلاع على ذلك إلا باطلاع الله تعالى له عليه ، والقائه الوحي أو في المنام الصادق اليه ، وما علموا أن أسخف المنجمين يستخرج ذلك من الزيـج ، وبيع تقويمه بدرام قليلة في الاسواق لمن احتاج إلى علم ذلك من المحاويع ، بل يمكن أن أهل ذلك القطر من عربان الجبال ، واجلاف البدو من على ذلك المنوال ، ما سمعوا مطلقاً بالتقويم ، ولا شعروا بأسلوبه القويم ، فافتنوا بهذا الكتاب ، واظلمهم الشيطان بتلك الأكذاب ، وحاد بهم ومال عن طريق الصواب ، وما اكتفى الاعرج الكذاب بهذه الخدع والانداب ، حتى أرسل إلى كل طائفة بما يليق بها من النقود ، ليستعينوا بها على الخروج في ذلك اليوم الموعود ، والوقت المعهود ، ليخلعوا ربقة اطاعة السلطان ، ويظهروا الخروج والعصيان ، ويقتلوا من قدروا عليه من الأتراك ، ويفسدوا في الارض بالإتلاف والإهلاك ، وأضاف إلى إرسال كتبه ونقوده ، إرسال شعور بناته ونسائه ، وشعور أهل بلده وأقربائه ، واستصراخن على الأروام ، بأنهم يسلبونهم ويفعلون بهم الفعل الحرام ، فأين الحمية ؟ وأين ذهبت العصبية ؟ وهؤلاء يتذلون نساء الأشراف ، ويلجؤون إلى مهاوي الاعتساف ، ويكرهونهم على الزنا ، ويفتضون الأبنكار الحصنا ، وأنتم حشواً أثوابكم ، وملء سروجكم وأقتابكم ، تأكلون وتشربون وترقصون وتطربون ، ولا تدفعون عن حريمكم هذا العار ، ولا تركبون في دفع هذا العار عنكم مراكب الاخطار . أما سمعتم ما وقع لطسم وجديس ، وأولئك الأقوام الاحاميس ؟ وأكثر الأعرج الكذاب من هذه التشنيعات ، وكبر عليهم بذكر البشائع الفظيحات .

وأما حكاية طسم وجديس فهما قبيلتان من العرب الغاربة ، الذين كانوا قبل ولد اسمعيل عليه الصلاة والسلام - وهم العرب المتعربة - وطسم هو ابن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام .

وجديس هو ابن عابر بن إرم بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام ، وكثر أولادهم ونسلهم جداً ، وكان مسكنهم اليمامة ، وكانت ذات فواكه وأثمار ، وأعناب ونخيل وأنهار ، وحدائق ملتفة ، وقصور مصطفة ، ونعم ونعم ، وضروع وزروع ، وكان الملك في طسم ، فولي منهم ظالم غاشم ، اسمه عملوق فأذل جديساً وامتهنها ، ورمأها بالمظالم وامتحنها ، ولم يزل على ذلك حتى أتته امرأة من جديس ، يقال لها هزيلة بنت مازن ، تخاصم زوجها لها يقال له ماشق قد طلقها ، وأراد أن ينزع ولده منها ، فأبت عليه ، فارتفعا إلى عملوق فقالت المرأة : يا أيها الملك اهدا الذي حملته تسماً ، ووضعته وضماً ، وأرضعته رضماً ، حتى إذا تمت فصاله ، واستوفت خصاله ، وظهر كماله ، أراد أبوه أن يأخذه مني قسراً ، ويسلبنيه قهراً ، ويتركني منه صفراً . فقال زوجها : قد أخذت المهر كاملاً ، ولم أنل منه طائلاً ، إلا ولداً جاهلاً ، وقد جئنا ملكاً حلاجياً ، فليفعل ما كان فاعلاً ، فأخذ عملوق الولد منها ، وجعله في غلماناه وطردهما عنه ، فقالت هزيلة في ذلك :

أتينا أبا طسم ليحكم بيننا فأبرم حكماً في هزيلة ظالماً
 لعمرى حكمت اليوم لا متورعاً ولا أفهماً عند الحكومة عالماً

فبلغ عملوق قول هزيلة ، فغضب ، وأمر أن لا تتزوج امرأة من جديس ، فتزف إلى زوجها حتى تحمل إليه فيفترعها قبل زوجها ، فما أمكنهم غير إطاعته ، ولقوا من هذا ذلاً طويلاً ، وما زالوا على ذلك حتى تزوجت عفيرة بنت عفار الجديسي ، أخت الاسود ابن عفار ، على رجل من جديس ، فلما كان ليلة اهدائها إلى زوجها انطلق بها اترابها إلى عملوق ليطأها على عادته ، وهن يفنين بالدقوف :

ابدي بعملوق فقومي واذهي
 وبادري الصبح بأمر معجيب
 فما لبكر غير ذا من مذهب

فلما دخلت عفيرة على عملاق افترعها ، وخلي سبيلها ، فخرجت على قومها ملطخة بدمائها ، وقد شقت جيبها على قُبْلِهَا ودُبْرها وهي تقول :

لا أحدٌ أذلُّ من جديس أهكذا يفعل بالعروس ؟

وذهبت إلى بيتها ، ولم تذهب إلى بيت زوجها ، وأنشأت تقول :

أصلح أن يؤتى إلى فتياتكم وأنتم رجال كثرةٌ عدد الرمل
أتصبح تمشي في الدماء عروسكم صبيحة زفت بالدفوف إلى البعل
فإن أنتم لم تغضبوا عند هذه فكونوا نساء للبخور وللنفل
وهاكم جلابيب العروس وطيبها فأنتم لأثواب العروس وللكحل
فقبحاً وتغساً للذي ليس دافعاً ويختال يمشي بيننا مشية الفعل
فلو اننا كنا رجالاً وكنتم نساءً لكننا لا نقر على ذل
فوقوا كراماً ، واصبروا لعدوكم بحرب تلظى ، في الضرام من الجزل
فيهلك فيها كل من جاء يومه ويسلم منها ذو النجابة والاصل

فلما سمعت جديس ذلك تحركت حميتها ، والتهبت نيران غيرتها وغضبتها ، وغضبت لذلك غضبة كادت تهد الجبال ، وتقذف السلاسل والواصل ، واجتمعت للتدبير في النضال بالنضال ، وعزمت على الحرب والقتال ، فقال لهم الاسود ابن عفار - وكان سيداً مطاعاً فيهم - : يا قوم أطيعوني فيما أمركم به فقيه عز الدهر ، وذهاب الذل ، وذلك أن طسماً ليس بأعز منكم حسباً ولا نسباً ، ولكن ملك صاحبهم عليكم هو الذي ذلنا بالاطاعة له ، ولولا ذلك ما كان لهم عليكم من فضل ، ولو امتنعنا منهم لاتتصفنا منهم ، فقالوا : قد قبلنا قولك ولكن اخواننا العرب أكثر منا عدداً وعدداً ، فإن ظفروا بنا لم يبقوا مننا سبداً ولا لبدأ . قال : فاني رأيت رأياً أقسم عليكم بالله لتطيعني فيه يا جديس أولاً تكنن بصدري على ذبابة سيفي ، إلى أن أنفذه من ظهري ، فقالوا له : فما هذا الرأي ؟ قال : اني صانع لعملاق وقومه طسم طعاماً ، ادعوم اليه ، فإذا جاؤوا اليه يحرون أذيالهم في المروط والبرود ، ملنا عليهم بالسيوف ،

فأنا أقتل عملوق ، وليقتل كل منكم واحداً منهم ، فوافقوه على ذلك ، وصنع
الأسود طعاماً كثيراً ، ونحر لهم مائة من الابل ، وأمر قومه أن يدفنوا
سيوفهم في الرمل ، حيث أعد الطعام ، وأمرهم أن يبدأوا بقتل الرؤساء .
ثم دعى الأسود عملوقاً وقومه إلى الطعام ، فأجابوا دعوته ، وجاءوا إليه
يرفلون في أثوابهم ، فلما أخذوا مجالسهم ، بادرت جديس إلى اخراج سيوفها
من الرمل ، فقتلوا عملوقاً وأصحابه ، حتى أفنؤهم عن آخرهم ، ومضوا إلى
دورهم فانتهبوها ، وقتلوا من بقي فيها ، فهرب منهم رجل يقال له رياح ابن
مرة الطسمي ، إل أن وصل إلى حسان بن قبيح فاستعداه على جديس فأرسل
معه جيشاً إلى اليمامة ، فخرج لهم الأسود بن عفار ، وهو ملك جديس
يومئذ ، وما كان لهم طاقة بالجيش ، فاقتتلوا إلى ان فني أكثر جديس ، فهرب
الأسود بن عفار ، بمن بقي معه إلى (طيء) فلما نزلوا بدارهم أجاروهم
من تبع وجيشه ، فاستمروا عندهم ، ويذكر أن نسلهم اليوم في طي ، ذكر
هذه القصة السيد تقي الدين الفاسي المالكي قاضي مكة المشرفة في كتابه
الذي جمع فيه ولاة مكة في الجاهلية والاسلام ، وكان وفاته في عام اثنتين
وثلاثين وثمانمائة .

رجعنا إلى أكاذيب الأعرج ، واضلاله لطوائف العربان الهمج ، وسكان
البادية من البدو الهوج ، وانهم لما وصلت اليهم أوراق هذا الدجال ، متضمنة
لما سبق تفصيله من المكر والاحتيال ، واظهار الاستنصار بهم ، والاستمسك
بأذيال عربهم ، والتشبث بعري سببهم ، تحركت فيهم الحمية ، والتهب نيران
العصبية ، واستعظموا هذه القضية ، وأجمعوا على الغدر والعصيان ، وعلى
الخروج ثانياً من طاعة السلطان ، وشرعوا يسمعون في الأرض فساداً ، وسعوا
في الخراب اذاً وبطراً وإفساداً ، وقطعوا الطرقات ، وانتهكوا الحرمات ،
واستعانوا بما وصل اليهم مع الكتب من النقود ، على حل العقود ، ونكث
العهود ، وأكد ذلك وعده إياهم بالمساحة عن الرسوم والخراج ، وترك ذلك
عن اغنيائهم وعن الفقير المحتاج ، وان ذلك بأمر سيد الأولين والآخرين ، لرفقه

بأهل اليمن في مقابلة مساعدتهم على القيام في الدين ، الى غير ذلك من الأوهام
الواهية ، والخيالات الفاسدة في ادمغة خالية ، من العقول خاوية ، هي أوهى
عند أهل العقول من نسج العناكب ، وأضعف من مخراق اللاعب ، بالنسبة الى
مخراق الحرب المحارب ، فهاجت العربان . وماجت ، ومالت الى فسادها
السابق وعاجت ، واستسمنت من مواعيد الأعرج الكذاب ذا ورم ، ونفخت
في غير ضرم ، وقطعت السبل ، واخافت العباد والبلاد ، وسعت في الأرض
بالفساد ، وأقامت الفتن بعد ما نامت ، وقامت لحرب الله ورسوله فلا قعدت
ولا قامت ، والله يؤيد المؤمنين بنصره وكرمه وفضله ، ويرد مكر الملحدين
في نحورهم ، ولا يجتق المكر الشيء الا بأهله .



الفصل التاسع والاربعون

فما اظهرته عصاة العرب من الشموص والشموس ، ونقض العهود
وقتل النفوس ، وما فعله (القطران) المنجوس و (ابن نشير) المنحوس

لما تخبطت ادمغة عصاة العرب ، وحصل لهم الفرور بما ارسل به اليهم
الأعرج وكتب ، وصدقوا بما فتراه من الأباطيل ، وكذب ، شرعوا في البغي
والفساد ، وقطعوا السبل واخافوا البلاد والعباد ، فمنهم من بادر الى العصيان
اختياراً واستبشاراً ، ومنهم من أكرهوه على ذلك جبراً واضطراراً ، فحصل
منهم النفير العام ، واقاموا على قدم واحد أشد قيام ، وكان أكثرهم ممن
أعطاه حضرة الوزير الأمان ، واعفاه عن القتل ، وأحسن اليه أكبر احسان ،
فما افاده ذلك اللطف إلا زيادة في البغي والطغيان ، ومبادرة الى الخيانة
والعصيان ، وهذا شأن نفوس الاراذل ، ودأب من لا يعرف المعروف من
الأسافل ، ولقد صدق أبو الطيب المتنبي القائل (شعر) :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
ووضع الندى في موضع السيف بالعلماء مضر ، كوضع السيف في موضع الندى
وابلغ من ذلك في الفتك بالأخصام ، واغتنام الفرصة والانتقام ، قول
المقرَّب حيث قال من قصيدة له في هذا المعنى ،

ومن عرف الأيام معرفتي بها وبالناس روي رحمة غير راحم
فليس بمرحوم إذا ظفروا به ولا في الردى الجاري عليهم بأثم

ولكن حضرة الوزير ، لم يعاملهم بالتشديد والتعسير ، بل بالحلم الزائد واللفظ والتيسير ، ليكون إحسانه إليهم نقمة بعد ذلك عليهم ، وكأسراً رقابهم عند الأشر والبطر ، وغصة في حلوقهم عند الخيانة والغدر ، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، ولقد قيل :
وإذا بغى باغ عليك وحزته فاقتله بالمعروف لا بالمنكر
فإذا تكرر بغيه يأتيه من قبل الإله جزاءه قبل المحشر

ولما كان حضرة الوزير مشغولاً بمحاصرة (كوكبان) ، اغتنمت العربان إظهار العصيان ، وخرجت للإفساد والبغي من كل مكان ، وخرجوا على علي أهل (تعز) وأهل (التمكنر) ، وعلى أهل (ذراع الكلب) وألبوا وحشدوا العسكر ، وكان الأمير خير الدين (قرط اوغلي) و (كوجك أحمد بك) على حصن (حب) محيطين عليه بمحطة ، فأحاطت بهم عربان (بعدان) وأهل (جبلة) وحطوا على (ذمار) وصنعاء) ، وأسأوا فيمن أحسن إليهم صنماً .

وكان حضرة الوزير لما مر بدمار ، بذلك العسكر الجرار ، طلبوا منه الأمان ، واستعفوا عما صدر منهم قبل ذلك من العصيان ، فقابلهم بالقبول ، وشملهم بلطفه أكرم شمول ، وأفرغ على كواهلهم خلع الاحسان والانعام ، وأكرمهم غاية الاكرام والاحترام ، فقابلوا جميله الآن بالرداءة ، وإحسانه السابق بالاساءة ، ومبرته الشاملة بالكفر والمساءة .

وكان من جملة مشايخ أهل (ذمار) وشيوخهم الذين خلصوا من القتل والاسار ، وأعطاهم حضرة الوزير الأمان ، ودخلوا في طاعة السلطان ، بعد الغدر والعصيان ، وقبولوا بالجميل والاحسان ، وعفا عن جرائمهم في ذلك الزمان ، الخائن الغدار (علي بن نشير) من أهل ذمار ، ساقه الله إلى دار البوار ، فانه حين مرور حضرة الوزير في تلك الديار ، وصل اليه في صورة الصلاح والوقار ، وأبدى غاية الاعتذار ، عما وقع من العصيان من أولئك

الفجار ، فحصل بكلامه الاغترار ، وحسن الظن به قبل الاختبار ، وأمر
حضرة الوزير أن يتولى الامانة في (ذراع الكلب) وفي (ذمار) وأن يحفظ
الطرقات من قطاع الطريق الاشرار ، وأن يكون صاحب درك بتلك الاقطار ،
فامتثل ذلك ، وشرط على حضرة الوزير أن يدفع البدع والمظالم ، ويزيل
الشبهات والرسوم الحادثة والمآثم ، ويمضي على نهج الصراط المستقيم ، ويجري
قواعد الشرع الشريف القويم ، فاستحسن ذلك منه حضرة الوزير الكريم ، وصار
لذکور عنده مقام جليل وقدر عظيم ، وألبسه الخلع الكريمة ، ورتب له العلوفاة
العظيمة ، واغدى عليه سحب الانعامات الجسيمة ، وصار من أكبر الخواص ،
ومن أعظم أهل الشفاعات والاختصاص ، إلى ان وصلت اليه مكاتبات
الاعرج الدجال ، بما تقدم شرحه من المكر والخداع والاحتيال ، وكان الغدر
كامناً في طبعه ، والنفاق والخيانة آخذان بضبعه ، فامتثل في الحال أمر
ذلك المحتال ، وتلقاه بالقبول والامتثال ، وأخذ في الافساد والاضلال ،
وصدق بالامر المحال ، والله شديد المحال .

وكان من نقباء الاعرج المفتون ، كبير اسمه (قطران المجنون) كان فاتكا
شجاعا ، وللخير مناعا ، ملأ ذلك القطر الحاداً وإبداعاً ، وحشاها خيانة
ومكراً وخداعاً ، اتفق مع (علي بن نشير) أن يجمعوا العربان جمعاً ،
ويتوجها إلى اخذ صنعاء ، ويقطعا الميرة عن الترك قطعا ، ليضعفوا فيسلموها
اليهم صوتاً لانفسهم ودفعا ، فجمعوا الجنود ، وحشدوا الحشود ، وحطوا
على صنعاء ، ومنعوا الميرة عنهم منعا ، وقطعوا الطرقات قطعا ، وأخافوا
الحاضر والباد ، من سائر العباد ، وزلزلوا البلاد ، وأظهروا الفساد ، وأيقظوا
الفتنة بعد الرقاد ، واجتهدوا في نشر الافساد ، غاية الوسع والاجتهاد ،
فاستولى علي بن نشير على ناحية (سنحان) وأضل أهلها بالطغيان ، ودعاهم
إلى العصيان ، فأجابوا كلمته ، واختاروا اطاعته ، ونفذوا امرته ، واستولى
قطران على ناحية (الحضور) ، وتآمر عليهم بالكذب والفجور ، وهما ناحيتان
واسعتان ، كان يحفظها الكشاف من قبل السلطان ، فلما احتاج حضرة

الوزير ، الى الجيش العديد والجند الكثير ، توجه إلى ما هو أهم من هذين الناحيتين ، واعتماداً على إطاعة أهل الجهتين ، وفوض أمرهما إلى من أطاع من عربانها ، فاعتنم أهلها في هذه الغفلة ما كان كامناً من غدرها وعصيانها ، فأظهرا ما في بواطنها من بغيها وطغيانها ، فأما قطران فكان (ممي الكاشف) هدماً حصنه ، وهدم ركنه ، وفتك في جماعته ، وقتل كثيراً من رجاله ، ونجا هو من الهلاك ، وفر من يد الاتراك ، فكانت هذه ضغينة في قلبه ، وحزازة في فؤاده ، وحرارة في لبه ، وكان ينتظر الفرصة ، والانتظار أكبر غصة ، وأما (علي بن نشير) فقد كفر النعمة ، وهتك الحرمه ، وقابل الاحسان بالكفران ، ومحى نور الطاعة بظلم العصيان ، ويجازي الله كلا على فعله ، ويعرفه عاقبة خسارته وجهله ، والعرق الفاسد نزاع إلى الفساد ، وان أظهر صاحبه الصلاح فما عليه اعتماد .

فان الجر ينغر بعد حين اذا كان البناء على فساد

فقطعوا الطرقات الى حضرة الوزير ، ومنعوا الميرة عنه ، وما تركوا أحداً إلى جهة الترك يمير ، وارسل (قطران) إلى أهل بلد صنعاء يعدم ويمسهم ، وما يعدم الشيطان إلا غروراً ، وجهاز لهم كتباً يستميلهم بها ، ويطلب منهم الخروج على الترك الحافظين لصنعاء ، وينفرهم منهم تنفيراً ، وذكر فيها أباطيل الأعرج وكذباته ، وأحلامه المفتريات ومناماته ، إلى آخر ما عدد من الأكاذاب وفصله ذلك المفترى الكذاب ، فحصل بين أهل البلد كال الاختباط ، وأسروا ذلك واستشاروا فيه وصاروا في أعظم خباط ، فمنهم من أشار بشق العصا ، واظهار الخلاف ، ومنهم من توقف في ذلك ولم يعتمد على هذا الارجاف ، وبعد طول البحث والنزاع فيما هو الأصوب ، وكثرة الاختلاف ، أجمعوا على أن يكونوا في هذا الزمان لا للترك ولا عليهم في المقاتلة والمصاف ، وأرسلوا إلى (قطران) يعرفونه بما وقع من الآراء ، والذي اتفق عليه جميع أهل صنعاء ، فما حصل داخل صنعاء اختلال ظاهر ، ولكنهم كانوا متوقعين ظهور

الفتن، ودوران الدوائر، وصارت القلوب متشاحنة، والبغضاء في الضائير
المكنونة كأمنة، والعهود والمواثيق بحسب الظاهر باقية، ولكنها واهية
واهنة، واستولى (قطران الكلب) على (ذراع الكلب)، وقطع الطريق
إلى الترك من اليمين واليسار والقلب، ومنع حتى الطائر أن يطير، وانقطعت
الأخبار عن حضرة الوزير، ومن انفردوا به من الترك قتلوه، ومن وافق منهم
على العصيان قبلوه، رجهزوه إلى الأعرج وأرسلوه، ومن كان منهم في
الحصون حفظ حصنه وحصته، ودفع عن نفسه الصائل منها أمكنه، وبالغ
(قطران) في تخويف الترك المحافظين لصنعا، وأرعاهم، وفي قطع الميرة
عنهم وأرهابهم، وطلع إلى (جبل اللوز) هو ومن تبعه من عصاة العربان،
وأكثروا من الصخب والشغب وإيقاد النيران، وأفشاء العداوة والعدوان،
وأنشاء البغي والطغيان، فارتجت لذلك القرى والبلدان، واضطربت الأمور
بعدما انتظمت، بقدر الامكان، ولكن الحق يعلو ولا يعلى، والباطل
يذهب جفاء ويقلى، ومن المعلوم أن الحق يصدع الباطل ويصرع، ويحمي
أهله ويدفع عنهم ويمنع، (بيت):

وما من بغي له صولة على الناس إلاه مصرع



الفصل الخمسون

في فتنة كادت أن تقع بصنعاء ، كفى الله تعالى شرها ، وأطفأ نيرانها
ودفع ضررها ودراها وأخذ شررها

كان في جانب صنعاء قصر عظيم ، يسكنه (البكلربكية) وهو في غاية
الاستحكام والاتقان ، وكان لحصانته يكون فيه بيت السلاح ، ومكان
البارود ، وفي جانبه محبس واسع يحبس فيه أهل الجرائم ، فلما توجه حضرة
الوزير إلى أخذ صنعاء ، جعل في هذا القصر (دزدارا) يحكم على نحو السبعين
من العسكر ، خدمتهم حفظ هذا القصر بجميع ما فيه من خزائن السلاح
والبارود ، والمحبوسين ، وولي عليهم آغا يسمى (خضر بك) فتأدب
(خضر بك) عن سكنى القصر ، لكونه سكن (البكلربكية) وسكن
خارج القصر ، فصار القصر حكمه حكم قلعة ، بها حفظة ، لهم آغا هو
(دزدار) أولئك الحفظة ، و(كدخدا) على عادة القلاع ، فصاروا يسكنون
القصر للحفظ ، ويسكن الآغا وباقي العسكر خارج البلد ، فتخرج ودهقن ،
وتعلم الظلم وتعدي على أهل البلد ، فشكوه إلى حضرة الوزير ، وذكروا
مظالمه وتعديه على الرعايا ، فعزله حضرة الوزير عنهم ، وولي عليهم (يحيى)
جاووش من جاووشية الباب العالي ، وكان من جملة المحبوسين على جرائم
كثيرة ، وفتن عديدة ، شخص مفتن ، يقال له (ترك مي) من قدماء الترك
المقيمين باليمن ، تعددت منه المفاسد والفتن ، فحبسه حضرة الوزير في محبس

القصر مع جملة المحبوسين، فأخذ يختبر في الحبس عن أخبار المحبوسين وضمائرهم ونياتهم ، ولا زال يحسن لهم العصيان ، واقامة الفتنة لما نصى قطران ، ويقرب إلى المحبوسين امكان ذلك ، وصور لهم قرب وقوعه ، وانهم يتخذون بدأ عند الأعرج ، بواسطة قطران ، وانهم يخونون السلطان ، ويكسرون قيودهم ، ويقتلون الحفظة ، ويفتحون باب القصر ، ويواعدون قطران ، فيأتيهم من خارج صنعاء ، فيمكنونه من الدخول إلى القصر ، فيملك صنعاء وسؤل لهم الشيطان هذا الخيال ، وقرب إلى عقولهم هذا الحال ، وحسن لهم الاقدام على ذلك ، ورماهم في ورطة المهالك فأرسل (ترك بمي) مكتوباً مع عبد له أسود ، كان مأذوناً له في الدخول عليه ، وأمره أن يدفع ذلك المكتوب إلى قطران ، في (جبل اللوز) ويأتيه بجوابه ، وكان في المكتوب اظهار التوسل به إلى مطهر ، وأنهم يمكنونه من صنعاء ، ويفتحون لقطران باب القصر ، فإذا فعلوا ذلك كانوا من خواص مطهر ، ففرح (قطران) بذلك ، واكرم العبد الأسود ، وأرسل بخبرهم إلى مطهر ، ففرح بذلك ، ووعدهم انهم إذا فعلوا ذلك أكرمهم غاية الاكرام ، وبلغهم جميع المرام ، واعطى (ترك بمي) أي بلد أراد ، وممكنه من جميع البلاد ، وحلف له على ذلك ايماناً باطلة ، وآلى أليات كاذبة هائلة ، ووضع خطه القبيح بذلك ، وأرسله الى قطران ، فأرسله قطران مع العبد الأسود الى (ترك بمي) فلما ورد كتاب (قطران) وكتاب (مطهر) اليه ، مع عبده المذكور ، فرح بذلك ، وقرأه على المحبوسين ، وكانوا نحو مائتي نفر ، اتفقوا على العصيان ، وأرسلوا الى قطران ، يذكرون له أن نحن نهيء المبارد والمطارق ، ونقطع السلاسل والاغلال ، قبيل الظهر في اليوم السادس والعشرين من رمضان ، ونهجم على البوابين بالقصر ، ونقتلهم ، ونفتح لكم الباب ، فتكونوا حاضرين خارج صنعاء ، لندخلكم إلى القصر ، فان دخلتموه فانكم غالبون ، وظنوا أن وقت الظهر وقت غفلة ، وزمان قبولة، وان ذلك

الأمر يتم لهم، ويأبى الله إلا ما أراد، وحمى الله المسلمين عن ولاية أهل الاحداد، ورد كيد المفسدين في نحر أهل الفساد . والله بصير بالعباد . ثم أرسل (ترك مي) بالمكتوب الذي فيه الموعد ، مع عبده الأسود الى قطران ، وعرفوا الميعاد .

فلما كان يوم السادس والعشرون من رمضان ، فك المهابيس قيودهم ، ومشى (ترك مي) ومعه جماعة من المهابيس ، وقت الظهر ، والناس نائمون ، وتقدموا إلى البوابين ، وكانوا أربعة أنفس وكان ثلاثة منهم مستغرقين في النوم ، والرابع متيقظ ، فهرب الرابع لما شاهدهم فكوا القيود ، وجاؤوا إلى الباب وصار يجري الى أن أيقظ الأغا وباقي العسكر ، وذكر لهم ما فعل المهابيس ، فتبها كل سلاحه وجاؤا الى الباب فوجدوا (ترك مي) ومعه نحو العشرة أنفس ، أخذوا سيوف البوابين الثلاثة ، الذين كانوا نائمين ، وقطعوا رؤوسهم ، وفتحوا باب القصر ، وخرجوا إلى خارج صنعاء ، فلم يمكنوه من الدخول الى القصر ، ولم يجدوا فيها داعياً ولا مجيباً فخابوا وخاب سعيهم ، وظهرت خيانتهم ، فقتلوا هناك ، ثم ضبطوا الباب ، وهياؤا المدافع لقتال من يرد عليهم ، وعادوا إلى باقي المهابيس ، فوجدوهم قد عادوا إلى الحبس ، ووضع كل رجله في القيد كما كان ، وأبدوا الاعتذار وحلفوا الايمان ، انهم لم يطيعوهم في العصيان ، ولم يوافقوهم في الطغيان ، واستقتلوا ، فشد الأمير وثاقهم ، وضيق عليهم ، وتنبه لمكرهم وخداعهم ، وتبها هو ومن معه من (النوبتجية) للقتال ، وتفطنوا لحفظ الجهات ، وأبراج السور وأطراف الجبال ، وتداركوا ما كان فيه من الغفلة والقصور والإهمال ، فوصل قطران ومن معه من العربان إلى ذيل (جبل اللوز) وترآوا لمن واعدهم وقد شربت كل أرض ماءها ، وتحسر قطران ، وقد أخطأت أسته الحفرة ، وتأسف على (ترك مي) وقد صار تحت الجنادل ، وفاته منه النصر ، وبكى عليه وعلى من قتل معه من المهابيس ، الذين اغتتموا الخيانة في هذه الفترة ، وأرسل ينخب الأعرج الدجال ، بما وقع عليه من النكال ، وانه لم يتم ما دبره من الاحتيال ، فاسف الآخر أسفا عظيما ، ولاقى من ذلك غصّة وعذاباً اليما .

الفصل الحادي والخمسون

في وصول هذه الأخبار الى حضرة الوزير وذكر نبذ من مضايقته
في العسكر والخزينة وأخذه في الفكر والتدبير ، وارسال
(قره كوزبك) لقتال قطران و (علي بن نشير) الشرير ، وقتلها بسيف
السلطنة القاهرة ، وسوقها الى جهنم وبئس المصير

لما كان حضرة الوزير بمصر (بكلربكياً) ووصل اليه الأمر الشريف السلطاني
بالتوجه إلى اليمن ، لاطفاء نيران الفتن ، وتقليد منصب الوزارة وانحصار
الأمر فيه والاشارة ، بادر إلى امتثال الأمر الشريف السلطاني ، من غير
توقف ولا تلثم ولا تواني ، وبرز بمن قدر عليه من عسكر مصر ، ومن معه
من المماليك و (العلوفجية) وأصرف عليهم ما وجد في خزينة مصر من
الأموال السلطانية ، وأوصل إلى العسكر علوفتهم إلى غاية ذى الحجة من
السنة التي برز فيها ، وهي سنة ست وسبعين ، وفضل معه من علوفة سنة
سبع وسبعين ، ما يصرفه على العسكر سبعة أشهر ، آخرها آخر شعبان سنة
سبع وسبعين ، واحتاج الى العلوفة من شهر رمضان ، من السنة المذكورة ،
ولكنه كانت بيده أحكام شريفة سلطانية إلى (بكلربكية) مصر أن يرسلوا
مها احتاج من الخزينة ، ومن العسكر . وكان (البكلربكي) بعده بمصر
(اسكندر باشا الجركسي) وكان حريصاً على جمع الأموال السلطانية ، وكان
يجمعها ويجهزها إلى الباب العالي ، ولم يرسل إلى حضرة الوزير لمهات اليمن ولا
لعلوفة من معه من المساكر المنصورة السلطانية علوفة .

فأما من كان مع الوزير فكانوا زهاء أربعة آلاف ، وكان مع عثمان باشا الذي توجه قبله ما ينوف على ثلاثة آلاف ، وكان مع (حسن باشا) المتوجه قبل عثمان باشا نحو الألف ، هذا غير بقية العساكر السلطانية باليمن ، من قبل حدوث هذه الفتن ، وبعدها ، مع صدور الأمر الشريف السلطاني لاسكندر باشا أن يرسل عقب حضرة الوزير العسكر الوارد من الشام والروم ، فاعتمد حضرة الوزير على ذلك ، وبادر إلى التوجه الى اليمن ، فلما ورد إلى اليمن لم يجد من عسكر عثمان باشا غير ألف مقاتل ، رجع منهم مع عثمان باشا نحو الثلاثمائة نفر ، ووجد من عسكر حسن باشا وجميع عساكر اليمن نحو الألف وذهب غيرهم تحت السيف في الحروب والفتن ومات كثير منهم بالأمراض والعلل ، وفرق حضرة الوزير باقيهم في حفظ البلاد والقلاع ، ووضع فيها (نوبتجية) ومحافظين ، ولولا ذلك لم تنحفظ له البلاد ، وبقي معه في محطته على (كوكبان) نحو الألف ، لأن ذلك العسكر الكثير تفرق في البلاد ، وقتل بعضهم في الجهاد، وهرب بعضهم بإغواء أهل الإلحاد ، وأما (الشفاليت) ومن أطاع من العربان ، فلا اعتماد عليهم ، وإنما يكثرون سواد العسكر لا غير .

فأما وصل إلى حضرة الوزير ، أخبار أفعال قطران الشرير ، وعلي بن نشير بالنقير والقطمير ، تكدر لذلك غاية التكدير ، وفوض الأمر الى الله ، والله على كل شيء قدير ، وأخذ يفكر فيمن يصلح لدفع هذه الفتن ، وتسكين هذه البلايا والمحن ، ولم يظهر من نفسه عجزاً ولا قصوراً ، وثبت جنانته فكان حليماً وقوراً .

ذكر ارسال (قره كوز بك) لقتال قطران وابن نشير ، وقتلها

لما أجال حضرة الوزير فكره فيمن يصلح للاقامة في تسكين هذه الفتنة ، وقع اختياره على (قره كوز بك) وكان هذا من أمراء السناجق ، الذين وقعوا في أسر مطهر ، ثم حبسه في (كوكبان) عند (محمد بن شمس الدين) فأطلقته أمه مع الأمراء ، الذين كانوا محبوسين معه ، وكان (قره كوز بك) المذكور ذاق حلو الزمان ومره ، وكابد من الدهر بأسه وضُرَّه ، ولقى البأساء والسراء ، وطعم اللأواء والنعماء ، ولبس بُرْدَي العز والذل ، ورفل في حجلي السعة والقل ، وكان شجاعاً فتاكاً ، مقداماً ، مجرباً للامور هماماً ، لكنه ذهب طارفه وتليده ، ومحق قديمه وجديده ، وصار صفر اليد ، عاري الجسد ، ضئيل الكتد ، غير انه خبير بأحوال البلاد ، مطلع على دقائق أهل الفساد ، عارف بطرائق الأودية والوهاد ، فقربه حضرة الوزير ، وأكرم نزله ، وأوطأ فراش الكرامة وجلله ، ورفع به بعد ما خفضه الدهر وأنزله ، وأعطاه كلما يحتاج اليه من (اليرق) والآلات ، وأركبه الخيول المضمرة ، وجمع اليه شردمة من الشجمان ، وقليلاً من كاة أهل الطغيان ، وجهزم إلى قتال (علي بن نشير) و (قطران) فذهبوا يطوون الأرض طياً ، ويطأون السهل والوعر وطاً شديداً أووطياً ، ويقدمون بأنعل خيلهم نار الجباحب وريا ، إلى أن وصلوا الى صنعاء ، فاستزادوا من العربان المطيعين جمعا ، وأخذوا منهم (تفكجية) عدة ، وزادوا سوادهم بذلك طلباً للنصرة والنجدة ، ونادى حاكم (صنعاء) في البلد : من يأكل العلوقة السلطانية من سائر الطوائف المطيعين ، فليأت ببندقه ، وسلاحه الماركوز ، ويأخذ العلوقة ، ويخرج الى (قطران) مع الأمير (قره كوز بك) فحضر من نفس البلد

وضواحيها ، ومن (سنحان) ونواحيها من كان باقياً على طاعة السلطنة الشريفة ، جموع الى الديوان بصنعاء ، وكتبهم الامير (قره كوزبك) وجمعهم جمعاً ، وقدم لهم العلوقة ، وخرج بهم مع من جاءهم من الترك ، الى (قطران) و (علي بن نشير) فلما علما ذلك جمعاً شياطينهم وعصاتهم ، ومن أظهر الخلاف ، وخرج على العسكر المنصور ، وتحصنوا في جبل (اللوز) ، فأقدم (قره كوز) بمن معه لقتالهم ، وتوجه الى ذيل (جبل اللوز) وحط محطته هناك ، ولاحظ من معه من العسكر ، فرأى من معه من الترك قليلون ، وأكثرهم من الأعراب الذين اظهروا الطاعة ، وأخذوا العلوقة السلطانية ، فلم يعتمد عليهم ، وظن بالاعراب الفدر ، كما وقع لهم قبل ذلك كثيراً ، وما رأى في الترك الذين معه قوة المقاومة ، لكثرة العصاة أتباع قطران ، وابن نشير . وما وجد في الاقدام على القتال فائدة ، بل تحقق الانكسار والهزيمة ، فخاف من ذلك ، وعمل بقوله تعالى (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) فعاد بمن معه من العسكر الى صنعاء ، وخيم خارج السور ، وأرسل (أحمد الصوباشي) الى حضرة الوزير ، يعرض أحواله ، وهو مملوك حضرة الوزير ، كان جعله رأساً على بقية مما ليكه ، الذين جهزهم مع (قره كوز بك) لهذه الخدمة ، وكان من الفرسان المشهورين بالقوة والنجدة ، فقال له (قره كوز بك) : امض الى حضرة الوزير ، وعرفه جميع الأحوال بالنقىير والقطمير ، على ما عاينته وشاهدته ، فان الحال أحوج الى ارسالك لعدم كاتب يكتب عرضاً الى حضرة الوزير ، بالتفصيل ، فأنت كتابي اليه ، فقبل (أحمد الصوباشي) ذلك ، وتوجه في الحال الى حضرة الوزير ، ولم يخف قطاع الطريق ، واتخذ الليل مركباً ، والخنادس ملبساً وأنشد لسان حاله يقول :

عليّ ان لا أريحُ العيسَ والقتبَا وألبس البئد والظلماء واليلبَا

فلما وصل الى حضرة الوزير ، وقص عليه القصص ، وفرج عن نفسه بذكر ما شاهد من الاكدار والغصص ، لم يستصوب حضرة الوزير فعل (قره

كوز بك) وما أعجبه نكوصه بمن معه عن الإقدام على (جبل اللوز) فاعتذر اليه (احمد الصوباشي) عن لسان (قره كوز بك) بأن رؤوسنا إذا ذهبت في القتال مع أعداء السلطان فهو سهل لا نبالي بها ، ولكن خشينا على ناموس السلطنة الشريفة ، فوفرنا أنفسنا ليوم الظفر إن شاء الله تعالى ، فعلم حضرة الوزير عذرهم في ذلك ، وعذرهم في عدم إلقاء النفس إلى التهلكة ، وأعانهم بفرسان آخرين ، وثياب وكساوى للعربان المطيعين ، استجلاباً لخواطرم ، وسلم ذلك (احمد الصوباشي) فبرز هو ومن معه ، واشتورا فيما يفعلونه ، فقال (قره كوز بك) : نرسل أولاً الى مشايخ العربان المطيعين ، ونستجلبهم بارسال الكساوى إليهم ، ونتوثق منهم ، وكذلك نرسل بالكسوة الى كل من له شأن منهم ، ونطيب خاطرهم ، ليكفونا شرهم ، وأقل المراتب أن لا يكونوا لانا ولا علينا ، ثم نتوجه الى الخصوم لنقاتلهم ، آمنين من هؤلاء العربان ، فما ارتضى هذا الرأي أكثر الـترك الذين معه ، ولا استصوبه بمالك حضرة الوزير الواردين مع (قره كوز بك) ، وقالوا : الإرسال الى العربان بالكساوى لاستجلابهم فشل منا وجبن وخوف ، وإظهار خشية منهم ، ولا نكتفي شرهم بذلك ، بل ان رأونا في ضعف وعجز أظهروا ما في بواطنهم من الغش ، وساعدوا علينا العدو ، فلا وثوق بملاءمتهم ، الآن ، فالأولى أن نبادر الى القتال ، ولا نظهر من أنفسنا عجزاً وخوراً ونبدأهم قبل أن يبدأونا ، فان كانت الغلبة لانا أانا العربان من كل جانب ، مدعنين لانا ، مبادرين الى خدمتنا ، مرغومين في إظهار الطاعة لانا ، وإذ غلبونا ، وظهروا علينا ، وظفروا بنا ، كنا أدينا حق السيف والرمح ، وقاتلنا إلى أن نقتل في سبيل الله تعالى ، من غير أن يظهر منا ذلة وعجز ، ونموت كراماً على ظهور خيلنا ، ونكسب الذكر الجميل من الناس ، ونفوز بالرحمة من الله تعالى .

وبالجملة فلا نعود الى حضرة الوزير إلا ظافرين ، أو يصل إليه خبر شهادتنا في سبيل الله تعالى ؛ فاستمروا على هذا الرأي الاخير ، الى ان برزوا

من صنعاء ، ونزلوا في ميدان فسيح ، وهم على هذا الرأي مقدمون ، وله على غيره 'مقدّمون' ، وإذا بغبار كثير ظهر في ذيل (جبل اللوز) وغبرة سدت عين الشمس ، لا يعلم ما وراءه ، وإذا خلف هذا الغبار (قطران) و(علي بن نشير) وجندهما الفجار .

وكان من أمرهما انها وصلا الى جبل (ثلا) وتمثلا بين يدي الاعرج ، فأكرمها إكراماً زائداً عن الحد، وأضافها، ووعد كل واحد منها أن يزوجه بنتاً من بناته ، وأن يكون (قطران) رئيس كل النقباء ، يعزل من أراد منهم ، ويقدم ويؤخر من أراد ، ويكون (علي بن نشير) نائبه في هذه المرتبة ، يتصرفان في ملكه وخزائنه ومناصبه ، وعادا من عند هوقد استوثقا لأنفسهما بهذه الوعود ، ووصلا الى (جبل اللوز) وأجما أن يردا بمن معها من العسكر الى صنعاء ، وبأخذانها، وسول لها الشيطان هذا الخيال الباطل ، فنزلا بجميع عربانها من أعلى الجبل إلى ذيله ، ووصلوا الى السهل ، فثار الغبار، ولا يدرون من قدامهم . وإذا (قره كوز بك) و (أحمد الصوباشي) ومن معهم من الفرسان ، في ذلك الميدان ، فتلاقت الفتتان من غير قصد وروية ، وتمايلت أعطاف ذوي الحمية ، وتأججت نيران العزائم القوية ، ودارت فيما بين الطائفتين كؤوس المنية ، وقد اسودّ بوقع السنايك بياض النهار ، وابيضّ بلع بروق السيوف سواد ليل الغبار ، وُعدّ النقع في وبل البندق والنبل من حساب السحاب ، وغارت عين الشمس من لمعان أطراف الرماح فتواتر بالحجاب ، وغلت الصدور بما فيها ، كأنها القدور على أثافها ، وهجمت الترك على عصاة العرب يحملون ، ويعلمون من دماهم وينهلون ، فانتشب الحرب ، واشتجر الطعن والضرب ، وكثرت الجراحات ، وكثرت الاجتراحات ، وما زالت نجوم النصول تنقض ، وبناء الجسوم تنقض ، وعيون الدماء ترفض ، وأبكار الدروع بحدود الذكور 'تفتض' ، فكم قتل من بدوي ردي ، له في الهاوية هوي ، وعليه من زفير جهنم دوي ، وكم من صريح من العصاة بنغي ، أورده بنغيه النار وهو غوي . (شعر) :

وانقلبت بالذل أدبارهم فصار ذو المِغفر ذات الخمار
وانهزموا للبر إذ أبصروا بجرّ وغىّ ، تفرق فيه البحار
وعذرهم ، إن هربوا واضح هل يثبت الليل أمام النهار

وكان ممن قتل من العصاة (قطران) وكذلك (علي بن نشير) رأسا
جنود البغي والعدوان ، وطائفة كثيرة من أركان الفساد والطغيان ، فحملت
رؤوسهم على الأرماع وطيف بهم البلدان ، وقدمت بين يدي حضرة الوزير
ونثرت تحت الأقدام ونالها الهوان ، والحمد لله على نصرته أهل الإيمان على جند
الشیطان ، وخذلان جيوش الملاحدة وخيبة أهل العصيان ، والله المستعان
وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .



الفصل الثاني والخمسون

في محاصرة علي بن شرف الدين في (حصن حب) في مملكة (بعدان)
واستشهاد بعض الامراء مع (خضر بك القابودان)
وحلولهم أعلى مراتب الجنان

لما افتتح حضرة الوزير (جبل الأغبر) وحصن (القاهرية) وأخذ نواحي
تعز وجبله ومملكة بعدان ولم يثبت في وجهه ، بل استمر الخصم هارباً على
وجهه ، والعسكر الشريف السلطاني في عقب العدو ، حيث توجه ، وكان
علي بن شرف الدين أخو مطهر متحصناً في حصن (حب) رأى حضرة الوزير
أن استئصال العدو وطرده أولى من التخلف لأخذ حصن حب ، فعين حضرة
الوزير لمحاصرته محمود بك الكردي ، وكان شجاعاً فاتكاً ، جواداً سخياً ،
وأرسل معه نحو الثلاثمائة من العسكر ، فأحاط بحصن حب ، صوناً له عن
أن يدخل إليه أحد ، أو يخرج منه أحد ، فانه ليس له إلا طريق واحد ،
وهو في الارتفاع والشهوق يناطح النطح ، ويرامح الرمح ، ويعاوق
العيوق :

مصغ إلى الجو أعلاه فان خفقت زهر الكواكب خلناها تخاطبه
كان أبراجه من كل ناحية أبراجها ، وسماكيها مناكبه

رولى على تعز الأمير أحمد ، ويقال له (كوجك أحمد بك) لقصر قامته ، وكان من الامراء المحافظين بمصر ، وله تهور واقدام مع بعض جلافة ، فما أحسن الحكومة في تعز ، بحيث قالوا عن حكمه : حكم قراقوش ، وقراقوش هذا كان والياً بمصر في أيام العبيديين ، وكانت له أحكام عجيبة ، يضرب الناس بها المثل منها أن شخصاً قلع عين شخص آخر ، فتخاصما اليه ، وكان القالع صيرفياً عند قراقوش ، ولزم أن يقلع عينه عوض المقلوع عينه فقال له القالع : أنا صيرفك وإذا قلمت عيني لا أنفعلك في نقد الدراهم ، فقال : صدقت ، ولكن لا بد لنا أن ننصف هذا المظلوم ، فتفكر وقال : هاتوا النشاشيبي لنقلع عينه بدل هذا فإنه لا يحتاج في تحرير النشاب إلا إلى عين واحدة ، فإنه يغمض احدى عينيه وينظر في طرف النشاب بفرد عين فصار مثلاً .

وكان أحمد بك هذا قريباً من قراقوش في أحكامه ، وكان أمير الحاج المصري في سنة ست وسبعين وتسعمائة ، ففضب على مباشر الركب المرحوم القاضي زين الدين الجزيري الحنبلي ، وكان فاضلاً أديباً لبيباً مؤرخاً ، أجاز له علماء مذهبه بالافتاء والتدريس ، ومع ذلك كان شيخاً مسناً وقوراً ، فما استحى أحمد بك من شيبته ، وضربه ضرباً مبرحاً ، ثم حطه في الحديد ومشاه مرحلة كاملة ، مع زيادة ضعف بدنه وترفه ، وحصل له بذلك الثواب العظيم عند الله تعالى بالنصر على هذا الظالم ، ولعل أحمد بك ما هلك بعد ذلك إلا بدعائه عليه . (شعر) :

الا قولوا لشخص قد تقوى على ضعفي ولا يخشي رقيب
خبأت له سهاماً في الليالي وأرجو أن تكون له مصيبه

فلما شكى أهل تعز الى حضرة الوزير حكومات أحمد بك عزله من تعز ، وأرسله الى بعدان ليكون محاصراً حصن حب ، مع محمود بك الكردي ، وولى على تعز بدله (قورد أوغلى سنان بك) اخا (خضر بك القابودان) فوصل

سنان بك الى تعز ومضى أحمد بك إلى بعدان ، وحط على حصن حب الى أن استشهد بعد ذلك في ذلك المكان ، فكان تراب كل منها جاذباً له اليه ، ومنية كل واحد منها سابقة له الى محله الذي يهال فيه التراب عليه .

ومن كانت منيته بأرض فليس يموت في أرض سواها
وسياتي خبر وفاة كل منها قريباً .

وأما محمود بك الكردي فما أحسن سياسة العسكر في المحطة حول حصن حب ، وبلغ الوزير ذلك ، فارسل (خضر بك القابودان) ليكون سردارا على الأميرين المذكورين ، وعلى باقي الامراء وعلى جميع العسكر المأمور بمحاصرة حصن حب ، فوصل اليها خضر بك واتى بالمدافع الكبار من تعز والتعكر ، بغير أمر حضرة الوزير ، وصار يرمي بها على أهل حصن حب ، ولا يباليون بها لعلو الحصن المذكور كما تقدم بيانه ، فاستمر هو ومن معه محاصرين للحصن المذكور الى أن وصلت مكاتبات الأعرج الى عربان جبلة والشوافي وأهل بعدان وهم أكثر أهل تلك الأقطار شراً ، واسرعهم الى الفتنة ، وأقوام عليها ، وسبقت منهم الفتنة قبل هذا ، وكانوا سبياً في اخذ إب وجبلة ، وقتل من بها من العسكر السلطاني ، أيام المرحوم مراد باشا ، الى أن قتل شهيداً رحمه الله تعالى ، كما تقدم بيانه ، فاستفزهم الشيطان ، وبادروا الى العصيان ، وأقبلوا على الافساد والطغيان ، وقطعوا الميرة عن أهل المحطة ، وحصروهم وهم حاصرون محصورون ، وضغطوهم أشد ضغطة ، وكان الترك متفرقين في إب وجبلة ، في بيوت القهوة وفي أماكن اللهو والطرب والغفلة ، ففاجأتهم العربان باظهار الخلاف والعصيان ، وبادروهم بنقض العهد والغدر والطغيان ، وقتلوا من انفردوا به من الترك في كل مكان ، فلم يبق حول نخيم خضر بك القابودان غير الأمراء وقليل من عسكر السلطان ، وكان حضرة الوزير منع خضر بك عن تفريق عسكره ، ومنعه ان يأذن لهم في دخول بيوت القهوة في إب وجبلة ، أو يتوجهوا اليها للاستراحة أو يأووا الى أولئك

العربان ، أو يثقوا باظهار محبتهم لهم ، بل يلزمون نخيمه ولا يتفرقون عنه في بلاد العدو ، فخالف أمره الكريم ، وكل من طلب منه الاذن الى اب وجبلة اذن له .

وكان أمره أيضاً أن لا يقاتل أهل حصن حب ولا يجلب عليهم المدافع الكبار للرمي عليهم كيلاً يثقله ذلك ، بل يحاصروهم فقط ليضيقوا من المحاصرة ويسلموا الحصن اليه بطلب الأمان ، فخالف في ذلك أمر الوزير ، وطلب المدافع الكبار من التعكر وتمز ، وصار يضرب بها من حصن حب فلا يفيد شئاً ، غير تضييع البارود ، وأثقلته المدافع عن الكر والفر .

وكان أمره أيضاً أن لا يكثر من استخدام عربان تلك الديار ، ولا يكتب لهم علوفة ، ولا يقربهم إذ لا اعتماد عليهم في استخدامهم ، فخالفه في ذلك جميعه وتكثر بجماعة منهم ، فخانوه عند الاحتياج اليهم ، ولم ينفعوه بشيء بل أضروه ، وكانوا عليه فيما بعد ، وكلما عدل عن مخالفة أمر حضرة الوزير قال : إذا افتتحنا حصن حب اغتفر لنا مخالفتنا لأمره .

فلما طال عليه المقام ولم ينتفع بضرب المدافع ، وازهد كثيراً من البارود سدى ، وتحقق خطاه ، أرسل إلى حضرة الوزير يعتذر عما وقع منه من الخلاف ، ويطلب مسامحته فيما فعل من الخطأ ، فكتب اليه حضرة الوزير بقبول عذره ، وأدرج في مكتوبه الشريف اليه أنواعاً من النصائح تطيبياً لحاظره ، وتعلماً له .

وكان الأمير خضر بك المذكور من المعتمدين في خدمة السلطنة الشريفة ، ولهذا اختاره لفتح عدن كما تقدم شرحه .

وكان شجاعاً مقداماً عارفاً بالحروب سيما افتتاح القلاع الصعبة بحسن تدبيره ، ولكنه ما أفاده التدبير عند عدم مساعدة التقدير ، وإذا حلت التقادير ضلت التدابير ، وإذا نزل القضا عمي بصر البصير :

طامن حشاك فان دهرك موقع بك ما تحب من الأمور وتكره
وإذا أتاك من الأمور مقدر ففرت منه فنحوه تتوجه

ومن جملة العكوسات ان حاكم ذمار من قبل حضرة الوزير فرغ باروده ،
فأرسل إلى خضر بك يطلب منه أن يرسل اليه بعض أحمال بارود ، ليقاتل
به العدو، إذا احتاج اليه، فأرسل اليه خضر بك احمالاً من البارود، مع الأمير
برويز أحد أمراء السناجق السلطانية باليمن، وجهز معه فرساناً يحمونه ، فلما
توجه إلى ذمار بالبارود ، وأراد أن يعود قطع العصاة عليه الطرقات ، وما
ممكنه من العودة .

وكان برويز بك من الشجعان المبروفين بالنجدة والبسالة ، وكان معه نحو
الخمسين فارساً من الشجعان ، فكثرت عليه عصاة العرب وما أمكنه العودة
إلى بعمدان فاستمر في ذمار ، وكان من العسكر الذين جدهم الأمير خضر
شخص يقال له (بالي آغا) كان شريراً كثير الفتن ، من قدماء الأروام في
اليمن ، وكان صاهر الزيديين ، واستولد منهم ، وكان مباطناً معهم ، ولم
يكن له رثوق حتى يأتي إلى حضرة الوزير ، بل كان خائناً خائفاً يترقب ،
وكان وصل في غيبة الوزير ، واشتغاله بقتال كوكبان الى الأمير خضر بك ،
وعرض نفسه عليه ، فقبله غاية القبول ، وأقبل عليه ، وعمل له علوفة
وقربه ، وجعله صاحب سره ونديمه ومستشاره ، وولاه (كتخدا العرب)
فجلب إلى خضر بك طائفة من عصاة الزيديين ، ومنافقيهم ، وأظهروا له
الطاعة ، وكتب لهم علوفات وقربهم ، فكان هذا (بالي آغا) ومن معه من
الزيديين ، عينا لعلي بن شرف الدين علي خضر بك ، وكانوا يكاتبونه
بأحواله ، ويفسدون عليه بعض العسكر ، إلى أن اجتمع على رأيه من الترك
والعرب المظهرين للطاعة ، المضميرين للعصيان نحو تسمائة مقاتل ، فأرسل إلى
علي بن شرف الدين يذكر له انه اجتمع عنده تسمائة مقاتل ، وأن خضر بك
ليس معه من العسكر غير مائة وخمسين مقاتلاً ، وطلب من علي أن ينزل من

حصن حب للقتال ، وانهم يكونون معه ، ويستأصلون الترك ، ولا يقبون منهم داعياً ولا مجيباً ، فأرسل علي بن شرف الدين إلى عربان جبلة واب وبعدان ، وبني حبيش وأهل الشوافي ، ان يجتمعوا في سابع عشرين رمضان ، على قتال خضر بك ، ويحيطون به ، وينزل هو من حصن حب لهم ، فامتثلوا امره وكانوا متهيئين لذلك ، وغالب العربان عصت ونقضت العهد ، وقطعت الطرقات ، وقتلت من انفردت به من الترك ، واغتالت من قدرت عليه منهم .

فلما كان السابع والعشرون من شهر رمضان سنة سبع وسبعين وتسعمائة وصلت العربان العصاة ، وأحاطت بمحطة الأمير خضر ، ونزل علي بن شرف الدين ، وشرعوا في القتال ، وكانت العربان ثمانية آلاف ، وكان مع الأمير خضر بك مائة وخمسون رجلاً ، فثبت للقتال على ميمنته الأمير (محمود الكردي) وعلى يسارته (الأمير أحمد) واصطف من بقي معه من الترك أمامه وخلفه ، وأيقنوا بالموت ، وأقبلوا على الشهادة لينالوا مراتب السعادة ، وطال القتال ، وطارت النبال ، وجرى كالديم سيل دم الأبطال ، وصار كل فارس من الترك يقاتل مائتي فارس فصاعداً من جنود الضلال ، وهجم العدو فارساً وراجلاً ، وراحاً ونابلاً ، ومقتولاً وقاتلاً ، وتحزبوا أحزاباً وتجمعوا أطلابا ، وحمي الوطيس ، وبذل النفس النفيس ، فمن استشهد من أهل السنة تسلمه رضوان إلى الجنان ، ومن قتل من أهل الاحاد أمرع به مالك إلى النيران ، إلى أن قتل في سبيل الله الأمراء الثلاثة بعد أن أبلوا في العدو بلاء شديداً ، وأنكروا فيهم بالسيف ، حتى مضى كل منهم شهيداً ، وأدخلهم الله تعالى جنات تجري من تحتها الأنهار ، ورضي عنهم ورضوا عنه ، وأكرمهم بالنظر إلى وجهه الكريم في الدار القرار .

واستشهد معهم من العسكر الشريف نحو النصف ، بعد أن قتلوا أضعاف أضعافهم من الفجار ، وانهمز الباقون وهم يضربون بالسيف في وجه العدو ،

ليجدوا طريقاً إلى الفرار ، وهكذا الحرب ، فرّ بعد كراً ، وكر بعد فر
وانكسار وكسر ، وقتل وأسر . (بيت) :

ومن ظن أن سيلاقي الحروب-----وان لا يصاب فقد ظن عجزا

ونهب الزيديون ما بقي في الوطاق ، من الاسباب والسلاح واليراق ،
ووضعوا أيديهم على المدافع الثلاثة الكبار ، وما وجدوه من المتاع والأثاث
والأوقار ، وهكذا شأن الفلك الدوار ، ودأب الزمان العيَّار الغدار ،
(بيت) :

فيوم علينا ويوم لنا ويوم نساء ويوم نسرّ



الفصل الثالث والخمسون

في تدارك حضرة الوزير ما وقع في البلاد من الاختلال الكبير ،
وارسال الامير (شيخ علي) والامير (صفر الرئيس) الى حفظ
تعز وعدن ، وارسال (قره كوز بك) و (برويز بك) و (أحمد
الصوباشي) لقتال المفسدين في نقيل سمار ، وقتل الملاحدة الفجار .

لما وصل خبر شهادة خضر بك وأحمد ومحمود الكردي إلى حضرة الوزير ،
تأسف كثيراً ، ولكنه ما أظهر التأسف للعسكر لئلا يحصل لهم الجبن
والخور ، بل عمل ديواناً ، وأظهر غاية التثبت وعدم المبالاة بهؤلاء ، وقال :
ان حضرة السلطان الأعظم نصره الله تعالى ، وخذ ملكه السعيد ، له في كل
قطر من مملكته المحروسة أكثر من ألف مملوك ، خير من خضر بك وأحمد
بك ، ومحمود بك الكردي ، واني بفضل الله وبسعادة السلطنة الشريفة قادر
أن أولي من جنب عسكري في كل يوم أمثال هذه الأمراء ، الذين مضوا إلى
رحمة الله تعالى ، وان سيف السلطنة نصره الله طويل ، ولا بد أن أقطع رأس
(علي بن شرف الدين) وأخذ حصنه الذي هو متحصن فيه و'متقو' به ،
وإذا فرغت من أمر كوكبان وثلا ، فلا بد لي من قطع جادرة من خالف
وعصى ، وأين تختفي الشمس عن القصارين (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب
ينقلبون) . (بيت) :

ستعلم ليلي أيّ دينٍ تداينتُ وأي غريم في التقاضي غريمها

ثم أحضر صفر بك الرئيس ، وكان شجاعاً مقداماً من رؤساء البحر ،
وضم إليه مائة مقاتل من الشجيمان ، من عسكر البحر ، وجعله سرداراً
عليهم ، وألبسه خلعة فاخرة ، وأمره أن يتوجه من طريق لعسان إلى الخا ،
ويركب في الأغربة التي هناك في ساحل البحر ، ويصل إلى عدن ، ويحفظها
من الأعداء ، فان حفظ بندر عدن من أعظم المهات .

ثم طلب الأمير شيخ علي وكان شجاعاً فتاكاً ، مدبراً قديماً في اليمن ، من
أمرائها السناجق ، ولي عدة بلدان ، ويعرف أحوال اليمن وعربانها ،
وطرقها ومسارها ومشاربها ، وضم إليه مائة مقاتل وجعله سرداراً عليهم ،
وألبسه خلعة وأمره أن يتوجه من طريق لعسان إلى زبيد ، ويأخذ من وصل
من مصر إلى زبيد من العسكر معه ، وكان وصل إليها من مصر خمسمائة
عسكري ، ويتوجه بهم إلى تعز فيحفظها ، ويحفظ القاهرية وحصن التعكر ،
وتلك النواحي .

ثم استدعا بالأمير برويز ، وكان بطلاً شجاعاً مقداماً ، معروفاً في اليمن
بالبسالة والشجاعة ، وضرب السيف ، وهو أيضاً من قدماء أمراء اليمن ،
ولي فيها عدة مناصب ، وصار أمير الحاج الياني ، وغير ذلك ، وضم إليه
الامير قره كوز بك المتقدم ذكره في واقعة قطران ، وعلي بن نشير ، وضم
إليه أيضاً أحمد الصوبائي من ممالك حضرة الوزير ، وتقدم ذكره في واقعة
قطران أيضاً ، وضم اليهم فرساناً وأبطالاً ، والبسهم الخلع الفاخرة ، وأرسل
حكماً إلى سنجق رداع الأمير أحمد بك المأمور بمحافظة رداع ، وحكماً آخر
إلى أمير اللواء في ذمار عبدي بك المأمور بمحافظة ذمار وأن ينضبا بمن معها
من العسكر إلى الأمراء المذكورين ، ويتوجهوا جميعاً إلى مقاتلة العرب
العصاة ، المجتمعين في (نقييل سمار) من أوائل الأرجاس الفجار ، وتمهيد
ذلك الطريق لسلوك القوافل والتجار ، وتأمين تلك النواحي ، وتطمين سكان

تلك الضواحي ، وقلع أساس العصاة بالمعاول والمساحي ، وقطع رؤوس من قدروا عليه من كل ملحد إباحي ، فمضى كل من المذكورين إلى ما أمر به ، وسافروا مصحوبين بالأمن والسلامة والنصر ، والتأييد من الله تعالى .

فأما الأمير صفر الرئيس فوصل بمن معه إلى بندر الحما ، ووجد به ثلاثة أغربة ، مهيأة في ساحل البحر ، فجرها إلى البحر وشحنها بالزاد والسلاح ، والمدافع وتوجه بها إلى عدن ، فوصل إليها بالسلامة ، واستمر بها هو ومن أرسل معه ، يحفظونها ويحرسونها من البر والبحر ، وما رأوا بها سوءا ولا مكروها ، واستقر به خواطر أهل عدن ونواحيها ، وأمنوا كيد الأعداء ومكرهم ، ودعوا للحضرة الشريفة السلطانية ، ولحضرة الوزير السعيد بالنصر والتأييد ، وخلود السعادة والعز والتأييد .

وأما الأمير شيخ علي فسلك بمن معه من طريق لعسان إلى ان وصل إلى زبيد ، فرأى بها العسكر الذين وصلوا من مصر ، وكان جهزم أمير الأمراء اسكندر باشا الجركسي البكر بكي بمصر ، ولكنه ما أصرف عليهم علوفتهم وجوامكهم ، وقال لهم : إذا وصلتكم إلى اليمن يصرف عليكم الوزير سنات باشا علوفتكم ، وأرغمهم على السفر ، فتكلف كل واحد منهم ، واصرف جميع ما يملكه ، وباع وسلاحه وتجملاته ، ووصلوا إلى اليمن ، وهم لا يملكون نقيرا ولا قطميرا ، واستمروا في زبيد ، يأكلون مثل الفأر بالقرض ، ويمعزون عن أداء القرض ، بيت :

وقد كنت مثل الليث أكلني فريستي وقد صرت مثل الفأر أكلني بالقرض

فلما رآهم الأمير شيخ علي بهذا الحال تحير في أمرهم ، ورأى انهم عاجزون عن السفر ، ليس لهم سلاح ولا بيدهم شيء ، وقد استحقوا علوفة ستة اشهر ، وليس عنده ولا في خزينته زبيد ولا عند حضرة الوزير شيء من النقد ، لاصرف على هؤلاء ، فارسل الى حضرة الوزير يعرفه بذلك ، وينتظر جوابه الشريف ، فيما أمره به ، فوصل العرض الى حضرة الوزير بتفصيل الحال ، ولم يكن في

خزيرته شيء يجهزه للصرف على هذه العساكر ، كما تقد بيانه ، ففكر في ذلك ورأى ان له بعض القماش والامتعة مودعة في زبيد ، ورأى ان يسمح بها ، وان كانت لا تفي بمصرف هؤلاء ، مع احتياجه اليها ، فكتب الى الأمير شيخ علي يأمره ببيع جميع ما أودعه زبيد من الآلات والثياب والاثاث ، ويقترض عليها ما يمكنه الاقتراض ، ويصرف جميع ذلك على العسكر ، ويسلحهم ، ويعطي لكل واحد منهم بندقا وبارودا ، ويدفع ذلك اليهم من (الجبهه خانه) المودع في بندر مخا ، ولا يتوقف ، ويتوجه بهم الى حيث أمر .

فلما وصل كتابه الشريف الى الأمير شيخ علي بادر الى بيع تلك الأسباب ، فباعها بابخس الأثمان ، لكساد السوق وقلة الراغب ، واحتياجه الى الثمن ، ولم يتوقف في ذلك ، واقترض عليه مبلغاً ، واصرف على هذا العسكر علوفة تسعة اشهر ، فانتعشوا بذلك ، فسلحهم وأعطاهم البندقيات ، وأخذهم معه الى تعز ، فحفظ بهم تعز والقاهرة ونواحيها ، والتعمر ، وقطع جادرة من هناك من العربان والعصاة ، وانتظمت أحوال تلك الجهات بتدبير حضرة الوزير ، وآرائه الصائبة وفكره الثاقب ، واطمأن المسلمون ، وأمنت الرعايا ، ونامت البرايا ، في ظلال أمن السلطنة الشريفة ، ودعوا بدوام السلطنة المنيفة ، جعل الله ظلها سايغة وريفة .

وأما بروج بك وقره كوز بك وأحمد الصوباشي فوصلوا بمن معهم إلى ذمار ، واجتمعوا بعبدي بك سنجق ذمار ، وكان شجاعاً فتاكاً ، واجتمع عليه من العسكر المنصور السلطاني ، ومن العرب الباقيين على الطاعة نحو الف مقاتل .

وكانت مظان جمعية الزيدية والعصاة في ثلاثة أماكن : أولها (بعدان) مع علي بن شرف الدين .

والثاني في (نقيب سمار) .

والثالث في يريم .

فتوجهوا يريم فاجتمعت الزيدية ، وانضم اليهم أهل نقييل سمار ، وكانوا زهاء عشرة آلاف ما بين فارس وراجل ومبندق ونابل ، يدكون الأرض دكا ، ويفكون حلق الحديد من الزرد فكا ، ليس لهم دين ولا دنيا ، ولا يعرفون عقلا ولا رأيا ، عصوا الله ورسوله واولي الامر ، فاطاعوا الشيطان الرجيم واستحلوا دماء المسلمين وأموالهم ، وذلك أشد من شرب الخمر ، فحملت عليهم العسكر المنصور ، وعليهم الألوية المنشورة ، وبأيديهم الصوارم المشهورة ، من كل فارس حمته حميته ، وحميت نخوته ، وغيرته غيرته ، وحر كته عزيمته ، وكل طائر بأجنحته السوابق ، مطرق لطوارىء الطوارق ، وكل صاد عزمه صادق ، ورام سهمه الى المقاتل رامق ، وكل ضار ضارب هام العدو ، ويعد الضرب ضرباً من الضرب ، وكل بطل يحق الباطل وهو 'مُحِقٌ' في الطلب ، وكل أمير ما أبطأ له عن حميته أبطاله ، وما أرجأ له رجاله ، قد أوقد بالجميع جمرأ ، وجلب بيضاً وجرأ ، ودهماً وشقراً ، وصوارم بُترأ ، وصواهل ضمراً ، فجاءوا في سواد اسود منه الجو ، وانسد بظلامه الضوء ، وتجلى بنجوم رماحه ليل العجاج ، وتجلى بسفور صفائحه صبح الهياج ، فدننت الآساد إلى الاساد ، وأغرى بالجلاد الأجلاد ، وأشرع المراح رماحه ، وأطلع فجر الغمد صفاحه ، وماجت غدران الدروع ، وهاجت حفائظ الجموع ، واشتكت الأرض من الحوافر الحوافر وقعاً ، واثارت لفرط تألمها الى السماء نفعاً ، واستمر الطعن والضرب ، في أافية الاعداء ، بعد أن كانت في صدرها ، وانتقل القتل والفتك والسفح والسفك من محورها إلى ظهورها ، إلى أن ولوا مدبرين ، وانهزموا على وجوههم هاربين ، يعدون الفرار من أكبر الظفر ، يعدون على أقدامهم فلا يعدون مهاوي الحفر ، فقتلوا قتلا ذريعاً ، وكسروا كسراً شنيعاً ، فما أنجى من أبقته السيوف منهم إسبال الليل ستره المظلم ، ولا أخفاهم عن الطلب غير إرخاء الظلام عليهم أذيال سواده المقتم ، ونصر الله أهل السنة ، وخذل أهل الإلحاد والفتنة ، ومحنهم بالقتل والأسر أعظم محنة ، والله تعالى الحمد على ذلك والمنة ، واطمأن المسلمون في نواحي رداع وذمار ، وانقطع

آثار الملاحدة العصاة الفجار ، وانفلت جموعهم من يريم ونقيل سمار ، ولم يبق
إلا علي بن شرف الدين ، ومن اجتمع عليه من طوائف الزيديين ، وهم
متحصنون في حصن حب ومملكة بَعدان، وسيأتي تفصيل ما سيقع لهم من السوء
والخذلان ، والقتل والاسر والهوان ، وذلك جزاء الظالمين ، والحمد لله رب
العالمين .



الفصل الرابع والخمسون

في تعمیر ما خرب من حصن شماط ، وتحصينه ،
ووضع الامير كلايي بك فيه وتأمينه ، وغدر الزيديين واستشهاده
بعد اخراجه بالمكر من عرينه

كان من جملة القلاع التي أخذت خلف كوكبان وجبل التيس قلعة شماط ،
وتقدم أن أهلها طلبوا الأمان ، فأعطوا الأمان بشرط أن يخرجوا منها
ويهدموها ، لأنها كانت في طريق المحطة ، وكان يحدث من أهلها العصيان
وقطع الطريق على القوافل الجالين للميرة على العسكر المنصور ، وكانوا لما
باشروا هدمها ما بالغوا فيه ، ولا استأصلوها مرة واحدة ، بل أبقوا بعض
مساكنها وأسوارها ، فخشي حضرة الوزير أن يعمرها الزيديون بأدنى توجه ،
ويحصنوها كما كانت ، ويكمن فيها قطاع الطريق لمنع القوافل التي ترد بالميرة
الى المحطة ، مع كمال احتياج العسكر الى جلب الميرة اليهم ، فرأى أن يسبق
الى تعميرها وتحصينها ، وأن يضع فيها جنداً لصونها لئلا تضع أيديهم الزيدية
عليها ، فعين لذلك الأمير كلايي بك - بضم الكاف المعجمية نسبة إلى الماء ورد -
وكان رجلاً طويلاً هيبلاً ، شجاعاً مقداماً ، تغلب عليه السذاجة ، فاختره
حضرة الوزير لشجاعته ، وما لاحظ مآل حماقته ، وضم اليه ثلاثين رجلاً
بالبنادق والسلاح ، وأعطاه بعض المدافع ، وأمره أن يعمر ما تهدم من قلعة

شماط المذكورة ، ويحفظها ، وطلع اليه من الزاد ما يكفيه ، فتوجه إلى
المحل المذكور ، وعمره وحصنه ، واستمر فيه محافظاً ، فضاقت حضيرة
الزيديين بذلك ، وخرجت صدورهم ، فجاء اليه أهل شماط سابقاً ، وأظهروا
الطاعة السابقة ، ورحبوا به ترحيباً عظيماً ، واروه من أنفسهم انهم فرحوا
بقدمه على حصنهم ، وانهم باقون على الطاعة ، وصاروا يتوددون اليه ،
وطلبوا منه أن يضيفوه ، وكان ذلك جميعه مكرراً ونفاقاً وكذباً ، وقدموا
عدة أغنام كثيرة ، وآلات الطبخ ، وعملوا شماطاً عظيماً ، طلبوه هو وطائفته
اليه . فقال لهم : ادخلوا الينا الضيافة إلى الحصن ، فقالوا : اخرج الينا إلى
الفضاء ، في محل واسع ، لنمد فيه الطعام ، ويكون بيننا وبينكم الخبز والملح ،
وذبحوا غنماً كثيراً ، وأوقدوا قدوراً كثيرة ، وأحضروا من سائر أنواع
المأكول ، ولا زالوا يستلطفون به إلى أن غره الملق الكثير منهم ، فاغتر
بذلك لسذاجته ، وبرز لهم هو ومن معه ، بعد أن توقفوا في البروز معه ،
فألزمهم بذلك ، وقال : هؤلاء يريدون أن يجتمعوا ويكونوا ظهراً لنا ،
ونستعملهم في خدمتنا ، ولا يحصل منهم خلاف ولا خداع ، فاغتروا باغتراره ،
وبرزوا معه إلى خارج القلعة ، في فضاء واسع ، فرشوه وزينوه ، وقالوا :
نجعل هذا اليوم يوم بسط وسرور ، وتنزّه وفرحة وحبور ، فإلى متى أنتم
في غم وكرب ، وطعن وضرب ، ومكابدة وحرب ، ألا تتنفسون في أثناء
هذه الأتراح ، بيوم بسط وانسراح ، ولذة وهو ومزاح ؟ فقالوا : نعم نفعل
ذلك ، واني لنا بيوم نأخذ فيه حصّة نشاط وقليلاً من فرح وانبساط .

نزه النفس بالحنو عليها لا تكن جالب الهموم اليها
ربما مسك الزمان بضر لا تكن أنت والزمان عليها

وما علموا أن هذا الكلام ظاهره مرهم وباطنه كلام ، وانه سم في دسم ،
وقار في ضرر ، وكان محمد بن شمس الدين أرسل من كوكبان جماعة يضربون
بالبنديق ، فكمنوا للترك خلف بعض الآكام ، فلما جلسوا على مائدة الطعام ،

فاذا ببندقية حررها راميتها على كلاي بك، وقد مضغ لقمة ، وأراد ازدرادها فأصابت فؤاده ، فانكب على وجهه حينه ، ووافى موعد حينه ، وانتقل إلى رحمة الله الكريم ، متنقلا في درجات النعيم ، فلما رآه أصحابه وقد فات ، وصاروا بلا رأس وبلا ثبات ، بادروا إلى التفرق والشتات ، فمنهم من لحق بأميره ورزق الشهادة في سبيل الله ، ومنهم من هرب على وجهه يسبح في عرض الفلاة ، واستولت العربان على ما جاؤوا به معهم إلى حصن شماط ، وأفرطوا في الخيانة والغدر أشد الافراط ، وكان الترك يوصفون عند العرب بالغدر ، ويمرفون عندهم بالحيل والمكر ، لوقوع ذلك أحيانا قبل الآن من بعض ظلمتهم ، لتفرقهم وعدم اجتماع كلمتهم ، فصارت العربان الزيدية الآن من أعذر بني نوع الانسان ، وأشدم خيانة بالنسبة إلى جميع العربان ، فرضوا بالخزى والخذلان ، وقبلوا عار الخيانة ، ومن خان لا كان .

ولما بلغ حضرة الوزير تفصيل هذه القضية ما ألقى لها بالاً ولا أظهر لها شأنًا ، ولا راجع فيها أحداً من الناس وأهملها سدى ، ولم يسأل عنها ولم يلق اليها فكراً ، واستمر في التشديد على أخذ (كوكبان) والتضييق على أهلها بالمحاصرة ، ورميهم بالمدافع الكبار ، والاستعانة بالله الواحد القهار ، على أوائلك الملاحدة الفجار ، وانتظار ساعات الظفر والانتصار .



الفصل الخامس والخمسون

في تضجر محمد بن شمس الدين من طول الانحصار ، وقرع
باب الصلح ودخوله في الطاعة بغاية الذل والانكسار

قد تقدم بيان حصن كوكبان ، وارتفاعه في الجو إلى عنوان كيوان ،
وما حوله من الخندق العميق المقطوع في الصخر الصوان ، وان له باباً من
تحتة نافذاً إلى القلعة ، فكان كلما ملئ بالأحجار والصخار نزلوا إليه من تحت ،
وأخرجوها من ذلك المنفذ ، فحصل اليأس من ملء الخندق ، وفكروا أن
يعملوا جسراً من الخشب يضم بعضه إلى بعض بالحديد ، ويوضع على الخندق
بالليل ، ويمر عليه العسكر ، إلى أن يصلوا إلى السور ، فيصعدون إليه
بالسلام ، ولا يبالون بالقتل والرمي من أهل القلعة عليهم ، ويهجمون عليهم
هجمة واحدة ، فيأخذون القلعة وتلك البلاد قليلة الأخشاب والأحطاب ،
فتكلفوا إلى حمل الأذقال الطوال من صنعاء إلى المحطة التي بأعلى كوكبان ،
وجلبوا اليهم الألواح والأخشاب ، والمسامير والأطواق الحديدية ، ورتبوا
جسراً على طول عرض الخندق ، واستمروا في عمله ، إلى أن تم ، وحملوه إلى
الخندق ليلاً ، وأرادوا وضعه عليه ليمروا من فوقه ، فشعر أهل كوكبان
بذلك فجاؤوا بالمدافع والضربنات إلى قرب الخندق ، وصاروا يرمون بها
طلقاً بعد طلق ، ويرمي اليهم العسكر المنصور بالمدافع من خارج الخندق ،
ويزحفون بالجسر ليضعوه على الخندق ، فقتل كثير من الجانبين بالمدافع ،

فلما قرّبوا الجسر ووضعوه على طرفي الخندق انكسر أحد طرفيه ، ووقع في الخندق ، وما تم لهم أمرهم الذي أضمره ، وخسروا في ذلك أموالاً كثيرة ، وأنفساً عديدة ، ورجعوا إلى المحطة ، وصمم حضرة الوزير أن ينشئ جسراً آخر ، ولو أصرف عليه مهماً أصرف ، ولا يترك فتح كوكبان ، ودبر تارة أن ينقب نقباً في الجبل ، ليصل إلى أسفل الخندق ، ثم منه إلى القلعة ، ويملاها باروداً ، ويطلق فيه النار ، ولكن النقب في الحجر الصلب الصوان في هذه المسافة المديدة يحتاج إلى صرف خزائن ومدد مديدة ، فأمر البناء أن يبني جسراً عريضاً في حافة الخندق ، يجتمع فيه العسكر ، ويعملون خلفه جسراً آخر من خشب ، فلا تصيبهم المدافع من جانب العدو .

ولما بلغ محمد بن شمس الدين تصميم حضرة الوزير في أخذ كوكبان ، وأنه لا يتصور أن يرجع عن ذلك ولو طالت الأيام ، علم أن كل محاصر غالب ، وكل محاصر مغلوب ، فشرع في طرق باب الصلح ، وبذل الطاعة والانقياد ، وطلب الأمان ، وقدم لذلك مقدمات ، وطابق ذلك ما في ضمير جماعته ، وأهل قلعته ، فانهم اجتمعوا وتشاوروا سرّاً ، وقالوا : لقد قتل من أمرائنا وكبرائنا ورجالنا خلق كثير ، وقد تبين لنا أن هذا الوزير لا يرجع عنا قط دون أن يفنى هو ومن معه ، وعلمت أن لا طاقة لنا بمقابلته ، وطال حصره لنا ، وزاد ضعفنا ، وكلما قتلنا منهم جاء بدلهم من مصر ، فلا يفنيهم إلا الله تعالى ، وأجمعوا أن يذكر ذلك بعض كبرائهم لمحمد بن شمس الدين ، ويحسن له طلب الصلح ، وبذل الطاعة ، واختاروا لذلك وزيره محمد بن الحسن العياني ، فأقبل على محمد بن شمس الدين ، وقال له : لقد ظهر لي رأي أريد أن أذكره لكم ، وأعرضه بين يديكم ، فقال : قل ما عندك ، لعلك تطابق ما عندي . فقال له : لا يخفاكم أنا كنا في أيام إطاعتنا لبني عثمان ، في غاية الأمن ، وجمع الخاطر ، نتقلب في النعيم المقيم ، وأجلها أنا كنا آمنين على أنفسنا وأولادنا وأموالنا وذوينا ، إلى أن افتقرت الكلمة ، وطمعنا في الملك ، واستضعفنا من حولنا من الأتراك ، وحسن لنا الشيطان عصيان السلطنة ،

والخروج عليها ، فلما فعلنا ذلك اختلت البلاد ، وسفكت دماء العباد ،
وجرت أمور بعضها باختيارنا وبعضها بغير اختيارنا ، وصدرت أفعال نحن
مسؤولون عنها ، بين يدي الله تعالى ، ووقعت أحوال لزمنا فيها العار إلى
آخر الدهر ، ثم لما سخط سلطانهم علينا أرسل وزيره إلينا بهذا العسكر ،
الذي لا طاقة لنا بمقاومته ، وقد قتل من أشرفنا وأمرائنا من واراها التراب ،
وكانوا زينة الدنيا وجمال المحافل ، وما بقي منهم غيرك ، وقد تقدم أخوك
الهادي وأبناء عمك ، ومن لا يحصى منا ومن أمرائنا ، ولا يرجعون عنا إلى
أن يملكوا البلاد ، فالرأي أن نبقي على أنفسنا وأولادنا وأموالنا ، وندخل
في طاعة آل عثمان ، ونطلب منهم الأمان ، فنستريح ونريح أنفسنا وخدامنا
وأهلينا . فلما أتم كلامه وهو مصغ اليه بفهمه وسمعه ، أعجبه كونه طابق
ما سبق منه من الرأي ، فقال له : والله ان هذا الرأي له مدة يختلج في
في صدري ، وأنا أحبسه ، خوفاً أن أنسب فيه إلى الجبن والخور ، وحيث كاشفتني
عليه فلا بد أن أرسلك إلى الوزير ، لتبرم معه هذا الامر ، وتعتقد لنا معه
الهدنة ، واتفقا على ذلك ، وافترقا عليه ، وكانت محطة حسن باشا حول كوكبان ،
محاصرة لقلعتها ، ومعه من العسكر نحو الألف من كل صنف ، وكل منهم
تنزق من طول المحاربة ، واستمرار القتل والقتال ، وكانت محطة حضرة
الوزير أسفل جبل كوكبان ، ومعه الامراء وباقي العسكر ، وهو في كل
قليل يطلع إلى الجبل ، ويأمرهم بما يأمرهم به ، ويرتبهم فيما يرتبهم فيه من
النقب والحفر وملأ الخندق بالصخر والتراب ، وعمل الجسر ، وعبر ذلك ،
ثم يعود إلى محطته ، ولا يفتر من المحاصرة والقتال ، وفتر كل من معه من
العسكر ، غير انهم يهابونه ، فلا يظهرون فتورا ، ووصل خير طلب الصلح
من محمد بن شمس الدين إلى حسن باشا ، وإلى بعض امراء السناجق ، وما
أمكن واحد منهم أن يتجرأ على عرض ذلك على حضرة الوزير ، وهم يريدون
عرض ذلك عليه ، ولا يقدمون على ذلك ، وكان القاضي شمس الدين
السعودي ، الموقع - سلمه الله تعالى - اماماً لحضرة الوزير ، مداخلاً له ،

معتمداً عليه عنده ، يجادته في الليل ، ويناديه ، ويعرض عليه في أثناء
المصاحبة بعض الأمور ، ويشير عليه بما يراه صالحاً فيصغي الى كلامه ، ويتلقاه
بالقبول ، وهو مطلع على بعض أسراره ، حافظاً لها ، كتوم لأحواله عن
الأجانب ، وعن لا يكون محرماً ، فقال له في ليلة - وقدره يشتكي من انكار
الدهر ، وعدم مساعدة الزمان له في بعض مراداته : طال الله تعالى أيام
دولتك أيها الوزير ، وسخر لك كل صعب وعسير ، أريد أن أعرض عليك
أمراً مهماً أنا خائف من إلقاءه اليك ، وأخشى أن تجبهني بالرد ، أو اثقل
عليك ، فالخوف يمنعني عن الاقدام ، والنصح يحثني على ترك الإحجام ، وأنا
حائر بين ذلك المقام وهذا المقام ، فقال له : قل ما بدالك ، ولا تخشى ،
فاني معتمد على صدقك وصدقتك . فقال له : اعز الله أنصارك ، وضاعف
قوتك واقتدارك ، لا يخفى على رأيك المنير ، وضميرك المشرق المستنير ،
ان حصن كوكبان لا يمكن أن يفتح قسراً ، ولا يتصور أن يؤخذ عفا
وقهراً ، وما بقي عندنا من البارود للمدافع ، وقد انقطعت الطرقات ونجحت
الأزواد ، وقلت العساكر ، فتفرقت في البلاد ، فمنهم من عين للبلاد التي
افتتحت لحفظها ، ومنهم من أرسل لقمع العصاة وقطاع الطريق ، ومنهم من
استشهد في سبيل الله ، ومنهم من مرض ومات ، أو استمر متوعكاً ، ومنهم
من هرب وأبعد عنا ، وكل من بقي عندنا نحو الألف نفر الآن ، غير العرب
المطيعين للسلطنة والدعاة وأمثالهم ، فالأولى أن ارسل كتاباً إلى محمد بن
شمس الدين أنصح فيه ، وأذكر له قوتنا وشوكتنا ، واشير عليه بأن يطلب
الصلح ، ويدخل في طاعة السلطنة الشريفة ، ويفتتم خلاصه من هذه المحاصرة ،
وحصول الأمن له لنفسه ولأولاده وذويه ، وهذه نصيحة ألقيتها اليكم ،
وليس عند أحد من الامراء جرأة وإقدام على ذكر هذا لحضرتكم . فتفكر
الوزير طويلاً ، فرأى بعين فكره الثاقب ، ان هذا رأي صائب ، فأذن له
أن يفعل ذلك من تلقاء نفسه ، من غير أن يطلع عليه أحد ، فشرع في ذلك
وكتب من عند نفسه كتاباً الى محمد بن شمس الدين صورته :-

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، اللهم صل وسلم على أشرف الخلق ، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ، هذا الكتاب من الحب في الله ، اللائد يجناب الله ، الباذل نصحه الله ولآل رسول الله ، ابتغاء لوجه الله ، قال الله عز من قائل: (ألا الله الدين الخالص) وقال النبي ﷺ : «الدين النصيحة» . يا سيدي محمد بن شمس الدين ، السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، لا أخلك الله من عقل ودين ، وأيقظك من سِنَةِ الغفلة ، اعلم يا أخي أن آل عثمان دانت لهم الرقاب ، واطاعتهم الملوك والسلاطين ، وملكوا غالب الربع المسكون ، ولا يعجزهم قلة مال أو رجال ، ولا هم مضطرون إلى هذه الديار ، وإنما عزم وشرفهم حفظ ناموس الشرع الشريف ، وتأييد الدين الحنيفي المنيف ، والله الذي لا يحلف بغيره انهم غير راجعين عن هذا الحصن ، ولا عن غيره ، ولو أقاموا عليه سنين ، وليس بخاف عليك قوتهم وشوكتهم ، ومكنتهم وقدرتهم ، وتغلبهم على الملوك ، وإنما أذكر ذلك نصيحة مني إليك ، والله خير الشاهدين ، فإن قدر الله أخذهم للحصن عنوة ، وهو المتبادر إلى الفكر ، فأبي بلاء يحل بأهله ، وأي ابتذال يقع على من فيه من الأشراف والشرايف والنساء ، والأطفال والرجال ، وما يحصل من القتل والأسر ، والنهب والسلب ، والافتضاح بين القبائل ، ولا يرضى بذلك إلا من لا خلاق له ، ولا يستهون بذلك إلا من لا عقل ولا دين له ، وأرجو أن يقرب الله ما بين الفريقين من البعد ، ويوفقكم إلى ما فيه صلاح البلاد والعباد ، والصون للدماء والأموال والأنفس ، فإن كنت يا سيدي من ذوي الأبواب ، فتبادر لاستماع هذا الخطاب ، وترسل إلى حضرة الوزير - نصره الله تعالى - تسأله الأمان الآن ، والعفو عما سلف في غابر الأزمان ، والإطاعة لحضرة السلطان ، خلد الله تعالى سلطانه ، وليكن جوابك على الفور ، فإذا فعلت ذلك فإن حضرة الوزير حلیم ، أظنه لا يرد سؤالك ، لكنه يشترط عليك أن تكون الخطبة والسكة باسم السلطان ، فالرأي أن تجيبه على الفور ، وتشتري عليه أن يكون لك لواء والدك سابقاً ، فإذا حصل هذا ترسل من عندك من تثق به ، يواجه حضرة الوزير ، ويختلص منه ، ثم تواجهه أنت ، وتكتسي حلال

الرضا ، والله ثم والله اني باذل لك هذه النصيحة ، محبة في آل رسول الله ﷺ ولم يعلم ما بيني وبينك الاعلام الغيوب ، وانك ان فعلت ما ذكرته لك ، وطلبت من الوزير الاقامة في كوكبان ، فلا يمنعك من ذلك ، ويمكنك من جميع مرادك ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

فلما فرغ الموقع من كتابه ختمه ، وجهزه إلى محمد بن شمس الدين ، فوصل اليه ، ففرح بوصوله وابتهج بذلك ، وكتب إلى الموقع جواب كتابه وصورته :

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الأكرمين ، وصحابته الراشدين ، السلام ورحمة الله وبركاته على الشيخ الأجل الأفاضل ، الأكمل الأمثل الأنبل ، محب أهل البيت الأكرمين ، والفائز بحبهم في الدارين ، العامل بقوله تعالى : (قل لأ أسألكم عليهم أجراً إلا المودة في القربى) صفي أهل البيت الطيبين ، جمال الدين أبي السعود الموقع ، أسعده الله تعالى في الدارين ، وبعد : فقد وقفنا على المطالعة الكريمة ، وتحققنا ما تضمنته من النصيحة الصحيحة ، وذلك يقتضي دينه وامانته ، وخلوص طويته وصدق نيته ، ومحبته لأهل بيت نبيه (ص) .

وأنت ايها الشيخ الفاضل ممن لا يعزب عنه ما ورد من الآثار الصحيحة في أهل البيت كخبري السفينة ، و« اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي ، الحديث وكحديث « كل سبب ونسب منقطع منقطع الاسبي ونسي » . فالحمد لله الذي جعل الشيخ ممن عرف حقهم ، وراعى معنى القرابة فيهم ، وجميع ما أشار به في مطالعته من أمر الصلح المبارك فهو مقبول ، وعلى الرأس محمول ، فلعل الله تعالى يصلح بين المسلمين ، ونحن ممن يحب الصلح ، ويرغب اليه ، ولا يتأخر عنه ، وقد عرفتم ما كان بين والدنا الموحوم وبين (ازدمر باشا) من المحبة والوصفا والمودة ، ولما توفي والدنا رحمه الله تعالى ، جعلنا عوضه عننا السيد فخر الدين مطهر والدنا لنا ، وهو بركتنا وعمدتنا ، ولا يتم الصلح الا بعد دخوله أيضاً معنا في الصلح أيضاً ، وهو مثابر على ذلك ،

راض به ، فاسعوا بينه وبين حضرة الوزير في الصلح أيضاً ، ليكون الصلح تاماً ان شاء الله تعالى ، وتنحقر بذلك دماء المسلمين .

وقد جهزنا لإتمام هذا الأمر وزيرنا السيد محمد العياني الى حضرة الوزير أدام الله نعمته في هذا المعنى ، ليذكر لحضرتة بعض الأمور مشافهة ، فان الكتب لا تفي بذلك ، والله تعالى يختار لنا وللمسلمين ما فيه الخير والخيرة ، إن شاء الله تعالى والسلام ، حرر ذلك في ثاني عشر ذي القعدة الحرام في سنة ٩٧٧ .

وجهم وزيره السيد محمد بن الحسن العياني ، وياقوت الحبشي النقاره زن ، إلى حضرة الوزير ، ومعها مکتوب من عنده يتضمن طلب الصلح ، كتبه الى حضرة الوزير صورته :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على خلقه محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين .

المقام الكريم العالي ، والجناب المعظم السامي ، الأعظمي الاكرمي الافخمي الأجمدي الاسعدي الا وحدي ، من ارتقى من المفاخر اسمها ، وتسلم من صهوة الوزارة اسناها ، وزير سلطان الاسلام والمسلمين ، نافذ الأوامر والأحكام في العالمين ، حضرة الوزير سنان باشا عظم الله شأنه ، ورفع قدره ومكانه ، نهدي الى حضرتة العلية ، وسدته السنوية ، اسنى السلام ، وازلف التحية والاکرام والاعظام .

والذي ننهي الى علومه العالیه انه صدر الى حضوره الشريف السيد محمد ابن الحسن العياني ، ليؤدي بين يدي تلك الحضرة العلية ما أودع من الحديث ، ريشافها به ، ويأتي بجواب ذلك ، ونحن منتظرون لما يرد به من تلقاء تلك الحضرة ، ولا يخفى على علومها العالیه أن أهل الهمم السامية ، وأصحاب المراتب العالیه ، يدأبون في اصلاح البلاد والعباد ، ويرغبون الأمة المحمدية فيما كان لها فيه صلاح وسداد ، في

أمر المعاش والمعاد ، وليس بعازب عنكم ما ورد في صحيح مسلم : « لزوال الدنيا أهون على الله تعالى من قتل رجل مسلم » . وفي « الآثار » : « لحقن ألف دم محلل أهون من سفك دم محرم » وفي علمك الشريف أمثال ذلك كثير ، والله تعالى يصلح أحوالنا أجمعين ، والسلام على السدة العالمة ، ورحمة الله وبركاته ؛ حرر ذلك محمد بن شمس الدين ، في ثاني عشر ذي القعدة الحرام ، سنة سبع وسبعين وتسعمائة

فورد الرسولان المذكوران إلى محطة حضرة الوزير ، ومعهما من خفرهما ، إلى أن وصلا إلى الخيم الكريم ، وهو (علي جلبي لكلك) و (حسن الترجمان) من جماعة حسن باشا المحاصر لقلعة كوكبان ، وكان وصولهما إلى محطة حضرة الوزير في ثالث عشر شهر ذي القعدة ، فلما مكتوب القاضي محمد الموقع إليه سراً ، واستأذن لها على حضرة الوزير ، وكان الوزير مترقباً في الباطن وصول أحد من جانب محمد بن شمس الدين لطلب الصلح ، ومثابراً على ذلك ، غير انه لا يظهر ذلك ، بل يظهر الشمم والاستغناء ، وباطنه خلاف ذلك ، فعوّق الواردين إليه عن الدخول عليه أياماً ، ثم أذن لها في الدخول بعد أن يتسا من السلامة ، فأكرمها ، وباسطها ، وألان لها القول ، وألبسها من الخلع السراسر ، وأضافها وأمرها بالانصراف ، بعد أن أخذ مكتوب محمد بن شمس الدين ، ولم يقرأه بحضورها ، وأرسلها إلى دار الضيافة ، ثم استدعاهما ليلاً ، وحادثها وباسطها ، فعرضاً عليه ان محمد بن شمس الدين أرسلها ليطلبها له من مراحم حضرة الوزير العفو والصلح ، وأن يسألاه الامان على نفسه وأمواله وأولاده ، وانه داخل في طاعة السلطنة الشريفة محب لها ، عدو لعدوها ، وانه يتضرع في إعطاء الامان لعمه مطهر أيضاً ، وانه مستغفر عما صدر منه ، داخل الطاعة ، محب لمحبي السلطنة الشريفة ، معاد لعدوها ، فأضمر لها البشر ، وقبل ما التمس منه ، وشرط أن يعطي محمد بن شمس الدين رهينة ، إما ولده أو أخاه ، يكون مقره في صنعاء ، على عادة أهل تلك البلاد من أخذ الرهائن ، فقبل ذلك ، وحصل لجميع الفئتين بذلك غاية السرور

والانشرح ، فأرسل حضرة الوزير معها من وصل الى محمد بن شمس الدين ،
ويحلفه على المصحف ، أن لا يخون ، وانه صادق ظاهراً وباطناً للسلطنة
الشريفة ، ويأخذ منه الرهن ، وعين لذلك القاضي محمد الموقع ، فتوجه معها
اليه ، وكان توجههم في ثاني عشر ذي القعدة ، فلما وصل إليه القاضي محمد
الموقع مع رسوله فرح بوصوله كثيراً ، وعظمه وأكرمه ، وعقد بينها عقد
الهدنة ، وكتب كتاباً مطنطناً ، وحلف له محمد بن شمس الدين على المصحف
الشريف ، وسلم إليه أخاه السيد عبد القدوس رهينة ، فارتحل بأهله وعياله
وأولاده الى صنعاء ، واستمر رهينة هناك ، وقدم محمد بن شمس الدين إلى
حضرة الوزير من الطعام والمأكولات والحبوب شيئاً كثيراً ، ملأ به الوطاق
وتوسعت به العسكر المنصور ، بعد حصول القحط العظيم في المحطة ، ووصول
العليقة بعشرين محلقاً ، والله الحمد على هذا الصلح المبارك .

وأنعم حضرة الوزير على محمد بن شمس الدين باللواء السلطاني ، وكتب له
براءة سلطانية ، على لسان السلطنة الشريفة ، رقها على ما عنده من الأوراق
التي أرسلت اليه من الباب العالي ، المشمولة بالطغراء الشريفة السلطاني ، على
البياض ، ليكتب فيها حضرة الوزير ما أراد من الأمور اللازمة في سفره
الميمون إلى بلاد اليمن وصورة ما كتبه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله فاتح القلوب ، وكاشف الكروب ،
وغافر الذنوب ، الذي خاطب من أخطأ وحرّف ، إذا تاب وفرغ من جرمه
وتخوف : (عفا الله عما سلف) والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، مصلح
أحوال الأمة ، الكاشف لكل كرب وغمّة ، المرسل إلى كافة العالمين رحمة
المأمور بوفاء اليهود وتأبيدها ، المنزل عليه : (وأوفوا بعد الله إذا عاهدتم ولا
تنقضوا الأيمان بعد توكيدها) وعلى آله وأصحابه المهتدين بهداية الله وارشاده ،
الباذلين أنفسهم في تأمين عباده وتعمير بلاده ، نحمده على أن أدخلنا في عداد
من خاطبه بشريف خطاب : (انا جعلناك خليفة في الأرض) ووفقنا لإشادة
الدين ، واحياء السنة والقرض ، من الجهاد في سبيله إلى يوم العرض ، واسعدنا

بخدمة الحرمين الشريفين مكة ويثرب ، وأطاع لنا أكثر بقاع أهل الأرض من المشرق إلى المغرب ، وملكنا تخوت الروم والعراقيين والعرب والمعجم ، وجعل من ممالئنا ملوك مصر والشام والعراق والكرج والترك والديلم ، وأيد عساكرنا بالنصر المبين ، والفتح العظيم المتين ، فحيث سلكوا ملكوا ، وأين حلوا سفكوا وفتكوا ، وأيان توجهوا إلى الأعداء غلبوا وأذلوا وأهلكوا ، ونشكره على أن خصنا بالرفقة والالطف والاحسان ، كما جعل فينا القهر لمن ظهر منه الطغيان والعصيان ، وحبب إلينا تمهيد العدل الذي به العمران ، وأوجب على همتنا العلية دفع الظلم والجور والعدوان .

وبعد : فلما اتصل بمسامعنا الشريفة ، وذكر في أعتاب سدتنا العالمة المنيفة ، ما حصل في أرض اليمن في العناد وخروج بعض أهل الجبال عن سلوك الرشاد ، إلى البغي والفساد ، واطهار العصيان بعد الطاعة ، واخافة البلاد والعباد ، خصوصاً ممن كان هو ووالده طول العمر إلى أن مات داخلاً في طاعة والدنا السلطان السعيد الشهيد، المالك الملك المظفر ، (سليمان خان) سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان ، فلما آل الملك إلى قبضة اقتدارنا الشريف ، وورثنا ملك ممالك الأرض بتقدير الله الكريم اللطيف ، لم يسلك أبناء هؤلاء مسلك آبائهم من الطاعة ، وخلعوا أيديهم من الجماعة ، وقابلوا أوامرنا الشريفة بالاضاعة ، وحاربوا عساكرنا المنصورة بتلك الديار ، وخرجوا عن طاعة الله ورسوله وأولى الأمر ، ونفروا عن الدين الحنفي أشد نفار ، فوجب على ذمة همتنا العالمة ، قمع أهل الفساد ، وردع الفئة العاصية ، وتأمين البرايا ، وتطمين الرعايا الذين هم ودائع الله تعالى بأيدينا ، ودفع الظلم عنهم وترقيهم في ظل دولتنا الشريفة ، وادخالهم في ظلال معدلتنا الوريقة ، فبرز أمرنا الشريف المطاع ، وحكنا المنيف النافذ في الأقطار والبقاع ، إلى وزيرنا المكرم ، ومشيرنا المفخم ، الدستور المعظم ، مدبر مصالح الأمم ، المجاهد في سبيل الله ، القائم لاعلاء كلمة الله ، متمم مهام الأنام بفكره الثاقب ، مصلح أمور الجمهور برأيه الصائب ، الخصوص بصنوف عوارف الملك المنان (سنان)

دامت معدلته ، وزهت سريرته ، فعيناه سردارا لجنودنا المنصور ، وامددناه بعساكرنا المؤيد بالظفر والحبور ، والزمناه باصلاح ما فسد من الأمور بأرض اليمن ، واطفاء نيران حدثت بها من المحن والفتن ، فلما وصلت ركائب وزيرنا المستشار ، إلى نواحي تلك الديار ، بادر لمقاومته محمد بن شمس الدين ، وصار ينهزم من سطوات عساكرنا المنصورين ، إلى أن حصروه في جبل كوكبان ، وضيقوا عليه كل مكان ، فخشى اطراف السنان ، وطلب الأمان ، وتبين ان عجزه قد بان ، واسترجع الى الله الكريم وقاب ، وبذل الطاعة لدولتنا القاهرة وأتاب ، ولاذ بوزيرنا المومى اليه ، واستشفع به الى بابنا الشريف ، ورجا أن ينال منا ما نال والده من العز والتشريف ، فلما علم وزيرنا حقيقة حاله ، وتحق عنده رجوعه عن غيه وضلاله ، أخذ عليه المواثيق والعهود ، واشترط عليه الشروط وحد عليه الحدود ، وكان من جملة ما اشترط عليه تسليم احد اخوته رهينة عندنا بقصر صنعاء المحروس ، ويكون أكبر اخوته وهو عبد القدوس ، يقيم بها مجللا محترما ، يتداول مع أخيه عبد الله ، على ما يختاره اخوهما محمد ويراها ، وعلى ان يكون لنا (قلعة العروس) وما يتصل بها من البلاد ، في مقابلة ما ينعم به عليه من اللواء الذي يتشرف به بين العباد ، وعلى أن يكون معاديا من عادانا ، مواليا من والانا ، مسالما من سالنا ، محاربا من حاربنا ، واذا فر اليه احد من عساكرنا اعاده الينا ، وان لا يدخل هو ولا اخوته واتباعه في موالاة مطهر ، لا سرا ولا علانية ، ما دام على المخالفة والفجور .

ولما عرض علينا وزيرنا هذه المعاهدة والمهادنة ، على الوجه المشروح ، نفذناه وارترضيناه ، وعينا للسيد محمد بن شمس الدين ما كان لوالده من الجهات ، وهي . جبل النيس ، وبلاد سمات ، والطويلة ، وبيت العز ، ورتبنا علوفته في كل عام ستمائة الف عثماني ، من احساننا التام ، وانعامنا العام ، والزمناه بالاستمرار على ما كان عليه والده من الطاعة ، والانقياد لدولتنا الشريفة ، وامرنا بالعمل بهذا المقال ، وان يتلقى بالقبول والامتثال ، من غير عدول عن لفظه ولا خروج عن معناه ، وعلامتنا الشريفة اعلاه حجة ناطقة بفحواه ،

تحريراً في عاشر ذي الحجة الحرام، آخر شهر سنة سبع وسبعين وتسع مائة
ثم وصل عبد القدوس أخو محمد بن شمس الدين، الى ملاقة حضرة الوزير ،
فألبسه خلعة سنية ، وقام بواجبه ، وجهزه الى صنعاء ليقم بها ، وانتظم
الحال ، وزال الإشكال ، وكفوا الحرب والقتال ، والله الحمد على سكون الفتن ،
وعلى انتظام أحوال مملكة اليمن ، ورفع الجور والمحن ، انه كريم رحيم
بالعباد ، برّ جواد .



الفصل السادس والخمسون

في تضرع مطهر الى حضرة الوزير في طلب الصلح والانقياد،
والدخول في الطاعة واظهار التوبة وترك العناد ، ومقابلة سؤاله بالقبول،
بعد تكرار السؤال في ذلك المسؤول

لما استقر صلح محمد بن شمس الدين مع حضرة الوزير ، واستقر ذلك على
الوجه الجميل أحسن تقرير، وتمت المواخاة ، وعمت المهادنة والمهاداة، وحصلت
المواثاة ، وطابت القلوب ، واستراحت الجنوب ، وهبت بالرغباء الشمال
والجنوب ، اشتغل خاطر مطهر واشتعل ، والتهبت أحشاؤه بلواعج الخوف
والفشل ، وعرف أنه مأخوذ لا محالة ، وانه نزع ما عنده من أنواع الحيل
والبسالة ، فطرق باب الصلح مرارا ، وأظهر عجزاً وتوبة واعتذارا ، وكان
حضرة الوزير لا يجيبه على سؤاله ، لعدم اعتماده على مقاله ، لما تكرر عنده
من مكره وخدعه واحتياله ، فكان مشابهاً في رداءة حاله ، وعدم الاعتماد
على أقواله، لذلك الكذاب الذي كان يطلع على سطح داره ، ويصيح بأعلى
صوته : يا مسلمين الحريق الحريق في داري يرحمكم الله تعالى !! فيسمى اليه كل
أحد ، إما بقربة ماء ، أو معول حديد ، وغير ذلك ليطفئوا عنه النار ،
ويهدموا ما احترق من الدار ، فلا يجردون شيئاً ، فيرجعون وقد ندموا على
قيامهم من فراشهم ، وهم يتجارون في الطرقات على الأحجار والأوحال ،

وتكرر منه ومنهم ذلك ، فعرفوه بالكذب ، واشتهر بينهم كذبه ، فقدر الله تعالى بوقوع الحريق في داره ، ليلة من الليالي ، فصعد الى السطح ، وصار يصيح بأعلى صوته : الحريق الحريق هذه المرة لا كلام فيه ! فلا يفيئه أحد ، بل يهزأ الناس بكلامه ، ويطنزون عليه ، فلا زال يصيح حتى أدركته النار فاحترق ، فلماذا منع العقلاء من ان يعود احد لسانه الكذب ، لئلا يصير ذلك عادة ، فلا يصدقه أحد ، وإن صدق ، فلما تكرر سؤال مطهر في الصلح ولم يجبه الوزير الى سؤاله ، تشبث بأذيال ابن اخيه محمد بن شمس الدين ، وأرسل قاصداً اليه يستحثه في ذلك ، فأرسل محمد قاصداً مع قاصد مطهر الى حضرة الوزير ، يتضرع اليه في مصالحة عمه مطهر ، وإجابته الى ما سأل فيه ، وقبول توبته ، ودخوله في الطاعة السلطانية ، وبذل الأمن له على نفسه وماله وأولاده وبلاده ، وأن يكون من جملة رعايا السلطنة الشريفة ، وأن تكون الخطبة والسكة باسم حضرة السلطان الاعظم ، نصره الله تعالى .

وكان محمد بن شمس الدين أرسل لاتمام هذا الصلح قريبه ونسيبه ، السيد محمد بن الحسن العياني ، بكتاب منه الى حضرة الوزير ، والسيد محمد بن الحسن المشار اليه رجل من أهل الكيال واللطف ، وحسن الأداء ، وبشاشة الوجه ، والأصالة والمراقة .

صورة الكتاب الذي جاء به من عند محمد بن شمس الدين :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ، والسلام التام الأفيح ، الذي لم يزل يعبق نسيمه الطيب وينفح ، على المقام الكريم ، العالي الأجل الأكرم الأفخمي الأعظمي الأجمدي الأوحدي الذخري ، أمير الأمراء الأكابر ، كبير الوزراء ذوي المسكارم والمفاخر ، من ارتقى من المعالي أعلاها ، وتسمن من الوزارة سنامها وأسناها ، أمين سلطان الاسلام والمسلمين في الأقطار ، القائم بصلاح الأمة في كافة الأمصار ، المعان من الله المستعان ، الوزير المعظم سنان ، زاد الله رفعتة وجلالته ، وألهمه حسن النظر وعدالته ، والذي ينهي إلى سدقته

السنية ، وحضرته الشريفة العلية ، صدور هذه المطالعة ، معرفة خواطره الخطيرة ، وضمائره المشرقة المنيرة ، ان الوالد فخر الدين مطهر قد استشفع بحبكم اليكم في قبول عذره عما مضى من الهفوات ، فان الله تعالى يعفو عن السيئات ، وقد طابت نفسه بما يحققه لكم السيد محمد بن الحسن العياني ، من رفع ناموس السلطنة الشريفة العثمانية ، والدخول في طاعتها المنيفة ، وقد ورد الى محبكم كتاب من السيد الوالد المشار اليه ، فسح الله لنا في مدته ، وهو مجهز صحبة السيد محمد المشار اليه ، لتحيط به العلوم الشريفة ، ولا شك أن حضرة كم الشريفة ، تحب صلاح أمور المسلمين ، كما هو دأب أهل المراتب العالية ، والههم السامية الساعية في اصلاح الدنيا والدين ، والذي يتشبث به الوالد مطهر حفظه الله تعالى إجراء على القواعد السابقة بينه وبين الباشوات المتقدمين ، فانه وفى بها ، حتى وقع النقص من جهة رضوان باشا ، فوقع في رعاى الناس وغوغائهم ما وقع ، مع لزومه الأدب ، والدفع عن نفسه لا غير فإذا أعيدت تلك القواعد عاد الأمن على ما كان من الصلاح ، وارتفع النزاع والوقاح ، وكلنا كما علم الله تعالى نبلغ الجهد في صلاح المسلمين ، واطفاء لهب الفتنة ، وإخماد نارها إن شاء الله تعالى ، والله تعالى المسؤول بحق القرآن ، وحرمتى الرسول ﷺ أن يجمع القلوب على ما يرضاه ، وان يطفىء نار الفتنة ببرد لطفه ورضاه ، والسلام الأتم ، والدعاء الأعم يخص المجلس الشريف ، ورحمة الله وبركاته ، حرر ذلك في العشرين من شهر ذى الحجة الحرام ، آخر شهور سنة سبع وسبعين وتسعمائة .

فلما أحاط حضرة الوزير علما بهذا المكتوب ، وبمكتوب مطهر ، استشار من حوله من كبراء العسكر ، وامراء المعشر ، وكانوا قد مالوا القتال ، وسمعوا الجلاذ والجدال ، ورأوا أن الصلح هو أصلح الأحوال ، خصوصاً بعد تكرر السؤال ، وتعدد الضراعة والابتدال ، فكل أشار بالقبول ، ورضي بالصلح على الوجه المسؤول ، فتوثق حضرة الوزير منهم غاية التوثق ، وتحقق مرادهم في ذلك غاية التحقق ، فوافقهم على ذلك ، وأرسل إلى مطهر الأمير

المعظم ، والفارس المطهم ، محمود بك صاحب اللواء السلطاني ، والأمير المكرم والفاضل المفخم مصطفى بك الرموزي دفتر دار مملكة اليمن ، ليحلفاه على المصحف الكريم ، ويعقدا معه عقد الصلح المبارك ، وكتب معها كتاباً الى مطهر ، صورته :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله ، وسلام على من اتبع الهدى ، ان أهبى حبر يشرق على صفحات الوجود نوره ، وأزهى زهر يعطر الممكنات كمامه ونوره ، حمد الله الذي وفق لسبيل هدايته من أحب من أهل الرشاد ، وأبعده ، حيث اختاره وارتضاه ، من سبل الغي والعناد ، والصلاة والسلام على أجل نبيّ سطعت شمس رسالته فنورت أرجاء الوجود ، وبزغت أقمار هدايته فعمرت بالعدل كل موجود ، وعلى آله وأصحابه هداة الأنام ، ومصايح الظلام ، ونجوم الهدى للاقتداء عن الغواية والآثام .

أما بعد : فلما طرقتم باب الصلح بكتابتكم الباهر ، وتكررت رسلكم في ذلك بالكلام الزاهر ، ورجعتم عما نسب اليكم من الخلاف ، وعدتم الى طلب المؤانسة والاتلاف ، ودخل في عهدتكم ولد أخيك السيد محمد بن شمس الدين ، وأظهرتم الطاعة لسultan السلاطين ، قابلنا ذلك بالقبول ، وبذلنا لكم المطلوب والمأمول ، وجهزنا اليكم الأمير الكبيرين ، المعظمين ، محمود بك ، ومصطفى بك أميري اللواء السلطاني ، وصاحبي السنجق الشريف الخاقاني ، ليحلفاكم على المصحف الشريف ، ويعقدا معكم عقد العهد المبارك اللطيف ، على أن تكون الخطبة والسكّة في سائر قطر اليمن ، لحضرة الخنكار الأعظم ، نصره الله تعالى ، وخذ ملكه الشريف ، ومد ظله السابغ الوريث ، وان جميع ما افتتحته امراؤه السابقين ؟! من البلاد ، يعود الى مملكته الشريفة كما كان سابقاً ، وان يكون ثلاثون نفرأ من الرتبة مقيمين في قلعة صعدا ، وان تكون صعدا لكم ، على أن تسلمو خراجها الى وكلاء السلطنة الشريفة في كل قسط ، على انه متى تأخر قسط واحد عن الوعد كان المتولي عليها منخلعاً ، وليس له عليها ولاية من بعد ، وان لنا الطويلة وما اليها من البلاد ، كذلك

بلاد الظاهر وعمران ونواحيها ، وجميع ما كان سابقاً في يد ولاية السلطنة الشريفة يعاد اليها ، وان تطلقوا من عندكم من الأمراء المحبوسين ، وأما حصن حب ومن تطلب عليه فالأمر بيننا وبين من فيه من المخالفين ، على ما يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ، لكننا نشترط عليكم عدم مساعدة من فيه ، وعدم مكاتبته وموالاته ، وسيف السلطان طويل ، وسيصبح مأخوذاً عما قيل ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ، حرر ذلك في خامس عشر ذي الحجة الحرام ، سنة سبع وسبعين وتسعمائة .

فلما وصل الأميران الى مطهر فرح بوصولهما ، وخرج الى لقاءهما واستقبلهما الى خارج الحصن ، وأكرمهما وبالغ في اكرامهما ، وأضافهما ، وقدم اليهما من التحف ، وأكرم خدامهما وأحسن اليهم ، واعتذر بانواع من الاعتذار عما سبق منه في أيام الفتنة والمحاربة ، وعقد الأيمان ان ذلك جميعه بدون أمره ، وبدون رأيه ومشورته ، فقبلا منه ذلك الاعتذار ، ورضيا منه بالاعتراف بالانكار .

أقبل معاذير من يأتيك معتذراً ان برّ عندك فيما قال أو فجراً
فقد أجلك من يرضيك ظاهره وقد اطاعك من يعصيك مستترا

فجمع أقاربه وبنيه ، وخدامه وذويه ، واحضر الأميرين ومن معها ، ومد لها سماطاً كبيراً ، ثم أحضر المصحف الشريف ، فحلفه الأميران المذكوران على ما تضمنه مکتوب حضرة الوزير ، فحلف لها بحضور الحاضرين ، ولبس الخلعة الشريفة السلطانية ، فوقع الوفاق ، وحصل الاتفاق ، وارتفع الشقاق ، وزال النفاق ، ورجع الأميران الى حضرة الوزير ، وأخبراه بما وقع بالنقير والقطمير ، وحصل من الجانبين السرور والفرح ، وزال بحمد الله تعالى كل تعب وترح ، والحمد لله رب العالمين .

الفصل السابع والخمسون

في رجوع حضرة الوزير الى صنعاء ، وذكر وصول بهرام باشا
وما وقع من الحروب في ذلك الاثناء

اعلم انه لما تم عقد الصلح مع محمد بن شمس الدين ، وعمه المطهر ، رجع
حضرة الوزير الى صنعاء مع العسكر ، واستقر به أوطاؤه المنصور ، وشرع
في إرسال الجيوش إلى الأطراف لإصلاح الأمور ، وكان (البكر بك)
الجديد الذي ولاه السلطان - نصره الله تعالى - مملكة اليمن ، عوضاً عن حسن
باشا ، قد وصل الى زبيد أوائل شهر ذي الحجة ، وهو أمير الأمراء العظام ،
نافذ الأوامر والأحكام ، مستخدم أرباب السيوف والاقلام ، الباشا المعظم ،
بهرام ، لا زال مؤيداً بجيوش الملائكة الكرام ، وهو شاب كامل ، له كالات
وفضائل ، مع حسن الرأي والتدبير ، والسمت الحسن والعقل الكثير ، والده
المرحوم مصطفى باشا ، وشهرته (قره شاهين) أحد بكر بكية اليمن ،
وأخوه رضوان باشا أطال الله تعالى بقاءه ، وولي اليمن أيضاً ، وقد تقدم
ذكرهما سابقاً .

ولما ولي بهرام باشا مملكة اليمن ، وأراد التوجه اليها من مصر ، كان
متوليها اسكندر باشا الجركسي ، صاحب ديار بكر ، ووان سابقاً ، ولم يعتن
بارسال بهرام باشا ، ولا جهز معه عسكراً كما ينبغي ، بل لفق له نحو ستائة
عسكري ، كتبهم في مصر بمن لا سلاح له ، ولا قوة له ، وأعطاهم نفقتهم ،

إلى أن يصلوا الى زبيد فقط ، فطال مكثهم في الطريق ، وأكلوا كل ما معهم ،
وباعوا أثوابهم ، وما وصلوا الى زبيد إلا وهم عرايا جياع فقراء ، ضعفاء عن
كل شيء ، فتحير بهرام باشا في ذلك ، ولم يجد بزبيد من الاموال السلطانية ما
يصرفه على العسكر ، فتوجه بهم الى تعز ، وكان واليها الأمير (شيخ علي)
أحد السناجق الذين خلصوا من كوكبان ، كما تقدم بيانه ، وكان حضرة
الوزير أنعم عليه وقواه ، وولاه سنجق تعز ، فلما وصل اليه
بهرام باشا قابله ، واستقبله وجمع له ممن كان معه من عسكر اليمن
نحو ثمانمائة فارس ، وجمع أيضاً من المشاة نحو سبعمائة مقاتل ،
ببنادقهم وسيوفهم ، فلما سمعت بهم عصاة العرب تألبت وجمعت
واجتمعت القبائل في نقيل أحمر ، واجتمع عسكر بهرام ومن معه في القاعدة
فلما فهمت العربان ضعف الأتراك ، وتحيل لهم ذلك بمكوس الادراك ،
نزلوا من الجبل للقتال ، وظهروا قاصدين للنزال ، فبرزت اليهم الترك ، على
خيول بلق وكت وحلك ، تجري بهم في بحر الحرب كأنها الفلك ، وصار
بهرام باشا يشجعهم ويستميلهم ، ويقوي قلوبهم على العصاة ويميلهم ، إلى أن
حمي الوطيس ، وظهر الدسيس ، وبذل الروح النفيس ، واشتبك الخيس في
الخيس ، فنهض بهرام باشا إلى السيوف البواتر ، بعسكره الحاضر ، ولم
يتمهل لانتظار باقي العساكر ، وقد بلغت الروح الحناجر ، وغرزت في
الصدور الحناجر ، والتحم القتال ، واشتبك النزال ، وزحف الناس وحضر
الباس ، وعلت السيوف من الدماء ونهلت ، وغرست أغصان الرماح في أجساد
الأعداء فأثمرت الرؤوس وحملت :

وحومت الطيرُ الخاصِ خواطفا رؤس العدى ، والموت يهوى عقابهُ
وقد شرقت رزق الأسنة بالقنا وانكر حد المشرفي قرابه
فكم أمرد خط الحسام عذاره وكم اشيب سود الدماء خضابه
وقد ملأ الميدان أشلاؤهم وقد تقاسمها أطياره وذئابه
جهاد ، بأمر الله في نصر دينه وفي طاعة الله الكريم احتسابه

وتثلت الصفاح ، وتحطمت الرماح ، وامتد الكفاح ، من أول الصباح إلى الرواح ، فلما اغمد الشمس سيف شعاعه المسلول ، ورد صارمه المصقول إلى غمد الأفول ، انهزم جيش العدو المخدول ، وهو مكسور مفلول ، ودخل تحت ذيل الليل ، فأجاره بارخاء ستر الظلام عليه عن عيون فوارس الخيل ، واكحل أجفانهم بكحل الدجا ، فسلم العدو كحيل ، واستمر الجيش المنصور مكانه ، وأوقد لآظهار نعمة النصر والظفر نيرانه ، وعد قتيل الأعداء فأنافوا على مائة وستين قتيلا ، وتشتت بقية السيوف منهم في الجبال فما أغنوا قتيلا ، ونصبت رؤوس القتلى على أسنة الرماح وصفقت لإرهاب العدو ميلا ، وأنشد هاتف النصر يمثل تمثيلا :

قالوا وينظم فارسين بطعنة يوم الهياج ولا تراه كليلا
فأجبتهم لو أن طول قناته ميل إذا نظم الفوارس ميلا

ثم لما تم الفتح والظفر ، وانهزم العدو وأدبر ، ارتفعت المنهزمة إلى (نقيل أحمر) وتوجه العسكر المنصور في الأثر ، فما أمكنهم العروج في الجبل ، وما تمكنوا من الصعود إلى تلك القلل ، لصعوبة المسلك ووعورة المدخل ، لدحرجة الصخار الكبار عليهم ، ورمي الأحجار من فوق الجبل اليهم ، فخمى حضرة (الباشا بهرام) ونصب أوطاقه بذلك المقام ، وأرسل إلى حضرة الوزير عرضاً يذكر فيه ما وقع له من النصر العزيز ، والفتح العزيز فالحمد لله العلي الكبير ، على هذا الخير العظيم والجبر الكثير ، واعتذر له عن الوصول إلى بين يديه ، وذكر له تفصيل أحواله ، وما جرى عليه ، وطلب من حضرة الوزير عسكراً يمدده به للظفر على من بقي من الأعداء ، ليقطع جاذرتهم من وجه الأرض ، ولا يبقى لهم رأساً ولا يداً ، فلما وصل رسوله بكتابه إلى حضرة الوزير ، سر بذلك وسرى عنه ما يجده من اشتغال الفكر بالتهائم وأعمالها ، وحمد الله تعالى على احسانه وإمداده ، وشكره على فضله واسعاده ، وجهز إلى بهرام باشا خلعاً سنياً فاخرة ، وتلطف معه وطيب

خاطره ، وعين له من الأمراء الشجعان ، أهل المعرفة والخبرة بمحاربات أهل الجبال ، وحيلهم ومكرهم ، وهم الأمير برويز الفارس ، البطل الشجاع ، وأحمد بك سنجق بلاد رداق ، وعبدي بك المشهور بشجاعته في تلك البقاع ، وجعل عليهم سرداراً الأمير المعظم محمود بك ، فاجتمعوا هم وعسكرهم ، ولفيفهم ، ووصلوا إلى ديوان حضرة الوزير ، فأكرمهم وحباهم ، واخلع عليهم وأعطاهم ، وقوي جأشهم ، ووسع معاشهم ، وزاد انعاشهم ، وتوجهوا من عنده في عز وكرامة ، مصحوبين باليمن والبركة والسلامة .

فلما وصلوا إلى قرب (نقيل أحمر) وجدوها مشحونة بالعصاة ، مملوءة بالطغاة والبغاة ، وما وجدوا في أنفسهم قوة لازاحتهم عن الطريق ، لوعورتها وصعوبتها وكثرة المضيق ، فأقاموا هناك ، وأرسلوا إلى حضرة الوزير يستزيدونه عسكرياً يمدم به على دفع هذا العدو الكثير ، والجماء الففير ، فلو فرض أن طائفة الأعداء ربطت أيديهم ، وأمر العسكر السلطاني بضرب أعناقهم لمجزوا عن افنائهم ، فكيف وهم بالأسلحة المتنوعة ، والبنادق والبارود ، وما خذلهم إلا الله عز وجل ، وإلا فليس في قدرة بشر قهر هؤلاء وتفريقهم ، وتشتيتهم وتمزيقهم .



الفصل الثامن والخمسون

في تجهيز حضرة الوزير عسكرياً مع حسن باشا لامداد
الامراء الذين توجهوا لنصرة حضرة بهرام باشا وانهمزام عسكر العدو ،
واجتماع العساكر على بهرام باشا ، وأخذ الرهائن من العربان ؛
لما وصل إلى حضرة الوزير عرض محمود بك وبقية الامراء الذين أرسلهم
لامداد بهرام باشا، يتضمن عدم وصولهم إلى بهرام باشا لكثرة العربان الذين لا
يخصيهم إلا الله تعالى ، في (نقل سمار) وطلبهم عسكرياً آخر يتقوون به على
الولوج من (نقل سمار) تكدر حضرة الوزير من ذلك، وأرسل يعاتبهم على عدم
النهوض بهذا الامر ، وكتب يستحقر لهم كثرة العربان وانهم لخيانتهم غلب
عليهم الجبن والخور ، فان الخائن خائف ، واخذ يشجعهم ، ويقوى قلوبهم ،
وارسل اليهم للمدد جماعة من خيار شجعمان بماليكه ، ولف عليهم لفيفاً من
اطراف العسكر ، وجعل عليهم (حسن باشا) سردارا ، وجهزم ووعدهم
واوعدهم ، واعانهم وامدم ، فتوجهوا وهم يهدون الارض هدأ ، ويزبدون
لملاقاة العدو زبدا ، ويشدون عليهم شداً ، فلما وصلوا الى الامراء هجموا على
العربان هجمة واحدة ، وتواردوا عليهم كالابل الظماء الواردة، وصدقوا اللقاء
بصوارم يبرين ، وقواضب يفرين ، وشموس سيوف للطلا يفرين ، وبالردى
يفرين ، من كل معتقل بسنانه ، ملتئم بعثير حصانه ، معتنق
لعطف مرانه ، الى ان ازاحوا الاعداء على كثرتهم عن مكانهم ، واحرقوهم
قبل نار جهنم بلهب نيرانهم ، ودفعوهم بالمدافع الى اقصى غاية خذلانهم، وحق

بهم سوء ما جلبوه الى انفسهم بسبب عصيانهم ، فتمزقوا ايدي سبا ، وتفرقوا شذر مذرة لا يعلم لهم نبأ ، واستمر العسكر المنصور منحدرًا من نقل احمر محفوفًا بالنصر والظفر ، والسكينة ، إلى أن نجم على محطة حضرة بهرام باشا فتلاقى المسكران بالفرح والسرور ، والتقى الأمراء والبكربكية بالأنس والحبور ، وحمدوا الله تعالى على خذلان أهل العصيان ، وانهزام المفسدين من عصاة العربان ، وتكررت الضيقات والأسمطة العظيمة ، اظهاراً للفرح بالنصرة على الأعداء ، وبملاقاة الأحياء والأصدقاء ، وأقاموا على ذلك أياماً .

ثم توجهوا إلى (ممالك بعدان) واستدعوا عربان تلك النواحي إلى الطاعة السلطانية ، فشرطوا عليهم اعطاء الرهائن من مشايخ كل قبيلة ، كما هو هو عادة ذلك الاقليم ، وأن تكون الرهائن محبوسة في صنعاء ، فاستمروا على ذلك إلى أن أخذوا الرهائن من نحو مائة قبيلة ، أطاع جميعهم ، ودخلوا تحت الحوزة ، وسلموا الرهائن من شيوخهم المعتمدين فيهم ، ولم يَأْب اعطاء الرهائن إلا القليل من المتمردين منهم ، البعيدين عن الممالك الشريفة السلطانية ، وصارت العربان المطيفة والعساكر المنصورة يتخطفونهم ، إلى أن أبعدهم مرامم ، وذهبوا إلى جبالهم وقلاعهم البعيدة ، وسكنت الفتن في تلك الجهات في الجملة ، وما بقي من أهل العصيان غير (علي بن ثمر الدين) المتحصن في (حصن حب) بغاية الوثوق والتحصين ، فتوجهت العساكر المنصورة السلطانية إلى محاصرة ذلك الحصن الحصين ، والله تعالى بيده النصر يؤتاه من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين .

ومن بدائع حكم الله تعالى ان الأقاليم السبعة التي انقسم اليها الربع المسكون من كرة الأرض ، البارز عن صفحة كرة الماء المحيط بالأرض ، منسوب كل اقليم منها إلى كوكب من الكواكب السبعة السيارة ، واقليم اليمن منها منسوب إلى زحل ، وزحل كوكب نحس تأثيره باذن الله تعالى ، وتقديره في الفتنة والشر والقتال ونحو ذلك ، فقل ما تخلو تلك الديار من الفتن ، لذلك التأثير الكوكبي ، الواقع بتقدير الله تعالى ، ذلك تقدير العزيز العليم .

الفصل التاسع والخمسون

في توجه حضرة بهرام باشا ومن معه من العسكر المنصور بأمر حضرة الوزير ، إلى فتح حصن حب ، ووصول حضرة الوزير الى ذمار ، ليكون قريباً منهم ، وانكسار علي بن شويح وعلي بن الحسين ، ومن معها من الزيديين ، وهلاك علي بن شرف الدين ، وافتتاح حصن حب بتأييد الله تعالى ونصره وفتحه المبين

لما أطاعت عربان تلك النواحي وأخذت رهائنهم إلا من شد منهم وندر ، وبعد عن القرى والحصن ، وبيوت المدر والحجر ، أمر حضرة الوزير لبهرام باشا ومن معه من جيوش الاسلام أن يتوجهوا إلى محاصرة علي بن شرف الدين ، الامام ، المتحصن في حصن حب ، ليصبوا عليه البلاء أعظم صب ، ويأخذوا ثار من استشهد هناك من الأمراء المغدور بهم ، المغفور لهم ، رحمهم الله تعالى ، وأنزل على أشلائهم ورفاقهم مطر الرحمة والغفران رسالاً ، وجعل أرواحهم جوف طير خضر تبيت تحت عرش الرحمن ، وتسرح من الجنة حيث تشاء اكراماً واجلالاً ، فتوجه حضرة بهرام باشا للقيام بهذا المأمور ، وصحب من كان في صحبته من العسكر المنصور ، وحط على حصن حب ، وأحاط ، وضرب عليه الأوطاق المعظم والفسطاط ، وربط به للجهاد مع أهل الاتحاد أشد رباط ، وأرسل الى حضرة الوزير يسأله أن

يكون نخيمه الشريف قريباً منه ، ولا يكون بعيداً ، ليستشيريه ، ويستعين به ويقوى بقربه جأشه ، ولا يكون وحيداً فريداً ، فارتحل حضرة الوزير من صنعاء ، وحط في ذمار ، وصار بمراى ومسمع من محطة المعسكر المنصور لقرب الديار ، وقد تقدم وصف قلعة حب ، وصعوبة مسالكها وارتفاعها ، وملامسة كواكب الجوزاء لمناكب بقاعها وارتفاعها ، وقصور نحور النجوم عن أطواق اعلا قصورها وقلعها ، وما عهد أنها أخذت قسراً ، ولا قهرها أحد من الملوك قهراً ، وإنما أخذها محمود باشا وغيره بالغدر ، والاحتتيال والخديعة والمكر ، ولكن اذا اراد الله أمراً هياً أسبابه ، وإذ قدر شيئاً أمضاه وفتح بابه .

وكان من جملة الأسباب أن قاضياً رومياً ، وشفلوفاً جبجيبياً أسرتهما الزيدية ، وحسبتها في حصن حب للاستخدام ، كما يفعلون بمن يستأسرونه من الأروام ، وكان محل حبس هؤلاء قريباً من مخزن البارود ، فتفكر القاضي ومن معه في حيلة يتوصل بها الى احتراق البارود ، فأروا شقاقة في أعلى المخزن ، فأخذوا هرة وربطوا في ذنبها فتيلة طويلة وأوقدوا أطرافها ، ورفعوا الهرة الى شقاقة المخزن ودفعوها الى المخزن ، فطاقت بالفتيلة الموقودة على أحمال البارود ، فاشتعل النار ، وأخذ جانباً من القلعة ، ورفعها الى عنان السماء ، وزلزل الجبل جميعه زلزلة هائلة ، وهدم كثيراً من البنيان ، وذهب البارود بأجمعه ، وانقصم بذلك ظهر أهل الحصن ، وعلموا انهم مأخوذون ، وشعروا بمن فعل هذا بهم ، فأخذوا القاضي ورفيقه فأداروا أكتافهم وأرجلهم رباطاً ، وأرادوا بذلك عذابهم ، فاشتطوا وزادوا في ذلك اشتطاطاً ، ودحرجوهم من أعلى الجبل الى أسفله ، فتكسروا وتمزقت أشلاؤهم ، فاحتسبوا وتصبروا ، وما تردوا إلا وقد تردّوا بحال الغفران ، وانتقلوا من أسفل الجبل إلى أعلى عليين من طبقات الجنان ، فائزین بمرتبة الشهادة والرضوان ، حائزين لأعلى مراتب الرضا والرحمة من الله الرحيم الرحمن ، وصادف هذا الخبر السار ، إلى حضرة الوزير المعظم العالی المقدار ، يوم حلول ركابه الشريف في ذمار ،

فحصل له بذلك كمال الاستبشار ، وتيقن بحصول الظفر والانتصار ، وترحم على أولئك الشهداء الأبرار ، وعلم أن الجنة لهم ونعم عقبى الدار .

ثم أرسل حضرة الوزير إلى بكربكي اليمن بهرام باشا ، ومن معه من العسكر المنصور ، يستحثهم في الاحتياط بحصن حب ، والاحاطة به كيلا يصل إلى أهله البارود من خارج ، فامتثلوا أمره ، وشددوا في الاحاطة بالحصن ، وتنبهوا لذلك ، واحتفظوا .

وكان علي بن شويح وعلي ابن الحسين مكنين في نواحي رداع ، في عربان عصاة ، وزيدية غواة ، ومعهم أحمال من البارود ، قصدوا أن يوصلوها إلى علي بن شرف الدين ، في حصن حب ، ليكون عوضاً عما احترق من البارود عنده ، فشر بذلك حضرة الوزير المعظم ، فأرسل إليه من خواص مماليكه ، المعروفين بالشجاعة والفروسية ، علي صوباشي وأحمد صوباشي ، وكانا فارسين مشهورين بالنجدة والبأس ، والقوة ، سيفها في الحرب مشهور ، وخصمها في ميدان الفروسية مقهور مكسور ، فضم إليها ثلاثمائة فارس ، نقاهم تنقية من بين العسكر ، واختارهم اختيار الجوهرى نفائس الجوهر ، وقوى بأسهم ، وانتخب لهم حصنهم وأفراسهم ، ورتبهم أحسن ترتيب ، وعلمهم وساسهم ، وجسرمهم وشجعهم ، ووادعهم وودعهم ، فساروا يدكون الأرض دكا ، ويصكون صم الأصداد بجوافر الخيل صكا ، وجدوا في الرحيل ، واختلطت الأصوات بالصهيل ، وسالت بأعناق المطي أباطح المسيل ، وعمدوا إلى السماء فاستعاروا من أنجمها الأسنة الذئبل ، واقتلعوا الأرض فوهبوا ترايبها للقسطل ، واستمروا في عزم مثار النقع ينوب عن لوائه ، وحزم أمضى من لمع البرق في مضائه ، ومجر كصدر العضب في لمعه وضيائه ، ومضوا سابقين ، وإلى طرق العليا مسابقين ، وللنصر والظفر مرافقين ، إلى أن طرق الويل في ظلماء الليل علي بن شويح وعلي بن الحسين ، وساق إليها وإلى من معها من العصاة داعي الحين ، فزحف العسكر السلطاني زحفاً شديداً ، ونثروا على العدو جندياً وحديداً ، وسطا بعصاتهم سوط العذاب المصبوب ، ووجبت له الجنوب ، وسقطت به القلوب ،

فهرب منهم من هرب ، وفات منهم من فاته الطلب ، وصار باقيهم طعمة
للسيوف فالسباع ، وانتهب ما معهم من السلاح والكرراع ، وذهبوا شذر مذر ،
وتفرقوا أيدي سبأ لم يظهر لهم حس ولا خبر ، ورجع العسكر المنصور
السلطاني ، تحقق عليهم ألوية العز الخاقاني ، ومعهم الروس المرفوعة على
الرماح ، والخيول المنهوبة والسلاح ، وقد فرح المؤمنون بنصر الله ، ودارت
الدائرة على أهل الاحاد والغواة ، وانقطعت جادرة الطفاة والبغاة والمعصاة ،
فحمد الله تعالى حضرة الوزير ، وأطلق بين يدي خالقه لسان العجز والتقصير ،
واعترف بنعم الله تعالى وفضله الكثير ، وتضرع إلى الله العلي الكبير ، وتبرأ
من حوله وقوته وعلم ان الله على كل شيء قدير .

وكان من اتمام النصر من عند الله العزيز المجيد ، وظهور آيات الفتح لهذا
الوزير العظيم السعيد ، واستياعب ممالك اليمن على يديه بالفتح الجديد ، هلاك
علي بن شرف الدين ، وهو في حصنه الحصين ، في محل لا يصل الطير إلى
مداره ، وينقطع الفكر دون الوصول إلى خيال مزاره ، وقد اتخذ
الاكليل مناجماً ، والعيوق منادماً ، والجوزاء نطاقاً ، والجنبه مصادماً ،
لكن الله تعالى إذا أراد أمراً هبأ أسبابه ، وإذا قدر شيئاً سهل صغابه ،
وكشف جلبابه ، (شعر) :

ولست بعيداً من تناول مطلب عسيراً إذا ما يسرقه المقادر
وإن لم يصنك الله عما تخافه فلا الحصن مناع ولا الدرع ساتر

ومحصل هذه القصة ، التي ملأت صدور الاعدام غصة ، أن شفلوتين من
خوارج علي بن شرف الدين ، كانا في غاية التقرب منه ، والدخول فيه ،
بجيت كان يستأمنها على طعامه وشرابه ، وكان كثير السكر لا يصحو من
الشراب ، وكان قد ملا خدمته لطول الحرب ، ولسمها تقيير ووُبَيْر ،
بالتصغير ، نزل أحدهما إلى حضرة بهرام باشا ، وتوصل اليه وقال له : معي
سر فأخني له بهرام المجلس ، فإذا به يقول : أنا اطعم لكم علي بن شرف الدين

السم ، فماذا يكون لي عليكم ؟ فقال له بهرام باشا : يكون لك عندنا الاجلال والاكرام ، ونعطيك ما نرومه من المناصب العظام ، فقال له : نحن رجالان في خدمة هذا الرجل ، وقد اتفقنا على أن نسمم له ، وهيانا له سفرجلا مسموماً ، فإذا رآه تناوله منياً وأكله ، فلا يعيش بعد ذلك ، فقال له بهرام باشا : نعطيك الف ذهب ونعطي صاحبك الف ذهب ، فقال : ارقبوا الوقت الفلاني ، واهجموا القلعة ، فانكم لا تجدون من يمنعكم عنها ، فكونوا حاضرين في ذلك الوقت ، ولا تغفلوا فيه ، فمضى من عنده ، وطلع إلى الحصن ودخل إلى علي بن شرف الدين ، وهو سكران طافح ، فقال له : ما الذي جئتنا به من أسفل ؟ فأخرج له السفرجلة ، فشره إليها في الوقت ، وأكلها كلها فانكسب على وجهه ، وخر ميتاً ، وسيق إلى الدار وبئس القرار ، ووقع الصراخ في الدار ، ردعوا بالثبور والبوار ، والويل والشنار ، وإذا بالعسكر المنصور قد صعدوا الجبل وكان بأعلى باب الحصن مائتا نفر منهم ، طلبوا الأمان لأنفسهم ، فأعطوا الأمان ، فخرجوا يداً واحدة ، وآمنهم بهرام باشا، فمضوا فارين ، ونجوا بأنفسهم ، فدخل المسكر الحصن ، وأحاطوا بما فيه ، وأخذوا ما وجدوا به من الخزائن والأموال ، والأسلحة والطعام ، ووجدوا به جميع ما أخذته الزيدية من مدافع المرحوم الأمير خير الدين القبطان ، وتم الفتح ، وكفى الله المؤمنين القتال .

ووصل خبر الفتح الى حضرة الوزير المعظم ، فكان ذلك عنده أجل مغنم ، فحمد الله تعالى على تواتر الآثه ، وتعاقب كرمه ونعمائه .

وكان تاريخ فتح حصن حب في هذه النوبة خامس شهر رجب الفرد ، سنة ثمان وسبعين وتسعمائة .

وكتب لمن طلب الأمان من جماعة علي بن شرف الدين وأمضى لهم تأمين حضرة الباشا بهرام ، وسكن روعتهم بعض الاسكان ، ومنحهم الأمن والاطمئنان .

وتم الفتح المبارك لجميع مملكة اليمن ، مما كان تحت أمر السلطنة الشريفة العثمانية ، خلد الله نصرها ، بل زاد على ذلك عدة حصون وبلدان ، وقرى وقصبات ، فتحت فتحة جديداً ، وكان رأي حضرة الوزير في جميع التدابير صواباً سديداً ، وطالعه في المحاربات مع طوائف أهل البغي سعيداً .

ولما سمع مطهر بتفصيل الحال ، وما وقع لأخيه من الخيبة والنكال ، ارتعدت فرائضه ، وتهلكت بالروع قوائمه فاراد توكيد العهود ، وتشديد أساس العقود ، وأرسل يسأل فضل حضرة الوزير أن يجعل عمل صعدا إليه ، ويعول في تسليم محصولها الى الخزانة العامرة السلطانية عليه ، وان يعين حضرة الوزير في قلعة صعدا نوبتجية من العسكر المنصور السلطاني ، يحفظونها للسلطنة الشريفة ، عن يتعدى أو يخالف ، ومن لا يدخل تحت الطاعة الشريفة السلطانية ولا يخالف ، فتحفظ العساكر المنصورة صعدا ، ونواحيها من البلاد ، ويكون خراجها على القدر المعتاد ، على مطهر يسلمها عاما فعاما على المعتاد ، ويحصل بذلك كمال الاعتدال ، وتسكن الفتن ويبطل الجدال ، ويتم بذلك الوصلة والاتصال ، فاجابه حضرة الوزير إلى سؤاله ، وبلغه من ذلك المطلوب غاية آماله ، وكتب له بمضمون ذلك عهدا ، وأكد به موثيقاً سابقة وعقودا ، وعين ثلاثين نفراً من النوبتجية ، يقيمون بالنوبة في حصن صعدا ، ويحفظون تلك البقاع واليفاع عن أهل الفساد والاعداء ، والزم مطهر بخراج تلك الأراضي الى الديوان الشريف السلطاني ، وأن تكون الخطبة والسكة في تلك الجهات كلها بالاسم الشريف الخاقاني .

ولما تم ما أراد ، وبلغ من الفتح الخاقاني غاية المراد ، بالجد وعلو الهمة وبذل الاجتهاد ، واسفر سفره الميمون عن بياض الوجه وغاية السداد ، ولم يبق له مأرب في ذلك البلاد ، عزم على العود من مملكة اليمن ، مريداً لثم الاعتاب الشريفة السلطانية ، وتقبيل السدة المنيفة الخاقانية ، فشرع في ذلك ، وبالله التوفيق ، ومنه الاعانة في سلوك كل سبيل وطريق .

الفصل الستون

في تسليم حضرة الوزير مملكة اليمن الى البكربيكي المعظم
بهرام باشا المكرم وعوده من تلك البلاد ومروره ببلد الله الحرام ،
واداء حجة الاسلام ، وزيارة سيد الانام ، عليه افضل الصلاة والسلام
والاحسان الى أهل الحرمين الشريفين ومن حضر فيهما من الانام

لما أراد حضرة الوزير البروز من مملكة اليمن ، بعد تمام الفتح الخاقاني ،
وتسكين مواد الفتن ، طلب البكربيكي المنصوب من جهة السلطنة الشريفة ،
وهو أمير الأمراء الكرام ، ربيب حجر السعادة والاكرام ، مكرم الأقوام
بجداد السنة السيوف والأقلام ، الأسد الضرغام ، والليث الهمام والباسل
المقدم ، الباشا بهرام ، ابن المرحوم المغفور ، المقدس المبرور ، السعيد في
الدنيا والآخرة القادم على رحمة ربه الزاخرة الباشا مصطفى ، عرف بقره
شاهين ، أسكنه الله تعالى أعلى عليين ، ، وأسعد أولاده وأحفاده أجمعين .

فلما وصل إلى حضرة الوزير ، تلقاه بالبشر الكثير ، ونصحه نصائح
مفيدة ، وعدد عليه من الرأي والتدبير والفتنة خبايا عديدة ، وأشار عليه في
أمر الملك وضبطه ، وحفظ العسكر وربطه ، ما يحتاج اليه ، ويعول في
حفظ الممالك عليه ، ونبهه على أمور يجب التنبيه عليها ، وأيقظه لأحوال

يتعين التيقظ لها والنظر اليها ، فتلقاها بحسن القبول والاقبال ، وامثلها
 أحسن امتثال ، فسلم اليه حضرة الوزير جميع بلاد اليمن ، سهولها وجبالها ،
 وعامرها وطلالها ، ووهودها وتلالها ، وبنادرها وسواحلها ، وأعاليتها
 وأسافلها ، فتسلمها بهرام باشا بصدر منفسح ، وقلب منشرح ، وعين فيها
 عماله وكشافه ، وولائه وعرافه ، واستعان الله تبارك وتعالى في تحمل هذه
 الأثقال ، وضبط تلك التهامم والجبال ، وأظهر فيها بقدر الامكان العدل
 والأمان ، والانتصاف ، والعدول عن الظلم والاعتساف ، وتوكل على الله
 الخفي الألطاف ، وأخذ حضرة الوزير في أهبة السفر ، واحضار ما لزمه في
 ذلك الوطر ، وخير من معه من الجنود والعساكر ، والجيوش الذين هم أسود
 كواسر ، بين الرحيل معه والعود إلى القاهرة ، أو الإقامة ببلاد اليمن مع
 العلوقة الوافرة ، فمنهم من اختار الرحيل معه ، ومنهم من أقام باليمن حيث
 وسعه ، وكان في زيادة من الجوامك وسعة ، وقرر أمرهم ، وأشرح صدرهم ،
 وركب البحر في سفائن أعدها ، وجلاب أجدها ، ومدتها وأمدتها ، ووضع
 فيها أثقاله ، وحمل فيها حوائجه وأحماله ، وأخر بعض خيله لتصل اليه
 بالتواني ، في البر مع الركب الياني ، وشرع شراعه وأقلع قلاعه ، بعد
 عيد الفطر ، في رابع شوال ، سنة ثمان وسبعين وتسعمائة ، ووافقته الرياح
 نشرا بين يديه ، وأقبل السعد عليه ، وسمى اليه ، وركب الأغرابة وقال:
 بسم الله مجراها ومرساها ، فطارت به ولم تعرج على المراسي ومرساها ،
 وطوت عباب الباحات في البحر طيئا ، وقطعت المسافات البعيدة قطعاً قريباً ،
 إلى أن ندرت به إلى بندر جدة المعمورة ، وأرست في مراسيها التي هي بالأمن
 مغمورة ، وكان نزوله الميمون من سفينته إلى البر المأمون في ثامن عشر
 شوال ، فكان أيام سفره جميعها في البحر اثني عشر يوماً ، من بندر المخا إلى
 بندر جدة ، غير يوم الدخول والخروج ، وقل أن يقع هذا لغيره من ولاية
 الأمور وغيرهم ، ووصل معه ستة عشر غراباً فيها بقية العساكر الراجعة ،
 وأمراء السناجق والاغوات وغيرهم متتابعة ، وقلقاه بجدة من رؤساء مكة

أعظمهم مقداراً، وأجلهم شأنًا واعتباراً، ذو الأصل الأصيل، والعرق الأثيل،
والقدر الجليل، والفعل الجميل، ناظر المسجد الحرام، ورئيس العلماء الاعلام،
مولانا القاضي حسين بن أبي بكر الحسيني، جدد الله سعده وإسعاده، وأخدمه
الإجلال والسعادة، وكان قد علم بوصول حضرة الوزير قبل أن يصل بيوم
واحد، من ساع وصل إليه من القنفذة يبشره به، فركب من ساعته مصباحاً
الى جدة في ليله واحدة، فدخل جدة قبل أن ينزل حضرة الوزير من السفينة،
فطلع إليه إلى السفينة، ولاقاه أعظم ملاقة، وفرح كل منهما بوصول الآخر
ولقياه، وأفرغ عليه خلعة جليلة سنية، وحلة جميلة خسروانية، ونزل معه
الى البر، فأنزله مولانا دار السعادة، بيت مولانا السيد الشريف بجدة، وأنزل
الأمراء والسناجق فيما حولها من البيوت، وأمر مولانا السيد الشريف بعمل
سماط عظيم هائل، وهدة كبيرة لها طائل، تشتمل على جميع ألوان الأطعمة
والمشروبات والحلويات والحلاوات، والمحضات، عملها الوزير شرف الدين
أبو القاسم بن قرقاش بأمر سيده، ومد نحو ألف وخمسمائة صحن، فما فوقها،
إلى ألفين، فجلس حضرة الوزير بنفسه على السماط، ونادى أمراء السناجق
الواصلين في صحبته، وهم: مصطفى بك بن اياز باشا، وإبراهيم بك ابن
اخته، والأمير ممي بك، والأمير حماد بن خبير شيخ عرب الجزيرة بمصر،
وسلاق أحمد، وعلي بك، وغيرهم من الاغوات، فجلسوا على السماط وجميع
من وصل من العسكر المنصور، فأكلوا وحملوا ما أرادوا، ولم يتغير السماط
إلى أن قاموا عنه، وقعد بعدهم أطواف بعد أطواف، إلى أن رفع السماط
فأعطي الباقي للبحرية والكور كجبة والفقراء، وألبس حضرة الوزير قفطاناً
للشرفي أبي القاسم. ثم وصل سيدنا ومولانا ربيب حجر السعادة، ورضيع
ثدي العز والشرف والسيادة، نجل الكهامة اللوابس، وصفوة الليوث العوابس،
المقر الكريم العالي، والكوكب المضيء المتلالي، مولانا السيد حسين بن المقام
الشريف العالي، مولانا السيد حسن أدام الله تعالى نصرهما، وشد بالسعادة
والاقبال ازرها، ومعه البطل الكرار، مولانا السيد عرار بن عجل بن عرار،

وجميع الترك وأكابر من بني حسن والقواد الكبار ، جاؤا للسلام على حضرة الوزير وتمنئته بالقدوم ، والنصر على العدو المهزوم ، فقدموا عليه ، ووفدوا إليه ، وبلغوه السلام عن سيدنا ومولانا السيد حسن ، وانه أمرهم ان يستمروا في خدمة حضرة الوزير ، والقيام بما يحتاج إليه في البندر من قليل أو كثير ، فقابلهم حضرة الوزير بالتبجيل والاحترام ، وأنواع التعظيم والاكرام ، وألبس مولانا السيد حسين بن حسن ، والسيد عرار خلعاً فاخرة ، وتشريفات باهرة ، ولاطفها ملاطفات ، وتلطف معها في الكلمات ، واستمررا بمن معها في جدة يتفقدان أحوال الوزير بالخدمات ، ويلازمانه في أغلب الأوقات ، إلى أن قضى أوطاره ، وجهز إلى مصر من البحر سفاره ، وارسل في الأغرابة أحماله وأثقاله ، وخفف مما ليكه ورجاله ، وتكامل بقية عساكره ووصلوا من اليمن وفرق عليهم بعض الجوامك ، واذن لهم في العود إلى الوطن ، فمنهم من لم ينتظر الحج ، وسافر بجرأ ، ومنهم من تأخر لقضاء الذسك وحاز مثوبة وأجرأ ، ووصل بعد أيام حسن باشا البكر بكي السابق بزويد ، ومعه كيلان بك الدفتر دار باليمن سابقاً ، المنفك من أسر مطهر العنيد ، ومحمود بك الدفتر دار قبله المتخلص من الأسر أيضاً والتقييد ، وصاروا يذكران ما قاسوه في الحبوس ، ومما لاقوه من الشدة والبؤس ، من ذلك الوجه العبوس ، ويتمعجب الناس من مقالها ، وما عانوه من شديد أحوالها ، وكيف جعل الله لها الفرج بعد الشدة ، وكيف توالى من كرم الله تعالى البشر واليسر بعد العسر والمهدة ، ولقد صدق الله تعالى ما وعد به من البشر والبشرى : (إن مع العسر يسرا ، ان مع العسر يسرا) .

وقدم على حضرة الوزير لاستقباله من مكة الأفندي الاعظم الأجد الأكرم ، قاضي حرم الله المعظم ، مولانا محي الدين افندي بن حاجي حسن زاده ، حياه الله تعالى بمنازل الاكرام وزاده ، والامير المعظم ، صاحب البند والعلم ، الأمير قاسم سنجق جدة المعمورة ، المأمور باجراء عين عرفات إلى مكة ، فوجدا من حضرة الوزير اقبالاً عظيماً وسناً ضاحكاً بسياً ، ووجهاً

مشرقاً وسياً ، فخلع عليها خلعتين فاخرتين ، زاهرتين باهرتين ، وأكرم نزلها ، ورفع محلها ، وأحسن حضرة الوزير بالاحسان الوافر الكثير إلى الصغير والكبير ، والغني والفقير ، وقرر لكثير من الفقهاء والفقراء من محصول بندر جدة علوفات ، ورقى بعض من له علوفة من الفقهاء والعساكر السلطانية أنواعاً من الترقيات ، وبذل لهم من الانعام والاکرام ، ما لم يبذله قبل ذلك الوزراء والأمراء الكرام .

ثم أخذ في أهبة التوجه إلى بيت الله الحرام ، زاده الله شرفاً وتعظيماً ، ومهابة وبراً وتكريماً ، وكان محرماً بالحج قارناً ، لأنه أفضل عند الامام الأعظم رضي الله عنه ، فأرسل اليه سيدنا ومولانا المقام الشريف العالي ، رافع رايات الكرم والمعالي ، السيد حسن بن أبي نُمي ، أدام الله تعالى عزمها ونصرها ، ورفع شأنها الشريف ، وقدرها ، بأربعمئة رجل حمل أثقاله ، وبمائة دابة أخرى ما بين الخيل والبغال والرواحل ، واخلى لسكناه مدرسة المرحوم الأشرف السلطان قايتباي ، سقى الله تعالى عهده صوب الرحمة والرضوان ، وأمر بإخلاء بيوت كثيرة لأمرأ السناجق ، وبقيّة المسكر المتصور ، فأخليت بيوت كثيرة ، وهيئت لسكنام ، وبرز حضرة الوزير من جدة بعد العصر من يوم الجمعة ، رابع ذي القعدة الحرام ، سنة ثمان وسبعين وتسعمائة ، ودخل حَداً - بالحاء المهملة - صباحاً ، ونزل في رأس العين ، وهياً الشرفي بو القامم بن قرقاس سباطاً من النواشف ، قدمه بعض مقدمي السيد الشريف بين يدي الوزير ، فألبسه قفطاناً ، وأكرمه ، وفرق على من معه من تلك الحلويات وغيرها ، وركب بعد صلاة العصر من (حَداً) ومعه مولانا القاضي حسين يسايره ويحادثه ، فلما وصل إلى الموضع الذي يقال له (الشاقة) وصل اليه مقدمة خيل مولانا السيد حسن - أدام الله عزه ونصره - ووصل السيد عرار بن عجل ، وقبل يدي حضرة الوزير ، وذكر له وصول مولانا السيد حسن لملاقاته ، فرحّب بهم ، وفرح بوصول مولانا السيد الشريف ، وأظهر السرور بمجيئه اليه ، وإذا بالخيّل أقبلت سرباً ، لكنهم وقفوا صفّاً

واحداً كبيراً ، نحو الثلاثة فارس ورجل كثير ، وتقدم من بينهم مولانا السيد حسن ، ومعه السيد عرار ، ومحمد بن يونس ، ونحو الخمسين فارساً من خواصه ، فوقف له حضرة الوزير إلى أن قرب منه ، وتصافحا على ظهور خيلهما وتسالما ، ومشى عن يمين حضرة الوزير ، وأخذ يحادثه ويباسطه ، ويتأنس كل منهما بالآخر ، فألبسه حضرة الوزير خلعتين عظيمتين ، أحدهما شيب ، والثانية سراسر ، وقلده سيفاً مذهباً عظيماً ، فيه أنواع الفصوص ، واستمررا يتحادثان إلى أن قرب دخول المغرب ، ففارقه مولانا السيد حسن ومن معه ، وأخذوا جهة النخل ، ومال حضرة الوزير إلى جهة الحديدية ، وصلى المغرب ، ثم ركب واستمر هو ومن معه إلى أن جاوز الموضع الذي يقال له المفترق ، ونزل هناك ، ونام هو ومن معه إلى أن أصبح الصبح ، فصلى وركب ، ومعه مولانا السيد حسين المالكي ، إلى أن قربوا من الرّيع ، وإذا بمولانا السيد حسن لحقه مع خيله ورجله ، فلاقاه واستمر يماشيه إلى أن دخل مكة من الشبيكة ، وفارقه مولانا السيد حسن أدام الله تعالى عزه أسفل مكة ، وتوجه إلى منزله ، واستمر حضرة الوزير ومن معه إلى أن نزل في مدرسة الملك الأشرف قايتباي ، سقى الله عهده ، فورد عليه الفقهاء والأعيان ، طوفاً بعد طوف ، وهو يقوم لهم ، ويكرمهم ويعدهم بالخير ، ثم دخل الطواف ، وكنت معه ، فطاف بسكينة ووقار ، ورمل على الشئنة ، ثم خرج إلى الصفا وسعى ماشياً ، ولم يترك شيئاً من الآداب والسنن والمستحبات ، ثم طاف للقدوم ثانياً ، وأختر سعي الحج إلى محله ، ومد له الخواجا كال الدين أبو الفضل ابن ابي علي سماطاً عظيماً جميلاً ، من أعظم الأسمطة وأجملها ، بأمر مولانا السيد حسن أدام الله تعالى عزه ، فأكل وفرق على الأمراء والعسكر ، والبس الخواجا خلعة سراسر .

وفي يوم الاثنين سابع ذي القعدة وصل سيدنا ومولانا السيد حسن ، مد الله تعالى ظلال سعاده إلى حضرة الوزير المعظم ، بمدرسة الأشرف قايتباي ، مسلماً عليه ، وجلس عنده ساعة كبيرة ، واستأذنه في التوجه إلى السيد

الشريف الكبير ، مولانا السيد ابي نمسي أدام الله عزه وسعادته ، وخذ دولته وایالته ، وكان في الشرق ، فأذن له في ذلك ، فتوجه إلى والده ، أطال الله تعالى عمرهما ، وشيد أركان عزمها ونصرهما ، وحصل لأهل البلاد بذلك كمال الاطمئنان ، رزال عنهم الوسواس والاضراب ، وذلك من بعد أن كاد تزيغ قلوب فريق منهم بالجهل وسوء الظن والارتياب ، والله سبحانه وتعالى يصون حرمه الآمن من كل فتنة وانقلاب .

ثم في عاشر ذي القعدة ، توجه الى عمل عين عرفات ، للكشف عليه ، ومعه أمراء السناجق ، وكل فارس بطل سابق ، وكان الناظر على عمل العين قدوة الأمراء ، زين الكبراء ، الأمير قاسم البوصنوي ، نائب جدة المعمورة ، وكان نازلا حيث انتهى العمل ، وهو بقرب بركة السلم ، فهيا لحضرة الوزير سماطاً عظيماً ، فيه انواع الاطعمة الرومية ، تكلف عليه كلفة كبيرة ، وكان حضرة الوزير يفض من الأمير قاسم المذكور ، لأنه رُميَ عنده بأمور الله أعلم بها ، فلما وصل حضرة الوزير الى محل العمل ، مَدَّ ليه الأمير قاسم سماطه فأراد منعه من ذلك ، فشغعت له الأمراء ، وتقدم الامير سلاق أحمد ، والأمير ممي وقبلا يده على ذلك ، فقبل ذلك منهم ، وأكل هو والأمراء والعسكر من سماطه ، وشربوا السكر ، وأحضر الأمير قاسم خمسة رؤوس من الخيل والبغال ، بآلاتها وسرُجها وركبها ، ولُبسها ، والدروع والخوذة ، وقدمها لحضرة الوزير ، وأحضر من عنده خلعة ، وتضرع في أن يلبسها ، ويوم الناس ان ذلك من إلباس حضرة الوزير له ففعل ذلك ، فظن الناس ان الوزير ألبسها له ، وكانت البواطن مشتعلة ، ونيران الغل مشتغلة ، وأقام عليه من يفتش عليه دقائق العمل مدة الاقامة بمكة ، ومع ذلك فما ظهر على الأمير قاسم شيء ، لملاطفته بالفتش عليه ، ولضيق الوقت ، واتساع العمل ، ولما فرغوا من السماط عاد حضرة الوزير الى مكة ، والفرسان تستبق بين يديه ، وتظهر دقائق فروسيته وتقنيتها لديه ، وتعرض بضائع كالأها في هذا الباب عليه . شعر :

كانهم في ظهور الخيل نبت ربي من شدة الحزم ، لا من شدة الحزم

ثم صار يتعهد المعاهد ، ويزور المآثر والمشاهد ، ويتصدق على الفقراء ، ويحسن الى الضعفاء ، بحيث عم إحسانه ولطفه ، وشمل غالب المستحقين فيضه وعطفه ، وحصل لهم به كمال الارتفاق ، وملأوا بالدعاء له أكناف الارض وأطراف الآفاق ، وفي أثناء ذلك زار غار حراء محل شق صدر النبي (ص) ومكان ابتداء الوحي إليه ، ونزول جبرئيل عليه الصلاة والسلام ، بالقرآن العظيم عليه ، فتوجه مع أمرائه وكبراء جيشه المنصور ، وبكر لزيارة هذا المحل الشريف المأثور ، وعند عوده من الزيارة تقدم له مولانا شيخ الاسلام ، ناظر بلد الله الحرام ، المتفق على جلالته وعظمة شأنه السنة الخاص والعام ، بدر الدنيا والدين ، السيد القاضي حسين الحسيني المالكي ، مدرس المدرسة الشريفة السلطانية السليمانية ، وما مع ذلك من الوظائف الشريفة السنية ، ولاقاه عند بستانه بالأبطح وقد هيا له سماطا عظيما ، يليق بمثل هذا الوزير المعظم الكبير ، ويسع من معه من الجمع الكثير ، بل يفيض عليهم وعلى أمثالهم باذن الله القدير . فمد ذلك السماط العظيم بين يديه ، وجلس هو والأمراء واعيان العسكر عليه ، فكانت الأواني كأنها الزبرجد والفيروزج ، مملوءة بنفائس الأطعمة كاللوزينج والفالودج ، والخراف المشوية والدجاج والمهلبية ، والمأمونية [والسكباج ، والرشيديّة والشرابية] والكلاج ، لا يستطيع للكثرة حصر اسمائها ، ولا يتمكن ان يصف الواصف حسن صفاتها وصفائها ، وأجلس حضرة الوزير مولانا المشار اليه عن يمينه ، وصار يلاطفه بالكلام ، ويتعجب من حسن الطعام ، وكثرته ولطف ذلك المقام ، ويؤنسه بحديثه ، ويستأنس بتحديثه ، وكان من جملة كلامه له : مولانا القاضي أنت بذلت لنا محصول وظائفك عن خمس سنين ، في ساعة واحدة ، يعني به هذا السماط ، فأكل بانبساط وسفاط ، وأكل الحاضرون ، ثم جلس العسكر وأكلوا ، ورفعوا ما أرادوا ، ثم أعطى الفقراء وفضل بعد ذلك شيء كثير ، ثم نزل حضرة الوزير الى محل سكنه بالمدرسة .

ثم توجه بعد أيام الى جبل ثور وزار غار النبي (ص) وطلع ذلك الجبل
 بغاية القوة والجلد ، مع انه وعمر المسلك ، صعب الصعود ، ودخل من النقب
 الذي عشعش عليه العنكبوت ، وفرخ فيه الحمام ، كما دخل النبي (ص) منه
 الى الغار ، وهو المحل المأثور الذي اختفى النبي (ص) فيه هو وأبو بكر
 رضي الله عنه ، وتبعها المشركون الى هذا النقب ، فرأوا عش الحمام ، ونسج
 العنكبوت ، وصددهم الله تعالى عن نبيه (ص) وعن صاحبه في الغار ، بذلك
 السبب الضعيف ، اظهراً لكمال قدرته تعالى ، وفيه يقول صاحب البردة
 رحمه الله تعالى . شعر :

وما حوى الغار من خير ومن كرم وكل طرف من الكفار عنه عمي
 فالصدق في الغار، والصديق لم يريا وهم يقولون : ما بالغار من إرم
 ظنوا الحمام، وظنوا العنكبوت علي خير البرية لم تنسج ولم تحم
 وقاية الله اغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عال من الأطم

وعند العوام أن ولد الحلال يدخل من هذا النقب ، وأما ولد الزنا يشتبك
 فيه ، وليس لذلك أصل ، وإنما يحتاج الداخل الى دربة ، فانه اذا انبطح على
 وجهه ليدخل صادمه أمامه حجر نائي يمنع صدره عن الولوج ، فيشتبك لعدم
 لباقتة وظرفه ، فاذا مال الى جهة اليسار وجد سعة وولج بسهولة من غير تعب ،
 وقد اشتبك فيه في عصرنا وقبل ذلك ناس كثيرون ، يطلب لهم الحجارون
 في مكة ، فيكسرون عنه ليتسع الخرق ، ويخلص بذلك ، ولأجل ذلك
 لا يجسر كل أحد على الدخول منه إلا قليل من الناس ، ثم عاد حضرة الوزير
 من زيارة جبل ثور ، وهو في غاية النشاط ، مع طول الطريق ووعورته
 وصعوبته ، وتعب بقية الأمراء والعسكر من الصعود والهبوط ، وحصل ثواب
 الزيارة والله الحمد .

ثم ان حضرة الوزير لا زال يتبع المزارات المأثورة ، والمشاهد المعروفة
 المشهورة ، ويتصدق على الفقراء ، ويحسن إلى الكبراء ، ويخرج في الليل

فيطوف بالبيت الشريف ، ويحسن إلى من يجده من الفقير والضعيف ، ويخفي الصدقة ، ويفعل المعروف ، إلى أن جاءت أيام الحج ، وكان أول ذي الحجة يوم الخميس بإكمال ذي القعدة ثلاثين ، وصادف الوقفة الشريفة يوم الجمعة ، وذلك من كمال سعادة حضرة الوزير ، وحسن نيته وخلوصها ، إذ يسر الله تعالى له الحج الأكبر ، وكان ذلك موافقاً لحجة النبي ﷺ في حجة الوداع ، وهي آخر حجاته ﷺ فكان أفضل الحج ، وقد ورد في ذلك من الآثار ما هو محرر في موضعه .

وكان أمير الحاج المصري افتخار الامراء ، وواسطة عقد الكبراء ، مراد بك ، كتخددا المرحوم محمود باشا ، وكان دخوله إلى مكة بالركب المصري في يوم السبت ، ثالث ذي الحجة ، ولاقاه السادة الاشراف إلى سبيل الجوخي ، على المعتاد ، وضرب أوطاقه بالمعلاة ، ولم ينزل مدرسة قايتباي على عادته ، لأن حضرة الوزير كان نازلاً بها ، ودخل بعده أمير الحاج الياني ، ووصل معه بقية أثقال حضرة الوزير ، وبعض خيله وأسبابه ، ثم دخل أمير الحاج الركب الشامي حضرة رضوان باشا بن مصطفى باشا وتأخر عن المعتاد لحصول بعض المطر والسيول في الطريق ، صده عن سيره المعتاد ، فدخل مكة يوم صعود الناس إلى عرفات وهو يوم الخميس ، ثامن ذي الحجة ، ونزل في منى ، علي وجه السنة ، وصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح ، ولم يترك هذه السنة ، وأحيائها ، وكان ذلك سبباً لأن أحياء هذه السنة كثير من الناس ، بعد أن كانت متروكة منذ زمان مديد ، ثم توجه إلى عرفات ، ونزل بها ، ومد سماتاً كبيراً للفقراء والأكابر ، وجمع بين الظهر والعصر بمسجد نمرة ، ثم عاد ووقف في ذيل جبل الرحمة ، ودعا وتضرع إلى الله تعالى ، وبكى وأبكى الواقفين بذلك المحل الشريف ، وتواضع لله تعالى ، ومرغ وجهه في التراب بين يدي خالقه جل وعلا ، ودعا هو وجميع الواقفين بذلك الموقف العظيم ، بدوام دولة السلطان الأعظم ، والخانان الأفخم الآكرم ، سلطان سلاطين العرب والعجم ، ملك البرين والبحرين ،

سلطان الروم والعراقيين ، خادم الحرمين الشريفين ، السلطان سليم خان بن سليمان خان ، خلد الله تعالى سلطانه مدى الزمان ، وأبقى ملكه ما سار النيران .

فلما أفاض الإمام أفاض معه الناس ، وكان إمام الموقف الشريف يومئذ المرحوم المغفور له مولانا محي الدين محمد بن خضر شاه بن محمد بن حاجي حسن أفندي القاضي بمكة المشرفة المتوفي بها سنة تسع وسبعين وتسعمائة ، أسكنه الله تعالى أعلى عليين ، وجعله من عتقاء هذا البلد الأمين .

ثم وصل إلى مزدلفة فبات بها بعد أن جمع بين المغرب والعشاء فيها ، وعمل بقوله تعالى : (فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام) وبات يجمع ، واستغفر الله من المظالم والآثام ، وطلب من الحي القيوم غفران الذنوب وارضاء الأخصام ، وقد وعد النبي ﷺ أمته أن يتجاوز الله عن مظالم العباد ، ممن وقف متضرعاً إلى الله تعالى في هذا المقام ، ويرضى الله تعالى خصومه بالاحسان والانعام ، فيتجاوزون عن ظلمهم باذن الملك العلام .

ثم أفاض حضرة الوزير ومن معه مع سائر الحجاج إلى منى ، ونزل قرب مسجد الخيف ، ورمى جرة العقبة بسبع حصيات ، قطع التلبية بأولاهها ، وهو يكبر لكل حصاة ، وذبح نحو المائتين من الهدى ، ما بين الغنم والأبل ، وانهبها الفقراء وأباحها لهم ، وكانت سنة محل وقحط ، فارتفق الفقراء بذلك كثيراً وتوسعوا ، ودعوا له بالقبول ، ثم حلق وحلّ من احراميه التحليل الأول ، وكان قارناً كما تقدم ، والقران أفضل ، عند علمائنا - رضي الله عنهم - من التمتع والأفراد .

ثم أفاض إلى مكة ، فطاف طواف الافاضة ، وهو طواف الحج ، وبه يحصل التحلل الثاني ، وهو قربان النساء ، وسمى وعاد إلى منى ، وأقام بها يومين يرمي فيها الجمار الثلاث ، من بعد الظهر ، يرمي الجرة الأولى وهي التي تلي مسجد الخيف ، ثم الثانية ، ثم جرة العقبة كل جرة بسبع حصيات .

ثم تمجّل ، ونفر مع نفر الأول الى مكة ، ونزل بالمحصب ، كما هو السنة .
ثم دخل الى الطواف وطاف للصدر ، ثم عاد إلى أوطاقه ، وهو لا يخلو
من البر والصدقات ، وبذل أنواع الخيرات ، واطعام الطعام للفقراء ،
وكسوتهم ، وبذل النفود لكثير من الفقراء بالحفية ، وكانت أيامه طاعات ،
وأوقاته مستغرقة في العبادات .

ومن جملة الخيرات التي فعلها بمكة انه بنى حول المطاف الشريف ،
وفرشه بالحجر المنحوت ، مثل فرش المطاف ، وكان هذا المحل ميمزاً عن باقي
المسجد بافريز دائر عليه من الطرف إلى الطرف ، وباطن الافريز إلى المطاف
نحو ثلاثة أذرع كان مفروشاً بالحصى الصغار ، كباقي المسجد ، وفرشه بالحجر
المنحوت مثل المطاف ، وانتفع المصلون بالصلاة فيه للامسته وحسنه بالنسبة
الى باقي المسجد ، فصار مثل المطاف الشريف ، إلا أن بينه وبين المطاف
افريز آخر ، فيه وضع الأساطين النحاس ، التي تعلق فيما بينها القناديل حول
المطاف .

ومن آثاره الجميلة أيضاً البئر التي جدها بالتنعم للمعتمرين ، ولأهل
القوافل ، التي تمر بها من كل جهة ، فصاروا يشربون من هذه البئر ، ويستقون ،
ويملاون قريهم وأوانيهم من ذلك الماء العذب ، وتضاعف الدعاء من المعتمرين
والحجاج وأهل القوافل ، والمارين بالتنعم ، لحضرة الوزير ، كنب الله له ثواب
ذلك في صحائفه الكريمة .

ومن آثاره أيضاً رُبعة عيّن لها ليقرأ له بطول السنة ثلاثون نفساً من أهل
القرآن ، كل نفر في كل يوم جزءاً من القرآن العظيم ، ويختمون ختمة قرآنية
في كل يوم ، يهدون ثوابها في صحائفه الكريمة ، ورتب لكل شخص تسعة
دنانير ذهباً ، في كل عام ، ورتب مثل ذلك في المدينة الشريفة على ساكنها
أفضل الصلاة والسلام .

وله غير ذلك من الخيرات في طريق المدينة الشريفة من حفر آبار ، في المقاطع والمعاطش ، وإحسان على الفقراء ، ومرتببات ووظائف ومعالم ، وغير ذلك ، وقرر لكثير من أعيان الفقهاء والعلماء وظائف في ديوان السلطنة الشريفة ، نصرها الله تعالى ، بحيث لم يعهد أحدٌ قبله من السلاطين والوزراء ، فعل مثل هذه الخيرات والمآثر التي صدرت منه ، والله تعالى يجزيه خيراً على إحسانه ، ويسبغ عليه سبحانه فضله وكرمه وامتنانه .

وفي يوم الجمعة سابع عشر ذي الحجة نزل حضرة الوزير من مخيمه بالأبطح ، وضرب خيامه في سبيل الجوخي ، وصلى الجمعة ، وتوجه بعد أن وادع البيت الشريف ، وقام في الملتزم قيام الخائف الضعيف ، وبكى فأبكى العيون لفراقه ، وأظهر شدة كآبته على ذلك واحتراقه ، وتضرع إلى الله تعالى في القبول ، واعترف بين يدي خالقه بالعجز والقصور ، وتصدق كثيراً ، ومشى القهقري إلى أن خرج من باب الحزورة ، وركب إلى مخيمه ، وهو يتصدق يميناً وشمالاً ، فلما أمسى عليه الليل ذهب إلى التنعيم ، وأحرم بعمرة مفردة ، وأتى إلى أن طاف بالبيت ، وسمى وحلق ، ثم دخل المسجد الحرام ، وأعاد طواف الوداع ليلاً ، محتفياً عن الناس ، واختلى ببيت ربه ، وتضرع إليه ، وعدد إحسانه عليه ، واعترف بتقصيره بين يديه ، وعاد إلى مخيمه ، ثم توجه مصحوباً بسلامة الله تعالى إلى زيارة رسوله ﷺ ، ثم إلى مصر ، كتب الله سلامته (١) ، وضاعف عزه ونصره وسعادته .



(١) هنا ينتهي كتاب « الفتوحات » وبعده : (وكان الفراغ من كتابة الأصل الذي نقل منه هذه النسخة في مستهل رمضان الشريف ، سنة احدى وثمانين وتسعمائة ، بمكة المشرفة ... الخ) وانظر المقدمة .

الخاتمة

في توجهه حضرة الوزير الى ايلالة مصر ، ثم الى الباب
العالي وزيراً ، ثم توجهه الى فتح تونس ، وجهاد
النصارى ، وأخذ حلق الواد ، وعوده
مظفراً منصوراً وفيها خمسة
فصول

الفصل الاول

في توجه حضرة الوزير الى مصر ، بقصد الوصول الى الاعتبار
الشريفة السلطانية ، وملاقاته في أثناء الطريق الاوامر النافذة الخاقانية ،
متضمنة شكر صنيعه في فتح اليمن ، وإعطائه ايالة مصر
في مقابلة ما لافاه من المحن والاحن

لما شرع في المسير حضرة الوزير الى جهة مصر ونعم المصير ، ليسير منها
الى الباب العالي ، وشمر أذيال عزمه الى هذا القصد السامي ، فبينما هو في
أثناء الطريق ، وهو مشمول من الله تعالى بحسن التوفيق ، إذ وصل إليه
جاووش من الباب المستطاب ، على يده مراسم شريفة سامية الخطاب ، وخلع
فاخرة تهتز لها كواهل الاعجاب ، وتضمن الشكر والرضا ، من الحضرات
الشريفة السلطانية ، والمواقفة العملية الخاقانية ، عن ذلك الوزير المعظم ،
والمشير الكبير المفخم ، في سعيه المبرور ، وجدته وإقدامه المشكور ، وان
المراحم الشريفة السلطانية ، والعواطف الكريمة الخاقانية السليمة العثمانية ،
أنعمت عليه بايالة مصر ، حميت عن المخاوف والأصر ، وان حضرة الوزير
يطوي شقة المسير ، وينشر محروسة مصر لواء المعدلة ويلقي بها عصا التسيير ،
ويستريح بها بعد ذلك من التعب الكثير ، ويشتم أنفاس الراحة من نسيم
روضها النضير ، فامتثل حضرة الوزير ذلك الامر الشريف الخطير ، إذعاناً

لأوامر السلطنة الشريفة ، وانقياداً واستسلاماً لأحكامها النافذة المنيفة ، وكان أحب إليه أن يقدم على السدة الشريفة السلطانية ، ويفوز بلثم اعتبارها العلية الخاقانية ، ويذكر بلسانه شفاهاً أحوال تلك البلاد الشاسعة ، ويبين خفيات المصالح والمفاسد الجارية بتلك الأقطار الواسعة ، فليس الخبر كالعيان ، ولا يجوز بيان البنان ما يقرر لسان السنان بسنان اللسان ، فلما لم يتيسر له ذلك اكتفى بالكتاب عن الخطاب ، وعرض ما يجب عرضه على الباب ، وأعاد الجواب ، وتلقاه بالاستقبال من مصر أكابرها وأعيانها ، وأمرائها وكبرائها وأركانها ، وفرح أهل مصر بولايته عليهم ، لما يعهدون من حسن انشائه الشريف إليهم ، ولمعرفته أحوال مصر لسبق إيالته عليهم .

فلما وصل الى مصر شرع في تعمير البلاد ، وتأمين العباد ، واستجلاب خواطر الحاضر والباد ، ودفع مواد البغي والعناد ، وقطع جادة أهل الفساد ، وإكرام العلماء والاحسان إليهم ، واللمطف بهم والحنو والعطف عليهم ، وجبر خواطرهم وقضاء حوائجهم ، وتقوية الضعفاء من الفلاحين والرعايا ، وجذب قلوب كافة البرايا ، إلى أن كادت تعمر مصر بعد خرابها وتدميرها ، ودب فيها ماء الحياة وانتعشت بعمد سوء مصيرها . وأرسل جرايات أهل الحرمين الشريفين ودشائشهم ، وأحسن إليهم بالتقارير والوظائف ووسع معاشهم ، وفاض إحسانه على الخاص والعام ، وشملهم بالفضل والكرم والانععام ، واستجلب قلوبهم للدعاء بدوام دولة سلطان الاسلام ، ظل الله في الأنام ، خلد الله تعالى ظلال سلطنته على الدوام ، وشيد اركان خلافته وعقبه ونسله الى يوم القيام .

وأنشأ عمائر جليلة حسنة ، وأبنية عالية متقنة ، وأوقفها في وجوه الخيرات ، وجعلها صدقة جارية بعده على جهات الخيرات والمبرات .

ومن محاسن آثاره حفر الخليج ، الذاهب إلى الاسكندرية ، فإنه امتلأ بالتراب ، وصار الماء لا يجري فيه إلى الاسكندرية لاستيلاء الخراب ، فنظفه

وحفره ، وبناه وعمره ، فعاد إلى أحسن مما كان ، وجرى فيه الماء كسائر
الخلجان ، وكان الاحتياج إلى حفره وتعميره شديداً ، وكان ذلك رأياً صائباً
وفكراً سديداً ، وانتفع أهل الاسكندرية بذلك غاية الانتفاع ، وعمر
بسبب ذلك كثير من الأراضي والبقاع ، وصار ثواب ذلك جميعه في صحائفه
الشريفة مسطوراً ، ولواء الشكر والثناء عليه من الناس والله الحمد منثوراً ،
ولا شك أن الله تعالى أعطاه الحكمة في تصرفاته ، ومن يُؤتَ الحكمة فقد
أوتي خيراً كثيراً .

واستمر حاكماً متصرفاً في تحت يوسف الصديق عليه السلام ، باذلاً للكرم
ناشراً للعدل بحسب الامكان بين الأنام ، مشكور السيرة ، محمود السريرة بين
الخاص والعام ، إلى أن اشتاقت السلطنة الشريفة إلى مشاهدته ، وحلولة
بالسدة العلية لمشاركة أمور الملك ومساعدته ، فطلب إلى الباب العالي بغاية
التعظيم والتكريم .

فتوجه برأ في أوائل عام ثمانين وتسعمائة وخرجت لوداعه أكابر مصر
وأمرائها وعلماؤها إلى الصالحية ، ومنهم من وصل معه إلى قطية ، وعزم إلى
الأبواب الشريفة السلطانية ، مصحوباً بالسعادة والسلامة ، في السفر والاقامة ،
وعاد أهل مصر إليها إلى أن ورد عليهم المتولي الجديد لمصر ، وهو أمير
الأمراء الكرام حسين باشا ، أحسن الله تعالى أحواله ، وبلغه آماله ، إن شاء
الله تعالى .



الفصل الثاني

في وصول حضرة الوزير المذكور بالسلامة الى الأبواب ،
وتعظيم السلطنة الشريفة له ، وتأهيله للذيد الخطاب ،
وابقائه على منصب الوزارة الشريفة ، مع الترقيات العظيمة المنيفة

لما يسر الله تعالى لحضرة الوزير المذكور طي المسافة ، من غير مس آفة ،
وفرى أديم الفبرا ، وشق شقة الثرى ، من غير مشقة ولا مخافة ،
(بيت) :

إذا اعتاد الفقى خوض المنايا فأهون ما تمر به الوحول
صار يطوي البيد والفجاج ، ويقطع المهامه بالسرى والادلاج ، ما بين
هياج وغياض ، ورياض وحياض ، وجبال تناغي كوكب الجوزاء ، وآجام
تواري وجه الأرض عن عين السماء ، وقرى وبلدان ، وضياع وعمران ، فكان
ذلك أحلى من حلاوة اللوزينج ، في صحون الفيروزج ، بالنسبة إلى ما قاسوه من
أهوال اليمن وهرجه ومرجه الأوهج ، فسلكه أتباع حضرة الوزير سلوكاً
رضيا ، وجنوا من رياض جناته ورداً جنيا ، وزهراً طريا ، وافترشوا من
نسج ربيعه فراشاً عبقريا ، الى أن لاحت لهم 'غرة' قسطنطينية العظمى ،
وأشرفوا من (اسكودر) على السراي العالى السلطاني الأسمى ،
فخضعت الأعناق لذلك المرأى المدهش ، وانتعشت النفوس بذلك
المنظر الشريف المنعش ، وأقبل كبراء اصطنبول وعظماؤها ، ومواليها

وأمرأؤها ، إلى ملاقاته حضرة الوزير ، وتهنئته بالسلامة بأذن الله
القدير ، وتقدمت كواخي الوزراء ، ودفتر دارية الباب العالي إلى
(اسكودر) برسم الاستقبال ، وقدموا إليه من الضيافات والتقدم
ما يقصر عن حصره لسان المقال ، وقدم إلى اصطنبول بغاية التعظيم
والاجلال ، وحفسته في قدومه الدولة ، وساعدته السعادة ، وأقبل عليه
الاقبال ، واجتمع بالسند الأعظم ، والصدر الأفخم الأكرم ، ملاذ كبراء
وزراء سلاطين العالم ، أعدل وزير أحيى العدل وأنعشه انعاشاً وانكر
المظالم ، فان ذكرت في أمامه قال : كلا وحاشا ، حضرة الوزير المعظم ، محمد
باشا ، أنعم الله به تعالى للبرية معاشاً ، وانتعشت الرعية بحسن معدلته انعاشاً ،
فرأى منه الجبر والخير ، واللطف الكثير ، وقر عين كل منها بروية الآخر ،
مع الاقبال الكبير ، وجاءه بقية الوزراء للسلام عليه ، وحصل له كال التعظيم
والاجلال باقبالهم اليه ، وهرعت الناس اليه من الأركان والأعيان ، ولم
يتخلف عنه أحد من عظماء الشأن ، ودخل بالأذن الشريف السلطاني ، إلى
السراي العالي المعظم الخاقاني ، وتشرف بلم قوائم سرير الملك العثماني ، ونال
بهذا الشرف غاية المرام ، ونهاية الأمان ، وخاطبته لسان السلطنة الشريفة
بالترحيب والاجلال ، وتاجته الحضرة الشريفة السلطانية بحسن الالتفات
الشريف ويمن الاقبال ، وشكرت حسن صنيعه ، وصدق خدمته ، في افتتاح
ممالك اليمن ، وما قاساه من الأهوال ، وأفرغ على كاهله خلع الرضا والتشريف ،
فقبل الأرض ورجع القهقري ، إلى صوب الباب الشريف ، وتلقته جاوشية
الباب العالي ، والقايحية والخدام ، والنوبتجية والموالي ، وأوصلوه إلى دار
سعادته بالتبجيل والاكرام ، ووقفوا بين يديه ، صفوفاً للتعظيم والاحترام ،
فانعم عليهم جزيل الانعام ، ونثر عليهم الذهب والفضة والنعم الجسام ،
وذهب كل حامداً شاكراً ، محصل المرام .

ثم استأذن أيده الله تعالى ، وضاعف نعمه عليه ووالى ، في أن يقدم إلى
الحضرة الشريفة السلطانية هدايا ، ويهدي تحفه التي ادخرها لهذا اليوم

وخباياه ، فبرز الاذن الشريف السلطاني له بالتقديم ، وعرض ذلك على النظر الشريف الخاقاني الكريم ، فقدم بين يدي الحضرة الشريفة السلطانية تقدمته ، وأهدى إلى سرير السلطنة العلية الخاقانية هديته ، وأبرز من التحف ، واللطائف ، ونفائس الذخائر والطرائف ، والخيول المسومة ، والسروج ، واللجم المرصعة ، والركب المجوهرة ، والسيوف المسقطة ، والرماح المكلمة ، والجواهر النفيسة ، وصنوف السراسر والديباج والزرياف ، والممالك والخدام ، من سائر الأصناف ، ما بهر العيون ، وأدهش العقول والظنون ، ومن تحف الهند وطرف اليمن والأنجاد ، وظرف مصر وسائر البلاد ، ما لا يحصره العاد ، ولا يحيط به القلم والمداد ، فقبول جميع ذلك بالقبول ، وشمل بالنظر الشريف الخاقاني أكرم شمول ، وخلع أنواع ملابس التشريف ، على من حمل ذلك إلى الباب الشريف ، وصار له ذكر أطيب من المسك والعنبر ، ونشر أذكى من نشر العود وأعطر ، وهادى كلاً من الوزراء العظام ، والبكربكية الكبراء الفخام ، والدفتردارية وأغوات البلوكات ، وأعيان الأصباية والشاورشية والمتفرقات ، الى أن عم بره وإحسانه العميم ، أكثر من في ذلك الباب الكريم ، واشتهر بالكرم والجود ، وأنسى بفعله الم محمود ما سبقه به المرحوم محمود ، وأمر من جانب السلطنة الشريفة بالجلوس في الديوان السلطاني مع الوزراء ، وأنعم عليه باستمرار وظيفة الوزارة ، وعوائدها ورسومها مع الوزراء الكبراء ، وصار مشاركاً اليه في المهمات ، مستشاراً مؤتمناً في أمور مصر ، والحرمين الشريفين ، وممالك اليمن ، وتلك الجهات ، يستضاء بأنوار رأيه الصائب ، ويعمل بما يشير به فكره السيد الثاقب ، وقد دفع من المظالم المظلمة ما لا يحصى ، ورفع من الخطوب المدلهمة ما أكسب الدولة الشريفة كمالاً وأزال نقصاً ، وأحسن إلى العام والخاص ، وخص بكرامته كثيراً من أهل الاختصاص ، وقرر كثيراً من المرتبات لأهل الحرمين الشريفين ، ونفعهم في جراياتهم ودشائشهم ، وصرفهم ومرتباتهم ، وبسط في ذلك كلتا اليدين ، طلباً للمثوبات العظمى من الله الكريم ، (يوم لا ينفع مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم) .

الفصل الثالث

في توجهه الى الغزو والجهاد ،

على طائفة النصارى باقليم تونس وما والاها من البلاد

وقع في حدود سنة إحدى وثمانين وتسعمائة حركة من طائفة النصارى الافرنج دمرهم الله تعالى ، وخذلهم ، وزادهم خزيا ووبالا ، فعاثوا في بحر الروم ، ما بين جزيرة رودس والاسكندرية ، وما حول تلك المراسي بالسواحل البحرية ، فصاروا يأخذون من المسلمين كل سفينة غصبا ، ويأسرونهم وينهبون ما يجدون من أموالهم سلبا ونهباً ، الى أن تعدى ضررهم على طوائف أهل الاسلام ، وزاد فساد عبادة الصليب على ضعفاء المسلمين من الأنام ، وأخرج (أصبانيا) الملعون جيشاً كثيفاً من النصارى ، جزمهم للفساد في الارض عناداً واستكباراً ، فوالس منهم السلطان أحمد بن حسن الحفصي صاحب تونس ، وطلبهم لأخذها من عساكر الروم المسلمين في تونس ، فصارت توحش الأبصار ولا تؤنس ، فأخذوها بالغلبة والقهر ، والاستيلاء والجبر ، وسبوا النساء والأطفال ، وقتلوا الرجال والأبطال ، وباء مولاي احمد بإثمه ، وسود الناس في صحائف الأيام ديباجة وجهه واسمه ، وانقلب خاسراً مدحوراً ، وانخلع عن ربة الدين وازداد كفوراً ، ونفرت قلوب الخلق عنه نفوراً ، حيث استعان بملة الكفر على الاسلام ، واستدعى عبدة الصليب والأصنام ، وامتهن ديار

تونس باقدام الكفرة اللثام، فوصلت هذه الأخبار الموحشة ، والأنباء المدهشة ،
إلى مسامع سلطان سلاطين الاسلام ، ظل الله على مفارق الأنام ، خليفة
الله في بلاده ، وظله الظليل على كافة عباداه ، رفيع ذرى المجد والغارب ،
ملك الملوك في مشارق الأرض والمغرب ، صاحب الأمانة العظمى ، والسلطان
الباهر ، وارث الخلافة الكبرى كبراً عن كابر ، واسطة عقد ملوك بني عثمان ،
الخصوص من الله تعالى بشمول الرحمة والغفران ، السلطان سليم خان بن سليمان
خان سقى عهده الله صوب الرحمة والرضوان ، وأبقى الملك في عقبه إلى انتهاء
الزمان ، فلما طرق سمع المرحوم ما وقع لأهل الاسلام ، من هذه المصائب
العظام ، والامتهان الذي أحزن القلب وأوهن العظام ، اشتاط سخطاً
وغضباً ، وتأججت نار حميته واضرمت لها ، وقام لنصرة دين الله قياماً
عجبا ، وحمى ملة الاسلام وسل لذلك سيوفاً وقضباً ، وخاطب وزراءه
العظام ، وبكلاربيكته الكبراء الفخام ، بتجريد العساكر المنصورة لنصره
الاسلام ، ولإذلال عباد الصليب من الكفرة اللثام ، ولاستنقاذ من
استؤسر من المسلمين بيد أولئك الكفرة الطغام ، فبادر الوزير المعظم ،
والليث الكابيز الغشمشم ، صاحب السيف القلم ، فاتح مالِك اليمن الأمين
المكرم ، أبو الفتوحات ، حضرة سنان باشا المعظم ، لا زالت ألوية نصره
منشورة الذوائب ، مشرقة كالشمس ينعش ضوءها المشارق والمغرب ، صاعدة
إلى أفق السماء حتى تراحم مناكب الكواكب ، وقال : أنا لسد هذه الخلة ،
أنا لها ، افرج كربتها ، وأفتح مقفلها ، واصلح خللها ، وأقم عوجها ،
وأركب ثبجها ، والحضرة الشريفة السلطانية لأي يوم تدخرنا ، ولأي ساعة
تؤخرنا. فقابلته الحضرة الشريفة السلطانية بالشكر منه والثناء عليه ، وشرفته
بحسن الالتفات الكريم اليه ، ولقب سردار العساكر السلطانية ، وأفرغ على
كاهله تشاريف الخلع الفاخرة السنية ، واذن له في أخذ الأهبة والاستعداد ،
وتحصيل أسباب السفر وآلات الجهاد ، فبرز من الديوان العالي وهو
ملوء سروراً ، محشو من فرقه إلى قدميه بهجة وحبوراً ، وأخذ

في تهيئة السفر ، وأخذ معه من ليوثة كل أسد غضنفر ، وكل باسل
 معقود بناصيته النصر والظفر ، وأمرته الحضرة الشريفة السلطانية ، أجرى
 الله تعالى في الخافقين أحكامها النافذة الخاقانية ، أن يكون معه تحت إيلته ،
 لمساعدته ومعاونته ودفع ملالته ، وضبط العساكر البحرية ، وأعمال المدافع
 والمكاحل الحربية ، قابودان الباب العالي ، ناشر رايات المكارم والمعالي ،
 أمير الأمراء العظام ، كبير الكبراء الفخام ، الصارم الصمصام ، الأسد
 الضرغام ، البكلاربيكي المعظم المفخم ، حضرة قلعج باشا علي باشا المكرم ،
 لازال مؤيداً منصوراً ، ولا برح سيفه صارماً مشهوراً ، ومن الأبطال
 المشهورين والشجعان المخبورين ، ممن له في حرب البحر يد بيضاء آية للناظرين ،
 وقد تقدمت له عدة حروب انتصر فيها على النصارى ، والله خير الناصرين .

وبرزت الأوامر الشريفة السلطانية بتجهيز مائتي غراب ، وعدة من
 المؤونات الكبار ، لحمل الأثقال والأسباب ، وملأها من العسكر المنصور ،
 والمدافع الكبار لفتح الثغور ، وهدم السور ، والجسور ، وآلات الحرب
 والجهاد ، وما يحتاج اليه من المؤن والأزواد ، وتقدم إلى الركوب في تلك
 السفائن حضرة الوزير الأعظم سنان ، وحضرة أمير الأمراء القبودان ، وقد
 حضرة الوزير الأعظم ، خلد الله تعالى ظلال وزارته العظمى ، وجميع
 الوزراء ، وأركان الدولة الكبرى ، وكان يوماً عظيماً مشهوداً ، وساعة مباركة
 أظهرت يمناً وبركة وسعوداً ، وكان جمعاً مباركاً مسعوداً ، وجنوداً مؤيدة
 من عند الله تأييداً ، وفرساناً يعدون فيعدون ليوثاً وأسوداً ، وبدأ مردار
 بمساركه نصره الله تعالى بملائكته الكرام ، وهو يتدفق تدفق الغمام ،
 ويستبق هو والسهام ، فأبى صدر ما تزحزح عند رؤيته ، وأي قدر ما
 تضائل عند مشاهدة عظمته ، وأي بدر ما غاب ، وأي شمس ما توارى
 ضياؤها بحجاب ، ويا لله العجب كيف ما نزحت البحار ، عند عبور هذا
 الجيش الكرار ، فحصل الوداع عند السفر المسفر السعيد ، المشعر بالعود صريعاً
 مع الظفر والتأييد ، وعاد حضرة الوزير الأعظم ، وبقية الوزراء العظام ،

وأركان الدولة الشريفة والأمراء الكرام، ودعوا حين ودّعوا بالنصر والظفر،
واستبشروا بحصول البشر والبشر، وركب حضرة الوزير المعظم سنان باشا،
وحضرة علي باشا القبودان، وجميع العسكر المنصور بتأييد الله الملك الديان،
وطارت بهم الأغرابة على وجه البحر أقوى طيران، ومضوا مصحوبين
بسلامة الله تعالى لنصرة أهل الايمان .

وكان ركوبه الشريف في اليوم الثامن والعشرين من محرم الحرام، افتتاح
شهور سنة اثنين وثمانين وتسعمائة .



الفصل الرابع

في افتتاح البلاد والبقاع ، وأخذ الحصون والقلاع ، وانتصار عساكر
الاسلام ، وانكسار جيوش النصرى اللثام ، وتمزيقهم كل ممزق
بالسنان والحسام

قدر الله السميع العليم بقضائه وقدره ، وهو العزيز الحكيم ، ان بكلاربيكي
طرابلس المغرب من قبل السلطنة الشريفة ، أمير الأمراء العظام ، الأسد
الباسل الضرغام ، والسيف الصارم الصمصام ، دلو مصطفى باشا ، أدام الله
تعالى نصرته ، وخذل رفعتة وعزته ، لما بلغه ما وقع في تونس من الاختلال ،
والحرب والأسر والقتال ، جيش جيشاً كثيفاً ، وعسكراً نقاوة للحرب
نظيفاً ، وتوجه بهم إلى بلاد تونس ، وهو يحث الركاب حثاً ، يطلق نحوها
الأعنة ولا يجبس ، فصادف في برها السلطان أحمد بن حسن الحفصي ، صاحب
تونس ، في زهاء أربعة آلاف مقاتل ، وهم غارون آمنون ، جالسون في
صدور المحافل ، فأغار عليهم دلو مصطفى باشا ، وغار غيرة الله والاسلام ، وحمل
عليهم حملة أسد ضيفم ضرغام ، وكر عليهم كرة بعد كرة ، وضرب بحدود
سيفه مرة بعد مرة ، إلى أن قتل أحمد الحفصي ، قتلة شنيعة ، وضاعت عليه
الأرض الرحبة الوسيعة ، ونقل من المُلْك إلى الهلك ، وانطوى أمره والله
الملك ، وقتل أكثر عساكره ، وتمزق باقيهم في السهل والوعر ومحاجره ،

وقدم حضرة الوزير إلى بلاد تونس وبرها وبجرها ، وافتتحها بجد السيوف ونحرها ، وقتل من وجد بها من النصارى ، وأسر باقيهم وما وجدوا من دون الله أنصاراً ، وضبط البلاد ، وأحكم الجهاد ، ونشر العدل بين العباد ، يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، وخذل الباغون والمشركين وباؤوا بغضب الله .

وكان هذا الفتح المبارك بعد بروز حضرة الوزير المعظم سنان باشا من الباب العالي ، بعد وصوله إلى بلاد تونس ، وما يقاربها من البلاد ويوالي ، فلما حصل خبر هذا الفتح العظيم ، وأنعم الله بهذا الفضل العميم ، بادر بارسال بشارة هذا الخبر إلى الباب العالي من ساعته بلا تعويق ، ففرحت الحضرة السلطانية بهذا الخبر السار ، وعم جميع أركان الدولة الشريفة السلطانية ، وكافة المسلمين بشائر البشر والاستبشار ، وتوجه حضرة الوزير المعظم إلى حصن حصين للكفار ، قريب من ، تونس جزيرة في البحر الزخار ، وهو محل مجتمعهم وامنهم ، وأقوى القلاع التي اتخذها الكفرة لحصنهم ، في محل يقال له حلق الواد ، تتسلط منه النصارى على ما هنالك من المسلمين من البلاد ، يجتمع فيه عددهم وعددهم ، ويتوصل اليهم فيه من جميع طوائف النصارى خذلهم الله تعالى مدمهم ، اتخذوه مقراً لجيوشهم الفجرة ، ومعقلاً حصيناً لطوائف النصارى الكفرة .

وكانوا شرعوا في بناء هذا الحصن سنة تسع وثلاثين وتسعمائة ، ولا زالوا يشيدونه في كل عام ، ويملاونه بآلات الحرب والمدافع العظام ، إلى أن صار لهم ملجأ وذخراً ، وموثلاً يأمنون فيه ويأخذون منهم حذراً ، ولقربهم من المسلمين يؤذونهم سراً وجهراً ، ويواصلون جيوشهم المردة إلى بلاد المسلمين برأً وبحراً ، فقصد حضرة الوزير تدمير هذا المكان المكين ، وتخریب هذا الحصن المنيع الحصين ، وقلع هذه القلعة من تخومها ، ومحو أعلامها من العالم ورسومها ، حتى لا تجد الكفار على المسلمين سبيلاً ، ولا يكون لهم محل يجتمعون فيه من البلاد الشاسعة قليلاً قليلاً ، فيخف أذاهم عن أهل الإسلام ،

وقامن أهل تونس وغيرها من شر أولئك الفجرة اللثام ، وهذا كان من أحسن الرأي الثاقب المصيب ، وأحكم التدابير الآخذة من الاصابة أوفر نصيب ، فحط بعسكره المنصور على حلق الواد ، وبرز المجاهدون في سبيل الله بآيات الجهاد ، ونصب على أبواب هذا الحصن المنجنيقات والمدافع ، ووجه اليه المكاحل الكبار والمصانع ، وبرز حضرة الوزير يخوض الاهوال محتسباً نفسه في سبيل الله ، معتمداً على نصر الله وعونه والقوة لله ، الذي تسجد لعظمته الجباه ، وأقدمت العساكر المنصورة السلطانية بصدق اعتقادها ، وفاتك جلاها ، وثبتت النصارى الكفرة بغلظ أكبادها ، وشدة أحقادها، وتراموا بالمدافع الكبار ، التي هي أقوى من الصواعق ، وأخطف للأبصار والأسماع من الرعود والبوارق ، تخطف ما صادفت من النفوس والارواح ، وتمزق ما صادمت من الصور والاشباح ، وتفكك اللحم عن العظم ، وتذيب الشحم وتسيل الدم ، وعساكر المسلمين مقدمون على هذه النيران ، وهم كالجبال ثباتا مع قوة الجنان ، لا يسأمون مصادمة الجمر ، ولا يباليون على أية جنبيه وقع الأمر ، لم يتأوه أحدهم والنار تحطمه عضواً عضواً ، ولم يجزع واحد منهم وجسده يخاط ويرقا رفواً ، لأنهم مقدمون على جنة الخلد وملك لا يبلى ، طالبون درجة الشهادة من الله العلي الاعلى .

ثم اشتد الوغا والكفار داخل السور متحصنون بحصنهم الشديد، والمسلمون خارج السور محيطون به إحاطة القلائد بالجيد ، متحصنون بحماية الله الحميد المجيد ، والارض تزلزلت من وقع المدافع ، وصواعق البنادق البواقع، والجبال تهتز كأنها تميد ، والاطواد كأنها تنشق وتحذف بأصلاد الجلاميد ، والمعركة من الهول تظن كأنها عراض المحشر ، وطبول الحرب ومزاميرها كنفخ الصور إذا أقبل أو أدبر ، وقد عقد مثار القساطل ، على رؤوس القبائل غمام تمطر بالنيران ، بروقها بريق المناصل ، ورعودها أصوات المكاحل والضربان ، وظلت المدافع تتهاوى كما تتهاوى لوامع الشهب ، وتترامى كما تترامى بوارق السحب ، الى أن صبغت الشمس فرش الأرض بلون الورس والزعفران ،

وبدأ الاصيل بلون ذهبي ينفض لونه على الأكوان ، وضرب الليل
يجرانه الى الارض ، ومالت أعين الزهر والزهير الى الانفتاح
والغمض ، ونثر النجم على البساط الأزرق وشاحه ، وأخذت النفوس والأرواح
تتوجه من الكدر والتعب إلى الراحة والاستراحة ، ومد سلطان النوم على
أعين القوم رواقه ، وهجموا هجمة نائم ، يخاف أن تغمض أحداقه ، كما قال
القائل :

ينام باحدى مقلتيه ويتقي باخرى الرزايا فهر يقظان نائم

إلى أن صافح الليل صباحه ، وانشق الفجر وكشف أوضاعه ، وانهمت
عساكر فوارس النجوم ، والليل ولى إلى طرف الغرب وهو مهزوم ، فعادت
العساكر السلطانية إلى تحمل أمسهم ، وبادروا إلى الجهاد في سبيل الله غير
مبالين بحتفهم ورمسهم ، واستمروا على هذا المنول في الجلال والجدال و
والحرب والقتال ، إلى ثلاثة وأربعين يوماً بعدد السنين التي أحكم فيها بناء
هذا الحصن الحصين ، الذي فاق على حصون الآفاق ، وذلك من غريب
الاتفاق ، فتوجهت عساكر الاسلام توجهاً خالصاً لوجه الله ، وحلوا حلة
واحدة بغاية التيقظ والانتباه ، وما بالى أحد منهم بموت ولا حياة ، وأيقنوا
أن لا مفر ولا محيص مما قضاه الله ، وهجموا على القلعة ودخلوها ، ومزقوا
الكفرة والفجرة وقتلوا ، وافتتحوا ذلك الحصن الحصين ، ونصر الله تعالى
طائفة المسلمين ، وكان اليد البيضاء في هذا الفتح المبين للعساكر المصريين الذين
جلبهم معه الوزير المعظم المكين ، بحيث استشهد منهم ثلاثمائة مقاتل عند
دخول الحصن ، وفتحه بحد السيف وطعن الدوابل ، فنصر الله المؤمنين ،
وخذل فرقة النصارى المشركين ، فوضع المسلمون السيف في عباد الصليب
والكفار الخذولين ، إلى أن قتلوا منهم بغير عد ولا حساب ، ونهبوا الأموال
وسلبوا ما أرادوا من الأسلاب ، وأسروا النساء والأطفال ، وغربلوا ما في
الحصن بالغربال ، وهدموه حجراً حجراً ، وتركوه خراباً لا أثراً ، وأعملت

المعاول في رأسه ، إلى يلغ العمل بها إلى أساسه ، فصار طللاً في الأطلال ،
ودمنة يلعب بها هبوب الصبا والشمال ، ولم يبق بها من الأنس والأنيس ، إلا
اليعافير وإلا العيس ، ولا يسمع في جوانبه صدى ، إلا من يوم أو صدى .

وقد من الله تعالى بهذا الفتح العظيم عقيب فتح تونس ، لما سل هذا
الوزير ، مدينة الحزم والتدبير ، على حلق الواد ففرى منه الأوردة والأوداج ،
واساغه سلسبيل الفرات العذب من الايمان بعد ماء الكفر الملح الاجاج ، على
يد هذا الوزير الكبير ، المعظم المشير ، مدبراً أمور الجماهير ، بثاقب الفكر
وصائب التدبير ، حضرة الوزير المعظم سنان باشا ، يسر الله له ما شاء ،
ونصره الله تعالى نصراً قريباً ، وفتح له فتحاً مبيناً (شعر) :

فتح الفتوح المعلى لن يحيط به نظم من الشعر ، أو نثر من الخطب
فتح تفتح أبواب السماء له وتبرز الأرض في أثوابها القشب

واعقب الله ذلك فتحاً آخر ، هو ثالث الفتوح ، أهلك الله به عباد
المسيح ، ولُبَّاس المسوح ، وهو ان (أصبانيا) اللعين ، وجنوده المردة الملاعين ،
جمعوا مائة غراب مشحونة بالسلاح ، وأهل القتال ، بالمدافع والمكاحل
الثقال ، وما يقدرون عليه من آلات الحرب والابطال ، وأرسلهم لنصرة
النصارى المتحصنين في حصن حلق الواد ، ليدركوهم بالاعانة والامداد ،
ويسفوهم بالأسلحة والازواد ، فصادفهم المسلمون بعد أخذ تلك البلاد ،
وخرجت عليهم العمارة السلطانية كأنها الأطواد ، وأحاطوا بأغربة الكفار
كإحاطة الأطواق بالأجياد ، فوقع بين الطائفتين على وجه البحر حرب
عظيم ، وتراموا بالمدافع الكبار كأنها نار الجحيم . وقاتل حضرة الوزير المعظم
هنالك أشد قتال ، ورمى بالمدافع الطوال ، كأنها صدع الجبال عند طارقة
الزلال ، تفاجيء بأعظم تهويل ، وترمي بججارة من سجيل ، وتزاحمت
السفائن بالسفائن ، وتواجهت الوجوه بالوجوه ما بين ضارب وطاعن .

وكان لحضرة القابودان قاج علي باشا المكرم يد بيضاء في نصر المسلمين ،

لقوة معرفته بالقتال في وجه البحر مع النصارى الملاعين ، ففرق في البحر
بضرب المدافع من أغربة النصارى ثلاثين غراباً ، وأسر منهم خمسون غراباً ،
بمن فيه من المقاتلة ، وهرب الباقون من النصارى لضعفهم عن المقاومة ،
ووهنهم عن المقابلة ، ونصر الله تعالى عساكر الاسلام ، وغنموا من النصارى
غنائم لا يحصرها الدفاتر والاقلام ، وآبوا فائزين بالمؤونات العظام ، والكرامات
المتعاقبة والانعام ، وجهزوا أخبار الفتح والظفر ، والبشائر العظيمة البشر ،
إلى الابواب الشريفة السلطانية ، والاعتاب الشريفة المنيفة الخاقانية ، لتعم
بشائرهم كافة بلاد الاسلام ، ويفرح المؤمنون بنصر الله والملائكة الكرام ،
فورد البشير كأنه الصبح الصادق ، ونشر على الخافقين رايات النصر والخوافق

(بيت) :

وكوكب الصبح نجابٌ على يده مخلق تملأ الدنيا بشائره



الفصل الخامس

في عود حضرة الوزير المعظم ، والقابودان المكرم المفخم ، بالعساكر المنصورة السلطانية ، الى الأبواب العلية الخاقانية ، محفوفين بنصر من الله وفتح قريب ، وبشر المؤمنين

لما قضى الوطر حضرة من أخذ ثأر المسلمين من الكفرة والمشركين ، وبلغ ما أراده من خيري الدنيا والدين ، وأرسل البشائر بما وقع له من الألفاظ الربانية ، والنصرة الالهية السبحانية ، إلى الأبواب الشريفة السلطانية ، والاعتاب المنيفة الخاقانية ، عاد بالعساكر المنصورة إلى الباب العالي السلطاني وقد أدى خدمته كما أمر بها من غير تكاسل ولا تواني ، فقبول بانواع القبول والتهاني ، وشمله النظر الشريف الخاقاني ، ونظرت اليه السلطنة الشريفة بعين القرب والتداني ، وحصلت له المرتبة العظمى ، والمكانة الكبرى ، وبلغ غاية الاماني ، وخرج الوزراء وأركان الدولة الشريفة لملاقاته ، وتلقوه بغاية التعظيم والتكريم في استقباله واکراماته .

وكان يوم دخوله إلى اصطنبول يوماً مشهوداً ، ووقت حلوله في منزله السعيد وقتاً مباركاً مسعوداً ، وازدحت الخلق على مشاهدة طلعه ، والتبرك برؤية وجهه الكريم وميمون عُقرته ، وصاروا يتبركون بالنظر إلى المجاهد في سبيل الله ، ويلتمسون البركة بطلب الدعاء منه ومن معه من طوائف الغزاة ،

المخلصين في الغزاة، والاسارى من النصارى تقاد بين يديه بالسلاسل والأغلال، مقرنين في الأصفاد، يسحبون على وجوههم بشديد النكال، وسفائنه وأغربته جاءت إلى الأصفال، مزينة مزخرفة بزخارف تبهج النظر، وصواريخها نصب عليها رايات الفرع وهي تخفق بالنصر والظفر، وإذا اطلقت المدافع زلزلت الأرض زلزالها، وأخرجت الأرض أثقالها، وصمت آذان الناس فلا تكاد تسمع مقالها، والعساكر المنصورة السلطانية تواردت صفوفاً بعد صفوف، وتعاطفت عائدة بالنصر والتأييد الوفاً بعد الوف، وكانت ساعة فرح وسرور، وحالة ابتهاج وبشاشة وحبور، والله الحمد على بلوغ المرام، والشكر له على ما تجدد من الفضل والانعام، وتحقق من نصره دين الاسلام على الكفرة المشركين اللثام، وخذلان طوائف النصارى وعباد الصليب والأصنام.

فلما توجه حضرة الوزير المعظم المذكور، والقبودان المؤيد المنصور، إلى الديوان الشريف السلطاني، لتقبيل قوائم سرير السلطنة الخاقاني، قوبلا من الحضرة الشريفة السلطانية بغاية القبول والاقبال، وخوطبا بلسان الشكر والثناء على سعيها الجميل بالتفصيل والاجمال، وأخلع عليها الخلع الشريفة السلطانية، والتشريف العظيمة الباهرة الخاقانية، وقبل كلما عرضا على الاعتاب السلطانية من المطالب، وأنعم عليها بكل ما سأل فيه من المقاصد والمآرب، فكان من جملة ما طلبه حضرة الوزير المشار اليه الترقي في العلوقة بجميع من كان في هذا السفر المبارك الميمون، من العساكر السلطانية المنصورة، فأجيب الى ذلك.

وطلب ثانياً حضرة القابودان المكرم زيادة اخرى لهم في العلوقة، فأجيب الى ذلك ثانياً، وحصل لكل واحد من العسكر المنصور بحسب مراتبهم الترقي مرتين في العلوقة، وكان ذلك مالا عظيماً، وخزانة كبيرة، سمحت بها الخواطر الشريفة السلطانية، وأنعمت بها عليهم الحضرة العلية الخاقانية، وكان جزاؤهم جزاء موفوراً، وعطاؤهم عطاء وافراً مشكوراً، ومع ذلك فقد

ادخروا عند الله ثواباً عظيماً وأجرأً جزيلاً ، وصاروا من الغزاة المجاهدين في سبيل الله ، ونالوا في الدنيا والآخرة من الله ومن الناس شكراً جميلاً ، وبذلوا نفوسهم وأموالهم في طاعة الله وطاعة رسوله ، وطاعة أولي الأمر ، وسمحوا برؤوسهم بالجهاد في سبيل الله ، وإعلاء كلمة الاسلام ، وناهيك بهذا العز والفخر ، وقد بقي لهم هذا الذكر الجميل مخلداً في صفحات الدهر ، والله تعالى يديم هذه الدولة الشريفة العثمانية على صفحات الليالي والأيام ، وينصر بهم المسلمين ويؤيد بهم الاسلام ، ويبقى سلطنتهم القاهرة على الدوام ، الى يوم القيام ، فكم لهم ولأسلافهم الكرام في نصرة دين الاسلام من يد بيضاء آية للناظرين ، وكم فتحوا دار الكفر ، وصيروها دار الاسلام رغم المشركين والكافرين ، وتكاد تلتحق فتوحاتهم بفتوحات الصحابة رضي الله عنهم في صدر الاسلام ، والله خير الناصرين .

ولقد حكمت علماء أمة الاسلام ، واتفق قول الأئمة الأعلام ، رضوان الله عليهم أجمعين ، وشملهم برحمته انه أرحم الراحمين ، ان سيوف الحق أربعة ، وما عداها للنار : سيف رسول الله ﷺ في المشركين ، وسيف أبي بكر رضي الله عنه في المرتدين ، وسيف علي رضي الله عنه في الباغين ، وسيف القصاص بين المسلمين .

أقول : وسيوف بني عثمان رحمهم الله تعالى ، وأبقى الملك كلمة باقية فيهم ، وفي عقبهم إلى يوم القيامة إن شاء الله تعالى ، إذا سبرتها وتأملتها لا تخرج عن هذه السيوف الأربعة فانهم ما زالوا من أول أسلافهم رحمهم الله تعالى إلى الآن ، يجاهدون الكفار والمشركين ، ويقاتلون الملحدين والباغين ، ويقومون شعائر شرائع الدين ؛ فالله تعالى يمد ظلال سلطنتهم على المسلمين ، ويؤيد بهم أهل السنة ، ويقمع بهم كافة الملحدين ، وهذا دعاء يجب أن يدعو لهم به جميع طوائف المؤمنين ، فانهم عماد الاسلام وقوام هذا الدين المتين ، والدعاء لهذه السلطنة الشريفة دعاء لكافة أهل الاسلام ، وإعزاز دين الله تعالى ، ونصرة ملة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، وتأمين البلاد ، وتطمين العباد ، وتوهين أهل الفساد ، وقطع جادة

أهل الاحاد ، وقمع جميع أرباب البغي والعناد ، والله تعالى يختم لنا بالحسنى ،
ويبلغنا من جوده وكرمه المقام الأسنى . وهذا آخر ما أجرى الله تعالى به
القلم من أخبار غزوة الوزير المعظم ، بحسب ما بلغ الينا بمجل هذا الخبر المعلم ،
وأما تفاصيله فيحتاج الى بسط طويل ، ومع ذلك فما وصل الينا ذلك التفصيل ،
وحسبنا الله ونعم الوكيل ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على خير خلقه
سيد الأولين والآخرين ، وخاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد وآله وصحبه
أجمعين ، ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .



فهارس الكتاب

- ١ - فصول الكتاب .
- ٢ - أسماء الرجال .
- ٣ - أسماء المواضع .
- ٤ - الجماعات والقبائل والأمم .

تنبيهان :

- ١ - وضع المؤلف عناوين فصول الكتاب مسجوعة ، وقد تحتوي على بعض كلمات نابية فتصرفنا فيها في الفهرس .
- ٢ - الكلمات التي تتكرر كثيراً في الكتاب مثل : (اليمن) و (سنان باشا ويعبر عنه بالوزير و (الزيدية) و (العرب) و (أهل السنة) - وأمثالها - لم تذكر في الفهارس .

١ - فهرس الموضوعات العامة

مقدمة المحقق :

الكتاب - المؤلف - المؤلف - طريقة التحقيق

٨٠ - ١	ايضاح معاني بعض الكلمات
٣	مقدمة المؤلف
٥	إهداء الكتاب
١١	سبب تأليف الكتاب
١٣	قصيدة للمؤلف في مدح الأتراك

الباب الأول

في ذكر من ملك اليمن من أول القرن العاشر الى زمن الفتح العثماني ١٥-٦٨

١٦	الفصل الأول : في دولة السلطان عامر بن عبد الوهاب الطاهري
١٨	د الثاني : في انتقال الدولة من بني طاهر إلى الجراكسة
٢٣	د الثالث : فيما وقع لحسين الجرکسي
٢٨	د الرابع : فيما وقع لبرسبای الجرکسي
٣٢	د الخامس : في ولاية اسكندر الجرکسي
٣٤	د السادس : في توجه حسين الرومي نائب جدة إلى اليمن

- الفصل السابع : في مقتل اسكندر وولاية كمال الرومي ثم قتله ٣٥
- » الثامن : في عصيان أحمد باشا والي مصر، وغزو اليمن من قبل سلمان
الريس وحسين نائب جدة ٥٧
- » التاسع : وفاة حسين وولاية مصطفى بك ووصول سلمان الريس من
مصر لغزو اليمن ٤٢
- الفصل العاشر : في وصول سلمان وخير الدين الى اليمن ٤٩
- استقلال سلمان بملك اليمن ٥٤
- » الحادي عشر : في قتل سلمان وولاية مصطفى بيرم ٥٣
- قتل خير الدين وترك مصطفى بيرم ولاية اليمن ٥٤
- » الثاني عشر : ولاية اسكندر موز على مملكة اليمن ٥٦
- » الثالث عشر: وفاة اسكندر موز وولاية أحمد الناخوذة ٥٩
- ظهور الامام شرف الدين وترجمته ٥٩
- مذهب الامام زيد ٦١
- محاربة شرف الدين للناخوذة أحمد سنة ٩٤٠ ٦٧

الباب الثاني : في ابتداء الفتح العثماني ٦٩ - ٢٠٨

- الفصل الأول : في توجه سيان باشا الخادم لغزو البرتغال في الهند ثم عدوله
عن ذلك وأخذه اليمن وفتكه بالمسلمين ٧٠
- من ظلم سيان باشا وأفعاله في مصر ٧١
- » الثاني . ولاية داود باشا لمصر وتوجه سليمان باشا الى جدة ٧٨
- » الثالث : توجه سليمان باشا الى عدن واخذها غدرأ ٨٠
- الفصل الـ ٤ : توجه سليمان باشا من عدن الى الهند ورجوعه ٨٢
- » الـ ٥ : وصول سليمان باشا إلى الحجاز وقتله الناخوذة أحمد ٨٥
- ولاية مصطفى بك نائب غزة زبيد ٨٦

- الفصل ال ٦ : عودة سليمان باشا من اليمن ٨٧
- استيلاؤه على جازان وضمها الى زبيد ٨٨
- وصوح الى مكة وما جرى له فيها ٨٩
- سفر وفد من مكة الى اصطنبول مع سليمان باشا ٩٠
- كثرة القتلى من غزاة الترك في اليمن ٩١
- رجوع الوفد المكّي بعد إخفاقه في مهمته ٩٢
- الفصل ال ٧ : ولاية مصطفى نائب غزاة على زبيد ثم عزله عنها ٩٣
- ال ٨ : ولاية مصطفى النشار الأولى لليمن ٩٤
- ال ٩ : ولاية اويس باشا ثم اغتياله ٩٥
- ال ١٠ : قيام ازدمر باشا وأخذه الثأر لأويس باشا ٩٨
- ال ١١ : استيلاء علي بن سليمان البدوي على عدن ثم قتله ١٠٠
- استيلاء حيدر على زبيد ، ثم قتله ١٠٠
- الفصل ال ١٢ : ولاية فرهاد باشا على اليمن سنة ٩٥٤ ١٠٢
- ال ١٣ : عزل فرهاد وتولية ازدمر ١٠٥
- وصول مصطفى النشار بجيش كثيف الى اليمن مدد الأزدمر لحرب المطهر ١٠٧
- منافسة بين ازدمر ومصطفى النشار تفضي الى صلح مع مطهر ١٠٨
- مرسوم سلطاني للمطهر بن شرف الدين ١٠٩
- كتاب من مطهر للسلطنة جواباً على المرسوم ١١١
- الفصل ال ١٥ : استقلال ازدمر بالولاية الى أن عزل سنة ٩٦٢ ١١٧
- ال ١٦ : عودة ازدمر من اليمن ووفاته في الحبشة سنة ٩٦٧ ١١٩
- ال ١٧ : ولاية مصطفى النشار الثانية لليمن من سنة ٩٦٣ الى ٩٦٧ وكتبت خطأ (٧٣) ثم وفاته سنة ٩٦٧ ١٢١
- حدث أول حمل للحج اليمني ١٢١
- ال ١٨ : ولاية مصطفى باشا قره شاهين ثم عزله ١٢٣
- ال ١٩ : ولاية محمود باشا وذكر غدره وخيائنه ١٢٦

- ١٢٧ وصوله إلى جدة واستقباله فيها
- ١٢٨ دخوله اليمن وبعض أفعاله السيئة
- ١٢٨ اختلال العملة التركية في اليمن
- ١٣٠ الفصل الـ ٢٠: قتل النظاري غدرًا والاستيلاء على حصن حب
- ١٣٣ المهود «المحمودية» عند العرب
- ١٣٤ د الـ ٢١: في الكتابة إلى الباب العالي بنخب فتوحات محمود باشا
- ١٣٧ د الـ ٢٢: عزل محمود باشا وولاية رضوان بن مصطفى باشا
- ١٣٨ د الـ ٢٣: توجه محمود باشا إلى مصر سنة ٩٧٢ هـ
- ١٣٩ ملاقاته في جدة ووصف موكبه
- ما وقع بينه وبين ابراهيم المعاري المشرف على عمارة عين
- ١٤٤ عرفات
- ١٤٧ د الـ ٢٤: سفر محمود باشا إلى مصر ، وما عمله فيها من أنواع الظلم
- ١٥٤ د الـ ٢٥: قتل محمود باشا
- ١٥٧ د الـ ٢٦: ولاية رضوان باشا بن محمود باشا سنة ٩٧٢ هـ
- ١٥٧ ملاقاته في جدة ، ثم حجه
- ١٥٩ د الـ ٢٧: جعل اليمن ولايتين ووقوع اختلال أمورها بسبب ذلك
- ١٥٩ د الـ ٢٨: ولاية مراد باشا للتهائم واستقلال رضوان باشا بصنعاء
- ١٦٣ وصعدة
- ١٦٥ د الـ ٢٩: في ابتداء الفتن وشروع مطهر بالعصيان
- ميل مطهر إلى مراد باشا واختلافه مع رضوان باشا
- ١٦٧ وأسباب ذلك
- ١٦٨ الدعاة الاسماعيلية مع الأتراك ضد مطهر
- ١٧٠ انقسام الدعاة الاسماعيلية
- ١٧١ عصيان عيسى بن المهدي صاحب جازان
- ١٧١ شريف مكة يحاول الاصلاح بين مطهر والأتراك

- د ال ٣٠ : عزل رضوان باشا وولاية حسن باشا سنة ٩٧٤ ١٧٣
 قطع مطهر الميرة عن صنعاء وحصر المسكر التركي فيها ١٧٥
 قيام مراد باشا لامداد المحصرين ثم هزيمته ١٧٦
 استجابة كثير من أهل الجبال للمطهر وخروجهم على الترك ١٧٧
 هزيمة الجيش التركي ثم قتل مراد باشا ١٨٠
 د ال ٣١ : استيلاء مطهر على صنعاء ١٨٢
 د ال ٣٢ : وصول حسن باشا الى زبيد وما وقع في أيامه ١٨٦
 د ال ٣٣ : استيلاء علي بن شويح - من اتباع مطهر - على عدن ١٩٠
 د ال ٣٤ : استيلاء علي بن شرف الدين على حصن حب ١٩٣
 د ال ٣٥ : علي بن شويح على موزع وغزوه زبيد ١٩٥
 د ال ٣٦ : في وصول انباء احتلال اليمن الى الباب العالي ١٩٨
 تعيين مصطفى باشا اللالا وأمره بالتوجه لليمن ١٩٨
 تواني الجند المصري عن غزو اليمن ١٩٩
 سعي مصطفى باشا للصلح مع مطهر ١٩٩
 شريف مكة يتدخل للصلح ، ويرسل كتاباً إلى مطهر ٢٠٠
 كتاب من مطهر جواب كتاب الشريف المتقدم ٢٠٤
 د ال ٣٧ : توجه عثمان باشا بالجيش لغزو اليمن ٢٠٥
 استقباله في جدة ثم في مكة ووصوله إلى تعز سنة ٩٧٦ ٢٠٦
 فناء أكثر الجند العثماني في اليمن ٢٠٨

الباب الثالث : في الفتح العثماني على يد سنان باشا ٢٠٩ - ٤٥٧

- الفصل ال ١ : في عزل مصطفى باشا وتولية سنان باشا ٢١٠
 قتل بعض رؤساء عسكر مصر ٢١٠
 توجه سنان باشا من مصر ووصوله إلى ينبع سنة ٩٧٦ ٢١١

- ٢١٢ ملاقاته من قبل شريف مكة ودخوله مكة
- ٢١٣ نفور بينه وبين شريف مكة
- ٢١٤ إشرافه على عمارة عين عرفات
- ١٤٦ الفصل الـ ٢ : ارتحال سنان باشا إلى اليمن من مكة
- ٢١٨ الـ ٣ : وصول سنان باشا إلى جازان وأخذها
- ٢٢٠ الـ ٤ : توجه سنان باشا من جازان إلى تعز
- ٢٢٢ الـ ٥ : محاربة أهل جبل الأغبر
- ٢٢٥ الـ ٦ : الاستيلاء على جبل الأغبر
- ٢٢٧ الـ ٧ : في فتح قلعة القاهرية
- ٢٣٢ الـ ٨ : في ارسال جيشين من البر والبحر لغزو عدن
- ٢٣٥ الـ ٩ : في استشارة القواد في غزو صنعاء
- ٢٣٧ الـ ١٠ : خلاف بين سنان باشا وعثمان باشا
- ٢٣٩ الـ ١١ : عزل عثمان باشا وتعيين حسن باشا والياً لليمن بدله
- ٢٤٦ الـ ١٢ : الطرق إلى صنعاء وتوجه الجيش مع طريق ميثم
سفر عثمان باشا إلى مصر ومروره بمكة وجدة واستقباله
فيها
- ٢٤٤ الـ ١٣ : ذكر فتح عدن ، وكيفية ذلك
- ٢٤٩ الـ ١٤ : تعيين حسن ابن أخت سنان والياً لعدن
- ٢٥٤ الـ ١٥ : توجه الغزاة إلى صنعاء بطريق ميثم
- ٢٥٩ الـ ١٦ : معركة قرب مسجد القاعة بطريق صنعاء
- ٢٦٢ الـ ١٧ : معركة أخرى قتل فيها عدد من الفريقين
- ٢٦٦ الـ ١٧ : استسلام أهل جبلة ، وفتح التعكر وقلعة بجرانة
- ٢٦٩ الـ ١٩ : توجه الداعي لفتح حصن خدد
- ٢٧٢ الـ ٢٠ : فتح إب ، وبعدان وهران
- ٢٧٧ الـ ٢١ : مكافأة الجند بزيادة مرتباتهم

- الفصل الـ ٢٢ : توجه محمود الكردي بقسم من الجند لفتح حصن حب ٢٨٠
- د الـ ٢٣ : فتح بلدة ذمار ١٨٢
- د الـ ٢٤ : الوصول الى صنعاء ، وهرب مطهر الى ثلا ٢٨٤
- ٢٨٥ وصف موجز لمدينة صنعاء
- د الـ ٢٥ : الاستيلاء على حصن خولان بقرب صنعاء ٢٨٧
- د الـ ٢٥ : الإغارة على وادي السّرّ وحصن ذمرمر ٢٨٩
- د الـ ٢٧ : غزو بلاد المطهر وفتح قلعة شبام ٢٩١
- د الـ ٢٨ : محاصرة ثلا وكوكبان ٢٩٤
- د الـ ٢٩ : إخلاص الداعي الاسماعيلي للغزاة ٢٩٧
- د الـ ٣٠ : مناوشات بين سرايا الغزاة وبين أهل البلاد ٢٩٩
- د الـ ٣١ : محاصرة كوكبان من الخلف ٣٠١
- د الـ ٣٢ : هجوم على محطة قائد الغزاة ٣٠٣
- د الـ ٣٣ : معركة في سفح كوكبان يقتل فيها أحد قواد جيش مطهر ٣٠٧
- د الـ ٣٤ : معركة في سفح كوكبان يقتل فيها الهادي بن مطهر ٣١٠
- د الـ ٣٥ : افتتاح حصن حب العروس وهجوم على محطة القائد التركي ٣١٣
- د الـ ٣٦ : في محاولة صعود الغزاة إلى قاعة بيت العز في كوكبان ٣١٧
- ٣٢١ افتتاح قلعة درام في وادي خبان
- د الـ ٣٧ : قيام الداعي بدعوة القبائل للخضوع للغزاة واستجابتهم له ٣٢٣
- د الـ ٣٨ : استسلام أهل جبل التيس ٣٢٧
- د الـ ٣٩ : معركة قرب كوكبان ٣٣١
- د الـ ٤٠ : صعود قسم من الغزاة إلى جبل كوكبان ٣٣٨
- د الـ ٤١ : تعيين حسن باشا لمحاصرة كوكبان وفتح بعض قلاع ٣٤٢
- ٣٤٤ طلب الصلح والافراج عن بعض الأسرى
- د الـ ٤٢ : وقعة بين أهل ثلا وبين الغزاة ٣٤٧

- استسلام أهل شبام حراز وبني قوي من بلاد الحيمة وأهل
 ٣٥٠ ردمان وبعض سكان حراز وما حولها
- الفصل الـ ٤٣ : هجوم على محطة القائد في غيابه
 ٣٥٤
- الـ ٤٤ : قتل بعض رؤساء أهل البلاد
 ٣٥٦
- انقياد الشريف ناصر بن حسين الجوفي
 ٣٥٨
- الـ ٤٥ : قدوم أهل صعدة وأهل الجوف على المطهر
 ٣٦١
- الـ ٤٦ : احصاء الجند من الفريقين
 ٣٦٧
- معارك حول حصن كوكبان
 ٣٦٩
- الـ ٤٧ : مبارزة بين الفريقين
 ٣٧٣
- الـ ٤٨ : نماذج من دعايات أهل ذلك العصر
 ٣٧٧
- قصة طسم وجديس
 ٣٧٩
- الـ ٤٩ : عصيان من بعض القبائل وقطع طرق
 ٣٨٤
- الـ ٥٠ : فتنة كادت تقع في صنعاء
 ٣٨٩
- الـ ٥١ : ضيق في النفقة وتمزق الجند
 ٣٩٢
- قتل قائدين كبيرين من أهل البلاد
 ٣٩٤
- الـ ٥٢ : محاصرة علي بن شرف الدين في حصن حب
 ٣٩٩
- هزيمة الجند الغازي وقتل كثير منهم
 ٤٠١
- الـ ٥٣ : تقوية حامية تغز و عدن وارسال بعض السرايا
 ٤٠٦
- الـ ٥٤ : تعمير حصن شباط ، ثم قتل قائد عسكره القرقي
 ٤١٢
- الـ ٥٤ : ضجر يتبعه طلب صلح من الفريقين
 ٤١٥
- سعي قاضي الغزاة بالصلح بعد موافقة القائد سرّاً
 ٤١٧
- كتاب من القاضي إلى صاحب حصن كوكبان بن شمس الدين
 ٤١٩
- جواب من ابن شمس الدين للقاضي مع رسول لطلب الصلح
 ٤٢٠
- كتاب من ابن شمس الدين للقائد مع رسول لطلب الصلح
 ٤٢١
- كتاب من القائد لابن شمس الدين بالموافقة على الصلح
 ٤٢٣

- ٤٢٥ شروط الصلح التي أملاها القائد التركي
- ٤٢٧ الفصل ال ٥٦ : مطهر يطلب الصلح
- ٤٢٨ محمد بن شمس الدين يتوسط لعمه في الصلح
- ٤٢٨ كتاب من محمد بن شمس الدين للقائد مع رسول للمفاوضة
- ٤٣٠ موافقة بعقد صلح وكتاب من القائد
- ٤٣١ مقابلة مطهر للوفد التركي وموافقته على الصلح
- ٤٣٢ ال ٥٧ : رجوع القائد إلى صنعاء ووصول بهرام باشا الوالي الجديد لليمن
- ٤٣٤ مناوشات يحصر فيها الغزاة
- ٤٣٦ ال ٥٨ : امداد الجند المحاصرين وانتصارهم
- ٤٣٨ ال ٥٩ : افتتاح حصن حب بسبب اشتعال النار بمستودع البارود في الحصن
- ٤٤١ قتل علي بن شرف الدين مسموماً
- ٤٤٣ مطهر يحدد العهد على الولاء للأتراك
- ٤٤٤ ال ٦٠ : تسليم مملكة اليمن لبهرام باشا
- ٤٤٥ رجوع سنان باشا من اليمن
- ٤٤٦ استقبال سنان باشا في جدة
- ٤٤٨ توجه سنان باشا إلى مكة
- ٤٤٩ وصول سنان باشا إلى مكة واقامته فيها
- ٤٥٩ الكشف على عين عرفات وزيارة الآثار
- ٤٥٣ اداء سنان باشا الحج
- ٤٥٥ بعض أعماله في مكة والمدينة

الخاتمة

- ٤٥٧ في توجه سنان باشا لولاية مصر ثم لفتح تونس
٤٥٨ الفصل الأول : التوجه إلى مصر
٤٥٩ من آثاره في مصر
٤٦١ الفصل الثاني : سنان باشا في اصطنبول
٤٦٤ الفصل الثالث : سنان باشا يتوجه غازيا إلى تونس
٤٦٨ الفصل الرابع : في افتتاح البلاد التونسية
٤٦٩ محاصرة قلعة حلق الواد وافتتاحها
٤٧٢ معركة بحرية ينهزم فيها الأعداء
٤٧٤ الفصل الخامس : عودة سنان باشا إلى اصطنبول
٤٧٦ خاتمة الكتاب

٢ - فهرس أسماء الرجال

حرف الالف

ابراهيم بك بن أخت سنان باشا	آدم
٤٤٦	٦٥ - ٦٦
أبو بكر الجعفري	آقباي
٢٣٠	٣١
أبو بكر الصديق	ابراهيم بن احمد بن ابي السعود بن ظهيرة
١٤ - ١٨٤ - ٤٥٢ - ٤٧٦	(قاضي مكة)
أبو بكر العيدروس	٩٠ - ٩٢
٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٥٥	ابراهيم باشا (وزير السلطان سليمان)
أبو بكر بن مقبول (صاحب اللحية)	٣٧ - ٤٠ - ٤١ - ٤٢ - ٤٧ - ١٤٤
٢٤	ابراهيم بن الصباح
أبو الغوث (الشريف)	٢٩٢
٤٥	ابراهيم بن محمد بن الهادي
أبو نُمَيَّي بن بركات (الشريف)	٦٠
٢٩ - ٤٣ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٨ -	ابراهيم بك (الدفتر دار أمين عين عرفات)
٤٥٠	١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٦ - ١٥٢ -
أحمد باشا (وزير السلطان سليمان)	١٥٣ - ١٥٧
١١٩	

أحمد الصوباشي	أحمد باشا (والي مصر)
٣٩٥ - ٣٩٦ - ٣٩٧ - ٤٠٧ -	٣٧ - ٣٧ - ٤٠ - ٧١ - ٩٤
٤٤٠ - ٤٠٩	أحمد البعداني (من أمراء اليمن)
أحمد العتلة	١٨٠
١٧٧	أحمد جاويش
أحمد الميني	١٨٧
٤٧	أحمد جقل (الجرکسي)
أحمد كجك: (كوجك أحمد بك)	١٠٥ - ١١٨ - ٢٠٥
أحمد كينخيا	أحمد جلي (دفتردار مصر)
١٩٦	٩١
أحمد بن ماجد (الربان النجدي)	أحمد بن حسن الحفصي (صاحب تونس)
٢١	٤٦٤ - ٤٦٨
أحمد بن محمد بن أبي بكر اليافعي	أحمد بن الحسين الفايقي
١٧١	١٧٩
أحمد بك (بن مصطفى باشا) والي	أحمد بن الحسين اليافعي
اليمن	١٧٦
١٥٨ - ١٧٥	أحمد بن حنبل
أحمد الناخوذة	٦٠
٥٦ - ٥٩ - ٦٧ - ٨٥ - ٨٦	أحمد بن خلفان (شمس الدين)
أحمد بك (أمير الحاج المصري)	٦٢
٢٤٢	أحمد بن رضوان باشا
أحمد بن أبي نُمي (الشريف)	١٦٦
٩٠ - ٩٢	أحمد بن سالم
أحمد النهروالي (والد المؤلف)	١٧٨
٢٨	

اسكندر آغا (كاشف السر)	أحمد اليافعي عبقرية
١٦٧ - ١٦٦ - ١٦٥	١٧٩ - ١٧٨ - ١٧٧
اسكندر باشا الجركسي والي ديار بكر	أحمد بك قزلباش
٤٣٢ - ٤٠٨ - ٣٩٢	٣٥٦ - ٣٤٥
اسكندر الجركسي والي زبيد	أحمد بك (جتر قيل الكاشف)
٣٣	أحمد بك
اسكندر ذو القرنين	٤٣٥ - ٢٠٥ - ١٦٦ - ٥٦ - ٥٥
١٦٠	إدريس الاعور
اسكندر موز بن سولي	٢٦٨ - ٢٦٧ - ٥٨
٨٦ - ٨٥ - ٥٩ - ٥٦	إدريس (كاتب النظاري)
اسكندر بك القرمانلي	١٣١
٤٩ - ٣٩ - ٣٦ - ٣٥	أروس حسن
اسكندر (مملوك الامير حسين)	١٧٣
٣٥ - ٣٤ - ٣٣ - ٣٢	أريق حسن بك
اسكندر (من قواد الجيش التركي)	٣٤٥
١٣٠	ازدشير بابك
الاسكندر	١٦٢ - ١٦١
١٦١ - ١٦٠	ازدمر باشا
اسماعيل النبي (ع)	٩٨ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٥ -
٣٧٩	١٠٦ - ١٠٧ - ١٠٨ - ١١١ -
اسماعيل بن حيدر الصفوي الاردبيلي	١٧ - ١١٩ - ١٢١ - ١٢٨ -
٦٣	١٦٧ - ١٦٩ - ٤٢٠ -
اسماعيل الداعي	ارسطاليس الحكيم
١٧٠	١٦٠ - ١٦١ -

اوزن علي جاوش
 ١٨١ - ١٣٢
 اولو خان (من قواد محمود سلطان
 كجرات)
 ٨٣
 اويس الكاشف (أمير الحج الشامي)
 ٤٦
 أوييس باشا (والي اليمن)
 ٩٥ - ٩٦ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٥
 ١٥٩ -
 حرف الباء
 باز بن فارس الحسيني
 ٤٦
 بالي الجلي
 ٥٣ - ٤٠٣
 بايزيد (السلطان)
 ١٢٣
 بنخشد (الخواجا)
 ١٥٧
 بدر (سلطان الشعر)
 ١٩٠
 برسباي
 ٣٠ - ٣١ - ٣٣ - ٣٥
 بركات أبو نمي (أمير مكة)
 ٢٢ - ٢٨ - ٢٩ - ٤٥ - ٤٦

ابن اسماعيل
 ٣٢٤
 الأسود بن عفار
 ٣٨١
 الاسود العنسي
 ٢٨٦
 الأشرفي (الامير صاحب تعز)
 ٤٠
 الأعرج : (طهر)
 أفلاطون الحكيم
 ١٦٠ - ١٦١
 اكمجبي زادة : (محمود جلبي دفتر
 دار مصر)
 الى ملندي (قائد برتغالي)
 ٢٢
 أمر الله الكاشف (في حيس)
 ١٩٦
 أمير الحاج : (أحمد بك)
 أمير الحاج الشامي
 ٤٦ - ٩٠ - ١٦٢ - ٤٥٣
 أمير الحاج المصري
 ٨٨ - ٩٠ - ٤٥٣
 أمير الحاج البياني
 ٢٨١ - ٤٥٣

حرف التاء

تاج الدين : (عبد الوهاب)

تقسيم

١٤

ترك ممي

٣٨٩ - ٣٩١

تقي الدين الفاسي : (محمد الفاسي مؤرخ

مكة)

أبو تمام

٨٧

حرف الثاء

ثعبة بن بركات

٤٥ - ٤٦

حرف الجيم

جابر بن عامر (وزير محمد بن شمس

الدين)

٣١٨

جابر بن عبدالله الأنصاري

٢٥٨ - ٢٥٨

جابر بن عبدالله الأنصاري (آخر)

٢٥٨

٤٩ - ٧٩ - ٩٠ - ١١٩ -

١٢٦ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٤٨ -

١٤٩ - ١٥٧ - ١٧١ - ١٧٤ -

برويز بك

٢٨٠ - ٢٨١ - ٤٠٣ - ٤٠٦ -

٤٠٧ - ٤٠٩ - ٤٣٥ -

البسكري : (محمد من علي)

ابن بغداد (في مصر)

١٥٢

بكر

٢٠٢

بهادرشاه (سلطان كجرات)

٥٥ - ٧٠

بهال وزير المطهر .

٣١٨ - ٣٥٦ - ٣٥٧ - ٣٥٨ -

بهرام باشا بن مصطفى باشا قره شاهين

١٣٧ - ٢٤٤ - ٤٣٢ - ٤٣٣ -

٤٣٤ - ٤٣٦ - ٤٣٧ - ٤٣٨ -

٤٤٠ - ٤٤١ - ٤٤٢ -

بهرام بك (سنجق عدن)

٨٠

البهلوان : (حسن)

البوصيري صاحب البردة

٤٥٢

حسن بن أبي نعي (الشريف أمير
مكة)

١٢٧ - ١٣٤ - ١٥٨ - ٢٠٠
٢٠٤ - ٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢١٢
٢١٣ - ٢١٤ - ٢٤٥ - ٢٥٤
٤٤٦ - ٤٤٧ - ٤٤٨ - ٤٤٩

حسن باشا

١٧٣ - ١٨٥ - ١٨٦ - ١٨٧
١٨٨ - ١٨٩ - ١٩٥ - ١٩٦
٢١٩ - ٢٣٠ - ٢٤٢ - ٢٤٣
٢٧٥ - ٢٨٩ - ٢٩٩ - ٢٩٣
٣٠١ - ٣٠٢ - ٣١٩ - ٣٢٠
٣٢٣ - ٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٢٩
٣٣٠ - ٣٣١ - ٣٣٢ - ٣٣٤
٣٣٦ - ٣٣٨ - ٣٣٩ - ٣٤٠
٣٤٢ - ٣٩٣ - ٤١٧ - ٤٢٢
٤٣٢ - ٤٣٦ - ٤٤٧

الحسن البصري

٦٤

حسن البهلوان

٩٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨ - ٩٩
١٢٧

حسن الترجمان

٤٢٢

جانم بك الخزاوي

٣٨ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٤

٧٥ - ٨٢

جار الله بن فهد

٤٤

جترقيل الكاشف

٣٣٦

جعفر جاووش باشا

١٣٦

جعفر الصادق

٦١

جقل أحمد : (أحمد جقل)

جمال الدين المنشوي

١٤٠

جوهر المغربي (القائد)

٤٦

حرف الحاء

الحارث بن هشام

٩٩

الحجاج

٢٥٧

حزيمة (السيد أمير المدينة)

٤٦

حسان بن قبيع

٣٨٢

حسين (الأمير الجركس)
 ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٦
 ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ - ٤١ - ٤٩
 ١٢٩
 حسين (الأمير من قواد جيش سنان
 باشا)
 ٢٣٢ - ٢٥٤ - ٢٥٥
 حسين الثاني الرومي
 ٣٣ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٧ - ٣٨
 ٣٩ - ٤٠ - ٤٢
 حسين الكردي
 ٣٤ - ٣٩
 حماد بن خبير : (أمير عرب الجيزة)
 ٣٠٥ - ٣٠٧ - ٤٤٦
 ابن حمزة
 ٥٠ - ٥٢
 حمزة خير الدين
 ٤٣ - ٤٩
 حمزة (الأمير الكاشف بمصر من
 قواد سنان باشا)
 ١٥٥ - ١٨٤ - ٢١٣ - ٢١٦
 ٢٢٣
 أبو حنيفة
 ٥٩ - ٦١
 حيدر (الأمير)
 ١٠٠ - ١٠١

حسين آغا (رئيس الطائفة الكوكبية
 بمصر)
 ٢٢٠
 حسين آغا (دزدار جدة)
 ١٤٣
 حسين بن أبي بكر الحسيني المالكي
 ١٢٧ - ١٣٥ - ١٤٠ - ١٤١
 ١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩ - ٢٠٦
 ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣ - ٢٤٥
 ٤٤٦ - ٤٤٨ - ٤٤٩ - ٤٥١
 حسين بن حسن بن أبي نمي
 ٢٠٦ - ٢٤٥ - ٤٤٦ - ٤٤٧
 حسين بن شرف الدين
 ١٧٥ - ١٧٦
 حسين بن شمس الدين
 ١٧٩ - ١٩٦ - ٢٠٨ - ٢٢٤
 ٣٥٦ - ٣٥٧
 الحسين بن محمد اليمني
 ٤
 حسين باشا (والي مصر)
 ٤٦٠
 حسين بك كدخدا مراد باشا
 ٣٤٥
 حسين بك (دفتر دار الدين)
 ١٨١ - ١٣٢

دارا بن دارا (ملك الفرس)
١٦٠

الداعي : (عبد الله الهمداني)
داود باشا (والي مصر)
٨٧ - ٨٩ - ٩١ - ٩٤ - ١٠١ -
١٠٣ - ١٠٧ - ١٢٦

داود بن عمر (أمير الصعيد)
٧٦ - ٨٢

أبو داود بن الهادي
٣٥٤ - ٣٥٥

درغود باشا
٢٤٠

أبو الدرداء (عامر بن عويمر الصحابي)
٢٧٩

ابن دُرَيْب : (عز الدين)
دفتر دار اليمن :
(كيلان بك)
(مصطفى الرموزي)
دلو بيري
١٤٣

دلو علي بك الطويل
٣٦

دلو مصطفى باشا
٤٦٨

حرف الخاء

خداوندخان (صفر الخواجه)
٥٥ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤

خسرو باشا (الوزير)
٩٢

خسرو (كاشف موزع)
١٩٥

خضر بك آغا :
٣٨٩

خضر بك القبودان
٣٩٩ - ٤٠٠ - ٤٠١ - ٤٠٢ -
٤٠٧

خضر (الأمير خضر)
١٩٦

خوشكلدي (الأمير نائب جدة)
١٢٧

خير الدين (والي اليمن)
٤٩ - ٥٣ - ٥٤

خير الدين القبطان : (قورت أوغلي)
خير بك (ملك الأمراء)
٣٣ - ٣٤ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٥ -
٤٧ - ٤٩ - ٥٣ - ٥٤

حرف الدال

داذويه الفارسي
٢٨٦

زهاكبرجى حسن آغا	حرف الراء
١٨٩	ابن رصاص (خزندار النظاري)
زيد بن أرقم	١٣١
٢٥٨	رضوان باشا (والى اليمن)
زيد بن علي	١٥٧ - ١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٠ -
٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣ -	١٦٣ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦ -
٦٤	١٦٧ - ١٦٨ - ١٦٩ - ١٧٠ -
الزىلمعى (فى جده)	١٧١ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٥ -
١٤٩	٤٤٩ - ٤٥٣
زين الدين : عبد القادر الجزيرى الحنبلى	رضوان بك بن مصطفى باشا قره
زين العابدين (الامام)	شاهين (أمير الحاج الشامى)
٦١	١٢٤ - ١٢٥ - ١٣٧ - ١٤٣
الزىنى : الامير الزىنى (حماد بن خبير)	رمضان (أمير تمز)
حرف السين	٣٥ - ٣٦
سام بن نوح	رّمينة (الشريف)
٢٨٥	٤٥
سحبان	رياح بن مرة الطسمى
٨٣	٣٨٢
السخاوى	الريتس : (شكر كدخدا)
٣٤	حرف الزاى
السراج (والى جازان)	زكريا (شيخ الاسلام الأنصارى)
٢١٨	٨٦
سعد بن حبة	زعىر
٢٥٨	٧٧

سليمان بك
 ٢٠٥
 سليمان خان (السلطان)
 - ١١ - ٣٦ - ٣٧ - ٣٨ - ٥٧
 - ٧٠ - ٩١ - ١١٢ - ١٢٠
 - ١٢٣ - ١٣٥ - ١٥٠ - ١٧٢
 ٢٨٦ - ٣٢٤ - ٤٢٤
 سليمان شاه
 ١٧٢
 سليم شاه
 ١٧٢
 سليمان بن عبد الملك
 ٦٣
 سليمان الكيخيا
 ٧٢
 سنان باشا
 - ٧ - ١٤ - ٥٣ - ٥٤ - ٢٠٨
 - ٢١٠ - ٢١١ ، (ثم في كثير من
 صفحات الكتاب)
 سنان (أخو قورت القبطان)
 ٢٤٩
 سنان بك
 ١٨١
 سنان جاوش
 ١٣٤ - ٢٠٠ - ٢٠٤

ابن سعد (صاحب الطبقات)
 ٢٥٨
 أبو سعيد الخدري
 ٢٥٨
 سلاق أحد
 ٤٤٦ - ٤٥٠
 سلامة بن الخبير
 ٢١٣
 سلمان الريس (أمير البحر)
 - ٢٣ - ٢٤ - ٢٥ - ٣٧ - ٣٨
 - ٣٩ - ٤٠ - ٤١ - ٤٢ - ٤٣
 - ٤٥ - ٤٦ - ٤٧ - ٤٩ - ٥٠
 - ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥
 ٥٧ - ٥٨ - ٨٢
 سليم خان (السلطان)
 - ٢٨ - ٢٩ - ٣٢ - ٣٤ - ٣٥
 - ٧٠ - ٩٥ - ٢٥٠ - ١٧٢ - ٢٤٠
 ٢٨٦ - ٤٥٤ - ٤٦٥
 سليمان باشا (والي مصر)
 - ٧٠ - ٧١ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٥
 - ٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٨٠ - ٨٢
 - ٨٤ - ٨٥ - ٨٧ - ٨٨ - ٨٩ - ٩٠
 - ٩١ - ٩٢ - ٩٨ - ١٠٨ - ١١٢
 ١٢٠ - ١٨١

شمس الدين بن شرف الدين	سنان كتحدا (أمير الحج المصري)
٣٥٦ - ٤٢٠	٤٦
ابن ابي الشوارب	سنان القبطان
٧٧	١٥٤ - ٥٣
شهلا تمي (محمد شهلا)	سيف بن ذي يزن
١٦٧ - ١٨٦ - ١٩٥	٢٨٥ - ١١
شيخ الاسلام (حسين الحسيني المالكي)	حرف الشين
شيخ المَصرح (؟)	الشافعي (محمد بن ادريس)
١٨١ - ١٨٢	٧٣ - ٤
شيخ علي بك	شاه جلي (قاضي مصر)
١٧١ - ٣٤٥ - ٤٠٦ - ٤٠٧ -	١٥٥
٤٩٨ - ٤٠٩ - ٤٣٣	شاه علي بك (شيخ علي بك)
حرف الصاد	١٧١ - ٣٤٥
صاحب اللواء السلطاني والسنجق	شرف الدين (يحيى بن شمس الدين بن
السلطاني : (محمود بك)	احمد)
صفصفان مصطفى (مصطفى النشار)	٦٧ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٥ - ٨٦ -
٨٨	٩٥ - ١٦٨ - ١٨٤ - ١٨٨ -
الصُغَيَّر (شرف الدين)	١٩٣
٧٣ - ٧٤	شرف الدين : (الصُغَيَّر)
صفر بك قبطان اليمن	الشريف : (أبو نمي ، بركات = محمد
٢٥ - ٤٠٦ - ٤٠٧ - ٤٠٨	ابو نمي)
صفر الخواجا (مملوك مصطفى بيرم)	شمس الدين العبادي
٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - ٨٢ - ٨٣ -	١٥٢
٨٤	شكر كدخدا الرئيس
	٢٥١

عبد الباقي بن علي العربي (القاضي)

١٢٤

عبد الرحمن بن علي (قاضي عسكر

روملي سابقاً)

٢١٢

عبد الرحمن بن النظاري

١٣١

عبد الرحمن بن يحيى المغربي

١٩٥

عبد القادر الجزيري الحنبلي

٤٠٠

عبد القادر النزيلي

٣٢٨ - ٣٢٧

عبد القدوس بن شمس الدين

٤٢٣ - ٤٢٥ - ٤٢٦

عبد الله الداعي الهمداني (من

الاسماعيلية)

١٣١ - ١٣٢ - ٢٦٩ - ٢٢٨ -

٢٢٩ - ٢٣٠ - ٢٧٠ - ٢٧١ -

٢٩٣ - ٢٩٤ - ٢٩٦ - ٣٠١ -

٣٠٢ - ٣١٩ - ٣٢٣ - ٣٢٤ -

٣٢٥ - ٣٢٦ - ٣٢٩ - ٣٢٩ -

٣٣٠ - ٣٣١ - ٣٣٧ - ٣٥٠ -

عبد الله بن سلامة (صاحب موزع)

٢٥

الصلاح الداعي الهمداني

٢٢٨ - ٢٩٧

صولق فرهاد : (فرهاد باشا)

حرف الطاء

الطبري : (محمد بن جرير)

طوغان

٢٤

أبو الطيب المتني

٣٦٥ - ٣٨٤

حرف العين

عامر بن داود (صاحب عدن)

٨٠ - ٨٢ - ١٨١

عامر بن عبد الوهاب (السلطان -

الملك الظافر)

١١ - ١٦ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ -

٢٥ - ٢٦ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢ - ٣٣ -

٣٤ - ٣٥ - ١٠٠ - ١٢٩ - ١٣٢ -

عامر عزيز

٨٧ - ٨٨

العباس المرثي

٦١

العباس بن عبد المطلب

١٨٤

عُبَيْد الشوافي
 ١٧١
 عثمان آغا
 ٢٠٤ - ٢٠٠
 عثمان باشا - ازدمر باشا (أمير
 الحج المصري)
 ١٢٠ - ١٢٤ - ١٨٧ - ٢٠٤ -
 ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢١٩ -
 ٢٢٠ - ٢٢٢ - ٢٢٦ - ٢٣٦ -
 ٢٣٧ - ٢٣٨ - ٢٣٩ - ٢٤٢ -
 ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٤٦ - ٣٩٣
 عثمان باشا (والي الحبشة)
 ١٨٧
 عثمان بن عبد الله بن يزيد بن حارثة
 ٢٥٨
 عثمان بن عفان
 ١٨٤
 عجل بن عرار
 ١٢٤
 عرار بن عجل بن عرار النموي
 ٢٩ - ٩١ - ٩٢ - ١٢٤ - ١٣٨ -
 ١٣٩ - ١٤٠ - ٢٠٦ - ٢٤٥ -
 ٤٤٦ - ٤٤٧ - ٤٤٨ - ٤٤٩
 عز الدين بن احمد بن دريَب
 ٢٣ - ٣٩

عبد الله شمس الدين
 ٤٢٥
 عبد الله بن عباس
 ١٧٧ - ٥
 عبد الله بن عمر
 ٢٥٨
 عبد الله الهمداني (الآغا)
 ٣٣٨ - ٣٣٩
 عبد الله اليافعي
 ١٧٦ - ١٧٧
 عبد الرحمن بن الدَّيْبِع
 ١٦ - ١٩ - ٢٠ - ٣٣
 عبد الملك بن عبد الوهاب (الطاهري)
 ٢٤ - ٣١ - ٣٢ - ٦٣
 عبد الملك اليمني (أمين دار الضرب)
 ١٢٨
 عبد الوهاب المحرق
 ١٨٨
 عبد الله بن يعقوب (تاج الدين رئيس
 قضاة مكة)
 ٩٠ - ٩٢
 عبدي بك (مأمور محطة ذمار)
 ٤٠٧ - ٤٠٩ - ٤٣٥
 عبقره : (احمد اليافعي القاضي)

علي الرومي (من ولاية زبيد)
 ٥٤ - ١٣٠

علي الريامي (صهر النظاري)
 علي بن سليمان البدوي
 ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٣

علي بن شرف الدين (الامام)
 - ٩٥ - ١٦٥ - ١٦٧ - ١٨٥
 - ١٩٣ - ١٩٤ - ٢٨٠ - ٢٨١
 - ٣٩٩ - ٤٠٣ - ٤٠٤ - ٤٠٦
 - ٤٠٩ - ٤١١ - ٤٣٧ - ٤٣٨
 ٤٤٠ - ٤٤١ - ٤٤٢

علي بن شويح
 - ١٧٥ - ١٧٦ - ١٨٥ - ١٨٧
 - ١٨٨ - ١٩٠ - ١٩١ - ١٩٥
 - ١٩٦ - ١٩٧ - ٢٠٤ - ٢٠٨
 - ٢٢٣ - ٢٣٢ - ٢٧٢ - ٢٧٥
 - ٣١٠ - ٣٣١ - ٣٣٨ - ٣٣٩
 ٣٤١ - ٣٥٨ - ٤٣٨ - ٤٤٠

علي صوباشي
 ٤٤٠

علي بن عبد الرحمن بن محمد النظاري
 ١٢٩ - ١٧٩ - ١٩٣

علي بن الفضل
 ١٧٠

علي بك القرماني
 ٥٠

عز الدين بن شرف الدين
 ٣٧٥

عفيرة بنت عفار
 ٣٨٠ - ٣٨١

العفيف : (عبد الله الداعي الهمداني)
 علي باشا الخادم (الوزير نائب مصر)
 - ١١٩ - ١٢٥ - ١٢٦ - ١٤٢
 ١٥٠ - ٢١٤

علي بن أبي طالب
 ١١٣ - ١٨٤ - ٢٧٩ - ٤٧٦

علي بن أحمد بن مكابر (جمال الدين)
 ٦٠

علي البسكري (من علماء مكة)
 ١٨٧

علي بك
 ٢٠٥ - ٤٤٦

علي جاوش
 ٤٥ - ٢٣٧ - ٢٥٤

علي جلبي لكلك
 ٤٢٢

علي بن الحسين (من قواد الجيش
 اليمنى)
 ٤٣٨ - ٤٤٠

علي بن دراج بن هجار (أمير الينبع)
 ١٥٠ - ٢١١

عمر بن يزيد	علي القوشقجي
٢٥٨	٣٣
عملق ملك طسم	علي الكيلاني (من تجار مكة)
٣٨١ - ٣٨٠	٤٣
عيسى الجويلي (من مصر)	علي بن محمد البعداني (الأمير)
١٥٢	٣٥
عيسى بن يونس	علي بن محمد النظاري (النضاري)
٦١	٢٤ - ٣٢ - ١٢٠ - ١٣٠ -
عيسى الحجري (حسام الدين)	١٣١ - ١٣٢
٢٤	علي بن نشير
عيسى بن المهدي	٣٨٥ - ٣٨٦ - ٣٨٧ - ٣٩٢ - ٣٩٤ -
١٧١	٣٩٥ - ٣٩٧ - ٣٩٨ - ٤٠٧ -
حرف الفاء	علي السيد
فاطمة (بنت محمد ﷺ)	٥٦
١٨٤	علي بك (من قواد جيش سنان باشا)
فائق بك	٢١٣
١٨٥	عمر الجبرتي (الفقيه)
أبو الفتح اليعمري (ابن سيد الناس)	٣٣
٢٥٨	عمر الخامري
ابن فتحون	١٩٦
٢٥٨	عمر بن الخطاب
فخر الدين : (مطهر)	١٨٤
فرحان (من نقباء مطهر)	عمر بن هانيء الطالبي
٣٠٧ - ٣٠٨	٦٣

قاضي قضاة البلد الحرام
 ٢١١
 قاضي مكة: (انظر :حسين الحسيني:
 محمد بن خضر أفندي)
 ٩٠ - ٨٩
 قانصوه الغوري (السلطان)
 ٢٩ - ٢٨ - ٢٣ - ٢٢
 قراقوش
 ٤٠٠
 قره شاهين (مصطفى باشا نائب غزه)
 - ١٢٣ - ١٢٢ - ٩٣ - ٨٦ - ٨٥
 - ١٣٥ - ١٢٦ - ١٢٥ - ١٢٤
 ١٨٣
 قره كوز بك
 - ٣٩٦ - ٣٩٥ - ٣٩٤ - ٣٤٥
 ٤٠٩ - ٤٠٧ - ٤٠٦ - ٣٩٧
 قزل باش : (أحمد بك ، محمد بك)
 قطران (من قواد جيش اليمن)
 - ٣٨٦ - ٣٨٤ - ٢٨٨ - ٢٨٧
 - ٣٩١ - ٣٩٠ - ٣٨٨ - ٣٨٧
 ٤٠٧ - ٣٩٨ - ٣٩٧ - ٣٩٣
 قليج باشا علي باشا
 ٤٧٥ - ٤٧٢ - ٤٦٧ - ٤٦٦
 قورت أوغلي (خير الدين القبطان)
 - ٢٤٩ - ٢٣٣ - ٢٣٢ - ٢٠٥

فرهاد باشا
 - ١٠٢ - ١٠١ - ١٠٠ - ٩٩
 - ١٠٩ - ١٠٥ - ١٠٤ - ١٠٣
 ١٣٥ - ١٢١
 أبو الفضل بن عبد الرحمن بن أبي علي
 (الخواجا)
 ٤٤٩ - ٢١٤ - ١٢٨
 فيروز الديلمي
 ٢٨٦

حرف القاف

قاسم الشرواني (قاسم بك)
 ١٤٥ - ٣٤
 قاسم بن شويح
 - ٢٥٠ - ٢٤٩ - ٢٣٢ - ١٩١
 ٢٥٥ - ٢٥٣ - ٢٥٢
 أبو القاسم بن قرقماس
 ٤٤٦ - ٢٠٦ - ١٤٣ - ١٤٢
 قاسم الهلالي
 ١٨٧ - ١٧٥
 قاسم بك البوصنوي سنجق جدة
 (أمير آخور علي باشا الوزير)
 ٤٥٠ - ٤٤٧ - ٢١٤
 قاسم (قائد قلعة بيت العز)
 ٣١٨

كوجك أحمد بك - ٢٥٤ - ٢٥٣ - ٢٥٢ - ٢٥٠
 ٤٤٢ - ٣٨٥
 قورد اوغلى سنان
 ٤٠٠
 قولاة سليان جاوويش
 ١٩٩
 قيت آغا
 ٣٠٧

حرف الكاف

كدخدا : مراد باشا (حسين بك)
 كرد : محمود بك (من أمراء جيش
 سنان باشا)
 كدوك فرهاد الكاشف
 ٢٦٤
 كريم الحلبي
 ٥٣
 كسرى
 ٢٨٥
 كلابي بك
 ٤١٤ - ٤١٢
 كال الدين أبو الفضل
 ١٢٨
 كال بك الرومي
 ٣٦ - ٣٥

كوجك أحمد بك
 - ٤٠١ - ٤٠٠ - ٣٨٥ - ٢٠٥
 ٤٠٤
 كور مراد : (مراد باشا)
 كوسه بهرام (من أمراء اليمن)
 ١٥٨
 كوله محمود بك (من قواد جيش
 سنان باشا)
 ٢٢٣ - ٢١٣
 كون مراد (مراد باشا سنجق غزة ،
 ثم والي اليمن)
 ١٥٩
 كيلون باشا (علي باشا صاحب
 مصر)
 ١٥٠
 كيلان بك (دفتر دار اليمن)
 ٤٤٧ - ١٨١

حرف اللام

لييد بن ربيعة (الشاعر)
 ١١٣
 لطف الله بن مطهر
 - ٢٧٠ - ٢٦٩ - ٢٦٨ - ٢٢٣
 - ٣١٠ - ٢٨٩ - ٢٧٢ - ٢٧١
 ٣١٢

محمد بن ادريس الشافعي	لطفي باشا (الوزير الأعظم)
٦٠	٩١
محمد أبو نمي الشريف (أبو نمي)	حرف الميم
٨٨ - ٨٧	مالك (الامام)
محمد بن اسماعيل الداعي	٥٩
١٦٩	مامي (الأمير من قواد جيش سنان باشا)
محمد بن اسمعيل بن أبي الصيف اليمني	٤
٥	٢١٣ - ٢٣٣ - ٢٤٩ - ٢٥١ -
محمد باشا (الوزير الأعظم)	٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٢٧٥ -
٧ - ٨ - ١٥٠ - ٢٤٢ - ٤٦٢ -	٢٨٧ - ٢٨٨ - ٣٨٧ - ٤٤٦ -
٤٦٦	٤٥٠
محمد باشا (وائي الشام)	المجاهد (الملك)
١٢٦	٤٧
محمد الباقر	محب الدين الحنفي (أخو المؤلف)
٦١	١٧٨
محمد البشير	محمد (النبي ﷺ)
٢٠٣	٣ - ٢٩ - ٦٦ - ٦٧ - ١١٢ -
محمد بن جرير الطبري	١١٣ - ١١٤ - ١٨٤ - ٢٤٥ -
٢٥٨	٢٥٧ - ٢٥٨ - ٢٨٦ - ٣٧٨ -
محمد بك	٤١٩ - ٤٢٠ - ٤٢٣ - ٤٢٨ -
٣٨ - ١٨١ - ١٨٦ -	٤٢٩ - ٤٥١ - ٤٥٢ - ٤٥٣ -
محمد بك (سنجق جبلة)	٤٥٤ - ٤٥٦ - ٤٧٦ -
١٦٣	محمد بن اسحاق
	٢٨٥

٣١٨ - ٣٣١ - ٣٣٨ - ٣٣٩ -

٣٤١ - ٣٤٤ - ٣٤٦ - ٣٥٦ -

٣٥٧ - ٣٥٨ - ٣٩٤ - ٤١٣ -

٤١٥ - ٤١٦ - ٤١٧ - ٤١٨ -

٤١٩ - ٤٢٠ - ٤٢٢ - ٤٢٣ -

٤٢٥ - ٤٢٦ - ٤٢٧ - ٤٢٨ -

٤٣٢

محمد شمس الدين السعودي القاضي

(إمام سنان باشا)

٤١٧ - ٤٢٢ - ٤٢٣

محمد العبادي (القاضي كاتب الروزنامة

ببصر)

١٥١

محمد بن عبد الحميد بن عبد الله بن

خلف القرشي المصري

٤

محمد بن عبد الله الداعي

١٦٩

محمد بن عراق (الشيخ)

٤٣ - ٤٤ - ٤٦

محمد بن عز الدين بن شرف الدين

٣٧٥

محمد بن عقبة (القائد)

٢١٧

محمد بن علي البسكري

١٨٧ - ٢٤٢ - ٢٤٣

محمد جلي إلكجي زادة (دفتر

دار مصر)

١٥٦

محمد جلي (ملتزم زبيد)

١٩٦

محمد بن الحسن العياني

٤١٦ - ٤٢١ - ٤٢٨ - ٤٢٩

محمد خان (السلطان)

٣٣

محمد بن خضر أفندي قاضي مكة

٤٤٧ - ٤٥٤

محمد الدمياطي (شمس الدين)

٧٥

محمد بن رضي الدين بن شرف الدين

٣٣٢ - ٣٣١

محمد بن سعيد المدلي

٣٢٢ - ٣٢١

محمد السمهودي (السيد)

٤٦

محمد بن سليمان الجركسي : (دفتر دار

داود باشا)

محمد شاه قوام اللاري (التاجر بمكة)

٤٣

محمد بن شمس الدين

٢٧٢ - ٢٥٠ - ٢٩٢ - ٣١٨

١٣٢-١٣٤-١٣٥-١٣٧-١٣٨-

١٣٩-١٤٢-١٤٣-١٤٤-

١٤٥-١٤٧-١٤٨-١٤٩-

١٥٠-١٥١-١٥٤-١٥٧-

١٥٩-١٦٦-١٦٧-١٦٩-

١٧٠-١٧٤-١٩٨-٤٥٣-

محمود بك (الدفتردار)

١٢٣-١٨٣-٣٤٥-٤٣٦-

٤٤٧

الأمير محمود : (محمود بك الكردي)
محمود بك الكردي

٢٨٠-٢٩٥-٢٩٦-٣٠١-

٣٢٨-٣٣٥-٣٣٨-٣٣٩-

٤٠٠-٤٠١-٤٠٤-٤٠٦-

٤٣٠

محي الدين اللاري

١٧١

مراد بن السلطان سليم بن خان بن
سليمان خان

٦-١٢١-١٠٧-١٢٣-

مراد باشا (الأمير سنجق غزة ، ثم
أمير الحج ثم والي اليمن)

١٥٩-١٦٠-١٦٣-١٦٦-

١٦٧-١٧٣-١٧٤-١٧٥-

١٧٦-١٧٩-١٨٠-١٨١-

محمد بن عمر (صاحب الصعيد)

١٥١

محمد الفاسي مورخ مكة

٣٨٢

محمد قزلباش

١٧٣-١٧٤-١٧٥-١٨٣-

٣٤٥

محمد الكرمانى (الشيخ) ٣٣

محمد بن مجد الدين ١٤٠

محمد النجمي بك (أمير اللواء بمصر)

٢١٠

محمد النظاري (الأمير شمس الدين)

٣٢-١٢٩-

محمد المكي بن محي الدين اللاري

١٧١

محمد بن يحيى

١٦٣

محمد بن يونس

٤٤٩

محمود (السلطان ؛ سلطان كجرات)

٨٢

محمود باشا (عتيق محمد باشا والي الشام

ثم اليمن ثم مصر)

٣٢-١٢٣-١٢٦-١٢٧-

١٢٨-١٢٩-١٣٠-١٣١-

مصطفى باشا بن اسفنديار	١٨٢ - ١٨٦ - ١٨٩ - ٢٥٦ -
٢٤٠	٣٢١ - ٣٤٦ - ٣٤٧ - ٣٥٣ -
مصطفى باشا (قره شاهين)	٣٥٦ - ٤٠١
١٣٧ - ١٤٣ - ١٥٩ - ١٩٩ -	مراد باشا (الوزير)
٢٠٥ - ٢٧٨ - ٣٤٥ - ٤٣٢ -	١٢٣
٤٤٤	مراد بك (أمير الحج المصري)
مصطفى باشا اللالا	١٠٧ - ١٥٣ - ١٥٩ - ١٦٠ -
١٨٩ - ١٩٨ - ١٩٩ - ٢٠٢ -	١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٧ - ١٦٨
٢٠٤ - ٢١٠ - ٢١١	مراد بك كتخدا محمود باشا
مصطفى بك بن إياز باشا	٤٥٣
٤٤٦	مرجان العامري
مصطفى بن بيرم	٢٦
٥٣ - ٥٤ - ٥٦	مرشد الحريري
مصطفى بك : (قره شاهين)	٤٦
مصطفى بك الرموزي	مسروق بن أبرهة
١٣ - ٧٣ - ٤٣٠	٢٨٥
مصطفى بك الرومي (وزير مصطفى	أبو مسعود البدري
الرومي)	٥
٤٢ - ٤٩ - ٥٠ - ٥٢	مسعود
مصطفى (ابن اخت سنان باشا)	٢٠٦
٣٠٧	مسلم (صاحب الصحيح)
مصطفى بك (من أمراء السناجق	٥
بصر)	مصطفى آغا (دزدار عدن)
٢١٠	١٤٣ - ١٩٠

٢٨٠ - ٢٨٤ - ٢٨٦ - ٢٨٧ -

٢٨٨ - ٢٨٩ - ٢٩١ - ٣٠٣ -

٣٠٥ - ٣٠٧ - ٣٠٨ - ٣١٠ -

٣١١ - ٣١٢ - ٣١٣ - ٣١٤ -

٣١٥ - ٣١٨ - ٣٢١ - ٣٢٢ -

٣٢٨ - ٣٣٩ - ٣٤٥ - ٣٤٦ -

٣٥٨ - ٣٦١ - ٣٦٢ - ٣٦٧ -

٣٧٣ - ٣٧٥ - ٣٧٧ - ٣٨٢ -

٣٨٦ - ٣٩٠ - ٤٢٧ - ٤٢٨ -

٤٢٩ - ٤٣٠ - ٤٣١ - ٤٣٢ -

٤٤٣ - ٤٤٧

مظفر شاه بن محمد بن أحمد شاه (سلطان

كجرات)

٢٢ - ٢٢ - ٢٦ - ٦٧ -

معاوية بن أبي سفيان

٥٩ - ٢٥٧ - ٢٥٨

ملك التجار بجدة (محمد المكي

الخواججا) ١٧١

الملك الضليل (امرؤ القيس)

١١٣

تممي : (مامي)

منتصر المريسي

٣٢١ - ٣٢٢

منصور بن داود بن طاهر

١٦

مصطفى جاروش

١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠٤

مصطفى النشار (مصطفى باشا)

٨٨ - ٨٩ - ٩٤ - ٩٥ - ١٠٧ -

١٠٨ - ١٠٩ - ١١٠ - ١١٥ -

١١٧ - ١٢١ - ١٢٢ - ١٢٥ -

١٢٦ - ١٥٧ - ١٥٩

مصالح الدين أفندي (قاضي مكة)

المعروف بمصدر مصطفى

٨٩

مطهر بن شرف الدين ، علي الحسيني

١١ - ٩٥ - ٩٩ - ١٠٦ - ١٠٧ -

١٠٨ - ١٠٩ - ١١٧ - ١١٩ -

١١١ - ١٣٢ - ١٦٥ - ١٦٧ -

١٦٨ - ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧١ -

١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٥ - ١٧٦ -

١٧٧ - ١٧٨ - ١٨٢ -

١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥ - ١٨٦ -

١٨٧ - ١٨٨ - ١٩٠ - ١٩١ -

١٩٣ - ١٩٨ - ١٩٩ - ٢٠٠ -

٢٠٤ - ٢٠٥ - ٢٠٨ - ٢١٨ -

٢٢٣ - ٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٣٠ -

٢٣٢ - ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٨ -

٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٦٩ - ٢٧٠ -

٢٧١ - ٢٧٢ - ٢٧٥ - ٢٧٨ -

نُقَيْر	المنصور الفسائي
٤٤١	٨٨
نور الدين : (علي النظاري)	موسى بك
حرف الواو	١٠١
واصل بن عطاء	موسى قزول آشك
٦٤	١٠١ - ٨٩
وُبَيْر	ابن مهدي (صاحب جازان)
٤٤١	١٠٣
ورندور (كبير الفرنج)	حرف النون
٨٣	النابغة الذبياني
الوليد بن عبد الملك	٣٦٢
٦٣	ناصر بن الحسين الجوفي : (الشريف ناصر)
الوليد بن يزيد	٣٥٠ - ٣٥٨ - ٣٥٦
٦٢	ناظر المسجد الحرام : (حسين الحسني)
وهرز	المالكي
٢٨٥	النبي ﷺ : (محمد ﷺ)
حرف الهاء	أبو نصر الفارابي (الفيلسوف)
الهادي بن ابراهيم بن محمد (الامام)	١٦٠
٦٠	أبو النصر (من نقباء اليمن)
الهادي بن شمس الدين	٢٧٤
٣٥٧ - ٣٥٦	النظاري :
الهادي بن مطهر	(علي بن عبد الرحمن النظاري)
١٨٥ - ٢٢٣ - ٢٧٥ - ٣١٠	(محمد النظاري)
٣١٢	نُعَيْم من بني عقبة
	١٣٦

يزيد بن معاوية
٦٣
يوسف بن جانم الحمزاوي (أميرالحاج)
٧١ - ٧٢ - ٨٢
يوسف بن سليمان باشا (والي مصر)
٧٥
يوسف بن عمر الثقفي
٦١ - ٦٢ - ٧١ - ٧٢
يوسف الصديق (بن يعقوب)
٤٦٠
يوسف (كينخية مصطفى النشار)
١٢٢
يوسف (الشيخ يوسف الداعي
الاسماعيلي)
١٦٩ - ١٧٠
أبو يوسف : (الامام)
٢٥٨
يونس
٥٠

هارون الرشيد
٧١
هزيمة بنت مازن
٣٨٠
هشام بن عبد الملك
٦١ - ٦٢ - ٦٣
همايون شاه
٥٥
الهيثم بن عدي
٦٢
حرف اليباء
ياقوت الحبشي النقاره زن
٤٢١
يحيى بن شمس الدين بن أحمد
٥٩ - ٦٠
يحيى بن زيد
٦٢
يحيى جاوش
٣٨٩

٣ - المواضع

أحد	حرف الألف
٢٥٨	آمد
أرياب : (ينطق الآن بكسر الهمزة)	٢١٤
١٧٩	آيس
أريشة	٣٢٤
٣٥٣	إب
الأزهر	٣١ - ٣٢ - ٥٠ - ١٣٤ - ١٦٥
٧٦	١٧١ - ١٧٢ - ١٧٧ - ١٧٩
الاسكندرية	١٩٣ - ٢٧٢ - ٢٧٣ - ٢٧٤
٣٧ - ١٥١ - ٤٥٩ - ٤٦٠	٤٠١ - ٤٠٢ - ٤٠٤
٤٦٤	الأبطح
الاسكندرية (مدرسة في زبيد)	٤٥١ - ٤٥٦
٥٨	الأبواب الشريفة : (الباب العالي)
اسكودار	الأبواب السلطانية : (الباب العالي)
٧٣ - ٧٥ - ٤٦١ - ٤٦٢	أبين : (وادي أبين ، عدن أبين)
أصاب : (هو وصاب)	١٠٠
٣٥٣ - ٣٥٢	أجباد
اصطنبول : (القسطنطينية)	٤٧
٩٢ - ٢٤٠ - ٢٤١ - ٤٦١	

الباب العالي (اصطنبول)
- ٣٧ - ٥٠ - ٧٢ - ٧٥ - ٩١
- ٩٢ - ١٠٦ - ١٠٨ - ١٠٩
- ١١٥ - ١١٦ - ١١٨ - ١١٩
- ١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٧ - ١٥٠
- ١٥٩ - ١٦٦ - ١٦٨ - ١٧٣
- ١٨٧ - ١٨٩ - ١٩٨ - ٢٠٤
- ٢١١ - ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٥٤
- ٣٤٦ - ٤٥٨ - ٤٦٠ - ٤٦١

٤٧٤ - ٤٦٢

باب العمرة

٨٨

الباب الغربي (في زبيد)

٥٠

بجراة

٢٦٨

بَدْر

٢١١

براش (بقرب صنعاء)

٣٤٧

بركة السلم (بطريق جدة)

٤٥٠

بركة ماجن (بأسفل مكة)

٢١٢ - ٢١٣

بركة الناصرية : (الناصرية)

٤٦٢ - ٤٧٤

الأعتاب السلطانية : (الباب العالي)
الأخير

- ٢٢١ - ٢٢٢ - ٢٢٣ - ٢٢٥

٢٢٧ - ٢٣٣ - ٢٣٥ - ٣٩٩

أناضولي

١٦٦

حرف الباء

باب إبراهيم (في الحرم الشريف)

٤٧

باب الحزوة (في الحرم الشريف)

٤٦ - ٤٥٦

باب زويلة

٧٥ - ١٥٢

باب الزيادة (في الحرم المكي)

١٥٧

باب السلام

٨٩

الباب الشرقي (في زبيد)

٥٠

باب الصفا

٤٧

الباب الشريف السلطاني : (الباب

العالي)

بلاد الجعفرين	البزستان (سوق البز)
٢٢٩	١٥١
بلاد الظاهر	البستان (بقرب زبيد)
٤٣١	٥١
بلاد آل عمار	بستان السيد حسين المالكي (بالأبطح)
٣٥٣	٤٥١
بلاد المعجم	بستان المدني (في مكة)
١٦٢ - ٦٣	١٢٢
البلاد الهندية	البصرة
١٠٩	١٦٣
بلد الله الحرام : (مكة)	بَعْدَان
٤٩	١٢٩ - ١٣٤ - ١٧٠ - ١٧٧ -
بندر جازان : (جازان)	١٨٥ - ١٩٣ - ٢٧٢ - ٢٧٣ -
بندر جدة : (جدة)	٢٧٤ - ٢٧٦ - ٢٨٠ - ٢٨١ -
بندر الصليف : (الصليف)	٢٨٢ - ٣٨٥ - ٣٩٩ - ٤٠٠ -
بندر عدن : (عَدَن)	٤٠١ - ٤٠٣ - ٤٠٤ - ٤٠٩ -
بندر القنفذة : (القنفذة)	٤١١ - ٤٣٧ -
بندر الخا : (الخا)	بغداد
بوسنة (جبال بوسنة)	١٠٦
١٥٠	البُقعة
البون	١٦٣ - ١٧٤ - ٢٠٧ -
٢٩٧	بلاد ادريس الاعور
بيت الخواجانجش (بمكة)	٢٦٧ - ٢٦٨ -
١٥٧	بلاد ابن اسماعيل
	٣٢٤

تربة الشيخ محمود (في مكة)

١٢٧

التَّريِّبة

٥٢

تريادة

٣٣٦

تعزيز

- ٢٤ - ٣١ - ٣٥ - ٣٦ - ٤٠ -

- ٥٠ - ٩٣ - ١٢٩ - ١٣٨ -

- ١٤٠ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٧٣ -

- ١٧٤ - ١٧٥ - ١٧٨ - ١٧٩ -

- ١٨٠ - ١٨١ - ١٨٥ - ١٨٦ -

- ١٨٧ - ١٨٨ - ١٩١ - ٢٠٤ -

- ٢٠٥ - ٢٠٧ - ٢٢٠ - ٢٢٢ -

- ٢٣١ - ٢٣٣ - ٢٣٥ - ٢٣٧ -

- ٣٣٨ - ٢٤٤ - ٢٤٦ - ٢٥٣ -

- ٢٦٨ - ٢٦٩ - ١٩٢ - ٣٨٥ -

- ٣٩٩ - ٤٠٠ - ٤٠١ - ٤٠٦ -

٤٠٧ - ٤٠٩ - ٤٣٣

التفكير

- ٥٨ - ١٧٦ - ١٧٧ - ١٨٥ -

- ٢٦١ - ٢٦٥ - ٢٦٦ - ٢٦٧ -

- ٣٨٥ - ٤٠١ - ٤٠٦ - ٤٠٧ -

٤٠٩

بيت الخواجا الطاهر

٢٠٦ - ٤٧

بيت العز

- ٣١٧ - ٣١٨ - ٣١٩ - ٣٤٠ -

٤٢٥

بيت وعود

١٧٩

بيح

١٧٢

بئر شميس

٢٠٦ - ٤٣

بئر غمدان

٢٨٥

بينش

٢١٨

حرف التاء

تربة الخليلي (بين حيس وزبيد)

١٩٦

تربة الشيخ الزيلعي (بقرب جدة)

١٤٩

تربة الشيخ عمر الحامري (في حيس)

١٩٦

تربة الشيخ العيدروس (في عدن)

٢٥٢

ثور (جبل بقرب مكة)

٤٥٢

حرف الجيم

جازان

- ٨٧ - ٣٩ - ٣٢ - ٣١ - ٢٤

- ١٢٨ - ١٠٤ - ١٠٣ - ٨٨

- ٢١٩ - ٢١٨ - ١٧١ - ١٣٨

٢٤٤ - ٢٢٠

الجالد الصغير

- ٣٢٩

الجالد الكبير

٣٢٩

جامع صنعاء

٢٨٥

جامع ابن طولون (في القاهرة)

- ٦٢

جبال القمر

٢١

جبل آنس : (آنس)

جبل الأغبر : (الأغبر)

جبل بعدان : (بعدان)

جبل التيس : (التيس)

جبل ثلا : (ثلا)

جبل ثور : (ثور)

التنعيم (بقرب مكة)

٤٥٥ - ٤٥٦

تونس

٤٦٥ - ٤٦٤ - ٤٥٧ - ٩ - ٥

٤٧٢ - ٤٦٩ - ٤٦٨

التهايم

١٨٩ - ١٦٦ - ١٦٣ - ١٠٠

التيس : (جبل)

- ٣٤٧ - ٣٢٨ - ٣٢٧ - ٣٢٦

٤٢٥ - ٤١٢

حرف الثاء

ثلا (تنطق الآن بكسر الثاء)

- ١١٧ - ١٠٨ - ١٠٧ - ١٠٦

- ٢٨٧ - ٢٨٤ - ٢١٦ - ١٢٤

- ٣٠٠ - ٢٩٩ - ٢٩٤ - ٢٨٨

- ٣١٤ - ٣١٢ - ٣٠٨ - ٣٠٣

- ٣٢٣ - ٣١٧ - ٣١٦ - ٣١٥

- ٣٤٧ - ٣٤٦ - ٣٢٩ - ٣٣٨

- ٣٥٧ - ٣٥٣ - ٣٤٩ - ٣٤٨

- ٣٦٥ - ٣٦٤ - ٣٦٣ - ٣٦٢

- ٣٧٢ - ٣٧١ - ٣٧٠ - ٣٦٨

٤٠٦ - ٣٩٧ - ٣٧٧ - ٣٧٣

ثنية

٣٥٢

٢٣٢ - ٤٤٥ - ٤٤٦ - ٤٤٧ -	جبل الحَبَيْش
٤٤٨ - ٤٥٠	٢٦٩ - ٢٧١
جزيرة رودس : (رودس)	جبل الرحمة (جبل عرفات)
جزيرة المحاملة (في ساحل اليمن)	١٢٢ - ١٢٤ - ١٤٣ - ٤٥٣
٥٣	جبل سَيَّان : (سَيَّان)
جفتلكة	جبل ضَلَع : (ضلع)
٩٢	جبل اللوز : (اللوز)
جرة العقبة (في منى)	جِبَلَة
٤٥٤	٣١ - ٣٢ - ٥٠ - ١٣٤ -
الجموم	١٦٣ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٧١ -
٤٦	١٧٢ - ١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٧ -
الجوخي	١٧٨ - ١٧٣ - ١٩٩ - ٢٣٥ -
٢١٢ - ٤٥٣ - ٤٥٦ -	٢٦٥ - ٢٦٦ - ٢٨١ - ٣٨٥ -
الجوف	٣٩٩ - ٤٠١ - ٤٠٢ - ٤٠٤ -
١٧٥ - ٣٥٨ - ٣٦١ - ٣٦٢ -	جُدَّة
٣٦٧	٢٢ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١ -
الجيزة	٣٣ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٧ - ٣٨ -
٣٠٤ - ٤٤٦ -	٣٩ - ٤٠ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٥ - ٤٩ -
حرف الحاء	٦٠ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٠ - ٨٧ -
الحائط	٨٨ - ٩٥ - ١٢٣ - ١٢٦ -
٢٩٧	١٢٧ - ١٣٥ - ١٣٨ - ١٣٩ -
حِبَّ (بفتح الحاء)	١٤٠ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ -
٣٢ - ١٢٩ - ١٣٠ - ١٣١ -	١٤٧ - ١٤٨ - ١٥٧ - ١٥٨ -
١٦٩ - ١٧٠ - ١٨٥ - ١٩٣ -	١٦٣ - ١٧١ - ١٩٥ - ٢٠٥ -
٢٨٠ - ٢٨١ - ٢٨٢ - ٣٨٥ -	٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢١٣ - ٢١٤ -

الحديدة	٣٩٩ - ٤٠٠ - ٤٣٧ - ٤٣٨ -
٢٠٧	٤٤٢
حِراء (جبل بمكة)	حَب العروس
٤٥١	٣١٣ - ٣١٤ - ٣١٦
حراز	حِبابة
٣٢٤ - ٣٥٠ - ٣٥١	٢٥٩
الحرمان الشريفان	الحبشة
٨ - ٢٨ - ٤٤ - ٧٧ - ١٧١ -	١١٩ - ١٢٠ - ١٢٤ - ١٧٤ -
٢١٥ - ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٤٤٤ -	١٧٥ - ١٨٧ - ٢٨٥
٤٥٤ - ٤٥٩ - ٤٦٣	الحُبَيْش : (جبل الحُبَيْش)
الحساء	حُبَيْش
١٦٣	١٧٧
حصن أريشة : (أريشة)	حِجْر اسماعيل
حصن التَعَكْر : (التَعَكْر)	٨٨
حصن ثنينة : (ثنينة)	حجر الركانين
حصن الجالد : (الجالد)	٣٤٠
حصن حَب (حَب)	الحجون
حصن خَدَد (خَدَد)	٤٧
حصن خولان : (خولان)	حدًا : (بين مكة وجدة)
حصن دَعْلَة : (دَعْلَة)	٢٠٦ - ٤٤٨
حصن ذِمْرَمَر : (ذِمْرَمَر)	حداد بني قوي
حصن راجد : (راجد)	٣٥٠
حصن ريمان : (ريمان)	حدّة : (بالحاء المهملة انظر : حدّا)
حصن سانة : (سانة)	الحدينيّة (بقرب مكة)
	٤٤٩

الحيمة
 ٣٢٤ - ٣٢٨ - ٣٥٠
 حرف الخاء
 الحاصكية (بمكة)
 ٤٧
 خُبَان
 ٩٦ - ١٨٠ - ٢٥٦ - ٣١٧ -
 ٣٢١ - ٣٢٢
 خَبْتٌ 'كَلْبِيَّةٌ' : (كلية)
 خَدَاد
 ١٨٥ - ٢٦٩ - ٢٧٠ - ٢٧١
 الخليج (بقرب الاسكندرية)
 ٤٥٩
 خَنْفَر
 ١١٧
 خولان (حصن)
 ٢٨٧ - ٢٨٨
 الخَيْف (في منى)
 ٨ - ٤٥ - ٤٥٤
 حرف الدال
 دابق
 ٦٣
 دار ابراهيم بن الصباح (في شبام)
 ٢٩٢

حصن سباعة : (سباعة)
 حصن شاييم : (شاييم)
 حصن شخَب (شخب)
 حصن شِمَاط : (شِمَاط)
 حصن الظَّفِير
 ٣١٣
 حصن ظفران : (ظفران)
 حصن قبضان : (قبضان)
 حصن قرن المسجد : (قرن المسجد)
 حصن القفْل : (القفل)
 حصن قَيْلَة : (قيلة)
 حصن الكاهل : (الكاهل)
 حصن هِرَّان : (هيران)
 حضرموت
 ١٩٠ - ٢٩٢
 الحضور : (صوابه : حَضُور)
 ٣٢٤ - ٣٧٤ - ٣٨٦
 حلب
 ١٠٢ - ١٠٦ - ٢٠٢ - ٢١٣
 حَلِيقُ الواد (في تونس)
 ٥ - ٩ - ٤٥٧ - ٤٦٩ - ٤٧٢
 حَلِيبي
 ١٣٨
 حَيْس
 ٢٤ - ١٩٦

ديار بكر
 ٤٣٢
 الدِّيُو (بندر في كجرات)
 ٨٥ - ٨٣ - ٨٢ - ٨١ - ٥٥
 الديوان العالي
 ١٥٢ - ٩٢
 حرف الذال
 ذراع الكلب
 - ٣٨٥ - ٣٥٦ - ٢٨٥ - ٢٨٤
 ٣٨٨ - ٣٨٦
 ذَمَّار
 - ٢٨٢ - ٢٨٠ - ١٧٩ - ١٧٥
 - ٣٨٥ - ٢٨٥ - ٢٨٤ - ٢٨٣
 - ٤٠٩ - ٤٠٧ - ٤٠٣ - ٣٨٦
 ٤٣٩ - ٤٣٨ - ٤١٠
 ذَمَّرَمَر : (في الأصل : دمرمر)
 ٢٨٩ - ٢٨٠
 حرف الراء
 رابغ
 ٢١٢
 راجد
 ٣٥٣
 رأس العين
 ٤٤٨

دار السعادة (بمكة)
 ١٢١ - ٢٦
 دار السعادة (في جدة)
 ٤٤٦
 دار السلام
 ١٢٢
 دار السلطنة : (القسطنطينية)
 درام
 ٣٢٢ - ٣٢١ - ٣١٧
 دَعْلَة
 ٣٥١
 الدِّكْن (في الهند)
 ٢٢
 الدِّكْنَاء
 ٤٦ - ٤٥
 دِلِّي (دهلي)
 ٥٥
 دَمَّت
 ٣٥٣
 دِمَشْقُ
 ٦٣
 الدوران (قلعة الدوران)
 ٢٨٣
 دَهْلِك
 ١٩٥

١٠١ - ١٠٣ - ١٠٩ - ١٢١ -	رأس المخرف
١٣٨ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦ -	٣٣٩
١٦٩ - ١٧٤ - ١٧٨ - ١٨١ -	رباط داود باشا (بمكة)
١٨٥ - ١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٩ -	٨٨
١٩٠ - ١٩١ - ١٩٣ - ١٩٤ -	رُداع : (ينطق الآن بكسر الراء)
١٩٥ - ١٩٦ - ٢٠٧ - ٢٠٨ -	٤٤٠ - ٤١٠ - ٣٥٣
٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٣٠ - ٢٤٢ -	ردمان (في بلاد حراز)
٢٤٤ - ٢٥٣ - ٣١٠ -	٣٥١
زبيد	الرملة
٤٠٧ - ٤٠٨ - ٤٠٩ - ٤٣٢ -	١٥٦
٤٣٣ - ٤٤٧ -	رودس
زقاق سبتة	٤٦٤
٢١	رومي
الزبيدية (قرية وانظر الزبيدية طائفة)	٢١٢
١٩٦	رَيمان
سبتة : (زقاق سبتة)	٣٥٢
حرف السين	حرف الزاي
سارع	الزاهر
٣٢٥	٨٨
ساعة	زبيد
٣٥٣	١٦ - ٢٤ - ٢٥ - ٣٠ - ٣١ -
سباعة	٣٣ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٦ - ٣٩ -
٣٢٥	٤٩ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢ - ٥٤ -
سبيل الجوخني : (الجوخني)	٥٨ - ٥٩ - ٦٧ - ٨٥ - ٨٦ -
سحبان	٨٨ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٩ - ١٠٠ -

السويقة (بمكة)	٢٤٧ - ٢٥٦ - ٢٥٩
٤٧	السر
سهل الباقر	١٦٧ - ٢٨٩ - ٢٩٠
٣٢٩	السعدية (بقرب ميقات أهل اليمن)
سهيل : (وادي سهيل)	١٣٨ - ١٣٩ - ٢١٧ - ٢٤٥
سيان	ذو سفال (تنطق ذي سفال في جميع
٣٣٧	حالات الإعراب)
حرف الشين	١٦٦
الشاقة : (بين مكة وجدة)	السلم (بركة السلم)
٤٤٨	سمات (؟)
الشام	٤٢٥ - ٤٢٤
١٢٤ - ١٢٦ - ١٤١ - ٢١٣ -	سمار : (نقييل سمار ، وهو معروف
٣٩٣ - ٢٥٧	بنقييل سمار)
شام	سنحان
٣٢٥	٣٨٦ - ٣٩٥
شام	سواكن
٢٩١ - ٢٩٢ - ٢٩٣ - ٢٩٤ -	١١٩ - ١٢٠
٣٢٢	السود : (نقييل السود)
شيام حراز	السوق الصغير (بمكة)
٣٥٠	١٤٧
شيام اليعافر : (شيام حراز)	سوق القفاف
الشبيكة (بمكة)	٣٢٦
١٢٧ - ٤٤٩ .	السويس
الشحر	٧٨ - ١٥٧ - ٢٠٥
١٠٠ - ١٩٠ - ١٩١	

صَبِيَّة (صوابها صَبِيَا)
 ٢١٨ - ١٠٣

صَعْدَا (صوابها : صَعْدَة)
 - ١٧١ - ١٦٥ - ١٦٤ - ١٠٣
 ٤٤٣ - ٤٣٠ - ٣٦١

الصَّعِيد

١٥١ - ١٢٠ - ٧٧ - ٧٦

الصَّفَا (في مَكَّة)
 ٤٤٩

الصَّلِيف

١٦٦ - ٥١ - ٥٠

صَنْعَاء

- ٩٦ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٢ - ٤
 - ١٦٣ - ١١٦ - ١٠٠ - ٩٩
 - ١٦٧ - ١٦٦ - ١٦٥ - ١٦٤
 - ١٧٥ - ١٧٤ - ١٧٣ - ١٦٩
 - ١٨٢ - ١٨٢ - ١٧٩ - ١٧٦
 - ١٨٦ - ١٨٥ - ١٨٤ - ١٨٣
 - ٢٣٥ - ٢٢٩ - ٢٢٨ - ٢٠٤
 - ٢٨٣ - ٢٨٢ - ٢٨٠ - ٢٥٦
 - ٢٨٧ - ٢٨٦ - ٢٨٥ - ٢٨٤
 - ٣٨٨ - ٣٨٧ - ٣٨٦ - ٣٨٥
 - ٣٩٤ - ٣٩١ - ٣٩٠ - ٣٨٩
 ٤٣٩ - ٤٣٧ - ٣٩٥

شَخَب
 ٣٥٣

الشَّرْق (شَرْق مَكَّة)
 ٨٨

الشَّعْر
 ١٧٧

شَلَلَه : (طَرِيق شَلَلَه)
 شِمَاط

- ٤١٣ - ٤١٢ - ٣٤٣ - ٣٤٢
 ٤١٤

شِمْسَان (قَلْعَة في عَدَن)
 ٢٥٢ - ٢٥١

شَمَيْس : (بَثْر شَمَيْس)
 الشَّمَيْسِي : (شَمَيْس)

الشَّوَانِي

- ٤٠١ - ١٧٧ - ١٧١ - ١١٧
 ٤٠٤

الشَّوَانِي الْأَعْلَى
 ١٧١

حَرْف الصَّاد

الصَّالِحِيَّة (في مِصْر)
 ٤٦٠

صَبْر
 ٢٦

حرف الظاء

الظفر : (حصن الظفر)

ظفران

٣٥٢

الظلمات : (بحر الظلمات)

٢١

حرف العين

عتر

٣٢٩

عُتْمَة

١١٧

عِتْوَد (ينطق الآن بكسر الواو)

٢١٨

عدن

٢٣ - ٢٥ - ٢٦ - ٣١ - ٥٠ -

٥١ - ٨٠ - ٨١ - ٨٢ - ٩١ -

٩٢ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٠١ -

١٠٢ - ١١٧ - ١١٨ - ١٢٤ -

١٥٦ - ١٦٣ - ١٦٥ - ١٧١ -

١٨١ - ١٨٧ - ١٩٠ - ١٩١ -

٢٣٢ - ٣٣٣ - ٢٣٤ - ٢٤٨ -

٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥١ - ٢٥٢ -

٢٥٣ - ٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٨٥ -

٤٠٢ - ٤٠٦ - ٤٠٧ - ٤٠٨ -

صورة (بندر في الهند وينطق الآن

سوَرَت)

٥٥

صُهْبَان

١٧٧ - ٣٥٢

حرف الضاد

ضِلَع

٣٣٧

ضَيْعَان

٣٣١

حرف الطاء

طريق التربة

٣٣٨ - ٣٣٩

طريق شلّة

١٧٩

طريق القلعة

٣٣٨ - ٣٣٩

طريق ميثم : (ينطق الآن بالتاء

المثناة : ميثم)

طريق نقييل أحمر : (نقييل أحمر)

طريق نجارة

٣٣

الطويلة

٣٤٧ - ٤٢٥ - ٤٣٠

عَمَّانُ	العُدَيْن
٧	٣٥٢
عَمْرَان	العراقان
١٦٦ - ١٧٢ - ٤٣١	٦١ - ٤٢٤
العُمرة (موضع الاحرام)	العَرْضة
٢١٢	٢٩٢ - ٢٩٣
عين عرفات: (عرفات)	عرفات : (عرفة)
حرف الفين	٤٨ - ٨٩ - ١٢٢ - ١٢٤ -
غار ثور: (ثور)	١٤٦ - ١٥٢ - ١٥٧ - ١٥٨ -
غار حراء: (حراء)	١٧٦ - ٢١٤ - ٤٤٧ - ٤٥٠ -
غزة	٤٥٢ - ٤٥٣ - ٤٥٤
٨٥ - ١٢٢ - ١٢٣ - ١٥٧ -	العِرْنَيْن
١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٣ - ١٦٥ -	١٧٧
١٧٤ - ١٧٥	العروس
عُغْدَان : (ينطق الآن بفتح الغين)	٤٢٥
٢٨٥	العِزُّ : (بيت العز)
حرف الفاء	عُسْفَان
فِرَّاسَان	٢١٢
٢٣	العَقَبَة (بطريق مصر)
الفِرْضَة السلطانية (فرضة جدة)	١٧٤
٢٠٦	العقبة (في بلاد اليمن)
فند : (قلعة بقرب حَبَّ)	٣٥٢
٢٨١	المقبيق
	٥٢
	المليق
	٢٥٧

قضية : (بصر)	حرف القاف
٤٦٠	القاعدة
القفل	١٦٦ - ٢٤٦ - ٢٤٧ - ٢٥٣ -
٣٥٣	٢٥٧ - ٢٦٨ - ٤٣٣
قلعة بجرانة : (بجرانة)	القاهرة (مصر)
قلعة تعز : (تعز) -	قاهرة تعز (القاهرية)
قلعة خدد : (خدد)	١٦٦ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٢٠ -
قلعة دمت (دمت)	٢٢٧ - ٢٣١ - ٢٣٣ - ٢٣٥ -
قلعة الدوران : (الدوران)	٢٣٩ - ٢٧٠ - ٢٩٢ - ٢٩٧ -
قلعة حجر الركانين : (حجر الركانين)	٣٩٩ - ٤٠٧ - ٤٠٩
قلعة ردمان : (ردمان)	قَبْضَان
قلعة بني السودان	٣٥٢
٣٢٩	قبة زمزم
قلعة شبام : (شبام)	٤٦
قلعة شمسان : (شمسان)	قَرْمَان
قلعة ظفار : (ظفار)	٢١٤
٣٢٩	قرن المسجد
قلعة عتر : (عتر)	٣٢٥
قلعة عدن : (عدن)	قرية المراوعة
قلعة العرضة : (العرضة)	٣٩
قلعة العروس : (العروس)	القسطنطينية
قلعة العقبة : (العقبة)	٩٢ - ١٠٢ - ١١١ - ١٧٢ -
قلعة بني العمران	٢٤٠ - ٤٦١
٣٥٢	قصر العرضة : (العرضة)
قلعة فند : (فند)	

كليّة
 ٢١٢
 الكمالية : (مدرسة في زبيد)
 ٣٥
 كمران
 ٢٣ - ٣٩ - ٥٠ - ٥٥ - ٢١٩
 كوْت (قلعة في الدكن)
 ٢٢
 كوتاهية
 ١٥٠
 الكوفة
 ٦١
 كوكبان
 ١٣ - ٢١٦ - ٢٩٢ - ٢٩٤
 ٢٩٥ - ٣٠٠ - ٣٠١ - ٣٠٢
 ٣٠٣ - ٣٠٧ - ٣١٣ - ٣١٤
 ٣١٥ - ٣١٧ - ٣١٩ - ٣٢٣
 ٣٢٨ - ٣٣١ - ٣٣٣ - ٣٣٨
 ٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٤٢ - ٣٤٣
 ٣٤٤ - ٣٤٧ - ٣٤٨ - ٣٨٥
 ٣٩٤ - ٤٠٣ - ٤٠٦ - ٤١٢
 ٤١٦ - ٤١٧ - ٤٢٢ - ٤٢٥
 ٤٣٣
 كوّة (في الهند)
 ٢٢ - ٢٣ - ٨٣ - ٢٥٠

قلعة كوكبان : (كوكبان)
 قلعة اللباخة : (اللباخة)
 قلعة المدورة : (المدورة)
 قلعة المصنعة : (المصنعة)
 قلعة معدعد : (معدعد)
 قلعة المقنّب : (المقنّب)
 قلعة نهاد : (نهاد)
 قلعة هبيني : (هبيني)
 القلعة : (بمصر)
 ١٥٤
 قلعة مسار
 ١٧٠
 القُمر : (جبال القمر)
 القنفذة
 ١٧٤ - ٤٤٦
 قنسرين
 ٦٣
 قبلة
 ٣٥٢
 حرف الكاف
 الكاهل
 ٣٢٩
 كجرات
 ٢٦ - ٥٥ - ٧٠ - ١٦٩
 كحلان ١١٧

المدارس السلطانية الأربعة (بمكة)

١٥٧ - ٤٨

مدرسة أحمد العيني

٤٧

مدرسة الاسكندرية

٥٨

مدرسة السلطان حسن (في مصر)

١٢٧ - ٧٥

المدرسة السليمانية : (بمكة)

٤٥١

مدرسة قايتباي (بمكة)

٨٨ - ١٢٤ - ١٢٧ - ١٥٧ -

١٧٤ - ٢٠٧ - ٢٤٥ - ٤٤٨ -

٤٤٩ - ٤٥١

مدرسة الكمالية (في زبيد)

٣٥

مدرسة الجوامدية (بمكة)

٤٧

مدرسة مُطهر (في عدن)

١٩١ - ٢٤٩ - ٢٥٥

مدرسة المنصور بمكة

٨٨

مدل

٣٢١

حرف اللام

اللباخة

٢٩٢ - ٢٩٣

اللحية

٢٣

لعسان

٤٠٧ - ٤٠٨

اللوز

٣٨٨ - ٣٨٩ - ٣٩١

اللؤلؤة

٣٢٤

حرف الميم

ماجن : (بركة ماجن)

مالطة

١٠٨ - ٢٢٩ - ٢٤٠

المجاهدية : (مدرسة)

المحاملة : (جزيرة المحاملة)

المحصب : (في أعلى مكة)

٤٥٥

الحا

٨٥ - ١٠١ - ١٨٧ - ١٩٦ -

٢٣٣ - ٤٠٧ - ٤٠٨ - ٤٠٩

المخلاف

١١٧

١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥	المدوّرة : (قلعة بقرب حب)
١٥٦ - ١٥٧ - ١٦٣ - ١٦٨	٢٨١
١٧٣ - ١٧٤ - ١٨٧ - ١٩٠	المدينة المنورة
١٩٩ - ٢٠٢ - ٢٠٤ - ٢٠٥	٢١١ - ٢٥٨ - ٤٥٥
٢١٠ - ٢١١ - ٢١٣ - ٢١٩	مرعش
٢٢٠ - ٢٢٣ - ٢٣٣ - ٢٣٩	١٢٦ - ٢١٣
٢٤٥ - ٢٦٤ - ٢٧٨ - ٢٨١	مُزْدَلِفَة : (المشعر الحرام)
٣٠١ - ٣٠٥ - ٣٩٢ - ٤٠٠	٤٥٤
٤٠٧ - ٤٠٨ - ٤٢٤ - ٤٣٢	مسار
٤٣٣ - ٤٤٦ - ٤٥٦ - ٤٥٧	١٧٠
٤٥٨ - ٤٥٩ - ٤٦٠	المسجد الحرام (الحرم الشريف)
المصنعة	٤٤ - ٤٩ - ٥٧ - ٢١١ - ٢٤٥
٣٢٩	مسجد القاعة (اسم مكان)
مُصَوِّع	٢٥٧ - ٢٥٩
١٢٠	مصر
المَضْرَح	١٤ - ٢٩ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٧
٣٥٣ - ١٨٢ - ١٨١	٣٨ - ٤٠ - ٤٢ - ٤٣ - ٦٢
مُظَفَّر آبَاد (بلدة)	٧٠ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٨
٨٥ - ٨٢	٨٦ - ٨٧ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١
مُعَدَّعِد	٩٢ - ٩٤ - ٩٨ - ١٠١ - ١٠٣
٣٥٢	١٠٦ - ١٠٩ - ١١٧ - ١١٩
المِغْلَاة (مقبرة مكة)	١٢٧ - ١٢٠ - ١٢٣ - ١٢٤
٤٥٣ - ٢٤٥ - ١٢١ - ٩٢ - ٣٣	١٢٥ - ١٢٦ - ١٣٤ - ١٣٥
المُتَرَق (قرب الحديدية)	١٣٦ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٠
٤٤٩	١٤٣ - ١٤٧ - ١٥٠ - ١٥١

ملكان	المفجبر
٢٤٥	٢١٤
مِنى	المقام الحنفي (بالمسجد الحرام بمكة)
٤٥ - ٤٦ - ١٢٤ - ١٢٦ -	٢٩ - ٨٩
٤٥٣ - ٤٥٤	المقرانة
موزع	٣١ - ٣٢ - ٣٥ - ٣٥٣
٢٥ - ١٩٥ - ١٩٦ - ٢٣٣	المقنّب
مِيثم (ضبطت بالثناء المثلثة ، ولكنها الآن بالثناء المثناة : ميثم)	٢٩١
٢٤٧ - ٢٤٨ - ٢٥٦ - ٢٥٩ -	مكة المشرفة
٢٦١	١٢ - ٢٣ - ٣٧ - ٣٨ - ٤٣ -
حرف النون	٤٤ - ٤٦ - ٤٧ - ٤٨ - ٥١ -
الناصرية (بمصر)	٨٨ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢ -
١٥٤	١٠٧ - ١١٧ - ١١٩ - ١٢١ -
نجارة (طريق نجارة)	١٢٢ - ١٢٤ - ١٢٦ - ١٢٧ -
٣٣	١٢٨ - ١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٨ -
نجد	١٤٠ - ١٤٢ - ١٤٤ - ١٤٥ -
٩٢	١٤٦ - ١٤٩ - ١٥٢ - ١٥٧ -
النخل (بقرب الحدّيبية)	١٥٨ - ١٦٣ - ١٧٤ - ١٧٥ -
٤٤٩	١٨٧ - ١٨٩ - ٢٠٠ - ٢٠٥ -
نقيل أحمر	٢٠٦ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣ -
٢٤٧ - ٢٥٦ - ٢٥٩ - ٤٣٣ -	٢١٤ - ٢١٦ - ٢٤٤ - ٢٤٥ -
٤٣٤ - ٤٣٥ - ٤٣٧ -	٢٥٤ - ٤٤٤ - ٤٤٥ - ٤٤٧ -
نقيل سمار (هو نقيل سمارة)	٤٥١ - ٤٥٠ - ٤٤٥ - ٤٥٣ -
١٢٦ - ٢٨٢ - ٤٠٧ -	٤٥٤ - ٤٥٥ - ٤٥٦ -

وصاب : (أصاب ، وينطق بضم
الواو)
وَعَوَاع : (بيت وعوع)
حرف الهاء

هبيني

٣٣١ - ٣٣٠

هران : (في الأصل : هزان)

٢٧٢ - ٢٧٦ - ٢٨١

همدان الحراز : (لعله : همدان

حراز ، أضاف القبيلة إلى البلد)

٣٢٤

الهند

٢١ - ٢١ - ٤٠ - ٤٢ - ٥٤

٥٥ - ٥٦ - ٧٠ - ٧٨ - ٨١

٨٢ - ٨٤ - ٨٥ - ٨٩ - ١٣١

١٧٠ - ١٧١ - ١٨١ - ١٩١

٢٣٢

حرف الياء

يَثْرِب

٤٢٤

يدي قلة (اسم سجن)

١٧٤

يريم

٢٨٣ - ٣٥٢ - ٤١١ - ٤١٢

٤١١

٤٠٩ - ٤١٠ - ٤١١ - ٤٣٦

نقيل السّود

١٧٩

نَمِرَة (بقرب عرّفة)

٤٥٣

نهاد

٣٥١

النيل

١٣ - ٢٨

حرف الواو

وادي أبين

١٠٠

وادي البون (البون)

وادي الجموم (الجموم)

وادي خبان (خبان)

وادي سحبان (سحبان)

وادي السرّ (السر)

وادي سهيل

٢٨٢

وادي الميثم (تنطق الميثم)

٢٦١

وادي يريم (يريم)

وان (في جهات ديار بكر)

٤٣٢

يناع	اليامة
٣٢٤	٣٨٢ - ٣٨٠
ينبع (الينبع)	اليمن (تكرر ذكره في كثير من
١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٠ - ٢١١ -	صفحات الكتاب)
٢٤٥ - ٣٧٥	

٤ - الفرق والطوائف والقبائل

بنو الأزرق	حرف الألف
٣٢٥	[تنبيه : لمعرفة موضع الاسم
بنو اسرائيل	جرده من (أبناء) و (بنو)
٤ - ٢٢٧	و (قبيلة)]
الاسماعيلية	آل الرسول (ﷺ)
١٦٨ - ١٦٩	١١٤ - ٤٢٠
أشراف الجوف	الأئمة الأربعة
١٧٥ - ٣٥٨	٥٩
أصبانيا : (أصبانيا)	بنو الأحبوب
٤٦٤ - ٧٤٢	٣٢٩
بنو الأعضب	الأروام
٣٢٩	٣٤ - ٣٣ - ٣٩ - ٦٧ - ٨٨ -
الافرنج : (الفرنج)	٨٩ - ٩٨ - ١٠٠ - ١٦٦ -
بنو أمية	١٦٧ - ١٦٨ - ١٦٩ - ١٧٨ -
٦١ - ٦٢ - ٦٣	١٧٩ - ١٨٣ - ١٩٦ - ٢٤٩ -
حزف الباء	٢٧٣ - ٢٩٣ - ٣١٢ - ٣٦٤ -
البرتقال : (في الكتاب الفرقتال)	٤٠٣
٧٠ - ١٧	الأزد
	٢٨٦

الجمعفريون	٢٢٩
حرف الحاء	
الحاج الشامي (الحجاج الشاميون)	١٢١ - ١٢٢ - ١٢٤ - ١٢٥
الحاج المصري (الحجاج المصريون)	١٢١ - ١٢٢ - ١٢٤ - ١٢٥
الحاج البياني	١٢١ - ١٢٢
الحبشة	١١٩ - ١٢٠ - ١٢٤
حُبَيْش (بنو حبيش)	٣٣ - ١١٧ - ١٧١ - ٤٠٤
بنو حسن	٢٠٦ - ٤٤٧
حمير	٣٩٣
حرف الخاء	
خزاعة	٢٨٦
حرف الدال	
الدحادحة	١١ - ٣١ - ٣٣ - ٩٨
الدعاة الاسماعيلية	٣٢٥
	١٦٥ - ١٦٨ - ٢٢٨ - ٢٩٨

حرف التاء	
التبابعة : (جمع تَبَّع : ملوك اليمن القدماء)	١٩١
الترك (تكرر ذكرهم كثيراً) أنظر مثلاً :	٢٤ - ٣١ - ٣٣ - ٦٧ - ١٠٠ - ٢٠٠ - ٢٠٦ - ٣٠٥ - ٣٩٥ - ٤٠١ - ٤٠٣ - ٤١٤ - ٤١٦ -
التركان	٤٢٤
	٥١

حرف الجيم

بنو جابر	١٤٨
جديس	٣٧٣ - ٣٨٠ - ٣٨١ - ٣٨٢
جذام	٣٦٣
الجراكة	١١ - ٣١ - ٣٣ - ٩٨
الجعافرة	٣٢٥

السلطنة العثمانية (الباب العالي)
 ٩٩ - ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧ -
 ١٠٩ - ١١١ - ١١٧ - ١١٩
 السناجق
 ٣٤ - ١٣٠ - ١٥٦ - ١٥٨ -
 ١٦٣ - ١٦٦ - ١٧٣ - ١٨٣ -
 ٢٠١ - ٢٠٥
 سنحان
 ٣٧٦ - ٣٩٥
 السنوية : (سنون ، أهل السنة ،
 تكرر ذكرهم كثيراً)
 بنو سويد : (بنو السودان)
 ٣٢٩

حرف الشين

الشافعية
 ٦٧
 بنو الشديد
 ٣٢٥
 شرفاء الجوف : (أشرف الجوف)
 الشفاليات
 ٢٩٧ - ٣٩٣
 بنو الشقاق
 ٣٢٩
 الشاميون
 ٢٤

٣٢٣ - ٤١٨
 الدعاة الهمدانيون : (الهمدانيون)
 دوشرمة
 ١٦٣
 الديلم
 ٤٢٢

حرف الراء

بنو رسول الفساني
 ١٦ - ٨٨
 الروم : (الأروام)
 بنو ريشة
 ١٤٨

حرف الزاي

بنو زيد
 ١٣٨
 الزيدية (تكرر ذكرهم كثيراً)
 ٢٣ - ٢٤ - ٣٠ - ٥٠ - ٥٩ -
 ٦٠ - ٦١ - ٦٤ - ٦٧ - ٩٥ -
 ١٣٢ - ١٣٣ - ١٦٥ - ١٦٦ -
 ١٦٩ - ١٧٢ - ١٨٢ - ١٨٨ -
 ١٩١ - ١٩٣ - ١٩٥ - ١٩٦

حرف السين

سلاطين الهند
 ١٧١

بنو عقبة	الشيبون
١٣٦	٥٧
أبناء علي (آل النبي)	حرف الطاء
١١٣	بنو طاهر
بنو عمار	١١ - ١٤ - ٨٠
٣٥٣ - ٣٢	طسم
بنو العمران	٣٧٩ - ٣٨٠ - ٣٨١ - ٣٨٢
٣٥٢	الطوائف
بنو العوادي	١٦١ - ١٦٢
٣٢٥	طيء
بنو العير	٣٨٢
١٣٨	حرف العين
حرف الغين	آل عثمان
بنو غسان	٥ - ٦ - ١٤ - ٢٤٠
١٢٩ - ٤٧	المعجم
حرف الفاء	٣٤٥
أبناء فاطمة	العرب (تكرر ذكرهم كثيرا)
١١٢	١٠٣ - ١٢٧ - ١٨٠
فايقة (قبيلة)	العرب العاربة
١٧٩	٣٧٩
الفرتقال : (البرتقال والفرنج)	العرب المتعربة
٢٥٠ - ٨١ - ٢٦ - ٢١	٣٧٩
	عربان الجيزة : (عربان مصر)
	٣٠٤ - ٣٠٧

٤٦ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٧ -

٤٩ - ٥٩ - ٥١ - ٥٤ - ٥٧ -

٩٦ - ١٩٩ - ١٨٨

حرف الميم

بنو مبارك

١٠٠

المجاديل

٣٢٥

بنو محمد

٣٢٥

المراوعة

٣٩

بنو مرزوق

١٢٢

المصريون

٢٤

المعتزلة

٦٤

المغاربية

٣١ - ٢٤

ملوك الطوائف

١٦١

ملوك الفرس

١٦٢

الفرنج

٢١ - ٢٢ - ٤٤ - ٥٥ - ٧٠ -

٨٠ - ٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٢٣٢ -

٢٣٣ - ٢٤٩ - ٢٥٠ - ٤٦٤

الفرس

١٠٨ - ١٢٠ - ١٦٠ - ١٦٢

آل فضل

١٠٠

حرف القاف

قضاة مكة

٤٧

بنو قوي

٣٥٠

حرف الكاف

الكرج

٤٢٢

حرف اللام

بنو لحيان

١٤٨

اللوتيا : (اللونبا)

١٦٩

اللونبا : (اللوتيا)

١٦٩

اللوند : (من أقسام الجن)

١١ - ٢٢ - ٢١ - ٣٣ - ٣٥ -

الهنود	بنو الوليد
حرف الياء	٣٢٥
يافع	مُهْرَة
٥١ - ٣٩	٥١ - ٣٩
اليعافر	حرف الهاء
٣٥٠	ممدان
الينكجيرية	٢٩٢
٣٠٢ - ٣٨	ممدان الحراز
اليهود	٣٢٤
٣٨	الممدانيون الدعاة
	٣٢٣ - ٢٢٨

الخطأ والصواب

ص	س	خطأ	صواب
٦	(الحاشية)	العملية	العلمية
٧	٥	واهداء رجل	واهداء النمل رجل
٩١	١٩	أحمد حلبي	أحمد جليبي
١١٤	٧	لدب	كذِبُ
١٢١	٧	ثلاث وسبعين	ثلاث وستين
٤٣٦	٨/٧	نقل سجار	نقل سمارة
٤٣٧	٢	قول أ-ر	قول أ-ر

[وهناك كلمات أخرى لا تخفى على فطنة القارئ لم نصححها]

منشورات دار البعثة

- ٢ -

مَدِينَةُ الرَّيَّاضِ عَبْرَ أَظْوَارِ التَّارِيخِ

بقلم: حمد الجاسر

مصحح به :

١ - مجموعة من الصور الاثرية للمدينة

٢ - خارطة كبيرة مقاس ٥٦ × ٤٨ س م

الثنى
{ ٦ ريال (الورق الابيض الصقيل)
٥ ريال (« « العادي)

وللكمية : تخفيض خاص

بِلَادُ يَنْبُع

لمحات تاريخية جغرافية وانطباعات خاصة

بقلم : حمد الجاسر

٥ ريال (للورق الابيض الصقيل)
٤ » (» » المادي)
الثنى

وللكمية : تخفيض خاص

DAR AL-YAMAMAH Al-Riad : SUODIA ARABIA

Al- Bark Al - Yamani
Fi
Al-Fath Al- Othmani

BY

Qotb Al - Din Al - Nahrawali Al - Makki

(917 - 990 - A. H.)